دراسة في جغرافية المدن

مدينة الجزائر

نشأتها وتطوّرها قبل 1830 م



علي عبد القادر حليمي
رئيس قسم الجغرافية بجامعة الجزائر

دراسة في جغرافية المدن

مدينة الجزائر

نشأتها وتطورها

قبل ١٨٣٠

CENTRE DE DOCUMENTATION
ÉCONOMIQUE ET SOCIALE
3, Rue Kadiri Sid Ahmed
(Ex. Rue Bedeau)
ORAN - Tel.

تأليف

حليمي عبد القادر علي
(استاذ : الجغرافية بجامعة الجزائر)

الطبعة الاولى
١٩٧٢



بسم الله الرحمن الرحيم

(وجـــاء من أقصـا المـدينة رجل يسعي

قال يقوم اتبعوا المرسلين ، اتبعوا من

لايسئلكم أجرا وهم مهتدون)

صدق الله العظيم

(قرآن كريم : سورة يس)

مقدّمة

بعد ان انتهيت من الدراسة البشرية لحوض وادى اربعطاش بدا لي من الضروري استكمال الموضوع بتقديم بحث عن مدينة الجزائر ، فيه يكون استكمال خبرتى فى دراسة التجمعات العمرانية فى بلاد الجزائر بشقيها : الريف والمدينة ، ذلك لما بين الموضوعين من علاقة وارتباط ، فلا مدينة من غير ريف ، ولا ريف من غير مدينة ، فالمدينة مصنع للحضارة ، عمرت بسكان الريف ومنه استمدت قوتها وازدهارها وحيويتها ، ومادتها الاولية ، والريف حقل استمد قوته وتطوره الحضاري مما وصلت اليه المدينة من تنظيم واختراع ، وهل للمصنع غنا عن المادة الاولية ؟ وهل للحضارة ان تقوم لولا توفر المواد الغذائية ؟ وما اعظم دور التطور الحضاري في استغلال الانسان لبيئته الريفية. فالمدينة والريف جهاز كلي ، ينموا بنمو الكل ، ويذبل بذبل الكل .

واختياري للبحث عن مدينة الجزائر يرجع الى عدة اسباب ، منها ان حوض وادي اربعاطش ، بحكم موقعه ، يمثل جزءا من ضواحي المدينة ، او جزءا مما يعرف بالجزائر الكبرى ، فيه نشأت ، وعلى ربوة من روابيه ، تبعد بحوالى الثلاثين كيلوا مترا عن مدينة الجزائر ، ترعرعت . و من هذه الربوة او من قرية اولاد موسى كنت اشاهد المدينة ومرساها صباحا ومساء ، وأتأمل في هيبتها وجمالها وجلالها، وانا اغدو واروح الى المدرسة بقرية اربعاطش التي تلقيت فيها تعليمي الابتدائي فيما بين (١٩٣٩ - ١٩٤٦) ، وما كان معلمنا بالفرنسية يتكرم لنا بالحديث عن ماضى مدينة الجرائر بل كان يطنب في الحديث عن باريس ومدن فرنسا ، اذ ان الجزائر كانت حين ذاك تحت نير الاستعمار الفرنسي ، يعمرها الاوربيون من اجناس مختلفة ، وبالخصوص الفرنسيون الذين كانوا يمثلون نسبة مرتفعة . وزاد انتباهي لمدينة الجرائر في ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ عندما كنت

أشاهد بالنهار من ربوة منزلنا اسطول الحلفاء الراسي بميناء الجزائر ، واسمع بالليل طلقات المدافع التى كانت تهز سهل متيجة ، وكنت ازورها من حين لآخر مع أبي الذي يأتيها لاداء الصلاة بالجامع الكبير او لقضاء مصالحه ، وكان يشرح لي الكثير عن معالم المدينة ، بما عرفه عنها من اجداده ، فذكر لي مرة ان اباه قبل الحرب العالمية الاولى كان يأتى على دابته الى سوق تافورة بالجزائر لبيع اللبن والسمن والعسل ، وان حي حسين داي كان عبارة عن احراش يكثر فيه قطاع الطرق ... وزيادة عن تلك الزيارات، وأنا صبي، فكنت أقضي في مدينة الجزائر بعض شهور العطلة الصيفية عند خالي بحي القصبة ، ولكن المدينة كانت عندي حين ذاك لاتعني سوى مدينة التلهى ، وركوب الحافلات والتجوال فى الحدائق ، والوقوف امام معروضات المحلات الجميلة ، ولعل شأني فى ذلك شأن معظم ابناء الضاحية الذين كانوا يقصدونها لمجرد النزهة ، او لزيارة اقاربهم .

وما ان وقع اختياري على تقديم بحث عن مدينة الجزائر حتى اختلفت نظرتي اليها واخذت الاسئلة تزدحم فى فكري عنها ، وصرت استرجع ما دفن فى مخيلتي وابحث عن معالم المدينة فى زياراتي لآثارها ، وابراجها واسوارها القديمة ، وأقف عند كل ماوصلت اليه يدي من كتب عنها ، او رسم لها ، او خرائط وصور خصصت بها ، وأكثر التردد على مكتبات المدينة ، ومصالحها ، وهيئاتها واقوم بالرحلات للضواحي لأجمع مادتي ، واستقي معلوماتى وأضيف الى ما سمعته من روايات الاجداد ، ولا شك ان هذه كانت اهم مصادري للبحث .

والمدينة ظاهرة جغرافية لانها تشغل جزءا من سطح الارض تتأثر بالطبقة السفلى من الغلاف الغازي ، كما ان للمدينة حادث تاريخي له بداية وقد يكون لبعضها نهاية. والمدينة كذلك مركب اجتماعى وحضارة لانها مستعمرة بشرية كان ليد الانسان دخل في نشأتها وتطورها ، ولا يمكن ان ندرس المدينة الا بالتعرض لهذه العناصر الثلاثة المتكاملة وهي : الضوابط الجغرافية ، والتاريخية ، والبشرية .

ودراسة المدن عند الجغرافي لاتهدف الى وصف المدينة فقط ، بذكر شوارعها

وازقتها وساحاتها العمومية بل تهدف الى : استقصاء الحقائق وتحضيرها فى اطار جغرافى للمشاريع التنفيذية . وفي هذا المعنى ان للجغرافى الدور الاول فى تحضير المشروع وهنا يجب تحديد خطوات البحث لمرحلة استقصاء الحقائق التي تتخلص فى اطار طبيعي وآخر بشري . فالاطار الطبيعي تدرس فيه التضاريس والموقع والموضع والمظهر الهيدوغرافي والمياه الجوفية والمعطيات الميترولوجية ونقاومة الجو ، وكثافة الغطاء النباتي الطبيعي . والاطار البشري يدرس فيه السكان من حيث اصلهم وهجراتهم وتعميرهم للمدينة ونموهم وحرفهم وفنونهم الخ . . . ومن هنا يظهر ان مرحلة l'enquête préparatoire الاستقصاء التحضيري ليست من عمل شخص واحد ولا هي من متخصص واحد ، بل هي مرحلة تشترك فيها فرقة مختلفة المشارب والتخصص من جيولوجي ، وكيماوي ، وطبيعي وطبيب ، وراصد للاحوال الجوية ، وبيدولوجي ، وبيواوجي ، ومؤرخ و اركولوجي ، تكون لهذه الفرقة علاقة وثيقة بالمؤسسات الوطنية والمؤسسات الخاصة ايضا ، لان جغرافية المدن تهدف الى الترقية والتنسيق الاحسن في حدود الامكان للمؤسسات البشرية على سطح الارض .

ولما كانت جغرافية المدن هي فرع من الجغرافية البشرية فلا بد ان ترجع الى الماضي لان فيه بناء الحاضر وعليه تنبني النتائج . والباحث الجغرافي يمتاز عن غيره من الباحثين لدراسة المدن فى اعتماده على الخرائط للتحليل ، وعلى الصور للايضاح ، وعلى الرسوم للمقارنة ، وهذا ما قمنا به فى دراستنا لمدينة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ، وان كان ليس من الهين جمع تلك المصادر فى فترة لم تتقدم فيها الاختراعات بعد ، ولم يبلغ فيها علم الخرائط ما بلغه فى الوقت الحالي من الدقة والاتقان ، اذ ان اول خريطة رسمت لمدينة الجزائر وضواحيها كانت خريطة بوتان الجاسوس الفرنسي سنة ١٨٠٨ التي لم تسلم من العيوب ، فيها نلاحظ عدة اخطاء ، منها وضع النقط والمعالم الطبيعية فى غير موضعها الفلكي . ثم ان آلة التصوير الفوتوغرافية لم يعد تاريخ اختراعها الى ما قبل مطلع القرن ١٩ (اخترع آلة التصوير الفوتوغرافية الكيماوي الفرنسي

نيبس (Niepce) (١٧٦٥ - ١٨٣٢) والفنان الفرنسي(Daguerre)(١٧٨٧-١٨٥١)
سنة ١٨٢٩ على اساس الخصائص الكيمائية لبعض الاملاح وبالخصوص ملح الفضة
(le bromure d'argent) اما الرسوم البيانية فهي من مواليد علم الاحصاء الحديث
تعتمد على الارقام التي تزداد غموضا واقترابا من الشك ، كلما تعمقنا في التاريخ . ومن مميزات
الباحث الجغرافي للمدن انه يهيئ البحث و يفتح الباب لدراسة علم الاجتماع وعالم
التاريخ ولمخطط المدن وللمخطط الاجتماعي . والزوايا التي تدرس منها المدن كثيرة
ومتنوعة منها نشأة المدينة ونشأة العاصمة ، وتطور العاصمة . وهناك عدة اسئلة يجيب
عنها الجغرافي دون غيره وينفرد بها دارس المدن دون سواه ، منها :

١ ـــ لماذا هذا الموضع بالذات قامت به المدينة دون سواه ؟ وقد اجبت عن
هذا السؤال في الظروف الطبيعية للاقليم بعد ان حددت اقليم مدينة الجزائر الذي يتميز
بظهير سهل متيجة الخصب والمياه الجوفية المتوفرة . ثم اعطيت أهمية خاصة للمناخ لانه
الحلقة التي وضع فيها الخالق مخلوقاته بحيث لايمكن لهذه المخلوقات هتك هذه الحلقة
الا في حدود معينة وضيقة للغاية . ومن الاسئلة التى يجب عنها الجغرافى :

٢ ـــ ما هو دور طوبوغرافية المكان فى اتجاه نمو المدينة ؟ وقد اجبت عن هذا
السؤال فى اثر التضاريس على العمران ، و وضحت ان لعامل الانحدار بالخصوص
ارتباطا قويا بالظروف التاريخية ، حيث ان اليد العليا في اتجاه نموالمدينة ، كانت فى
فترات السلم للظروف الطبيعية ، وان اليد العليا في اتجاه نمو المدينة كانت فى فترات
الخطر للظروف التاريخية . ثم سؤال آخر

٣ ـــ لماذا اراد الانسان ان يسكن فى هذاالاقليم بالذات ؟ وقد اجبت عن هذا السؤال
فى أصل نشأة المدينة الذى يعود الى الفينيقيين الذين كانوا يبنون مراكز تجارية شاطئية
على مسافات مقصودة تتناسب و المسافة التى تقطعها المركبة فى يوم واحد . ثم اتخذ
الاتراك من مدينة الجزائر عاصمة للبلاد لانها تقع فى اقليم وسط للبلاد ، وهو اقليم
العواصم حتى فى العهد الروماني . ولانها تقع فى نقطة تتغير فيها المواصلات بين البر

والبحر وفيها لابد للبضائع ان تنزل ثم تشحن من جديد . ثم سؤال آخر :

٤ ـــ ما هو نوع المسكن الاول الذي بدأ فى الاقليم ؟ وقد اجبت عن هذا السؤال في الباب الثاني عن تطور المدينة التي بدأت فى شكل اكواخ بسيطة و معدودة في العهد الفينيقي ، وكانت فى اغلبها للتجار ، ولم تكن ذات صيت مثل قرطاجنة وسيراقوسة وصيدا وصور ، وذلك لبساطتها وقلة مساكنها وسكانها . ورغم ذلك فان مدينة الجزائر تعد فى قائمة المدن العتيقة ، لان الآثار دلت على نشأتها الاولى فى القرن السادس لما قبل الميلاد .

ومن دراستى يظهر ان لكل مدينة طابعها الخاص منها مدن السهول ، ومدن الجبال ومدن البحيرات ومدن الانهار ثم ان هناك مدن الصناعة واخرى للثقافة و اخرى للحج الخ ... وان مدينة الجزائر ظل يغلب عليها منذ نشأتها الطابع الجبلي ، وانها قد مرت بمراحل فى تصنيفاتها الوظائفية ، من المدن التجارية في أصل نشأتها الى مستعمرة رومانية مصدرة للمواد الزراعتة فى العهد الروماني ، ثم الى مدينة تجارية فى العهد الاسلامى ثم الى عاصمة وحارسة للبلاد في العهد التركي .

ونظرا لاتساع الموضوع فقد اقتصرت على فترة محدودة من الزمن ، واخترت الفترة الممتدة من بداية النشأة الى مطلع الاحتلال الفرنسي ، وكما يبدو من تحديد الزمن ان الدراسات الجغرافية واعني نوع الجغرافية البشرية بالخصوص والمدن على الاخص ترتبط اشد الارتباط بالتاريخ ، تستمد منه مادتها الاولى و اسبابها ، ومدى ارتباطها وعلاقاتها المحلية . ومثال لهذا انني استعنت بالتاريخ في جمع الاحصاءات سواءا كانت بشرية ام اقتصادية لفترة زمنية ، وعلى ضوء هذه الاحصاءات اخذت بمبدا المقارنة ، فدرست الفوارق وعللت اسبابها ثم حاولت الربط بين الظروف الطبيعية و البشرية مستعينا فى ذلك بالحوادث التاريخية سواء اكانت طبيعية ام بشرية ومن هنا جاء اختلافى عن المؤرخ في ان الجغرافى يعطى للظروف الطبيعية حقها لانها تؤثر كما تتأثر .

وبدأت الموضوع بتخطيط عام لدراسة مدينة الجزائر من وجهة نظر جغرافية المدن

وقسمت الموضوع الى بابين يشملان عدة فصول .

فخصصت الباب الاول للظروف الطبيعية والبشرية للمدينة وقسمته الى فصلين ، عالجت فى الفصل الاول فيزيوغرافية منطقة مدينة الجزائر وأثرها على العمران .ودرست الموقع بالنسبة للداخل والخارج ، ثم الموضع ومدي ملاءمته للعمران واثره على التخطيط ثم حللت المناخ بعناصره المختلفة واعتنيت بابراز أثر المناخ على الصحة العامة ، وتتبعت مراحل استصلاح الاحياء والطرق التي اتبعت فى ذلك ثم استعرضت مصادر مياه الشرب وما كان بالمنطقة من غطاء نباتى .

وتناولت في الفصل الثانى الظروف البشرية و التاريخية للمدينة من عهد نشأتها الاولى الى مطلع النصف الاول من القرن التاسع عشر ، فتعرضت الى اصول النشأة واستعرضت اشهر الاراء فيها ثم الارجح منها ودعمت هذا الترجيح ، الذي يتلخص في انها فنيقية الاصل بنيت لاول مرة فى القرن السادس قبل الميلاد لتكون مركزا تجاريا بأدلة جغرافية كانتقاء الموضع والموقع ، وأدلة اثرية كالنقود الفينيقية المكتشفة فى حى باب الجزيرية ، والاضرحة المكتشفة في حديقة سيدى عبد الرحمن .

ثم تناولت اثر العامل البشري فى النشأة ، فتعرضت بايجاز لاهم الهجرات واثرها فى التركيب والتنظيم الاجتماعي ولغة السكان واسم المدينة من عهد النشأة الى نهاية العهد التركي .

وختمت الفصل الثانى باعطاء نبذة تاريخية عن سكان مدينة الجزائر قبل الفتح الاسلامي وبعده ، وذكرت اشهر الحملات المسيحية على مدينة الجزائر فى العهد التركي ، وذكرت ان الفضل يرجع للاتراك في حماية المدينة من الغزو الصليبي لمدة اكثر من ثلاثة قرون الا انه يؤخذ عنهم توجيه الجزائر نحو الجهاد والحرب فقط ، فاهملوا الجانب الاقتصادي والاجتماعي شأنهم في ذلك شأن الجنود الغرباء في بلاد أجنبية ، لايعملون الا لترقيتهم الخاصة .

وخصصت الباب الثاني لتطور المدينة ، وقسمته الى اربعة فصول حسب المراحل التى مرت بها المدينة في تطورها السياسي والعمراني والاقتصادي .

فتناولت في الفصل الاول ايكوسيم الفينيقية ودرست عمرانها بتحديد ابعاد المدينة والمساحة التى كانت تشتغلها على ضوء آثارها ، ثم العناصر التي عمرتها واثر الاحتكاك الحضاري وماجلب اليها من الشرق . ثم حاولت استعراض اقتصاد المدينة وتطورها التجاري والزاعي والصناعي .

وتناولت فى الفصل الثاني ايكوسيوم الرومانية بدرس عمرانها وتحديد ابعادها على اساس اثري وما بقي منها من اسوار رومانية ومقابر وشوارع. ثم استعرضت تطور واسباب هجرات الرومان اليها ، واثر ذلك على النظام الاجتماعي والاقتصادي والديني في السكان الاصليين حيث سادت الطبقية وفرضت الديانة المسيحية ، واختفت الصناعة ، ووجه الاقتصاد نحو الزراعة وخدمة الاستعمار الروماني لاسباب منها استنزاف الاراضي الايطالية وتكاثر عدد سكان روما الذين وجدوا من بلاد الجزائر مخزنا لاستيراد المنتوجات الزاعية .

اما الفصل الثالث فتناولت فيه مدينة الجزائر الاسلامية وبدأت بذكر ما ورد عنها في كتب الرحالة العرب، واستنتاج مراحل تطورها العمراني من خلال ماكتبوه اولائك الرحالة ، وكانت منها مرحلة ركود نتيجة لما ورثته المدينة من رواسب الاستعمار الروماني ونتيجة لسياسة المسلمين فى العهد الاول للفتح حيث اهتموا بداخل البلاد اكثر من مدنها الساحلية نظرا لبعد مدينة الجزائر عن عواصم الامبراطورية الاسلامية في المشرق العربي ونظرا لضعف الاسطول العربي فى هذه الفترة ثم كانت مرحلة الازدهار ، فيها جدد بلكين بناء جزائر بنى مزغنة سنة ٩٦٠ م ، فازداد عمرانها ، وراجت اسواقها حينا من الدهر ، ثم كانت مرحلة الذبول نتيجة للثورات من اهمها ثورة ابناء غانية ، ثم الخلافات التي سادت البلاد واهلكت العباد ، فتفرقت اهواء العمران ، وتنازعت دول المغرب العربي على جباية مدينة الجزائر .

ثم انتقلت الى استعراض تطور الهجرات العربية الى شمال افريقية واثرها على عمران مدينة الجزائر التى تطور سكانها حسب المراحل التى مرت بها ، ثم درست نظام الحكم والادارة وختمت الفصل بنظرة عامة عن تطور اقتصاد المدينة على اساس المراحل الثلاثة .

البـاب الاول

الظروف الطبيعية والبشرية لمدينة الجزائر

الفصل الاول

فيزيوغرافية المدينــــة

١ ــ اقليم مدينة الجزائر

ــ تحديد الاقليم

هناك معايير عدة يمكن الاعتماد عليها في تحديد اقليم المدينة ، منها المظهر الطبيعي ومنها المياه المباشرة ، ومنها المواد الغذائية التى ترد الى المدينة يوميا مثل الحليب والخضر، ومنها مدى الحركات اليومية لسكان المدينة مثل اقليم حركة الموظفين .

فاذا اتخذنا من المظهر الطبيعي معيارا نجد اقليم مدينة الجزائر يمتد من شاطيء البحر المتوسط بجبل بوزريعة الى جبال الاطلس البليدي ويحده شمالا البحر المتوسط ويحتضنه من الشرق وادي الحراش ، ومن الغرب وادي ماء زعفران وبذلك يمتد الاقليم فى شكل طولى من الشمال الى الجنوب ليشمل مظهرين طبيعين مختلفين تماما ، احدهما سهلى والآخر جبلى (كتلة بوزريعة وسهل متيجة) وهما متممان لبعضهما لاعتماد السهل على الجبل ، وتفسير ذلك ان السهل المتيجي تغطيه رواسب فيضية نقلتها مياه الاودية من جبال الاطلس البليدي ومن تلال الساحل ، ويختزن السهل المتيجي كمية كبيرة من المياه الباطنية جاءته من الجبال المجاورة ، ومعنى هذا ان الجبل يغذي السهل بالمياه والرواسب . اما تحديد اقليم المدينة من الشرق والغرب بالاودية فيرجع الى ان هذه تمثل ممرات طبيعية كان يسلكها السكان فى تنقلاتهم وحركاتهم نحو المراكز

العمرانية ونحو مدينة الجزائر .

وعلى اساس المياه المباشرة يظهر ان اقليم مدينة الجزائر فيما قبل الاحتلال الفرنسي كان ينحصر فى دائرة لايزيد شعاعها عن العشر كيلومترات اذ هى المسافة التي كان لسكان المدينة في امكانهم قطعها يوميا لنقل حاجياتهم من المياه في اوقات الجفاف وانضباب معين بعض العيون والآبار وهي المصادر الاساسية لتمويل سكان مدينة الجزائر بالمياه قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١) ، حيث ان قنوات المياه الحالية القادمة من براقي والحراش دخلت مدينة الجزائر سنة ١٨٨٠ فقط ، اما قبل ذلك فكانت السواقي المكشوفة ، التى بناها الاتراك و القادمة من الحامة وابن عكنون وبئر طرارية وحصن السلطان قلاصي ،لايزيد طولها عن العشر كيلومترات ،ولا يعتمد عليها السكان كل الاعتماد في الحصول على حاجياتهم اليومية من المياه ، بل يستسقون ايضا من الآبار المنتشرة داخل القصبة وخارجها ومن ينابيع الضواحي المنبجسة فى اماكن ظهور طبقات المارن المايوسينى وهي الطبقة الخازنة للمياه فى الاقليم وتظهر فى الجهات الشرقية والجنوبية من ضواحي مدينة الجزائر .

واذا اتخذنا المادة الغذائية المباشرة او التي ترد الى المدينة يوميا معيارا اساسيا لتحديد اقليم المدينة يظهر ان هذا الاقليم قد سلك اطوارا مختلفة ، فكان يضيق فى بعض العصور حتى لايشمل الا المدينة وضواحيها ويتسع احيانا اخرى حتى يمتد الى جبال الاطلس البليدي ، وهذا يرجع بالطبع الى الظروف البشرية و التاريخية والاقتصادية التى مر بها الاقليم . ففي العهد الفينيقى مثلا كان اقليم مدينة الجزائر يشمل كل المنطقة من تلال الساحل لان الفينيقيين كانوا يكتفون بالشواطيء ويتركون الداخل للاهالى ، وكانت المواد الغذائية تأتيهم حتى من اقصى السهل المتجي وربما وصل الفينيقيون المتركزون بمدينة الجزائر وتيبازة الى استغلال غابات الارز فى جبل شريعة لبناء سفنهم . وفي عهد الوندال انكمش اقليم المدينة الى ضواحيها

(1) Maurice Wall. Les villes de l'Algérie. Alger 1887. P. 12 Et A. Morgan. A Complet History of Algéries PP. 249 . 251

فقط ، وعلى العكس من ذلك في العهد العربي الذي اتسع فيه اقليم المدينة الى جبال الاطلس ، ويفهم هذا من كتاب الادريسى (نزهة المشتاق) حيث يذكر ان لمدينة الجزائر بادية كبيرة. وجبالا عامرة ، تمول الحضر بالسمن والعسل والحنطة والشعير حتى يفيض عنهم . وفى العهد التركي كانت المواد الغذائية اليومية لسكان مدينة الجزائر ترد من سهل حجوط ومن البليدة عن الطريق الغربي ، ومن تلال الساحل عن طريق الابيار الى القصبة العليا التى كانت تعقد بها اسواق الخضر و المنتوجات الحيوانية يوميا . كما كانت تأتى من منطقة خميس الخشنة مواد غذائية عن طريق الحراش الى القصبة الدنيا التى كانت تعقد بها اسواق يومية فى حي تافورة على مقربة من باب عزون ، ومعنى هذا ان الاقليم قد اتسع في العهد التركي الذي جعل من السهل المتيجي وتلال الساحل دار السلطان يشرف عليها الداي مباشرة ، وكانت اوطان السهل المتيجي تتبع مباشرة حكم الداي بخلاف المناطق الواقعة فيما وراء السهل المتيجي ، وكانت للموظفين الاتراك ديار وقصور وأحواش وحدائق تنتشر في تلال الساحل والسهل المتيجي ، يترددون عليها او يقضون فيها ايام الاستراحة والاستجمام ، ومن هذا يظهر ان اقليم مدينة الجزائر في العهد التركي كان يشمل كل من كتلة الساحل و السهل المتيجي وهو الذي نتبعه فى تحليل السطح

٢ — سطح الاقليم

يتكون سطح اقليم مدينة الجزائر من منطقتين مختلفتين في التضاريس والبنية احداهما منطقة التوائية وعرة ، ومعقدة التضاريس ، يطلق عليها كتلة الساحل ، والاخرى منطقة سهلية هدمية منبسطة ، تعرف بالسهل المتيجي .

أ — كتلة الساحل

تمتد كتلة الساحل من وادي الناظور غربا الى مصب وادى بودواو شرقا ، ويحدها البحر الابيض من الشمال و السهل المتيجي من الجنوب . وتتألف من خط ساحلي تظهر به المدرجات البحرية ، و من سهل ضيق ، ثم هضبة ساحلية متموجة من تلال فى الغرب ، وحاشية من الروابي الشاطئية والهضيبات فى الشرق .



خريطة طبيعية لأقليم الجزائر

خط الساحل

على منتصف خط الساحل بنيت مدينة الجزائر فوق المدرجات البحرية التي تظهر على مرتفعات مختلفة فوق مستوى سطح البحر ، يزيد ارتفاع هذه المدرجات فى بعض الاحيان عن المائة متر . ويرجع السبب فى تكوينها الى عاملين احدهما الحركة التوازنية لكتلة الساحل التي صاحبت انكسار السهل المتيجي وادت الى ارتفاع منطقة الساحل تدريجيا فتكونت بذلك المدرجات البحرية المعلقة . ويرتبط كل مدرج معلق بحركة توازنية وانحسار بحري . ويعتقد البعض ان الرواسب الرملية دليل على انحسار بحرى ، وان رواسب المشبكات والحصويات الشاطئية دليل على طغيان بحري (١) فيه كانت المياه البحرية ترسب الحصى و القواقع على الشاطيء وبعد انحسارها تحجرت بعض الرواسب لتأخذ شكل المشبكات ، وتفتت أخرى الى رمال . وربما كانت الكثبان الرملية ناتجة عن تتابع عمليات النحت والارساب . وثاني العاملين فى تكوين المدرجات يرجع الى ان منطقة خط الساحل بالجزائرمثل بقية المناطق الشاطئية فى الشمال افريقية قد مرت بفترات جفاف ، وفترات مطيرة . فالفترات المطيرة ادت الى ارتفاع مستوى سطح البحر وعلى العكس الفترات الجافة فتكونت بذلك المدرجات التي بقى البعض منها محافظا على شكله والبعض الآخر اصابه انهيار أو انهدام او ارساب ، او تغيرات لبعض اجزائه فادت به الى الاختناء تحت مدرجات او تكوينات اخرى احدث منه او اقدم منه كما هو الحال في مدرج التيراني (ATyrrhenien) الذي تغطيه الكثبان الرملية الحديثة ويتداخل فى بعض الاحيان مع تكوينات الكالابريان فى غرب الجزائر ولا يظهر مدرج التيراني بوضوح الافى شرق الجزائر وفى الموضع الذي بنيت فيه مدينة الجزائر على ارتفاعات تتراوح بين ٢ و٢٥ مترا اصابته انحناءات طفيفة فى المنطقة الغربية من مصب وادي بودواو . ونفس هذه الحالة لمدرج المونستيري (Monasterien) الذيتراوح ارتفاعه

---

(1) J. Cabot et A. Prenant A.A.G. 3ème Année N° 5 Janvier - Janvier 1968 Page 79

بين ١٥ و ١٨م تسلكه طريق الساحل الغربي من مدينة الجزائر نحو شرشال، ويختفي مدرج المنستيري تماما في منطقة تبازة ، اما شرق الجزائر فلا يظهر الا على الساحل الممتد من ساحة اول مايو الى برج الكيفان ، ومن هنا الى مصب وادي بودواو فقد طغت المياه البحرية على الاقليم الى ان اصبح المدرج المونستيري يمثل جزءا من الرصيف القاري الغاطس ، والمدرج الصقلى يوجد على ارتفاع يتراوح بين ٩٠ و ١٠٠ متر يظهر بغرب الجزائر فى هضبة عين بينان و الى الشمال الغربي من الشرافة وفى هضبة الزرالدة ومدرج الميلازي (Millazien) يتراوح ارتفاعه بين ٥٠ و ٦٠ مترا أزالت جله عمليات التعرية فى الشاطىء الغربي لمدينة الجزائر ولا يظهر الا فى مناطق محدودة للغاية ، مثل المنطقة الممتدة فوقها طريق بئر خادم - الحراش ، و الحافة الساحلية فيما بين عين طاية ومصب وادي رغاية . ولم تؤد الذبذبات المناخية (١) الى تكوين المدرجات البحرية فقط على طول شاطىء الساحل بل ساعدت كذلك الاودية المنحدرة من تلال الساحل على استرجاع شبابها وتعميق مجاريها وتكوين مدرجاتها . فوادي ماء زعفران ، الذي طبع مجراه وعمقه الى نحو ٢٠٠ متر في الصخور البلايوسينية اللينة بمنطقة الساحل، كون مدرجاته نتيجة للذبذبات المناخية . وتبين بوضوح طبقات الرواسب المتعاقبة عند المخروط الانصابي للوادي الكبير الذبذبات المناخية التي اجتاحت الاقليم فى الزمن الرابع ، وهي طبقات من الرواسب يزيد سمكها عن العشرة امتار فيها تتلو طبقة من الرواسب الخشنة طبقة اخرى من الرواسب الدقيقة ، وهي في ذلك بمثابة الكرونوميتر الذي يشير الى ان طبقة الرواسب الخشنة دليل على فترة مطيرة ، وطبقة الرواسب الدقيقة دليل على فترة جافة مرت بالاقليم .

السهل الساحلى الضيق :

واعني به المنطقة المحصورة بين التلال الساحلية ومياه البحر ولايزيد ارتفاع السهل الساحلي عن ٥٠ متر ، وهو عبارة عن حاشية ضيقة للغاية تنفتح قليلا الى الغرب من عين بينان

(١) د. ابراهيم رزقانة : الجغرافية التاريخية . ص ١٣٣ .

والى الشرق من مدينة الجزائر، وتضيق كثيرا فيما بين عين بنيان ومصب وادمغاسل، تكسوها الرواسب الفيضية المنحدرة من السفوح الشمالية لتلال هضبة الساحل وتتوفر بها مياه الري المسحوبة من الآبار، ولذلك عدت من اهم المناطق لتموين سكان مدينة الجزائر بالمنتوجات الزراعية المتنوعة والمبكرة بالخصوص، اذ هذا السهل يسود به جو حار و رطب للغاية لقربه من البحر، ولايظهر به الجليد ولا الصقيع طوال السنة.

الهضبة الساحلية:

وتنقسم على اساس البنية الطوبوغرافية الى قسمين: شريط من التلال والهضاب المتموجة الممتدة من وادي الناظور غربا الى مصب وادي الحراش شرقا وهو المعروف بالساحل الغربي. ثم شريط من الرابي والهضيبات الممتدة على طول ٣٥ كلم من مصب وادي الحراش الى مصب وادي بودواو وهي المعروفة بالساحل الشرقي.

اما شريط الساحل الشرقي فهو لين الانحدار قليل الارتفاع حيث لايزيد ارتفاعه عن ٧٠ مترا الا نادرا وبذلك فهو اقرب الى السهل منه الى الجبل تغلب عليه صفة الهضيبات ومظهر الكثبان الرملية والحصوية المنتشرة فى الحاشية الممتدة من مصب وادي الحراش الى رأس تامنفوست، وهي كثبان يقل ارتفاعها عن ٤٠ مترا، وتمثل مدرجا بحريا ناتئا، عرضه لايزيد عن الكلم تغطيه رمال رسبتها المياه البحرية بعد ان اغتصبتها من حافة رأس تامنفوست، وتغطيه رواسب اخرى قارية جاء بها وادي الخميس ووادي الحراش اثنا فيضانهما، وبذلك تكون رواسب الكثبان الرملية المذكورة قارية وبحرية. وكانت تكسوها مساحات واسعة من الشجيرات وغابات الصنوبر والضرو lentisque والريحان myrthe والثل tamarin ثم استصلحت في عهد الاحتلال الفرنسي لفائدة الزراعة ولم تبق منها في الوقت الحالى الا مساحة ضيقة تكسوها اشجار الصنوبر في الموضع الذي اقيم فيه المعرض الجزائر الدولي سنة ١٩٧٠ وبعد ان استصلحت اصبحت المنطقة من اخصب المناطق الساحلية لزراعة الخضر، والبواكر منها بالخصوص، لما تتمتع به من دفء واضح فى فصل الشتاء اذ انها محاذية تماما للبحر ولاتفصلها عن الامواج الابعض الامتار. والطبقة الخازنة للمياه هنا قريبة من

سطح الارض وبذلك ساعدت على حفر الآبار الغزيرة المياه لري حقول الخضر . ونظرا لارتفاع نسبة الرطوبة الجوية فى منطقة الساحل فانها لاتلائم غراسة اشجار الفواكه لان الرطوبة الشديدة تفسد الثمار قبل نضجها . وفي الوقت الحالي نلاحظ ان المدينة في توسعها العمراني تمتد نحو هذه الجهات الشرقية المعروفة بالذراع الاحرش أووادي الحراش

ويعد رأس تامنفوست في تكويناته القديمة، المخالفة تماما لما يجاورها من تكوينات اقليم السهل المتيجي والساحل، يعد عبارة عن جزيرة من صخور الغنايس والميكاشيست والشيست الاخضر ، ويظهر ان هذا الرأس كان متصلا فى عصر البلايوسين الاعلى بجبال خميس الخشنة ، وربما كان يمثل جزءا من جبال زروالة المقابلة له فى الجنوب فيما قبل حدوث انكسار القارة التيرانية وانهدام السهل المتيجي الذي لازالت شقوقه لم تلتحم بعد بدليل الهزات الارضية المصيبة لاقليم مدينة الجزائر من حين لآخر، واحدثها زلزال سنة ١٩٥٤ الذي حرك السهل المتيجي حتى الاصنام بوادى الشلف . و بدليل ان تكوينات رأس تامنفوست متشابهة تماما مع تكوينات جبل زروالة . ومن رأس تامنفوست الى مصب وادى بودواو تمتد سلسة من الروابي والهضيبات المتموجة تفصل السهل المتيجي عن البحر لايزيد عرضها عن الثلاث كيلومترات ولايزيد ارتفاعها عن ٧٠ متر تنتهي من جهة البحر بحافة شديدة الانحدار ، وقد تنزل عمودية على خط ارتطام الامواج، اما من جهة السهل المتيجي فهي متدرجة الانحدار . ويظهر انها كانت فى القديم عبارة عن رصيف قارى نحتته المياه البحرية ، وبعد انحسار المياه البحرية عنها كستهاطبقة من الصخور الحصوية والرملية الحمراء فى اغلب الاحيان، وقد تكون ضاربة الى البياض كما هو الحال فى المنطقة الشرقية من وادي رغاية التى تكسوها غابات الفلين والشجيرات المتنوعة . وعلى السفوح الجنوبية للهضيبات الساحلية تظهر في بعض الاحيان مساطب من البودانق يتراوح سمكها بين المترين والثلاثة ، تتـــركز فوق طبقة المارن الكارتيني miocène التي تظهر على ضفات وادي رغاية . اما على الحافة الشمالية للهضيبات فتظهر طبقة من الصخور الحصوية الشاطئية تتركز فوق طبقة المارن الكارتيني كما هو الحال فى قرية عين طاية التي بنيت

على جرف ترتطم به امواج البحر وتنبجس منه العيون الجارية من طبقة المارن الكارتيني تعلوها طبقة من الحصى الشاطيء ثم رواسب طينية حمراء مختلطة بنسب مختلفة من الرمال ترجع الى فترة جليد الورم من الزمن الرابع .

اما وادي رغاية فقد حفر فجوته شيئا فشيئا فى تكوينات البلايوسين اللينة اثناء ارتفاع منطقة الساحل . وهو لايختلف في ذلك عن وادي ماء زعفران ، فى انه وادي انطباعى كان يجري بالمنطقة قبل حدوث الأنكسار للسهل المتيجي . ونظرا لقلة انحداره عند المصب (مثل وادي الحراش) ، فقد قلت قدرة مياهه على الانصباب في البحر ، وتحولت بذلك المنطقة من قرية رغاية حتى مصب الوادي بالبحر الى منطقة مستنقعات ومياه راكدة يزيد عمقها في بعض الاحيان عن العشرة امتار يتوالد فيها البعوض وتكثر بها الاسماك النهرية والطيور المائية مثل البط وطيور اخرى متنوعة يقصدها الصيادون بالسهل المتيجى لاصطيادها بالبنادق من فوق القوارب . ووادي بودواو احسن حظ فى انصبابه من وادي رغاية ولا تظهر به المستنقعات عند المصب ، ويجري فى منخفض تدريجي وواسع تكسوه رواسب فيضية نقلتها المياه من جبل بوزقزة الذي ينحدر منه وادي الاحد ووادي قدارة المكونان لوادي بودواو

تلال الساحل الغربي :

وتمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي من وادي الناظور الى كتلة بوزريعة على طول يقرب من ٧٠ كيلومتر ، ضيقة في الغرب حيث لاتزيد المسافة بين الشاطىء وقرية سيدي راشد الواقعة على ادنى السفوح الجنوبية لتلال الساحل عن الاربع كيلومترات ، وعريضة في الشرق اذ تزيد المسافة بين بيئر التوتة على ادنى السفوح الجنوبية ورأس بيسكاد على ادنى السفوح الشمالية عن ٢٠ كيلومترا ويشتد ارتفاعها كلما تقدمنا من الغرب الى الشرق ، فالاعراف الغربية يبلغ ارتفاعها عند قمة السعيدة ٢٦٩م ، والاعراف الشرقية يبلغ ارتفاعها عند قمة بوزريعة ٤٠٧م وهي اعلى نقطة بكتلة الساحل قامت فى احضانها مدينة الجزائر .

وتظهر تلال الساحل الغربي في شكلها العام ، وكانها منطقة هضابية متموجة خددتها المسيلات والشعاب المنحدرة فى اتجاهين متعاكسين نحو الشمال او البحر ، ونحو الجنوب اوالسهل

المتيجي ، فتكونت بذلك الوهاد والحويضات والاعراف المتعاقبة من الغرب الى الشرق لايفصل بينها الاوادي ماء زعفران وهو اهم اودية المنطقة لامن حيث الطول فقط ولكن من حيث الحمولة ايضا اذ تجري مياهه العذبة طوال السنة وترفده عدة شعاب من السفوح الجنوبية لتلال الساحل وروافد اخرى ، اكثر اهمية ، قادمة من جبال الاطلس البليدي ومن السهل المتيجي . وقد أبى وادى ماء زعفران الا ان يحتضنها في مقطع خيرة قبل فلق اوشق طريقه فى تلال الساحل . وقد استطاع هذا الوادي ان يحفر طياته او ثنايته الاربعة في التكوينات البلايوسينية اللينة الى عمق بعيد ولايزيد ارتفاع سريره عن ١٨ مترا فوق مستوى سطح البحر ابتداء من مصبه الى مدخله فى تلال الساحل ، تكتنفه من الشرق والغرب سفوح متدرجة الانحدار يزيد ارتفاعها عن ٢٠٠ متر تكسوها غابات الصنوبر في الاعالي والحقول الزراعية من الكروم والخضر فى السفوح الدنيا حتى بطن الوادي . وتدل المصاطب النهرية الظاهرة على السفوح ان وادى ماء زعفران قد استعاد شبابه عدة مرات في فترات الذبذبات المناخية والحركات التوازنية لهضبة الساحل . والى وادي ماء زعفران يرجع الفضل في صرف مياه المستنقعات الحديثة والبحيرات القديمة بالمنطقة الغربية للسهل المتيجي ولو انخفظ سرير الوادي الى رمية طولها ١٨ مترا لتحول وادي ماء زعفران الى قناة تدخل منها المياه البحرية لتغمر جزءا كبيرا من السهل المتجي حتى مصب وادي الحراش الواقع جزء منه دون مستوى سطح البحر ، و لهذا يلاقي وادي الحراش عند مصبه بالبحر صعوبات فى التخلص من مياهه الراكدة طوال السنة على عكس وادى ماء زعفران .

وتتألف تلال الساحل من التواءات محدبة متجهة من الغرب الى الشرق بدأت في الانثناء منذ مطلع البورديقاليان (١) burdigalien (المايوسين الاسفل) واستمرت الى الكلابريان Calabrien (البلايوسين الاعلى) ثم أنتابتها حركة اخرى رأسية من اسفل الى اعلى وهي الحركة التوازنية نتيجة الانكسار الذي ادى الى انهدام السهل المتيجي . وتدل المدرجات البحرية على ان حركة الرفع استمرت الى عصر ما بعد التيراني من الزمن الرابع .

---

(1) R. Teuilliers - A.A.G N° 5 - 3 ème année 1968 - Page 135

ومن الخريطة الكنتورية لكتلة جبل بوزريعة يظهران هذه المنطقة عبارة عن هضبة خددتها الشعاب الغير المتناظرة تعلوها التلال المنضدية المنحدرة بشدة نحو الشرق واللينة الانحدار نحو الغرب ولهذا كانت السفوح الشرقية حاجزا طبيعيا في امتداد المدينة نحو الغرب واذ تتبعنا خط كنتور ٥٠ م في كتلة بوزريعة نجد هذا الخط يبعد كثيرا عن الشاطىء في الجهات الغربية ، فتتسع بذلك المبسطات replats ويلين انحدارها ، ثم يقترب كثيرا نفس الخط من الشاطىء الشمالي بل يكاد يسير مع هذا الشاطىء ابتداء من شعبة بينان الى باب الوادي وهو في ذلك يحصر المبسط ويحوله الى شريط ضيق للغاية لايزيد عرضه عن ٢٠٠ متر ، وينتهي المبسط نحو البحر في هذه الجهات بجرف صخري يزيد ارتفاعه في بعض الاحيان عن ١٠ امتار وقد مد على متن هذا المبسط الطريق الذاهب من مدينة الجزائر الى السواحل الغربية . وابتداء من باب الواد ينحني خط كنتور ٥٠ مترا نحو الداخل ليتباعد عن الشاطىء الا فى نتوء القصبة حيث بنيت مدينة الجزائر القديمة ، واتساع المبسط فى باب الوادى ساعد على مد المباني نحوه . والى الشرق من نتوء القصبة ياخذ خط كنتورة ٥٠ مترا يتباعد مرة اخرى عن خط الشاطى ، ويزداد المبسط فى الاتساع وبالخصوص فى حي مصطفى وفى حي حسين داي الى ان يصل الى وادي الحراش حيث يزيد عرض المبسط هناك عن الكيلومتر وهي الجهات التي اتسعت نحوها المدينة فى نموها الحديث وذلك لسهولة سطحها وانبساط أرضها .

واذا راجعنا البراميترات الكنتورية لكتلة بوزريعة اتضح لنا ان سفح كتلة بوزريعة الممتد من وادي بني الازهر الى قمة الجبل ومن هذه القمة الى وادي بينان تتعقد فيه التضاريس وتتقطع فيه اتجاهات الميل، وتتداخل فيه الانحدارات،وتكثر به المهاميز والافاريز والعثرات التي تنزل في بعض الاحيان عمودية على بطون الشعاب . وهي بذلك جعلت السفوح الشمالية لكتلة بوزريعة اشد جهات الاقليم وعورة لذلك هاجرها العمران او لم يمتد نحوها منذ القديم، وظلت تشكل جدارا عاليا وحاجزا طبيعيا في امتداد مدينة الجزائر نحو السفوح الشمالية لكتلة بوزريعة . وعلى العكس من ذلك البراميترات الكنتورية الممتدة من منطقة

CARTE DES PENTES

de la region d'ALGER



dunes de sable

corniches

escarpements

ECHELLE 1/20 000

MER MEDITERRANEE

BAIE D'ALGER

ALGER

BAB EL OUED

TAFOURA

BOUZAREA

EL BIAR

BEN AKNOUN

HYDRA

BIR MANDREIS

EL MOURADIA

EL HAMMA

HUSSEIN DEY

KOUBA

الايار الى حي القبة فانها متباعدة نسبيا عن بعضها البعض ، ما عداها فى حي لارودوت (المرادية حاليا) وحي مون بليزير اللذين يقترب فيهما خط كنتور ٥٠ مترا من خط كنتور ١٠٠ متر ، مما يدل على شدة الانحدار في هذين الحيين اللذين بنيا في نفس الوقت على سفوح واعراف اقل ارتفاعا بكثير من السفوح الواقعة على الغرب من محجر باب الوادي .

وتتباعد البراميترات الكنتورية في الجهات الواقعة الى الغرب من حي الايار حتى الشاطيء الغربي . وكانت الطرق الغربية فى العهد الروماني والعربى والتركي تسلك تلال الايار للعبور نحو السهل المتيجي ، ومنه الى غرب الجزائر ، وفي الوقت الحالي امتدت المدينة فى نموها الحديث نحو هذه الجهات ايضا لانها عبارة عن هضبة تعلوها تلال قبابية تتدرج فى ارتفاعها نحو الشاطيء ولينة الانحدار بصفة عامة مما ساعد على تركيز السكان منذ القديم. وعمرت السفوح الغربية لكتلة بوزريعة قبائل عدة استقرت فى الاقليم منذ العهد الاسلامي من اهمها قبيلة زواوة ورأس الفورن، والعاشور،واولاد فائت، و الشراقة،وبني مسوس،ومن هذه القبائل ما تنحدر من اصل عربي مثل قبيلة بني مسوس ومنها ما تنحدر من السكان الاصليين مثل قبيلة زواوة (١) . وعلى كل حال فان هدة السفوح صالحة للزراعة وللاستقرار

---

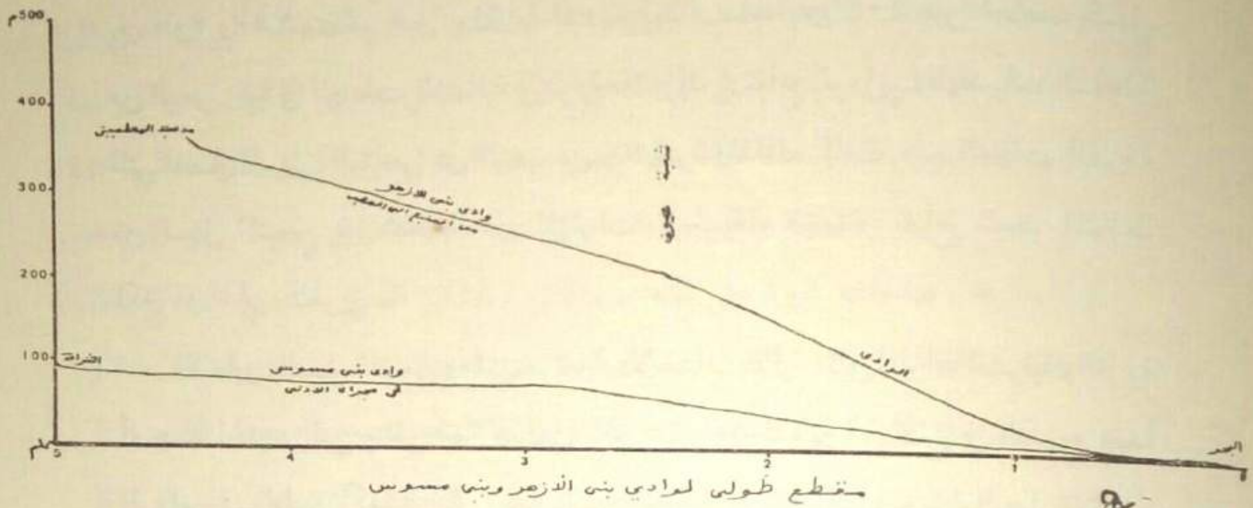
(١) لقد حدثنا الحاج عبدالرزاق وهو من قبيلة زواوة الذي رافقني والدكتور رزقانة في زيارتنا الى هذه المنطقة يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٩٧٠ باحثين عن المساجد الاسلامية العتيقة فى المنطقة : ان قبيلة زواوة تنحدر من اصل جاء من جبال جرجرة في العصور الغابرة وان قبيلة بني مسوس تنحدر من اصل عربي.وحدثنا احد شيوخ بني مسوسى ان هذه الاخيرة تنحدر من اصل عربي وان جدهم الاعلى هو سيدي ابن سالم الذي بنى احفاده على ضريحه قبة بجانبها مسجد عتيق ، يرجع الى حوالي الستة قرون ، بني بالحجارة والطين ، وفي سقف المسجد تظهر من الداخل الاخشاب والقصب البري المجدول الذي نال منه تقادم العهد بعض الشيء . وكان هذا المسجد فى القديم يكفي لتجمع سكان القرية واداء الصلاة فيه و بعد نموهم ضاق بهم فاضطروا الى بناء مسجد آخر جديد بجانب القديم وحولوا هذا الاخير الى مدرسة شاهدنا بها سبورة وكراسي وطاولات .

احسن من السفوح الشمالية لبوزريعة، وانها اوفر مطرا، وانضج تربة، وتعتمد عليها مدينة الجزائرفى تمويل سكانها بالمنتوجات الحيوانية والحليب بالخصوص حيث ان قرية الشراقة تمول مدينة الجزائر بكمية كبيرة من الحليب. وليست التلال الغربية هي المستغلة فقط بل كذلك ضفاف الاودية والشعاب الأقليلة الانحدار فى هذه الجهات، وعلى العكس من ذلك اودية السفوح الشمالية والشرقية التي ساعد فيها الانحدار الشديد على انجراف الاتربة وانزلاق الحصى وسقوط الكتل الصخرية. فشدة الانحدار هي التي جعلت من وادي مغاسل ووادي كنيس والشعاب المنحدرة من حي مصطفى اودية سيلية، اذ سرعان ما تتحول الى شلالات لها قدرة فائقة على حمل كمية كبيرة من الاتربة والصخور لترسبها فى مرافضها بشوارع المدينة كما حدث ليلة ١٢ اكتوبر ١٩٧٠ حيث سدت هذه الشعاب بما حملته من الرواسب الطرقات و الشوارع وعطلت المرور فى حي العناصر وساحة اول ماي وبئرمرادرائس وباب الوادي، و افسدت حتى الحبال الكهربائية المدفونة فى بعض احياء المدينة، وساعدت شدة الانحدار ايضا فى وادي مغاسل على تخديد السفوح الشرقية بجبل بوزريعة الذي تظهر فيه الافاريز نازلة عمودية فى بعض الاحيان يزيد ارتفاعها عن ٥٠م

ويمكننا ان نتصور مدى وعورة السفح الشمالي والشرقي لجبل بوزريعة اذا علمنا ان المسافة بين المحجر فى بطن الوادي اي في مجر الجبل و بين قيمة بوزربعة لاتزيد عن الكلومتر والنصف بينما الفرق فى الارتفاع بين المحجر وقمة هو بوزريعة ٣٠٠متر وبهذا كانت نسبة الانحدار فى هذه السفوح تقرب من ٢٠٪ وما زالت الى الوقت الحالي تمثل حاجزا منيعا فى توسيع المدينة نحو هذه الجهات، وحتى الطريق الحالي، الواصل بين القصبة وحي بوزريعة لايمتد من الشرق الى الغرب مباشرة وهي اقرب مسافة بين الحيين، بل ينحني الطريق فى شكل قوس من الشمال الى الجنوب ثم من الجنوب الى الشمال بل فى كل الاتجاهات ليدخل حي بوزريعة من الخلف او من الجهات الجنوبية بعد ان يقطع مسافة كبيرة جدا نسبيا مما لو امتد من الشرق الى الغرب مباشرة.

وفي المقارنة بين المقاطع الطولية لاودية السفوح الشمالية الشرقية، والمقاطع الطولية

لاودية السفوح الغربية لكتلة بوزريعة يظهر ان اودية السفوح الاولى مازالت بعيدة جدا عن بلوغها مستوى القاعدة، وخط التوازن، وان عملية النحت للوادي، من تعميق و توسيع المجرى والاطالة اشد منها فى هذه السفوح من اودية السفوح الغربية المعاكسة لها في الاتجاه حيث انها تتحرك من الشرق الى الغرب بينما اودية السفوح الشمالية الشرقية تتحرك من الجنوب الى الشمال بصفة عامة . فوادي بني مسوس يمثل ممرا طبيعيا نحو مدينة الجزائر بينما وادي مغاسل يمثل حاجزا طبيعيا لامتداد المدينة .



مقطع طولي لوادي بني الأزهر وبني مسوس

ب ــ سهل متيجة :

متيجة كلمة عربية اصلها متوجة لان الجبال تتوجها و تحيط بها من أغلب الجهات وهي عبارة عن سطح مستو ومنبسط حوضي، ومنخفض طولي محصور فى كل جهاته الغربية ومفتوح نحو البحر في جهاته الشرقية، تقــرب مساحته من ١٣٠٠٠٠ هكتار، يبلغ طوله من وادي الناظور فى الغرب الى وادي بودواو فى الشرق نحو المائة كيلومتـــر وعرضه يختلف فى الاطراف الغربية والشرقية عنه في الوسط، اذ هو عريض في الوسط حيث يبلغ ١٨ كيلومتر وهى المسافة الفاصلة بين قرية الاربعاء الواقعة عند اقدام جبال الاطلس وبين مدينة الحراش الواقعة عند اقدام تلال الساحل او فى الاطراف الشمالية لسهل متيجة . ويقل هذا العرض الى ١٠ كيلومترات فى الاطراف الشرقية والغربية .

وتحد السهل المتيجي من جهاته الجنوبية سلسلة جبال الاطلس التلي الممتدة من الشرق الى الغرب في شكل جدار يحمي السهل من رياح السموم الحارة لان ارتفاع السلسلة يزيد فى بعض الاحيان عن ١٥٠٠ م بينما السهل المتيجي لايزيد ارتفاعه عن المائة متر الا نادرا . وتعرف هذه الجبال فى الاقليم بجبال الاطلس المتيجي ، او الاطلس البليدي في الغرب وجبال بوزقزةفي الشرق، تكسوها الصخور الجيرية والشيست فى معظم منحدراتها. وبحد السهل المتيجيمن جهاته الشمالية الغربية شريط من الجبيلات والتلال يتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠ و٢٥٠ متر ثم جبل بوزريعة الذي يزيد ارتفاعه عن ٤٠٠ متر تحجب السهل عن البحر . اما فى الجهات الشمالية الشرقية فلا يزيد ارتفاع الروابي والهضيبات الساحلية التي تفصل السهل المتيجي عن البحر عن ٧٠ مترا ولذلك كانت هذه الجهات الشرقية من السهل المتيجي غير محجوبة عن المؤثرات البحرية ، وتتمتع بمناخ البحر المتوسط اكثر من الجزء الغربي .

ولاتظهر بالسهل المتيجي روابي مرتفعة ولاهضاب عالية الافى اطرافه الشرقية والغربية أو عند الحدود التي يتلقى فيها السهل بالجبل ، فياخذ فيها الارتفاع في التدرج وتبدأ الروابي فى الظهور كدليل على نهاية السهل وبداية الجبل ، اما فى وسط السهل فلا يزيد الارتفاع عن المائة متر ابتدأ من حجوط الى بودواو . ومن اهم ما يلاحظ على السهل المتيجي هو الانحدار العام بالنسبة لمسطح اتجاه الميل ومسطح الظهور ، وعلاقة هذا الانحدار بعملية الصرف وظهور الينابيع . فمسطح اتجاه الميل يتبع فى انحداره العام انحدار الاقليم بصفة عامة فهو من الجنوب الى الشمال ، فالشريط السهلي الوقع عند اقدام جبال الاطلس المتيجي اكثر ارتفاعا من الشريط السهلى المحاذي للحجر الجنوبي لتلال الساحل ومثال لذلك انقرية خميس الخشنة عند اقدام جبال الأطلس واقعة على ارتفاع ٦٢م بينما قرية الدار البيضاء المقابلة لها في الشمال واقعة على ارتفاع ٢٤م ومثالا ايضا انقرية الاربعاء الواقعة فى اقصى جنوب السهل على ارتفاع ١٠٠ متر تقابلها في الشمال قرية براقي على ارتفاع ٢١م ومدينة البليدة التى بنيت فوق المرفض القديم لوادي الكبير على ارتفاع ٢٢٢م تقابلها قرية

بوفريك في وسط السهل على ارتفاع ٥٠ مترا. وفى الاطراف الغربية للسهل المتيجي تقع قرية العفرون فى الحاشية الجنوبية للسهل على ارتفاع يقرب من ٩٠ مترا بينما قرية سيدي راشد المقابلة لها فى الشمال و الواقعة على الحافة للسهل لايزيد ارتفاعها عن ٦٠ مترا. وقد أثر هذا الاتجاه لميل السطح ، في ان كل الاودية المنحدرة من جبال الاطلس نحو السهل المتيجي تتحرك مياهها من الجنوب الى الشمال قبل ان تصطدم بالحاجز الهضبي الساحلي واذا تتبعنا معدل الانحدار للاودية فى كل منطقة من السهل المتيجي وجبل الاطلس على حدة لاحظنا ان معدل الانحدار للاودية يشتد كلما تقدمنا من الشمال الى الجنوب الى ان نصل الى قمم جبال الاطلس حيث يصل الانحدار الى ١٠٪ في بعض الاحيان هذا بالنسبة للوادي الرئيسى فى الجبل ، اما تلاعه فقد يصل معدل انحدارها فى نفس المنطقة الى ٥٠٪ وبهذا تصبح شبكة الاودية والشعاب المنحدرة من جبال الاطلس نحو السهل عبارة عن سيول جارفة ، لها طاقة كبيرة على النحت والنقل ، اما فى السهل المتيجي فيتدرج معدل الانحدار ومثال لذلك الاودية الهابطة من البليدة حتى وادي العلق فيبلغ معدل انحدارها ٢٪ ، و من وادي العلق الى مدخل وادي ماء زعفران فى تلال الساحل ينخفض معدل الانحدار الى اقل من نصف متر فى المائة متر . فالانحدار الشديد فى الجبل والمتدرج في السهل اعطى للاودية قوة نحتية شديدة في الجبل او عند منابعها العليا حيث تنقل منها رواسب كثيرة ومختلفة الاحجام تطحنها وتفتتها اثناء سحبها . واذا ما وصلت مياه هذه الاودية الى السهل قلت قدرتها على حمل ما اغتصبته من جلاميد وحصويات ورمال فترسب ما عجزت عن نقله فى السهل المتيجي متبعة فى ذلك القانون الطبيعي لتصنيف الرواسب حسب احجامها ، من رواسب فيضية ، يقل قطار حبيباتها كلما تقدمنا من اعلى المرافض الى اسفلها ، ومن سرير الشح الى سرير الفيض . فالاودية ترسب اولا المواد الخشنة ثم المتوسطة ثم الدقيقة . و على هذا الاساس تغطي السهل المتيجي رواسب فيضية حديثة ترجع للزمن الرابع نقلتها الاودية من جبال الاطلس المتيجى بالخصوص مثل وادي الناظور والشفة وجر ، والرميلي والحراش والخميس ، وهي رواسب تختلف في احجام حبيباتها

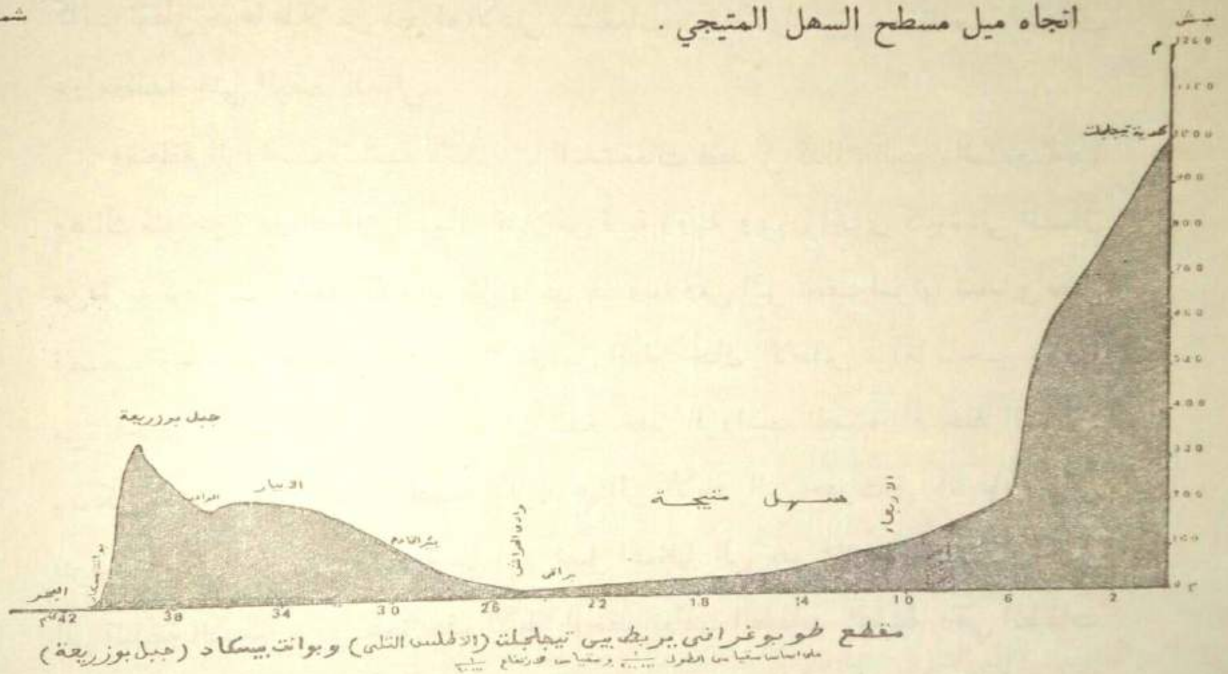
باختلاف قربها وبعدها عن مصادر نقلها ، فهي صخرية فى معظمها ابتداء من اقدام الاطلس الى وسط السهل وتغلب عليها صفة الرواسب الرملية في المنطقة الواقعة دون خط كنتور ٦٠ مترا ثم تسود رواسب الطمي والغضار في الاماكن الواقعة دون خط التسوية ٤٠ مترا ، كما هو الحال فى الشريط الممتد من درقانة الى قرية الحطاطبة مارا ببراقي و وادي الثلاثاء ، وهو شريط ملائم لتكون المستنقعات ، لقلة انحداره من جهة ، ولتربته الصماء او الكتيمة من جهة اخرى ، وهي تربة تكون الطبقة السطحية للشريط ، يبلغ سمكها فى بعض الاحيان اكثر من ٢٠م . ولقد كان لهذه الطبقة السطحية الصماء دور كبير في انتشار المستنقعات من منطقة هلولة الى وادي رغاية في العهد التركي عندما اهملت الزراعة فى السهل المتيجي وعزف سكان الريف عن استصلاح التربة وتجفيفها . ولقد ساعدت الاودية وشعابها مثل شعبة وادى العلق وبني عزة وبني مراد والخميس وبوشملة التي تتجمع كلها فى وادي فطيس الذي يصب فى وادي ماء زعفران ، وساعدت ايضا شعاب براقي وبابا علي والكرمة وعدة وبوطريق والسمار التي تتجمع كلها فى وادي الحراش ، ساعدت هذه الاودية وشعابها في تكوين المستنقعات التي كانت تتركز بالخصوص على الحافة الشمالية العربية من السهل المتيجي ، تكسوها النباتات المائية مثل القصب البري والسمار ، وتتوالد فيها الامراض والاوبئة والبعوض تتسع مساحتها في فصل الشتاء عنها وتقل فى فصل الصيف . ومن اهم هذه المستنقعات كانت مستنقعات هلولة فى اقصى الشمال الغربي وكانت مساحتها تزيد عن الاربعة آلاف هكتار يغذيها وادي جر وأودية اخرى نازلة من الساحل ، وكان يتراوح عمق هلولة بين بعض السنتمترات والسبعة امتار ، تعيش فيها اسماك متنوعة يصطادونها سكان الاقليم . والى الشرق منها مستنقع الشعيبة عند التقاء وادي الشفة بوادي جر ، ومستنقع فرغن عند التقاء وادي ماء زعفران برافده طرفاية وفطيس . والمستنقعات في هذه المنطقة مازال جزء منها حتى الوقت الحالي لم يتم تجفيفه بعد ، وان مساحة مستقعات فرغن قلت من ٣٠ كلم مربع قبل الاحتلال الفرنسي الى نحو العشر كيلومترات في الوقت الحالي وعند المجرى الادنى لوادي الحراش كانت تنتشر مستنقعات في بئر التوتة وبابا علي وبراقي

ومستنقعات في السمار واخرى في الراسوطة . فالاولي كانت تمتد على طول ٥ كيلومترات من بئر التوتة الى مصب وادي الكرمة في وادي الحراش وعلى عرض يزيد عن ٦٠٠ متر . ومستنقعات السمار كانت تمتد فيما بين شعبة حويصل وشعبة وادي السمار وهي مستنقعات متقطعة تفصل بين ضفافها اجزاء من اليابس خصصت للرعى ، وكان عرض مستنقعات السمار يقرب من اربع كيلومترات وطولها نحو السبع كيلومترات ، فهي بذلك اوسع من مستنقعات الراسوطة التي كانت تمتد من الضفة اليمنى لوادي السمار ، او من حوش الباشا الى ربوة الراسوطة على على عرض ٧٠٠ متر وطول ٥٤٠٠م وتتبع في اتجاهها اتجاه الاقدام الجنوبية لروابي الذراع الاحرش ، ثم تختفي ظاهرة المستنقعات حتى وادي رغاية الذي كانت تغطي جزءا قليلا من مجراه الادنى مستنقعات ضيقة لكنها عميقة عند المصب مازالت غير مجففة حتى الوقت الحالي .

ومنطقة الرواسب الطمية لاتظهر بها المستنقعات فقط بل كذلك العيون المنبجسة هنا وهناك مثل عين درقانة الى الشمال قليلا من قرية روية وعيون اخرى كثيرة الى الشمال من قرية بوفاريك . وحتى الاودية مثل وادي جر وبورومي التي تجف اسرتها تماما في فصل الصيف وتغور مياهها على بعد ٦٠٠ متر من اقدام جبال الاطلس نراها تنبجس مياهها مرة اخرى في شكل عيون بمجرد ان تبلغ خط الرواسب الطينية او خط العيون . ويمكن تقدير سمك الطبقة الطينية بالرجوع الى الآبار التى حفرت في بابا علي وبراقي لتزويد مدينة الجزائر بالمياه وهي آبار تصل اعماقها الى نحو ١٧٠ مترا دون ان تصل الى الطبقة القديمة ، وفي عمق هذه الآبار لوحظ تعاقب الطبقات الطينية وهي الطبقات الخازنة للمياه التي يصل سمكها الى نحو العشرين مترا ، بطبقات اخرى مسامية ومنفذة من رمال وحصويات . ويظهر ان خط التسوية اربعين مترا هو خط تقسيم السهل المتيجي الى منطقتين احداهما جنوبية رملية وحصوية جافة قليلة العيون . ثم منطقة طينية رطبة كثيرة العيون والمستنقعات واقعة في الشمال .

والمتتبع لميل سطح الظهور بالسهل المتيجي يلاحظ ان هذا الميل غير متدرج على

عكس اتجاه ميل المسطح الذي ذكرنا انه يتدرج من الشمال الى الجنوب . فسطح الظهور يميل تارة نحو الغرب واخرى نحو الشرق ، و اضرب لذلك مثلا بالمنطقة التي تفصل بين وادي الحراش في الشرق ووادي الرمبلي (احد روافد ماء زغفران) فى الغرب فسطح الظهور الواصل بين حوش الكاتب وبوفاريك لايتدرج فى ميله من الغرب الى الشرق ولكن يتقطع او يرتفع فى الوسط حيث تقع قرية الشبلي على ارتفاع ٦٥ مترا ، وينخفض فى الاطراف حيث تقع كل من قرية بوفاريك وحوش الكاتب على ارتفاع ٥٠ مترا ، وعدم انتظام التدرج في الانحدار لسطح الظهور هو الذي جعل الشعاب والروافد في السهل المتيجي تبحث عن مصباتها ومجاريها واوديتها الرئيسية بصعوبة ، والشكل الآتى يبين اتجاه ميل مسطح السهل المتيجي .



مقطع طوبوغرافي يربط بين تيجلجلت (الاطلس التلي) وبوانت بيسكاد (جبل بوزريعة)

ويظهر من الدراسات الجيومورفولوجية والجيولوجية ان السهل المتيجي عبارة عن سهل هدمي نتج عن انكسار اصاب كتلة جبال الاطلس التلي في مطلع الزمن الرابع . وتفسير ذلك انه فى عصر البلايوسين الاعلى كان السهل المتيجى عبارة عن كتلة جبلية متماسكة تمثل جزءا من جبال الاطلس التلي التي كانت تشمل حتى تلال الساحل بما فيها جبل

بوزريعة ، تجري فوقها اودية من الجنوب نحو الشمال تبعا للانحدار العام الذي كان من الجنوب الى الشمال في اقليم الجزائر ، واهم هذه الاودية كان وادي الحراش و رغاية وماء زعفران . ثم حدث انكسار للاقليم فى اوائل الزمن الرابع ادى الى هبوط منطقة السهل المتيجي الى رمية تزيد عن مائة متر دون مستوى سطح البحر ، و سهل بذلك على مياه البحر المتوسط ان تغزو وتغمر السهل المتيجي فترة من الزمن فيها تحول السهل الى ذراع بحري ، وصاحب هذا الهبوط ارتفاع للجبال والتلال المجاورة مثل تلال الساحل وجبال الاطلس البليدي . فزاد انحدارها واشتدت قوة النحت لمياه اوديتها التي اخذت تنقل الرواسب الكثيرة لترسبها في قاع هذا الذراع البحري الجيولوجي الى ان غطت سطح قاعه الى ارتفاع يزيد عن مستوى سطح البحر ، وزاد سمك طبقات الرواسب التي غطت قاع السهل المتيجي فى الشمال عنها فى الجنوب لان جبال الاطلس البليدي كانت ومازالت المصدر الاول الذي غمر السهل المتيجي بالرواسب اذا ما قورن بتلال الساحل الاقل انحدار واودية وشعابا منحدرة نحو السهل ، و مما لايدع مجالا للشك ، فى ان السهل المتيجى كانت تغمره المياه البحرية ، وجود الرواسب البحرية فى اعماق الآبار المحفورة بالسهل . ففى منطقة الدار البيضاء تظهر الرواسب البحرية في اعماق الآبار على عمق ٢٠ مترا دون مستوى سطح الارض . وفى منطقة المزارعة بالقرب من قرية رغاية استخرج الفلاحون اصدافا بحيرية كبيرة الحجم على عمق ٢٥م وهى اصداف لحيوانات كانت تعيش فى مياه مالحة . ومن الادلة على حدوث الانكسار للسهل المتيجي رواسب البلايوسين الاعلى التي تظهر فى منطقة اولاد فائت وحوش بوشاوي وسطاوالي ومنطقة هضبة الساحل بصفة عامة نقلتها اودية من جبال الاطلس البليدي ورسبتها على ارتفاعات كبيرة من سفوح تلال الساحل عندما كان السهل جبلا او عندما كان يمثل حلقة وصل (١) . اما عندما حدث الانكسار فقد تحول السهل الى حلقة فصل بين المجاري الدنيا وبين المجاري العليا للاودية القديمة التي انضم البعض منها الى بعض الاخر وغيرت

(1) Franc Julien : la plaine de la metidja Alger 1830 P. 9

اتجاهاتها العامة القديمة التي كانت من الجنوب الى الشمال فاصبحت فى الوقت الحالى تجري من الغرب الى الشرق عند اصطدامها بالكتلة الساحلية كما هو الحال بالنسبة لوادي ماء زعفران الذي اجتمعت حوله اودية كثيرة عند عبوره لتلال الساحل بعضها قادم من الشرق مثل وادى الثلاثاء والبعض الاخر قادم من الغرب مثل وادي جر ، وهكذا صارت الكتة الساحلية بعد الانكسار تمثل حاجزا وسدا منيعا فى وجه امتداد الاودية القديمة التي اضط ت الى قطع مسافة طويلة من الحافة الجنوبية لتلال الساحل قبل وصولها الي البحر ، وليس هذا فقط ، بل فصل الانكسار المتيجي بين المجاري العليا والمجاري الدنيا للاودية القديمة وبالتالي صارت الاودية القديمة لاتنقل رواسب جبال الاطلس الى السفوح العالية من تلال الساحل ولكن ترسبها فى السهل المتيجي او البحر .

ونظام جريان اودية السهل المتيجي في الوقت الحالي شديد الذبذبات وبعيد عن الانتظام فقد تكون الاودية سيلية جارفة فى بعض الايام الممطرة من فصل الشتاء وحينئذ تحمل فى طريقها كل ما اعترض سبيلها من اشجار ومباني زيادة عن الرواسب الصخرية المتنوعة ، لتلقى بها على ضفافها في السهل المتيجي او البحر . اما في فصل الصيف فهي اودية جافة في معظمها ، والبعض الآخر يجري بها قليل من الماء الذي لايصل الى البحر الا بعد مشقة . وقد يتحول سرير فيض الوادي فى فصل الصيف الى منخفض تكسوه صخور متنوعة الاحجام تظهر به هنا وهناك شجيرات الدفلة Laurier rose والثل او القصب كدليل على مجرى الوادي وحدود ضفافه التي يبلغها عادة في فصل الفيضان . وتقدر كمية التساقط التى تنزل في إقليم مدينة الجزائر وتصرف جزءا منها اودية السهل المتيجي بحوالي المليار وربع المليار سنويا من الامتار المكعبة ، جلها تأتي من جبال الاطلس ويتسرب منها جزء قليل جدا فى الطبقة الخازنة للمياه بالسهل المتيجي ليظهر من جديد فى شكل عيون على الهوامش الجنوبية للسهل والجزء الباقي من مياه الامطار يسيل نحو البحر دون الاستفادة منه ببناء السدود . ولقد اعتمدت مدينة الجزائر منذ نشأتها على سهل متيجة فى تموينها بالمنتوجات الزراعية من خضر وحبوب وفواكه وفى تموينها بالمنتوجات الحيوانية من ألبان واصواف ولحوم . وكان

الفلاحون والرعاة في السهل المتيجي يتنقلون كل يوم بين المدينة ومتيجة لاستبدال منتوجاتهم بمنتوجات سكان المدينة . اذ المسافة بين اقصى حدود السهل والمدينة لاتزيد عن الخمسين كيلومترا يمكن للانسان ان يقطعها راجلا فى اقل من يوم واحد .

٣ — التربة فى اقليم المدينة

اشتهر اقليم مدينة الجزائر بخصوبة تربته منذ القديم وهي تنقسم فى معظمها الى تربة حمراء فى منطقة الساحل ، والى تربة فيضية سمراء ورمادية فى منطقة السهل المتيجي ، والى تربة جبلية صخرية خشنة في منطقة جبال الاطلس المتيجي .

فالتربة الحمراء غنية في موادها العضوية والمعدنية الضرورية للحياة النباتية وتصنف فى قائمة الترب الخفيفة لاحتوائها على كمية كبيرة من الرمال . وتظهر فى كل اقليم الساحل من تلال وروابي وهضبات ووهاد من وادي بودواو شرقا الى وادي الناظور غربا . ويختلف سمكها حسب انحدار المكان الذي توجد فيه اذ هي تربة محلية ، كثيرا ما نجدها مركزة فوق الصخر الام من رمال محجرة او صخور الشيست او صخور جيرية او صخور حصوية وقد لوحظ ان هذه التربة الحمراء تكون عادة سميكة - يبلغ سمكها حتى الثلاثة امتار - ان تكونت فوق الروابي الرملية او الحصوية المحجرة او في بطون الاودية كما هو الحال في شعاب بئرخادم وحيدرة والابيار والقبة ، وقد تكون قليلة السمك - اي حوالي ٢٥ سنتمتر - ان ظهرت فوق صخور المشيست او الجير كما هو الحال فى جبل بوزريعة الذي تظهر به فى بعض الاحيان الصخور الام عارية من التربة .

ويعود السبب في احمرار التربة بمنطقة الساحل الى التجوبة الكيماوية التي تعمل على الرفع من نسبة اكسيدات الحديد في التربة ذلك انه فى فصل الشتاء تغسل مياه الامطار الصخور الجيرية المؤلفة من كاربونات الكالسيوم والسليكون واكسيدات الحديد . والغسل يكون باذابة كاربونات الكالسيوم من الصخور الجيرية وترك السليكون الغير القابل للاذابة ، فترتفع حينئذ نسبة السليكون في الصخور الجيرية . وفي فصل الصيف تعمل الحرارة على تصعيد وتكبيب اوتركيز اكسيدات الحديد حول حبيبات السليكون المنتشرة على سطح

الارض وبالتالي ترتفع نسبة اكسيدات الحديد بالتربة فتعطيها اللون الاحمر او ما يقرب من الاحمرار ، حيث ان التربة الحمراء يتراوح لونها بين الاحمر القانى الى الاصفر القامق (١) . وهذا يرجع بالطبع الى اختلاف ما تحويه التربة من نسب اكسيدات الحديد . وقد دلت تحليلات التربة بواسطة كاربون ١٤ والبوتاسيون والارقون ودرساب المدرجات النهرية والبحرية على ان التربة الحمراء اخذت تتكون منذ اواخر الزمن الثالث ويحددها البعض بالفيلافرنشيان الذي نشطت فيه عملية الاحمرار ، وتعود اليه التربة الغضارية الحمراء القديمة ، وقد تتابعت عملية الاحمرار فيما بين الفترات المطيرة فى الزمن الرابع . وقيل ان عملية الاحمرار مستمرة حتى الوقت الحالي وقيل العكس بدليل ان بعض المنخفضات التي لم تنحدر نحوها التربة الحمراء تتراكم بها تربة سوداء لاتظهر بها علامات الاحمرار .

وتختلف التربة الحمراء من حيث حجم حبيباتها فمنها التربة الحمراء الرملية التي تسود على الشريط الشاطيء من عين بينان الى الزرالدة والمعالمة ومن مصب وادي بودواو الى مصب وادي الحراش حيث تكسو اغلب الروابي الساحلية الشرقية والمدرجات البحرية المحجرة . وهي تربة جيدة للغاية قد يصل سمكها الى ثلاثة امتار ، تساعد تماما النباتات على ضرب عروقها الى اعماق بعيدة ، ولذلك كانت مخصصة لزراعة الخضر والبواكر من فاصولية وطماطم وبدنجال ، وبطيخ ... و تعتمد عليها مدينة الجزائر فى تموينها بالمبكرات

ومن الزرالدة الى تيبازا تظهر التربة الحمراء الغضارية على امتداد الشاطيء اما على السفوح الشمالية لبعض تلال الساحل فتظهر التربة السمراء الغضارية بالقرب من دبلي ابراهيم واولاد فائت وبابا حسن وحتى المعالمة وعلى متن بعض التلال من اقليم الساحل تنتشر التربة الغضارية الحمراء والصفراء كما هو الحال فى منطقة المجاري العلياء لوادي بني مسوس . وتنتشر تربة الفيرتيسول Vertisol فى الوهاد والاعراف الممتدة من دايلي ابراهيم الى قبر الرومية ، وهي تربة مرنة ولازبة لونها يتراوح بين الرمادي والاخضر

---

(1)R. Teuliers. A.A.G. Année 1968. P. 134

توزيع التربة في اقليم مدينة الجزائر

ترتفع بها نسبة الغضار وتقل بها نسبة المواد العضوية ، تتشقق فى فصل الصيف وتشكل التضاريس القبابية التي تكسوها نباتات هائمة ذات عروق قصيرة وكثيرة . ونظرا لشدة تماسكها فانها لاتتلاءم وزراعة الخضر ولذلك تركت لغراسة الاشجار والكروم والحبوب والغلال الشتوية مثل البصل ، والثوم ، والبسلة . والحمص والفول .

واذا تركنا السفوح الشمالية لتلال الساحل وانتقلنا الى السفوح الجنوبية لتلال الساحل المقابلة للسهل المتيجي بانت لنا التربة الحمراء الغضارية والرميلة منتشرة على طول السفوح العليا ، تليها في السفوح الدنيا و على طول حاشية التقاء السهل المتيجي بتلال الساحل فى الغرب ، ورواببه فى الشرق ، نطاقات من التربة الحمراء الصخرية والغضارية ممتدة من سيدي راشد حتى وادي رغاية ، وهي حاشية تنتشر بها زراعة الكروم بالخصوص التي تعطي الخمور الجيدة لانها مزروعة في منطقة مشمسة وقليلة الرطوبة الجوية . وفى بطون اودية تلال الساحل تتراكم التربة الفيضية ان كانت اسرة الاودية قليلة الانحدار كما هو الحالفي بطن وادي ماء زعفران الذي تظهر به طبقة من التربة الرمادية والسمراء من غضار ورمال في مجراه الادنى زرعت كروما وخضرا . وكما هو الحال فى بطن وادي بنيمسوس الذي تظهر على ضفاف مجراه الاوسط والادنى تربة حمراء . اما بطون الاودية الشديدة الانحدار فلا نجد بها التربة الصالحة للزراعة مثال لذلك بطن وادي كنيس وبطن وادي بني الازهر ، وشعبة عيون التي عملت المياه المنحدرة بشدة على كنس وغسل ما بها من اتربة ، ولم تترك الفرصة الزمنية الكافية لتكوين ونضج الاتربة ، لذلك لاتعتمد عليها المدينة فى تمويل سكانها بالمنتوجات الزراعية .

واذا تركنا تلال الساحل وانتقلنا الى السهل المتيجي ظهر لنا مبدئيا ان التربة فى السهل المتيجي فيضية ومنقولة من جبال الاطلس بالدرجة الاولى ومن تلال الساحل بالدرجة الثانية ، ذلك لشدة ارتفاع واتساع جبال الاطلس وكثرة اوديتها المنحدرة الى السهل المتيجي اذا ما قورنت بتلال الساحل . ولما كانت هذه التربة منقولة من المرتفعات المجاورة لها فانها تتشابه في تركيبها الكيماوي مع تربة المرتفعات المجاورة لها فى احتوائها على

نسبة كبيرة من الجير . وتتدرج في نسيجها او حجم حبيباتها كلما ابتعدنا عن المناطق التي انتزعت منها . فالتربة الغضارية الصماء والطينية الثقيلة تظهر على الهوامش الشمالية للسهل المتيجي وكانت قديما تمثل تربة المستنقعات بينما التربة الخفيفة التي تدخل فيها نسبة مرتفعة من الرمال والحصويات تنتشر فى الاطراف الجنوبية للسهل وهي جيدة الصرف صالحة للزراعة منذ القديم ، سهلة الحرث وتعتمد عليها مدينة الجزائر فى مدها بحاجياتها من الخضر والفواكه والمنتوجات الحيوانية . وقد دلت التحليلات لتربة السهل المتيجي على شدة تنوعها واحتوائها على كمية كبيرة من المخصبات مثل الآزوت والفوسفات والجيروعلى احتوائها على كمية ضئيلة من الاملاح وكلورير السوديوم تتراوح بين ٠،١ و ٠،٤ في الالف وتختلف عن تربة تلال الساحل فى سمكها الكبير اذ يزيد عن المائة متر وفي لونها الذي يتراوح بين السمرة والصفرة في الجهات الجنوبية الشرقية ، وبين الرمادي والسواد فى الجهات الجنوبية الغربية . واخصب ترب السهل المتيجي هي التي تكسو بلاد حجوط لاحتوائها على نسبة مرتفعة من الفتيتات البركانية المنقولة من جبال سماتة ، ثم تربة بلاد الصومعة واولاد موسى ومفتاح لاحتوائها على نسبة مرتفعة من الهيموس نقلتها المياه من غابات السفوح الشمالية لجبال الاطلس التلي وهي المناطق التى كانت ومازالت تمول مدينة الجزائر ، بالخضر والفواكه يوميا ، وأردأ أتربة السهل المتيجي هي تربة المستنقعات والمروج ، الصماء التي لاتساعد على الزراعة الابعد استصلاحها وادخال مجهود كبير عليها باستعمال المخصبات وخلطها بالرمال للتقليل من شدة تماسك جزيئاتها . وما زال البعض منها يمثل اراضي البور والمراعى والمروج .

٤ ــ اثر التضاريس على عمران المدينة

ليس هناك علاقة حتمية وابدية بين التضاريس وعمران مدينة الجزائر وانما هناك علاقة مركبة ومتطورة . وبيان هذا ان السهل الساحلي الذي عد منطقة سهلة وجاذبة للسكان و للعمران الاول قد تحول في فترات من التاريخ الى منطقة طاردة فى اوقات الاخطار والحروب ، مثل ما حدث فى عهد القرصنة الساحلية فى العصور الوسطى بالخصوص

وكذلك الجبل الذي عد منطقة طاردة للعمران في بعض فترات الامن والاستقرار قد تحول الى منطقة جذب لنفس الظروف التاريخية السابقة الذكر . ومعنى هذا أن الاحـــداث التاريخية لها دورها الفعال فى توجيه العمران والحد من فعالية الضوابط الجغرافية ، ولذا يجب عدم اغفالها فى تحليل أثر التضاريس على عمران المدينة . فالفينيقيون اختاروا اول مااختاروا الموضع لمدينة الجزائر فى حجر جبل بوزريعة، ومن الحجر الشرقى اختاروا الكتف الايمن لمصب الوادي ، وبنوا فى السهل الضيق او سهل حى باب البحر مدينة ايكوسيم بعيدة بحوالي الكيلومتر عن مرفض وادي مغاسل ، وبعيدة بحوالي الثلاث كيلومترات عن المستنقعات التي كانت منتشرة في الحامة وحى ساحة اول مايو . ولم يختر الفينيقيون السهل المتيجي لانه بعيد عن البحر ، ولا الشريط السهلي الواقع الى الغرب من مرفض وادي مغاسل لشدة ضيقة وانحصاره بين جرف بحري وحائط جبلي . ولعل من الظروف الطبيعية التي دفعت بالفينيقيين الى اختيار هذا الموضع هى قربه من وادي مغاسل الذي يعد شارعا جبليا طبيعيا يسهل المرورمنه الى تلال الساحل ، وابتعد الفينيقيون عن سهل الحامة رغم اتساعه نسبيا ، لمناقعه ولقربه من وادي الحراش الذي عد مصدرا لاهم المستنقعات بالسهل المتيجي ، و ليس بهذه الجهات الشرقية موضع يلائم انشاء المرسى على عكس الموضع الذي اختاره الفينيقيون فكانت تظهر به جزر اربعة ممتدة من الشمال الى الجنوب وتساعد تماما على انشاء مرسى ومركز تجاري . و هكذا نلاحظ ان الظروف الجغرافية فى العهد الاول لنشأة مدينة الجزائر كانت لها اليد العليا فى التركيز ، وهي فترة ساد فيها الاستقرار ، وطاب فيها الاختيار لذلك استقر العمران اولا فى السهل الطيب من باب البحر ، ولم يأخذ السكان فى الزحف نحو اقدام الجبل وضلوعه الا بعد ان ازداد الضغط العمرانى ، وظل السكان يتحاشون الخطوط الكنتورية العليا والمدرجات المرتفعة ويتعدون عن المناقع قدر الامكان مدة طويلة من الزمن ، ولم تمتد المباني الى القصبة والى الخطوط الكنتورية العليا والمدرجات المرتفعة الا بعد العهد الفينيقى ، بل لم تصل المباني الى القصبة العليا حتى القرون الوسطى ، وقد ادى اكتظاظ سكان المدينة فى العهد التركي الى توسيع

المباني على حساب الفضاء اكثر منه على حساب السطح وذلك بانشاء المنازل المركبة ذات الطوابق العليا الواسعة والطوابق السفلى الضيقة .

وقمة جبل بوزريعة ظلت اكثر مناطق الضواحي تخلفا فى العمران الذي لم يصلها الا بعد ان ازداد الضغط السكاني على خطوط الكنتور الدنيا حديثا وان العمران جاءها من اسفل الى أعلى متجشما فى ذلك متاعب كثيرة من أودية غائرة وصعود شاق ومنحدرات عارية ، وظلت المساكن تتحاشى لمدة طويلة من الزمن وحتى العصور الوسطى الارداف ذات الصخور المتملصة والمنزلقة او المتحركة لادنى قوة جاذبة . وفى الوقت الحالي نجد الطرق التي تربط المدينة القديمة والاحياء الجديدة ملتوية بالتواء خطوط الكنتور ولايخفى مالهذا الانحاء من اطالة المسافة وارتفاع التكاليف الانشائية للبناء وللتمهيد وللحماية من الانهيارات والانجرافات وبالخصوص خطر فيضانات الشعاب . ورغم التقدم الحضاري فان بعض السفوح العليا لجبل بوزريعة لازالت تمثل عقبة شديدة في وجه زحف عمران المدينة نحوها ؛ وهى سفوح لم تجعل من شدة تضرسها حدا لتسلق المباني فقط ولكن حدا لظهور الغطاء النباتي ايضا ، وحدا لسمك التربة التي كثيرا مااختفت من فوق الصخور الام وبالتالي حدا لامتداد الرقعة الزراعية . وكثيرا مالجأ السكان فى هذه الجهات الى التحايل على الطبيعة باتباع امتداد خطوط الكنتور فى السكن وانشاء المدرجات الزراعية لكنها مظاهر حضارية ظلت ضعيفة ومهددة بالانهيار لذلك كانت هذه السفوح مخلخلة ، ومهجورة عمرانيا ، وان ظهرت بها المساكن ، فى الوقت الحالى ، ظهرت معلقة هناوهناك فى المنزلقات وفى الرفوف ، قد كلفت اصحابها متاعب كبيرة فى بناءها وحمايتها ، وتمهيد الطرق اليها

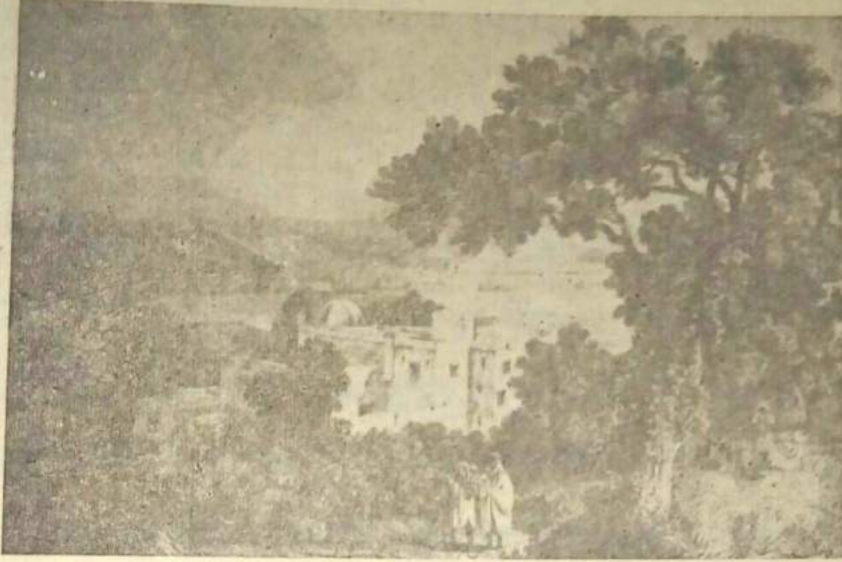
وفى المقارنة بين السفوح الشمالية لجبل بوزريعة والواقعة على الضفة الغربية لوادي مغاسل من جهة وبين التلال الممتدة من حصن الامبراطور الى ناحية الابيار ، فابن عكنون فديلي ابراهيم والى الناحية الشرقية من حصن الامبراطور الى وادي الحراش من جهة اخرى فاننا نلاحظ ان هذه الاخيرة اقل ارتفاعا وألين انحدار واغنى نباتا واخصب وانضج تربة واوفر عيونا وآبارا من السفوح الشمالية لجبل بوزريعة والسفوح الواقعة على الضفة

الغربية لوادي مغاسل ، وهذه الظرف الطبيعي تفسر لنا تحرك مدينة الجزائر في عمرانها كثيرا نحو الجهات الشرقية فى العهد الروماني ، ونحو جهاتها الجنوبية فى العهد العربي والتركي ، اي ان التضاريس كانت لها اليد العليا على زحف المدينة نحو الشرق فى العهد الروماني ، وقد زاد عامل الحماية تأثيرا على زحف المدينة ناحية الجنوب والمرتفعات او التلال فى العصور الوسطى وهي العصور التي سادت فيها القرصنة الساحلية واخذت فيها اغلب المدن الساحلية للبحر المتوسط تتخذ من التضاريس وخطوط الكنتور العليا درعا تدرأ به خطر النزلات البحرية لذلك بنى الاتراك حى القصبة العليا فيما بين خطي كنتور ١٠٠ و ١٢٥ مترا بل ان حصن الامبراطور علقه الاتراك على ارتفاع يزيد عن ٢٠٠ م . وازداد اكتظاظ السكان بداخل اسوار المدينة، وكان حي القصبة اكثف عمرانا من بقية الاحياء ،واحياء الضواحي اقل كثافة من احياء داخل المدينة التي كانت ترتكز بها السلطة الادارية والقوة الاقتصادية وحتى احياء الضواحي كانت مختلفة من حيث كثافة السكان ، فحي باب الوادي والجهات الغربية خارج القصبة كانت اقل كثافة فى العمران من احياء الجهات الشرقية والجنوبية ثم ان الجهات الشرقية من التلال و الاعراف كانت اكثف عمرانا من الشريط السهلى الساحلي الممتد حتى وادي الحراش . و هكذا رغم ان المدينة امتدت فى العهد التركي نحو خطوط الكنتور العليا فكانت تسعى دائما نحو الجهات الاقل تضرسا او نحو الجهات الشرقية التي كانت تنتشر بها الفيلات والديار الجميلة مثل حي مصطفى والحامة العليا و القبة وبئرمرادرائس والابيار وبئر الخادم ، و هي احياء ليست في مرتبة السهل ولكنها في المرتبة الوسطى بين السهل والجبل او هي في مرتبة الهضاب والتلال الممتلئة المستديرة و الملفوفة الاقل تضرسا من الجهات الغربية خارج حي القصبة ، وذلك لاسباب منها ان عوامل التعرية نالت من الجهات الشرقية اكثر من نيلها للجهات الغربية فاكلت الاعراف والسفوح الشرقية الى ان لطفت انحداراتها و اوصلتها الى درجة قريبة من النضج و اصبح لايمر بها خط كنتور ٢٥٠ م. ولا تظهر بها الخوانق بل ان شعابها عريضة ومفتوحة ولطيفة الانحدار تساعد على الزراعة والعمران اكثر من شعاب وادي مغاسل الشديدة التضرس والانحدار .

ولضبط اثر التضاريس على العمران يجدر بنا ان نلاحظ ان الذي عاق امتداد العمران ليس الارتفاع نفسه ولكن الانحدار اذ هذا الاخير اقرب الى فكرة الوعرة و التضرس من الارتفاع . سيما وان موضع مدينة الجزائر وضواحيها لايزيد أعلى ارتفاع نقطة به عن ٤٠٧م وبذلك فهو ارتفاع بسيط اذا ما قورن بمناطق اخرى في اقليم المدينة يزيد ارتفاعها عن ١٥٠٠متر كما هو الحال فى جبال الاطلس . فالعلاقة بين التضاريس وكثافة السكان وامتداد العمران اقوى منها بين الكثافة والارتفاع لهذا فقط وليس لعامل الارتفاع كانت السفوح الشمالية لجبل بوزريعة والجوانب الغربية لوادي مغاسل اقل جاذبية للعمران من تلال الابيار ومن السفوح الواقعة الى الشرق من القصبة وهي تلال وسفوح يتكدس فيها العمران فى الوقت الحالي ، وانتقلت اليها السلطة الادارية و السياسية والاقتصادية بدلا من القصبة التي تحولت الى متحف عمراني وافلت منها مركز القوي الذي كانت عليه فيما قبل الاحتلال الفرنسي ، بعد ان افلت عمرانها وحطمت اسوارها وانتقل اقتصادها الى السفوح والاعراف الشرقية بل ان العمران قصد اولا السهل الساحلي الشرقي فى عهد الاحتلال الفرنسي ، وعادت الارزاق التي كانت تقصد القصبة في العهد التركي تتوجه اولا نحو الضواحي الشرقية فى عهد الاحتلال الفرنسي ، وحتى الميناء فى نموها الحديث تحركت فى اتجاه نمو المدينة اي نحو الجهات الشرقية . وذلك لعامل الانحدار المتدرج فى هذه الجهات ولانها جهات اكثر حظا فى سطوع الشمس من الجهات الغربية الشديدة الانحدار والواقعة فى اتجاه مجانب للشمس .

ويلاحظ ان التضرس وسطوع الشمس لم يؤثرا على امتداد العمران وكثافته فقط ، بل اثرا ايـــضا على تركيز وانتقاء طبقات المجتمع و على مدى الاستقرار العمراني فى القديم وفي الحديث . وبيان ذلك ان الطبقات الارستقراطية الحالية نجدها في الجهات الشرقية السهلة نسبيا خارج القصبة . وفى عهد الاتراك كان الرياس والاثرياء يختارون هذه الجهات التي مازالت تحمل اسماءهم حتى يومنا هذا مثل حي بئر مرادرائس وحي

مصطفى باشا وحي حسين داي . وحتى القناصلة الاجانب كانوا ينتقون السفوح الشرقية المشمسة المرتفعة واللينة الانحدار نسبيا التي تساعدهم على توسيع حدائقهم وهي مواضع



قصر الرئيس التركي في الحامة (شرق مدينة الجزائر) ومن القصر ترى مدينة الجزائر في عمق الصورة

تجعلهم في نقط استراتيجية يشرفون منها على المدينة من علو . وتمكنهم من مراقبة اية حركة تقع داخل المرسى او في القصبة . اما الطبقة الفقيرة فكانت لها الاعراف الوعرة وبطون الاودية والسفوح الظليلة ومواضع المستنقعات و الاماكن التي عزفت عنها الطبقة المحظوظة مثل وادي مغاسل ومستنقعات الآغا ، وساحة اول مايو وضفاف مصب وادي الحراش ، والسفوح المتضرسة والشديدة الانحدار من جبل بوزريعة والاماكن التي تنتهي عندها مرافض السيول و المعرضة للفياضانات . وكانت الاكواخ والعشش في العهد التركي تمتد من رأس تافورة على طول الساحل الى مصب وادي الحراش ، وتعادل في الوقت الحالي الاحياء القصديرية الممتدة من معبر قسنطينة الى سوق وادي الحراش من حيث احتلالها لمواقع المستنقعات وهي مواضع تعد مخزنا للاوبئة ، وغير ملائمة صحيا للسكن الابعد استصلاحها لكنها تمثل في نفس الوقت احسن مواضع للمساكن المتحركة ،

والمساكن الترحالية لانـــها تعد هوامش العمران و المواضع الاولى للاستقبال ، فيها ينتظر المهاجرون من الريف فترة من الزمن لانخراطهم فى المجتمع المدني .

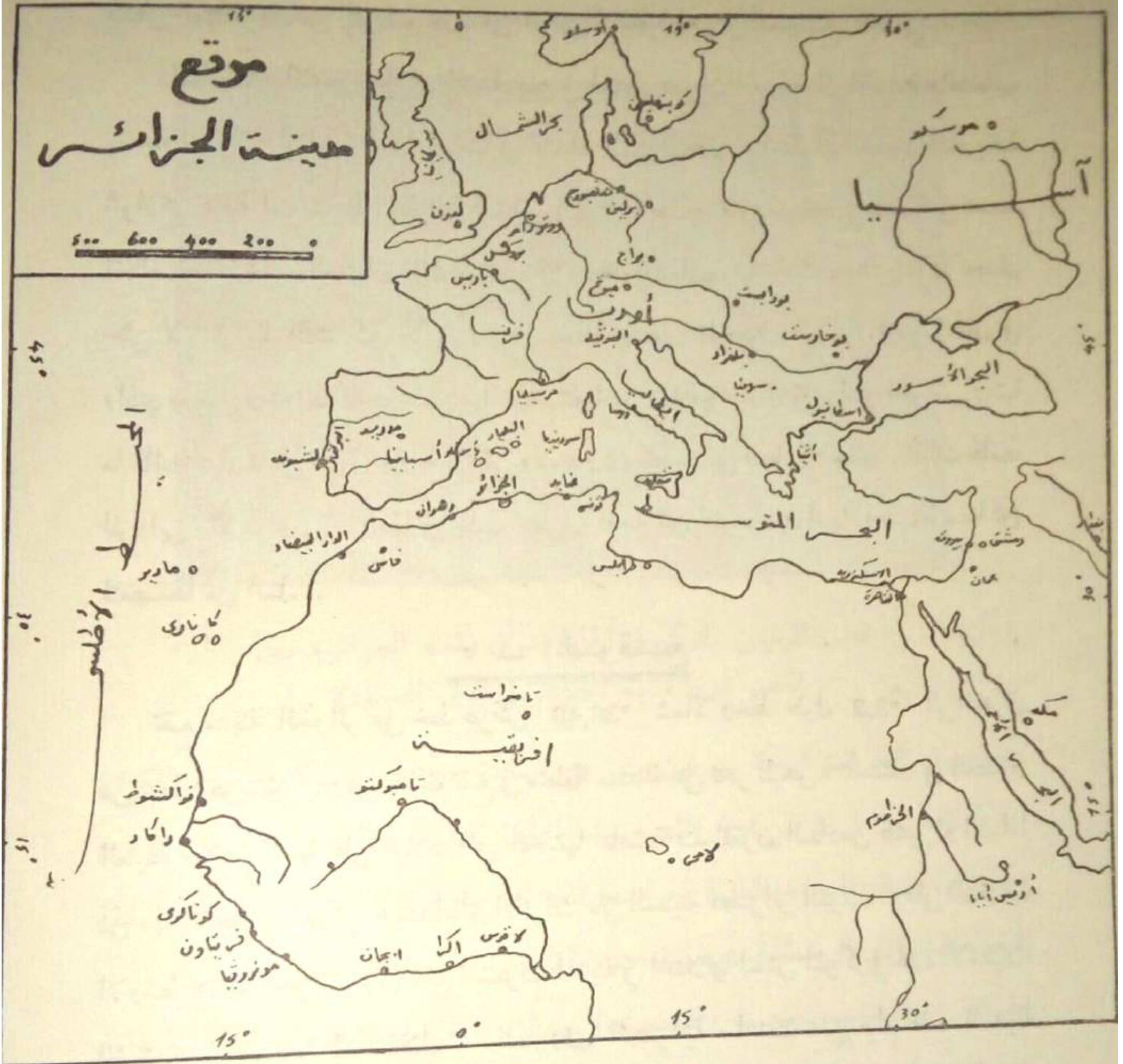
والملاحظة الاخيرة على اثر التضاريس في امتداد عمران المدينة ان الاودية والشعاب بمدينة الجزائر لم تلعب دورا اساسيا فى امتداد العمران ولم تمثل طوال العصور التاريخية شوارع جبلية امتدت على اطوالها المباني ، بل انها ظلت تمثل حواجز طبيعية فى صد اتجاه خط زجف العمران ذلك ان هذه الاودية والشعاب منها ما كانت شديدة الانحدار حتى لاتظهر بها المساكن الا فى رفوف معلقة يصعب الوصول اليها كما هو الحال فى وادي مغاسل ومنها ما كانت تنتشر بها المستنقعات كما هو الحال فى وادي الحراش ومنها ما كانت عبارة عن سيول جارفة لاتبقى ولا تذر ان غضبت فى فصل الامطار ، لذلك كانت للروابى والاعراف اليد العليا في جلب عمران مدينة الجزائر فأوت اليها اغلب المساكن لتعصمها من الماء .

٥ ــ الموقــع

تقع مدينة الجزائر على خط عرض 36,46° شمالا وخط طول 3,3° الى الشرق من خط اجرينتش . وهي بذلك تقع فى منطقة معتدلة على نحر البحر ، أسست فى العصور العتيقة ، وعم اسمها على البلاد التي اتخذتها عاصمة منذ القرن السادس عشر او ابتداءا من عهد الاحتلال التركي حيث اطلق الاتراك على المدينة «جزائر الغرب» وعلى المغرب الاوسط «بلاد الجزائر» (١) . ثم استمرت المدينة في احتلالها لنفس المركز في فترة الاستيلاء الفرنسي ثم في عهد الاستقلال . والظروف الجغرافية ساعدت على قيام هذه المدينة وتنميتها والتوسع فيها الى ان اصبحت تحتل بمرور الزمن مكانا حيويا من الناحية السياسية والادارية والاقتصادية في بلاد الجزائر ، بل و في المغرب العربى كله ، وهي فى الوقت الحاضر ثاني مدينة بعد دار البيضاء من حيث عدد السكان ، وتعد من أمهات المدن فى القارة الافريقية ، وفي الوطن العربي خاصة ، ولا يقل موقعها عن موقع مدينة الاسكندرية

(1) Venture de paradis : Alger au XVIIIe P. 3 (Alger)

او بيروت او تونس فى اشرافها على البحر الابيض المتوسط .



وتستند مدينة الجزائر فى موقعها على الكتلة الجبلية الساحلية حيث تقع فى الحجر الشرقي لجبل بوزريعة المشرف على البحر الابيض المتوسط ، ووجهت أول ما وجهت نحو المياه البحرية ، وظلت تنظر الى هذا المسطح المائي اكثر من نظرتها الى البر الذي لم تلتفت اليه الا بعد الاحتلال الفرنسي عندما رأى الاستعمار ان لاسيطرة على المدينة بدون التحكم في ظهيرها و بذلك اخدت كثافة شبكة المواصلات البرية تشتد

وبالتالي ازدادت علاقة المدينة بالداخل وراحت المدينة تحاول النمو فى كل الاتجاهات الا ان التضاريس المعقدة في الجهات الشمالية الغربية المؤلفة من انحدارات شديدة وأخاديد عميقة وأودية سيلية جعلت التوسع العمراني اوحركة النمو تسلك الاتجاه الجنوبي الشرقي أكثر من بقية الاتجاهات ، اي ان توجيه المدينة فى بادىء الامر كان بحريا ثم اصبحت ذات اتجاه بري وبحري وجعلت شبكة المواصلات التي تصل المدينة بالداخل تكثر فى الجهات الشرقية اكثر منها فى بقية الجهات ، وحتى السكك الحديدية القادمة من الغرب لاتدخل لمدينة الجزائر الا بعد ان تدور حول المدينة لكي تدخلها من الجهات الشرقية (١) اذ هي تضطر الى تغيير اتجاهها عندما تصطدم بالكتلة الساحلية .

وكذلك كان للكتلة الجبلية المعقدة لبوزريعة أثر كبير فى توجيه الحملات الاستعمارية ابان الحكم التركي . فبوزريعة هو الحامي الطبيعي والسور المنيع الذي وقى مدينة الجزائر من الجهات الغربية ، لذلك كانت اغلب الحملات الاوربية على المدينة تنزل على الجهات الشرقية ، امـا بالقرب من وادي الحراش و اما بالقرب من الحامة ثم تتوجه نحو الغرب قاصدة المدينة لمهاجمتها من الجهات الشرقية ذلك لما لهده الجهات الشرقية من سهولة العبور للمدينة ، وهي معبر طبيعي وجيد ، لا بالنسبة للقادم من البحر فقط ، ولكن بالنسبة للقادم من الداخل أيضا ،حيث يتصل السهل المتيجي بمدينة الجزائر.

و يقع السهل المتيجى الى الجنوب من المدينة التي تعتمد عليه اعتمادا كبيرا ، فهو ظهيرها الخصب ، و بسيطها الغنى لما تتوفر فيه من مواد غذائية كالخضر ، و الفواكه والحليب الخ ... تحتضنه جبال الاطلس من الجنوب وتلال الساحل من الشمال ، و ليس له اتصال بالبحر فى جهاته الغربية ، ومفتوح فى ركنه الشمالي الشرقى ، يزيد طوله عن المائة كيلومتر وعرضه عن ١٨ كيلومترا ، تصله معابر طبيعية بالمناطق الواقعة وراء الكتل الجبلية ، مثل عتبة ثنية بني عائشة الواقعة على ارتفاع ١٤٠م تصل السهل المتيجي بوادي يسر، ومنه الى الجهات الشرقية ، ومثل عتبة القنطاس ، الواقعة على ارتفاع ٥٠٠م وتعد

---

(1) René lespes : Alger, Esquise de geographie urbaine. P. 8 (Alger 1925)

احسن معبر بري من السهل المتيجي الى مليانة ثم الى سهل وادي الشلف ومنه الى كل الجهات الغربية لبلاد الجزائر . اما العابر من السهل المتيجي الى الجهات الجنوبية فيسلك طريق الخانق بوادي الشفة ليصل الى مدينة المدية ، ومنها ينحدر جنوبا الى السهوب ، ومنها الى بقية المناطق الجنوبية لبلاد الجزائر .

وقد استخدمت هذه المعابر الطبيعية منذ القديم للتنقل بين شرق وغرب الجزائر او بين شمالها وجنوبها ، حيث مدت الدولة الرومانية طريقها الواصل بين الشرق والغرب عبر ممر القنطاس وسلكت جيوش الموحدين القادمة من المغرب طريق مليانة فسهل متيجة للوصول الى بجاية ومنها الى تونس ، وكانت المحلة في العهد التركي تجتاز ممر القنطاس للذهاب الى بايلك الغرب . وتجتاز ممر ثنية بني عائشة للذهاب الى بايلك قسنطينة . وفي عهد الاحتلال الفرنسي مدت السكك الحديدية و الطرق البرية القادمة الى مدينة الجزائر ضمن المعابر الطبيعية الثلاثة المتقدمة . وهي بذلك معابر استراتيجية نابعة عن الاستراتيجة الجغرافية ، وكان لها الدور الاكبر في السيطرة على المدينة . ولايمكن الاسقرار بالمدينة الابالاشراف على هذه المعابر البرية الطبيعية كما أكدها التاريخ .

وما كانت مدينة الجزائر مقتصرة في علاقاتها على السهل المتيجي فقط بل كانت علاقاتها اوسع من ذلك ، فهي تقع في اقليم وسـط لبلاد الجزائر ، و يمتد في جنحها الغربي الاقليم الوهراني ذو الخصائص الجغرافية الخاصة والمتمثلة في الكتل الجبلية غير المعقدة والسهول الواسعة والمناخ القارى والرطوبة القليلة و الغابات الخفيفة ، ويمتد في جناحها الشرقي الاقليم القسنطيني ذو الخصائص الجغرافية المتمثلة في الجبال المعقدة الشديدة الارتفاع ، الوفيرة الرطوبة ، الكثيفة الغابات ، الضيقة السهول الساحلية . (١)

ولقد كان لتوسط اقليم مدينة الجزائر أثره في ان يعد بحق اقليم العواصم ، فقامت فيه مدينة شرشال عاصمة في العهد الروماني ، ثم مدينة آشير عاصمة في عهد الدولة العبيدية وكل من شرشال وآشير والجزائر عبارة عن اقليم واحد يقع على الخط المنصف للخط

(1) E. F. GAUTIER : Structure de l'Algerie (Paris 1922)

الواصل بين الحدود الشرقية والحدود الغربية لبلاد الجزائر .

ومن الواضح ان قيمة العاصمة تقدر بما لها من علاقات داخلية وخارجية ، فلها وجهة تنظر بها لبلادها ، ولها وجهة تنظر بها لما هو خارج عن بلادها ، وعلى هذا الاساس فان مدينة الجزائر ترتبط بالاجزاء المختلفة للبلاد التي تعتبر ظهيرها وتجلب لها الخيرات المتنوعة من معادن تأتيها بالخصوص من جبال زكار ، و حبوب تنقل اليها من السهول الغربية ، وفلين يأتيها من الغابات الشرقية ، وزيتون من بلاد القبائل ، و أصواف من أقليم النجود وبترول من الصحراء ثم ساعدت المواصلات على تركز الصناعة في ضواحي المدينة الى ان اصبحت اول منطقة صناعية ببلاد الجزائر ، تتركز بها رؤوس الاموال وتتوفر بها اليد العاملة وتخدمها ميناء اصطناعي (١) ظلت الحكومات التي تداولت الحكم فى بلاد الجزائر توسع فيها الى ان اصبحت من أهم المواني تحتل المركز الاول فى نقل المسافرين وشحن الصادرات وتوزيع الواردات الجزائرية .

وتظهر الوجهة الخارجية أو علاقات المدينة بما هو خارج عن بلادها فى ان مدينة الجزائر كانت في العصور الاسلامية الاولى تمثل نقطة الصراع بين حكومات دول المغرب العربي مثل الصراع الذى كان بين الدولة الرستمية والدولة الادريسية والدولة الاغلبية ثم الصراع الذي كان بين الدولة الحفصية فى تونس والمرينية في المغرب والزيانية في تلمسان وكانت هذه الدول تتنافس فى مد نفوذها فى كثير من الاحيان ليشمل جميع القطر الجزائري بحدوده المعروفة حاليا وكانت مدينة الجزائر لاتعرف الاستقرار وسط هذا الصراع والحكم المؤقت لذلك لم تزدهر مثلما ازدهرت مدينة القيروان او تونس او فاس او مراكش او تلمسان او بجاية ويظهر هذا من خلال كتب الرحالة العرب الذين كانوا لايعيرون لها الا أهمية قليلة . ولا يخصصون لذكرها الابعض السطور فيها يذكرون أسوار المدينة وموقعها من المدن المجاورة لها وأهم عيونها وثرواتها (٢) .

(٢) الادريسي : نزهة المشتاق فى ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق . ص ٩٣ .

(1) Layes yves : Le port d'Alger

ولم تزدهر مدينة الجزائر الا في العهد التركي وذلك عندما استقرت حدودها الشرقية و الغربية و اتخذت عاصمة للبلاد ، ثم اصبحت تمثل نقطة الالتقاء بين حضارتين مختلفتين هما الحضارة الاوربية المتقدمة التي سلكت شوطا بعيدا في التطور الى ان اصبحت قوة استعمارية لايستهان بها ، وبين حضارة عربية، عطل تطورها الاستعمار الاجنبي والاوربي وكانت نظرة الجزائر في العهد التركي مركزة ناحية الشمال اوالبحر وناحية مدينة اسطنبول بالخصوص دون ان تتطلع لما هو وراء البحر الابيض المتوسط او لما هو وراء الحاجز الصحراوي ، ذلك للعلاقة العدائية الناتجة عن الاختلاف الديني بين الاوربيين من جهة الشمال، والمسلمين في شمال افريقية ثم لما للحاجز الصحراوي في الجهات الجنوبية وصعوبة الاتصال بافريقية السوداء في فترة كان فيها ركوب البحر المائي أهون وأسهل من ركوب البحر الرملي . ولا شك ان الموقع البحري لمدينة الجزائر قد ساعد الى حد بعيد الحكم التركي على بناء أسطول قوي كانت ترتعد له فرائض السفن الاوربية سواء التي كانت تقوم بالقرصنة او التى كانت تقوم بالتجارة و ذلك رغم ما كان لمدينة الجزائر من ميناء متواضعة بناها خير الدين بربروس وحصنها صلاح رائس (١) وكانت لاتتسع لأكثر من ثلاثين مركبا الا انها تعد ميناء في موقع ممتاز اكسب المراكب الجزائرية قوة ومكنها من الهجوم او الانسحاب وهي سالمة او غانمة وبالتالي مكنها من مراقبة الخطوط الملاحية الرئيسية الرابطة بين جبل طارق ثم المحيط الاطلسي في الغرب وبين مضيق تونس صقلية في الشرق ولم تستغل مدينة الجزائر موقعها البحري في عهودها التاريخية القديمة مثل ما استغلته في عهد الاتراك اذ ان جل ثورتها كانت تأتي من البحر حتى سماها الاوربيون بعش القرصنة(٢) ونسميها بعش الحلبة اذ حرفة القرصنة كانت في العصور الوسطى من السبل المشروعة لكسب الارزاق وكانت معظم الدول الاوربية المتاخمة للبحار سباقة في هذا الميدان ، حيث لازالت البحار والمحيطات تروى لنا ، بما في احشائها من صناديق معبأة بالاحجار

---

(1) M. Renaudot : tableau des royaumes de la ville d'Alger et ses environs Paris 1830 et charles Delvert : Le port d'Alger P. 11 Paris 1923

(2) Claude et paul Augé : Nouveau petit Larousse. (Paris 1522)

الكريمة ، ماذا جرى فوق ظهرها من معارك بين القراصنة الاوربيين انفسهم من اسبان وانجليز وفرنسيين ، وهي معارك اشد مما كانت تقع بين المسلمين والاوربيين ، وكان لحكام الدول الاوربية اليد الطويلة في مساعدة وتشجيع القرصنة الاوربية . ومدينة الجزائر سلكت هذا السبيل في عهد الاتراك وهي مضطرة لمجاراة ومداراة حياة العصور الوسطى.

وفى عهد الاحتلال الفرنسي أخذ الاستعمار يوسع افق مدينة الجزائر من كل الجهات خارج البلاد وداخلها ، ومدت المواصلات الى الجهات الجنوبية ، واتخذت المدينة نقطة الانطلاق الى احتلال الاجزاء الباقية من بلاد الجزائر ، والكثير من البلدان الافريقية، وراحت فرنسا تمد فى السكك الحديدية والطرق البرية لربط مستعمراتها ببعضها وتوغلت الطرق البرية نحو الجنوب ، سالكة في ذلك الاودية الصحراوية مثل وادى الساورة فى فى الغرب ووادي ايغارغار في الشرق ، الى بلدان افريقية الزنجية ثم كان للمواصلات الجوية في اواخر ايام عهد الاحتلال الفرنسي الدور الاكبر فى توجيه مدينة الجزائر نحو الجنوب وربطها بالداخل وبما وراء الصحراء الكبرى بصفة عامة . وتوسع الاستعمار فى تنظيم مطار الدار البيضاء الى ان اصبحت مدينة الجزائر من اهم النقط لمراقبة الخطوط الجوية القادمة من الشمال ، فهي احسن في الناحية الاستراتيجية الجوية من مدينة وهران القريبة من اوربا ، ذلك ما لمطار الدار البيضاء بمدينة الجزائر من موقع يساعدها على مراقبة الخطوط الجوية الرئيسية للطيران الى مسافات بعيدة . واما من الناحية البحرية فلم تظل مدينة الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي محافظة على مركزها الذي كانت عليه في عهد الاتراك بل ازداد افقها ، وغيرت علاقاتها العدائية مع اوربا الى علاقات تجارية سلمية ، وتوسع فى مينائها واستغل موقعها البحري الممتاز الذي ساعدها على التحكم في جزء واسع من الحوض الغربي للبحر المتوسط ، فهي تقع على نقطة الوسط للطريق البحري الواصل بين بنزرت وجبل طارق . ويمر بها خط زوال جزيرة ماجوركة وهي احدى جزر البليار البعيدة بحوالي ٣٠٠ كلم عن ميناء مدينة الجزائر . وأقرب رأس من اليابس الاوربي اليها هو رأس de la Nao بشبه جزيرة ايبيريا التي تبدو محتضنة

للطرف الغربي من الحوض الغربي للبحر المتوسط . وفي هذا الموقع معنى النظرة المقابلة لشبه جزيرة ايبيريا الى مدينة الجزائر . وقد كان لهذه النظرة المباشرة حوادث تاريخية منها ما وقع في عهد الاحتلال التركي الذي كانت تنطلق فيه اشهر الحملات على مدينة الجزائر من السواحل الشرقية لشبه جزيرة ايبيريا مثل حملة ديقو دى فيرا Diego de Vera التي خرجت من رأس قرطاجنة (١) بقصد ضرب مدينة الجزائر سنة ١٥١٦ ثم حملة هيقودي مانكادا Hugo de mancada في ١٧ اغسطس سنة ١٥١٨ (٢) ثم تلتها حملات أخرى يطول ذكرها وكانت الحملة الفرنسية آخر حملات اوربية على مدينة الجزائر وقدم اسطول الحملة من الجهات الغربية واستراح في اوائل يونية سنة ١٨٣٠ في Palma بالما قبل ان يتوجه الى احتلال مدينة الجزائر و النزول في سيدى فرج يوم ١٤ يونيه على الساعة الثالثة صباحا (٣) . وبعد احتلال المدينة في ٥ يولية ظلت السلطة الاستعمارية مدة طويلة تتردد في توجيه مستقبل ميناء مدينة الجزائر المرتبط بمستقبل بلاد الجزائر ثم أخيرا عدت بلاد الجزائر قطعة من فرنسا وبذلك اصبح لافرق بين ميناء مرسيليا وميناء الجزائر ، وراحت السلطة الاستعمارية تعمل بجد لتوسيع مدينة الجزائر واعطائها الطابع الاوربي الحديث وتوسيع الميناء وجرف ما بها من رواسب و ازالة ما بها من صخور ناتئة و تعميقها وحمايتها من حركات المياه البحرية الى ان اصبحت في استطاعتها استقبال السفن العظيمة . ثم ازدادت قيمة موقع ميناء الجزائر بفتح قناة السويس سنة ١٨٦٩ لايصال البحر المتوسط بالبحر الاحمر بل لايصال الشرق بالغرب ، ونشطت تجارة التوابل بين بلدان انتاجها في جنوب آسيا ، وبلدان صرفها في الاسواق الاوربية في اول الأمر ، ثم جاء دور اكتشاف البترول في المشرق العربي ، و ذلك في النصف الاول من القرن العشرين فزادت قناة السويس أهمية وازدادت بذلك مدن حوض البحر المتوسط المرتبطة بقناة السويس قيمة ، لما لهذا الطريق من فوائد عظمى منها اختصار الطريق البحري ، والتوفير الاقتصادي للوقود

(1) A Berbrugger : Le Pegnon d'Alger (Alger 1860)

(٢) محمد التلمساني . ترجمة الفونس روسو : الزهرة النيرة .ص ٥٩ .

(3) Ch. Julien. Histoire de l'Algerie contemporaine. P. U. F Paris 1964

والوقت ، ونفقات العمال ، او الرحلة بصفة عامة . وأخذت مدينة الجزائر تستفيد من هذه الرحلات فى أنها بموقع يجعلها من أحسن المحطات الاستراتيجية لتزويد السفن بما تحتاجه من مؤن ، وتصليح لما عطب منها ، اذ مدينة الجزائر اصبحت تقع فى منتصف الطريق الملاحي الواصل بين بورسعيد بالجمهورية العربية المتحدة و البحار الشمالية فى اوربا ، وجذب هذا الموقع سفن شمال اوربا الذاهبة او القادمة من والى الشرق بل وحتى المتوجهة الى بحر ايجى او البحر الاسود .

ومعنى هذا ان الموقع لمدينة الجزائر قد مر بمراحل مختلفة وتطور بتطور الظروف التى مرت بها المدينة .

٦ ــ الموضــع

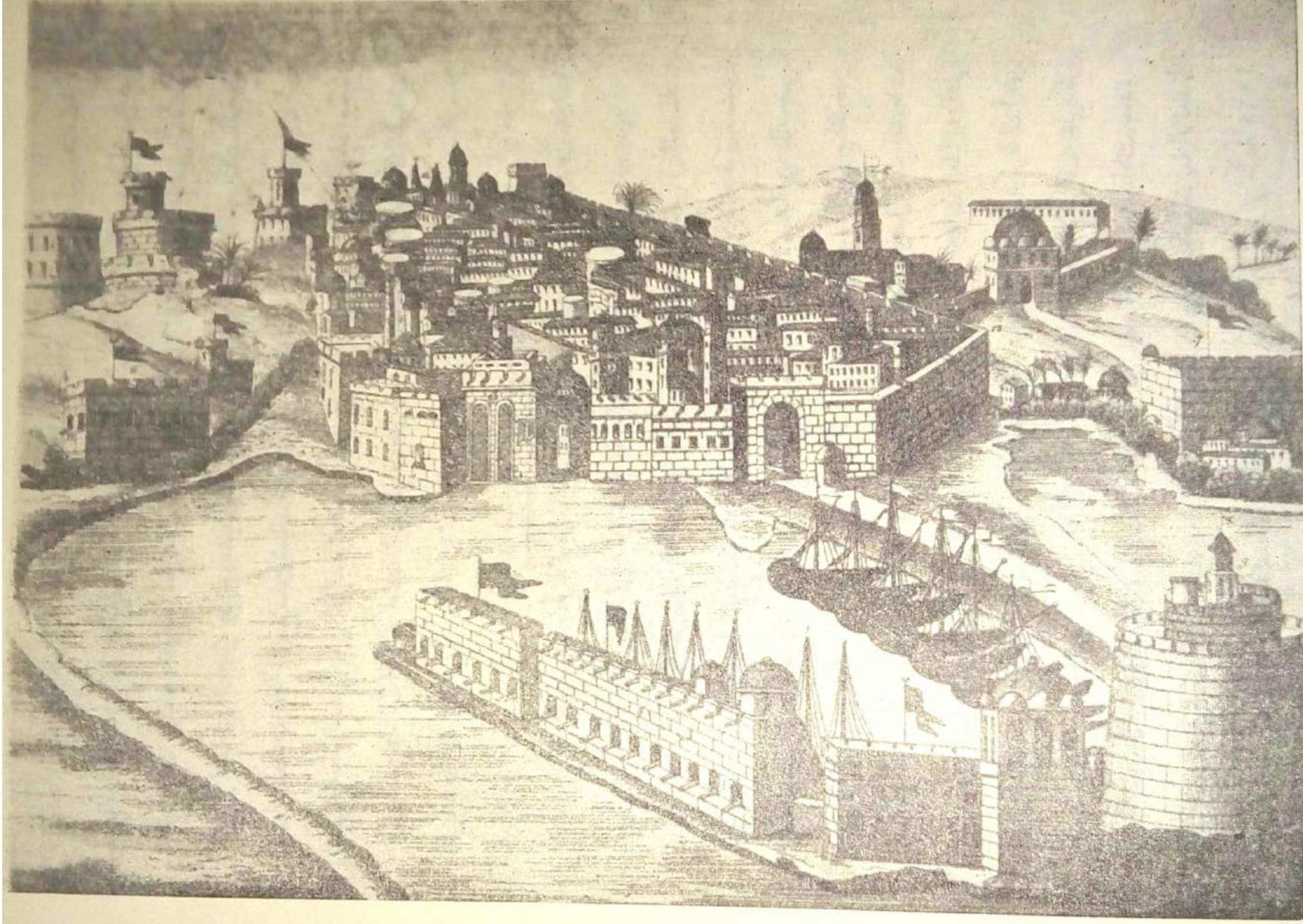
ونعني به الحيز من سطح الارض الذي تشغله المدينة مع ما لهذا الحيز من مميزات تتعلق بوضعه الطوبوغرافي (١) والموضع له اهمية كبرى فى تخطيط المدن .

وتحتل مدينة الجزائر النهاية الشرقية لجبل بوزيعة وهو جبل ينتهي فى الجهات الشرقية بعدة نتوءات منها ثلاث رئيسية ، فالنتوء الاول يقع على ارتفاع ٢٤٠م فوق مستوى سطح البحر ويحمل حي الابيار ، والبروز الثاني يرتفع الى ٢١٦ مترا بني عليه حى الامبراطور ، والنتوء الثالث يعلو ١٢٠مترا فوق مستوى سطح البحر ويبدو كالمدرج المنحدر نحو الحي البحري أسست عليه المدينة القديمة او حى القصبة . ويفصل تلك النتوءات الثلاثة عن الكتلة الرئيسية لجبل بوزريعة وادي ابن الازهر في الجهات العليا ووادي مغاسل فى الجهات الوسطى ثم ما يعرف بباب الوادى فى الجهات السفلى وقد ذكرنا ان أعلى نقطة في جبل بوزريعة تقع على ارتفاع ٤٠٧م ومن هذه القمة يمكن الاشراف على كل احياء المدينة القديمة والحديثة وحراسة ما يجاورها من البر والبحر على مسافات بعيدة .

وتنحدر من جبل بوزريعة عدة شعاب فى كل الاتجاهات وهي شعاب سريعة الانحدار

---

(١) د. يوسف توني : المصطلحات الجغرافية . دار الفكر العربي طبعة ١٩٦٤ صفحة ٥٠٧ .



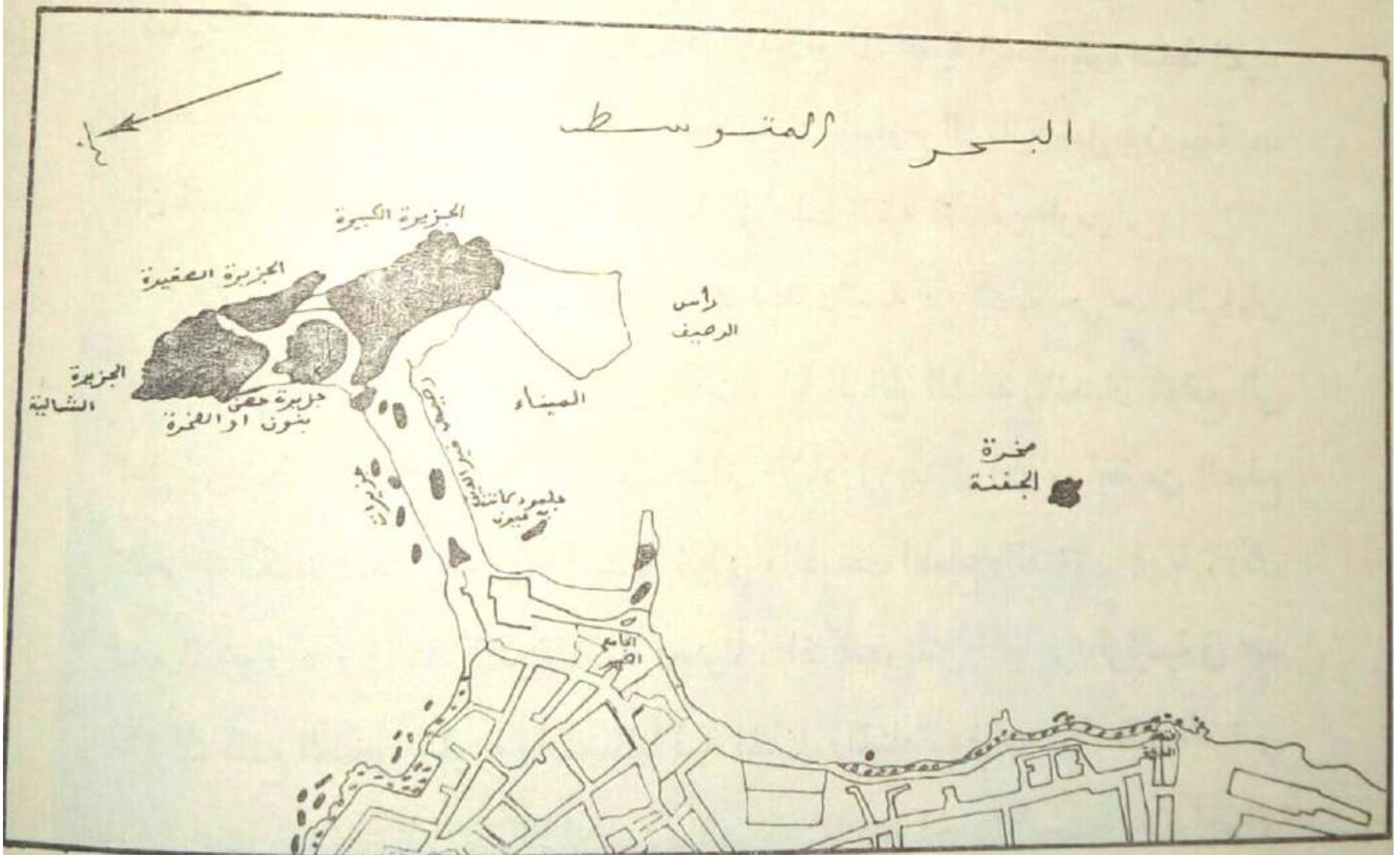
مدينة الجزائر فى العهد التركي .

وقصيرة جدا في الجهات الشمالية مثل شعبة بينان وكاف حسر والملاح وبوانت بيسكاد ومفاسل . والشعاب التي تصرف السفوح الغربية تتجمع كلها فى وادي بني مسوس ، وهي شعاب الين انحدارا واوفر ماء و اشجارا واكثر ملاءمة للزراعة من شعاب السفوح الشمالية للبحر التى تنتهى بخليجات تحيط بها حافات تفصلها عن البحر، ويتراوح ارتفاع هذه الحافات بين العشرة والعشرين متر ، ولاتظهر الزراعة على السفوح الشمالية الا فى مساحات محدودة للغاية و هي عبارة عن مصاطب ضيقة جدا تظهر على السفوح الدنيا وتختفي تماما على السفوح العليا الشديدة الانحدار والاكثر عرضة لعملية الانجراف ، ويمكن اعتبار منحنى التسوية او خط كنتور ٢٠م فاصلا بين سفح اعلى شديد الانحدار وبين سفح ادنى قليل الانحدار يمتد حتى البحر . وفي هذا السفح الاخير تزدحم المباني المرصوصة على المدرج الاخير او الادنى لجبل بوزريعة ، ولا يزيد عرض هذا المدرج عن ٣٠٠م بل كثيرا ما قل عن ذلك اما طوله فيمتد من بلكين الى رأس ككسين على مسافة ثمانية كيلومترات تقريبا . وقد تعرض هذا المدرج الى عملية النحت بقوة ضغط المياه البحرية ثم غمرته رواسب المرافض المنحدرة من السفوح الشمالية لجبل بوزريعة بعد ان انحسرت او انسحبت عنه المياه البحرية التي ظلت تغطيه فترة من الزمن .

ولا يتسع هذا المدرج قليلا الا في ثلاث نقط رئيسية هي نقطة حي حمام الرومان ونقطة حي بوانت بيسكاد ونقطة حي بلكين . اما السفح الشديد الانحدار الواقع الى اعلى من خط كنتور ٢٠م فلا تظهر عليه المباني الانادرا ، ويحتل أكبر مساحة من السطح تظهر به تكوينات متداخلة من الشيست الطيني والشيست اللماع والصخور الجيرية . وكان لهذه الاخيرة دور فى بناء المدينة قديما وحديثا ، اذ كانت تمثل المحاجر الرئيسية فى عهد الاتراك لقلع الصخور الجيرية واستعمالها لبناء المنازل والميناء ، وفي عهد الاحتلال الفرنسي أسس عليها مصنع بونات بيسكاد للاسمنت وهو مصنع ينتج اجود الاسمنت ببلاد الجزائر لجودة ونقاوة صخورة الجيرية .

وتتألف كتلة جبل بوزريعة فى معظمها من تكوينات ترجع الى الزمن الاول

تعرضت الى حركة أفيقة ادت الى ظهور التواءاتها المحدبة الحادة و المائلة نحو البحر ، لذلك كانت المباني الواقعة على السفوح الشمالية محصورة جدا بين البحر والجبل وهي تأخذ من البحر اكثر مما تأخذه من الجبل ، حتى ان البعض منها بنيت على أعمدة او سوارى قائمة فى المياه البحريه . ويرسم الشاطىء الممتد من بوانت بيسكاد الى مصب وادي الحراش منحنين متباينين أحدهما محدبا والآخر مقعرا . فالشاطىء الغربي ضعيف التحديب والشاطىء الشرقى شديد التقعير ، يتقاطع المنحنيان ، المحدب و المقعر ، فى اقصى الجهات الشرقية للكتلة الرئيسية لبوزريعة . ونقطة التقاطع كانت في القديم قرنا يابسا او كانت تمثل ما يعرف بالرأس المتعمق في البحر وكان هذا القرن يقع فى موضع مواجه لشدة الرياح الشمالية والشمالية الشرقية مما ساعد على تركز شدة نحت الامواج لهذا القرن الى ان حولته بمرور الزمن الى بروز ضيق ثم تتابعت عملية نحت الامواج الى ان قطعت هذا البروز الى اجزاء منها الجزر الاربعة القديمة التي اشتقت منها مدينة الجزائر



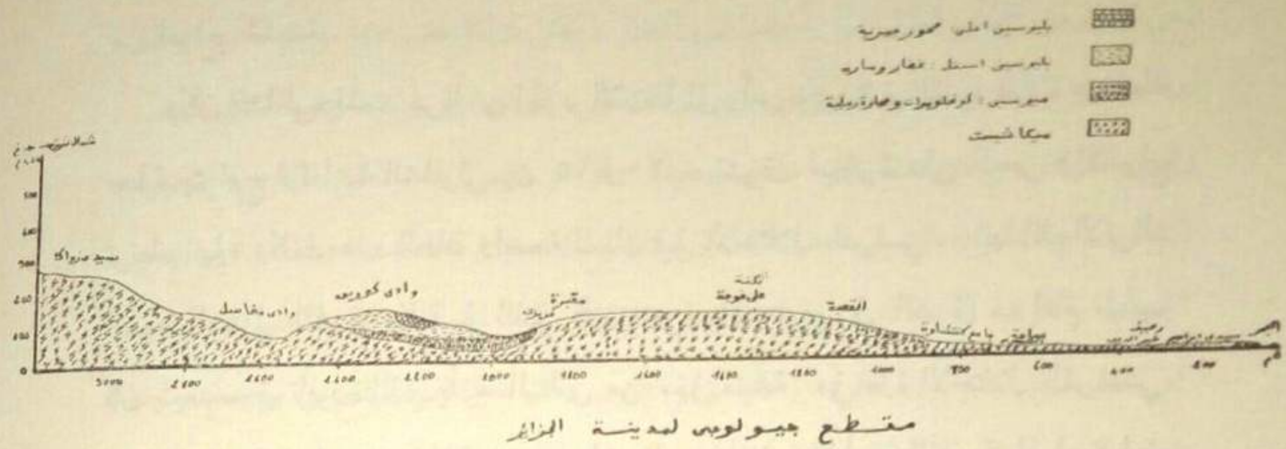
جزر قديمة اشتق منها اسم مدينة الجزائر

اسمها. وقد كان لهذه الجزر الدور الاكبر في اختيار الفينيقيين لموضع انشاء محطة تجارية وميناء متواضعة تحميها النتوأت الصخرية طبيعيا من الرياح الشمالية وما تدفعه أمامها من امواج شديدة.

وكان الشاطىء الممتد شرقا من الجزر الاربعة الى رأس تافورة فى القديم عبارة عن حافة جبلية يتراوح ارتفاعها الشاقولى بين ١٥ و ٢٠م، تشرف مباشرة على البحر والامواج ترتطم بها، وكانت هذه الحافة واضحة للعيان قبل الاحتلال الفرنسي، عليها اقام الاتراك السور الشمالي الشرقى للمدينة الذي كان ينتهى بباب عزون فى الشرق، وامام الباب كان ينعقد سوق تافورة الذي يأتيه الناس من سهل متيجة. وفي فترة الاحتلال الفرنسي ادخلت تغييرات على هذه الحافة حيث حولت الى مخازن، والجبهة البحرية المواجهة لها اصلحت لانشاء الارصفة والاحواض المائية لارساء السفن، كما ازيلت صخور كثيرة كانت ناتئة فى هذه الاحواض، مثل صخرة الجفنة التي سمى عليها حوض الجفنة المقابل لرأس تافورة، وصخرة العين الباردة التي تقع عليها حاليا مباني رصيف الصحة. اما سوق تافورة فحلت محله المباني، وطريق القنطرة الصاعد الى البريد المركزي حاليا وفى الجهات العلوية للحافة بنيت مدينة الجزائر المجاهدة، كما كان يسميها العرب فى العهد التركي اوالمدينة القديمة اوالقصبة كما نسميها حاليا، في مدرج منحدر يشبه مقلعا للطباشير نحت في قلب نتوء من تكوينات الميكاشيست القديمة، والمدرج يقابل رأس تامفوست الواقع على الشاطيء الشرقى لخليج الجزائر بحيث يمكن للناظر من سطوح منازل القصبة رؤية قرية تامنفوست القديمة المقابلة لمدينة الجزائر بسهولة، اذ لايزيد طول قطر فتحة الخليج عن ١٩ كلم. ويحيط بمدينة الجزائر القديمة وادي ابن الازهر من الغرب والبحر من الشمال والشرق، وسلسلة من الاعراف فى الجنوب وبذلك بنيت في موضع محصن طبيعيا من كل الجهات، فوق تكوينات مختلفة فى القدم منها ما ترجع الى الزمن القديم ومنها بليوسينية منفذة تتركز على تكوينات ساحلية من المارن، غير منفذة، اعتبرها فيشر(١)

(1) E. Ficheur : Notice de la carte geologique

طبقة خازنة للمياه التي تظهر فى عدة نقط ، وبالخصوص في الجهات الشرقية . والخريطة الجيولوجية الحديثة تبين ان حي القصبة بني فوق تكوينات الميكاشيست التي ترجع للزمن القديم



مقطع جيولوجي لمدينة الجزائر

واحياء اخرى بنيت فوق تكوينات بليوسينية . و الاعراف الحامية للمدينة القديمة من الجنوب تنطلق من الابيار على ارتفاع ٢٤٠م ثم تأخذ في الانحدار الى ان تصل الى وادي الحراش ، وتسير في اتجاه منحني مقعر وموازٍ للخليج ، و تتكون هذه الاعراف من صخور رخوة ترجع في معظمها الى عصر البلايوسين فى منطقة مصطفى ، وتغلب عليها صخور الغنايس فى منطقة الآغا ، والرمال الحمراء فى منطقة بئر الخادم والقبة وحسين داي ثم تكوينات أحدث مثل التوفنة فى وادي كنيس وبئر مراد رائس . ولقد تعرضت هذه الاعراف الى عمليات النحت المائي أكثر من تعرضها الى الحركات الالتوائية بدليل ظهور طبقات من الرواسب مازالت محافظة على وضعها الافقي فى وادي كنيس وعلى طول شارع محمدي . والسفوح العليا الشمالية لسلسلة الاعراف منها ما ترجع فى تكويناتها الى الزمن الرابع كانت تغطي ساحلا بارزا وجزءا من رصيف قاري ينتهي بحافة قليلة الانحدار فى البحر . ويمكن اعتبار منحنى التسوية ٥٠م هو الحد الفاصل بين الرصيف الحتى الساحلي ومنطقة السفوح العليا للاعراف . فالرصيف الحتى الساحلي يتميز بقلة انحداره واتساعه ليشمل مساحة تزيد عن ٣٠٠ هكتار تغطيه تكوينات لينة حديثة ، اتجهت نحوها المدينة

في توسعها اول الامر في عهد الاحتلال الفرنسي اذ تحمل الاحياء الحديثة مثل حي اول مايو وحي بلكور والحامة وحسين داي اما منطقة السفوح العليا للاعراف فتتميز بشدة الانحدار وبالخصوص سفوح حى بلكور او سيدي امحمد حيث تقل المباني وان هي ظهرت فهي عبارة عن مباني معلقة يصعب الوصول اليها . وقد كان لشدة الانحدار هذا دور في توجيه توسيع المدينة الحديثة نحو الشريط الساحلى او الرصيف الحتي الساحلي الذي يقع دون خط منحنى التسوية ٥٠م ، والممتد من الغرب الى الشرق او من حي البريد المركزي الى ما وراء مصب وادي الحراش . وقد كان هذا الرصيف الحتي قديما عبارة عن مدرج من تكوينات الزمن الرابع (١) يقع على ارتفاع يتراوح بين ١٥ و ١٨ متر ، تعرض تارة الى هجوم المياه البحرية وتارة الى انحسارها ثم غطته رواسب جاءت بها السيول المنحدرة من السفوح الشمالية لسلسلة الاعراف .

ويمتد خليج الجزائر من بوانت بيسكاد الى رأس تامنفوست في شكل نصف دائرة قطرها المساير لمنحني عمق ١٠٠ متر يبلغ طوله نحو ١٩ كلم وقوسها الذي يمثل خط الشاطىء يبلغ طوله حوالي ٣١ كلم وهي المسافة البرية ما بين بوانت بيسكاد ورأس تامنفوست ونشأ خليج الجزائر عن انكسار خسف بالمنطقة في أواخر الزمن الثالث وهو الزمن الذي غطست فيه القارة التيرانية القديمة تحت مياه البحر المتوسط ، وأدى هذا الانكسار الى هبوط خليج الجزائر وظهوره في مستوى دون مستواه العادي ثم تعرض الخليج الى حركة اوروجنية أفيقة عرفت بالتواء ما بعد الاستيان Post astien (او اواخر الزمن الثالث) استمرت هذه الحركة الى مطلع الزمن الرابع ، وفي هذه الفترة تعرض سهل متيجة الى الهبوط كما تعرضت جبال الاطلس الى التشكيل النهائي وتلال الساحل الممتدة من شنوة الى بوزريعة الى التحديب النهائي .

---

(1) Alain Grovel : Contribution à l'etude sedimentologique des baies d'Alger Berrard. Thèse de doctorat 3e cycle sontenue le 3 - 2 - 1961 à l'Université d'Alger.
Jean Cabot et André Bernant. Observations sur le Quaternaire dans le sahel d'Alger. Annales Algériennes de geographie. 3e année No 5 janvier juin 1958 . P. 77
A. Ayme : Le quaternaire des environs d'Alger. Actes du congrés Panafricain de préhiotoir 11e sesion (Alger 1952)

ويظهر الوضع الاقيانوغرافي لخليج الجزائر في خطوط عديدة للانكسارات ، من أهمها خط انكسار عمق ١٠٠م وخط انكسار يتبعه خليج الآغا ويقع على مستوى أعلى من الاول وكل هذه الانكسارات تقع في الرصيف القاري ، المنحدر ببطء بصفة عامة ، ابتداء من الساحل الى خط عمق ١٠٠ م ، البعيد بنحو الثمانية كيلومترات عن شاطيء الحامة ، ثم تشتد الاعماق . و هناك انكسارات اخرى اصابت اليابس المجاور للخليج وكانت لها نتائج في جعل المنطقة ضعيفة ، وعرضة للزلازل التي ظلت تهز مدينة الجزائر من حين لآخر و في فترات متباعدة ، من أهمها زلزال ١٧١٦ الذي خرب نصف مباني المدينة وزلزال ١٧١٨ الذي دام نحو ٩ اشهر (١) . والزلزال الذي صاحب الحملة الفرنسية سنة ١٨٣٠ . ويلاحظ على خطوط الاعماق المتساوية انها شبه متوازية ، ومتباعدة عن بعضها في عرض الخليج والجهات المقابلة لوادي الحراش ووادي الخميس ، وتتقارب من بعضها في نقطتي الجزر ورأس تامنفوست مما يدل على الانحدار الشديد والاعماق البعيدة فيما وراء الخليج ، ولقد كان لهذة الاعماق البعيدة أثرها على حرفة صيد السمك لسكان المدينة الذين لم تساعدهم الظروف الطبيعية من رصيف قاري ضيق على صيد البحري

وتغطي قاع الخليج رواسب ساحلية حديثة منقولة ، نقلت الجزء الاكبر منها مياه وادي الحراش ووادي الخميس ، لذلك كانت خطوط الاعماق تنحني نحو الداخل في الجهات المقابلة للواديين . وتغطي قاع الخليج أيضا رواسب اخرى محلية ، من رمال خشنة واخرى دقيقة ، في الاعماق الضحلة جدا التي تتراوح بين الصفر و٢٧م . ثم الطمى ونباتات الالق والصخور الجيرية المعروفة بالبوليبير Polypiers على اعماق تزيد عن ٢٧م .

والدراسات الهيدرودينامية لمياه الخليج دلت على ان حرارة مياه سطح الخليج هي 14,5° في شهر يناير و 24° في شهر اغسطس ، كما دلت على وجود تيارين ، أحدهما محيطي دائم الكثافة وابرد من مياه البحر الابيض المتوسط سرعته نحو النصف كيلومتر في

(1) H. D. De grammot : correspondance des Consuls d'Alger. p. 131 a 133 M.Bonnafont : geographie médicale d'Alger et de ses environs P.39

الساعة قادم من المحيط الاطلسي عن طريق مضيق جبل طارق ، يصطدم جزء منه بالساحل الشرقي للخليج بالقرب من رأس تامنفوست ثم يتحول الى تيار عكسي قادم من الشاطيء الشرقي للخليج نحو الشاطىء الغربى . و التيـار الثاني هو تيار سطحي محلي ناتج عن الرياح والانخفاضات الجوية والاختلاف الحراري بين اليابس والماء .

ولايساعد الموضع الطبيعي لخليج مدينة الجزائر على انشاء ميناء طبيعية حيث ان هذا الخليج مفتوح للرياح الشمالية والشمالية الشرقية التي تدفع أمامها امواجا كبيرة لاتساعد على رسو السفن الا بانشاء كاسرات الامواج ، وهو العمل الذي قام به الاتراك ثم الاستعمار الفرنسي لحماية حوض الاغا وتوسيع الميناء القديمة . وفي المقارنة بين الشاطيء الغربي والشاطيء الشرقي للخليج يظهر ان الشاطيء الغربي أكثر ملأمة لأنشاء الميناء ذلك ان الشاطيء الشرقي أكثر انفتاحا ومواجها للرياح الشمالية الغربية المثيرة للامواج ، وتكثر به الرواسب حتى ان خط عمق ١٠ امتار يبعد بنحو الكيلومتر فقط عن البر ، معنى هذا ان السفن الكبيرة التي تحتاج الى عمق عشرة أمتار من المياه ، ترسو وهي بعيدة عن البر بنحو الكيلومتر . وعلى العكس من ذلك الشاطيء الغربي للخليج الذي قاد الفينيقيين في اول الامر الى اختياره موضعا للميناء ثم انتخبه الاتراك وتوسع فيه الفرنسيون ، ومشت عليه الجزائر المستقلة .

٧ ـــ اثر الموضع على تخطيط المدينة

ان الموضع الذي بنيت عليه مدينة الجزائر القديمة قبل الاحتلال الفرنسي ينقسم على اساس التضاريس الى منبسط ضيق على نحر البحر ، و الى ربوة يزيد ارتفاعها عن المائة متر تشرف على البحر . اما المنبسط فهو الموضع الاول الذي خطط فيه الفينيقون الاولون المدينة العتيقة او ايكوسيم التي اندثرت وعفت رسومها الى الابد . وربما كانت تمتد ايكوسيم الفينيقية حتى الجزر القديمة ، ولاندري عن انهجها وتخطيطاتها الا الشي القليل الذي يزداد غموضا كلما تعمقنا فى التاريخ . اما الربوة فهي التي بنى فوقها الاتراك ومن قبلهم العرب حي القصبة ، وتتألف الربوة كما سبق من تكوينات الشيشت التي كانت تنحدر منها مسيلات وحداويل وشعاب عديدة نحو شارع باب عزون ـ باب الوادي ، او نحو المنبسط

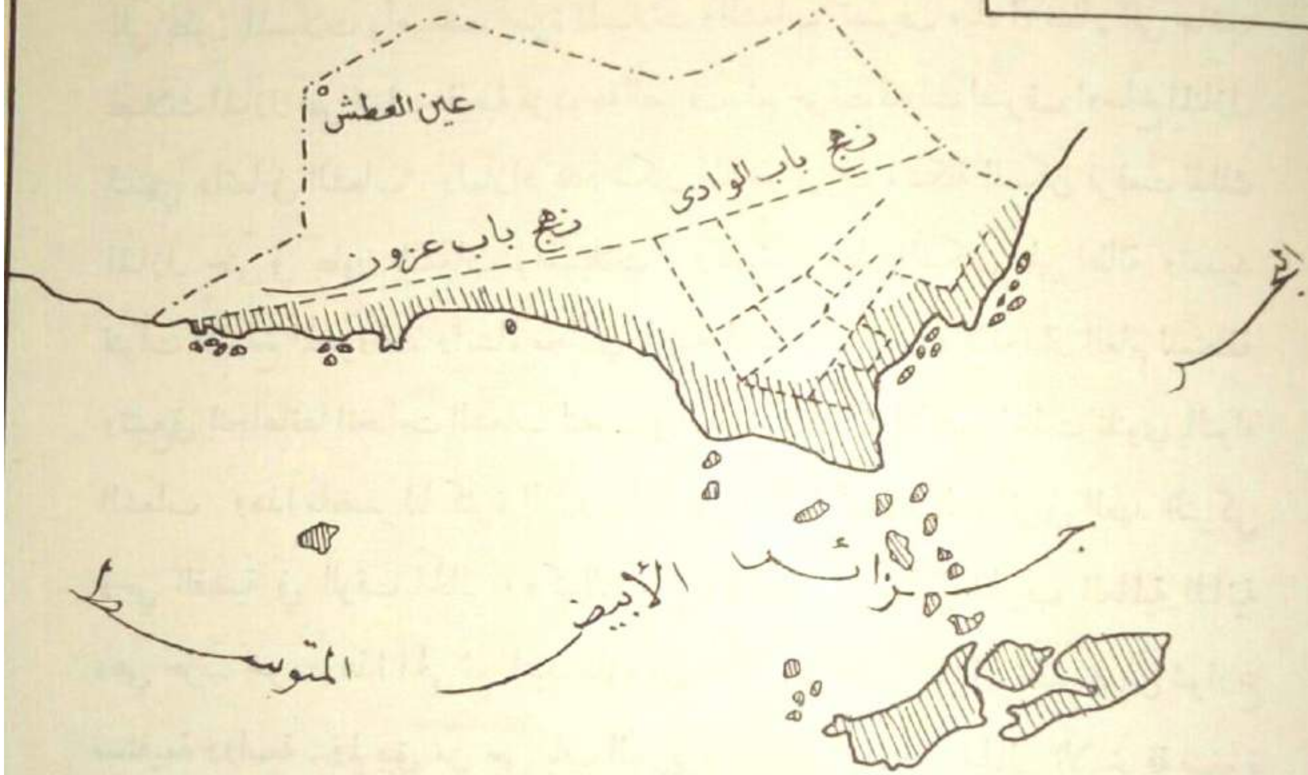
اهمها شعبة تنطلق من قمة ربوة القصبة وتمر بالقرب من نهج ميدي Medée لتخرج في باب عزون وبذلك تمثل هذه الشعبة الحد الطبيعي الجنوبي الشرقي للمدينة ، ثم شعبة تنطلق من قمة القصبة ايضا لكنها تنحرف الى الشمال لتمر بالقرب من نهج القصبة ثم لتخرج في باب الوادي وبدلك تمثل الحد الطبيعي الشمالي الغربي للمدينة . والشعبتان المذكورتان اعطتا فى اتجاههما لمدينة الجزائر القديمة شكل المثلث المتساوي الاضلاع . قاعدته تسير وخط الشاطيء ، وقمته تنطبق على قمة القصبة او تنطبق على النقطة التي كانت تنطلق منها الشعبتـان .

وكانت مياه الامطار تتبع في جريانها نحو البحر تلك الشعاب وكذلك المسيلات ، على ان نسبة من مياه الامطار كانت تتسرب خلال الشقوق والفوالق لصخور الشيست على الربوة قبل وصولها الى البحر فتتحول بذلك الى مجاري باطنية او الى عروق مائية باطنية لاتلبث ان تظهر من جديد فى شكل عيون عند مجاري البطون الدنيا للشعاب ، وعند ساحة الشهداء بالخصوص مثل عين سلطان بالقرب من الجامع الكبير وعين العطش وعين الصباط فى منخفض نهج البحر الاحمر ، وعين الشيخ حسين فى منخفض نهج الزرافة والعين الجديدة فى منخفض نهج ريقار ، وعين العلج فى نهج حيدرة . وهى عيون قد استفاد منها السكان القدماء من اهالي وفينيقيين قبل نشأة السواقى والقنوات .

ولقد مرت مدينة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسى بانواع مختلفة من التخطيطات منها التخطيط الشطرنجي الذي يرجـع الى العهد الروماني ، ويتميز بشوارعه وانهجه المستقيمة والمتبعة فى اتجاهاتها لخطوط التسوية ، مثل شارع الكاردو ، وشارع الديكيمانوس ويظهر ان الشارع الاول او الشارع الرئيسى (كاردو) كان ينطبق في امتداده من الجنوب الى الشمال على شارع باب عزون - باب الوادي حاليا . اما الشارع الثاني (ديكيمانوس) فكان يمتد من الشرق الى الغرب وينطبق تماما على نهج لامارين الحالي . وتتصل بالشارع الاول والشارع الثاني انهج مستقيمة في كل الاتجاهات تنتهي عند الاسوار .

ولقد سن الرومان لهذه الانهج والشـوارع قوانين صارمة منها معاقبة الذين يرمون

الاوساخ بها ، وكلفوا موظفين لاصلاحها وترميمها ومنع السكان من نشر الملابس فوق الشبابيك المقابلة لها .



والتخطيط الثاني هو التخطيط الاختباطى الذي حدث للمدينة فيما بعد العهد الروماني فوق الربوة ، الى اعلى من خط كنتور باب عزون - باب الوادي ، فيه تسلقت المباني وتدخلت الانحدارات فى امتداد الانهج وتصفيف المنازل ، والتخطيط العمرانى بصفة عامة فاتبعت الانهج فى امتدادها بطون الشعاب مرة ، والاذرع مرة اخرى

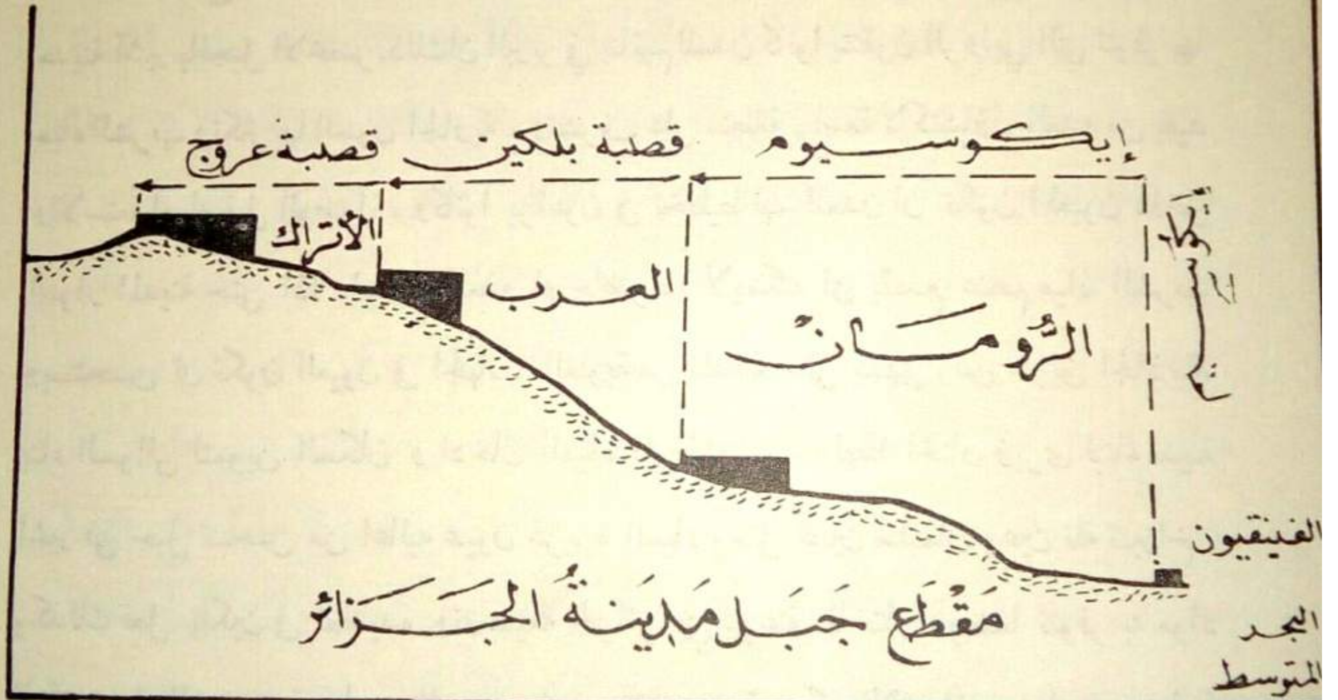
ذلك ان هذا التخطيط الاختباطي لم يكن خاضعا لبرنامج معين او لتسطير مسبق ، بل ان العشوائية والحاجات الفردية كانت لها اليد العليا فى بناء المنازل ومد الانهج ، دون مراعاة للمستقبل ومايفرضه النمو العمراني . لذلك ساد التشابه في التخطيط لهذه الفترة بين القرى الجبلية فى جبال الاطلس وبين حي القصبة فى مدينة الجزائر اي ان الخطيط كان قرويا بريا او جبليا معقدا اكثر منه مدنيا اوحضاريا منظما . فالانهج اتبعت في سيرها للمرحلة الاولى، لما بعد العهد الروماني،خطوط الارداف أولا،أى أصبحت تتقاطع وخطوط الكنتور بدلا من سيرها مع خطوط الكنتور . وفى المرحلة الثانية أو في العهد التركي عندما اشتد نمو السكان ، وعاقت الاسوار اتساع وانتشار المبـــاني تزحزحت الانهج من الارداف الى بطون المسيلات وأصبحت أسرة المسيلات والشعاب تصرف مياه الامطار الى جانب فضلات المنازل فهي قنوات طبيعية مزدوجة الصرف، ثم خزنت قنوات لصرف اوساخ المنازل لتنتهي دائما فى الشعاب . ولمازاد عدد سكان المدينة ظهرت مشكلة السكن فرفعت لذلك المنازل حتى في بطون الشعاب والمسيلات ، وعندئذ اضطر السكان على اطالة وتمديد قنوات الاساخ المخزونة ، وانشاء مجاري باطنية للفضلات تسير والانحدار العام للمنطقة وتتبع فى اتجاهاتها انحناءات الشعاب لتصب فى البحر ، وكذلك الانهج اخذت تلتوي بالتواء الشعاب . وهذا مايفسر لنا كثرة الدروب والانهج الملتوية لمدينة الجزائر في العهد التركي وحي القصبة في الوقت الحالي ، وكذلك حي باب الجزيرة قبل الحرب العالمية الثانية وهي حرب خربت هذا الحي ثم اعيد بناؤه من جديد لكن على الطراز الحديث من شوارع مستقيمة وواسعة . ولم يبق من حي باب الجزيرة القديم في الوقت الحالي الا خرقة صغيرة محصورة ومنعزلة على الشاطيء . و يلاحظ على دروب القصبة انالكثير منها واقع فوق قنوات قديمة لصرف الاوساخ ، وانها كانت مرصوفة بالحجارة الجيرية الزرقاء حتى مطلع الاحتلال الفرنسي ثم اعيد ترصيفها بالحجارة وبناء الادراج بها فيما بعد ١٨٣٤ وهى الادراج التى تكثر في دروب القصبة فى الوقت الحالي حتى يمكن ان نطلق عليهـا حي الادراج او السلاليم .

وعلى اساس التخطيطات المختلفة التي مرت بها مدينة الجزائر منذ العهد الفينيقي الى سنة ١٨٣٠ يمكننا تحديد اتساعها فى العصور المختلفة ، ومن المسلم به ان المدينة اعيد ترميمها وتجديدها وتوسيعها عدة مرات . فاعاد العرب بناءها اولا فى الموضع الذى اختاره لها الفينيقيون والرومان من قبلهم لاسباب : منها ان الموضع توجد به شوارع وانهج قديمة لاتحتاج الى تخطيط جديد بل يكفي استصلاحها وترميمها لتؤدى وظيفتها على أكمل وجه ، ثم ان الموضع تتوفر به مواد البناء من حجارة كانت لأسوار ومنازل رومانية فاستعملها العرب فى بناء منازلهم ورفع اسوار المدينة من جديد . ومنها ان الموضع جيد للتجارة وقريب من البحر ويمثل النقطة الاولى للمواصلات بين البر والبحر ، تتوفر به مياه الشرب ، والخضر من البساتين اوحدائق القصبة . ولقد ادى ازدهار تجارة جزائر بني مزغنة الى ازدياد عدد سكانها وحينئذ اخذ الشعور يزداد نحو توسيعها وكانت الاسوار العتيقة المحيطة بها تحول دون ذلك فاتجه السكان اولا نحو اعالى الربوة الواقعة الى الجنوب الغربي من خط كنتور شارع باب عزون - باب الوادي - واخذت المباني والديار تحل محل الحدائق والبساتين ، ويظهر ان اول موضع اتجه نحو العمران فى العهد الاسلامي الاول هو الموضع الذى يوجد به جامع سيدي رمضان حاليا حيث توجد به عين الصباط وتقل به الانحدارت وهو موضع ملائم تماما لامتداد العمران ويساعد عليه .

وفى اواخر القرن الخامس عشر للميلاد زادت هجرة الاندلسيين من اسبانيا نحو جزائر بني مزغنة وبذلك زادت ضرورة التوسع العمراني مرة اخرى وزادت حاجة الحضر الى المساكن . واختار الاندلسيون المواضع العالية من القصبة اتي يظهر منها البحر جيدا وبذلك اشتد ازدحام المباني فوق الارداف ومتون الروابي وبطون المسيلات ورفعت المنازل فوق السفوح وفي مواضع الحدائق . ولاشك أن منازل متون الروابي ظلت تحتل الميزة المطلوبة والقيمة المرتفعة لدى السكان نظرا لموقعها المشمس والجميل ، اذ من شبابيكها المطلة على البحر يمكن الاشراف على مساحة واسعة من البحر والبر، ورؤية القادمين من بعيد .

وبعد سنة ١٥١٦ بدأت الجزائر تستقبل افواجا اخرى من المهاجرين زيادة عن أفواج الاندلسيين اذ جاءها هذه المرة عروج ومعه عدد من الاتراك وعدد آخر من سكان شرق الجزائر الذين آزروه وناصروه فى شرق البلاد و منهم سكان قبيلة تيكسانا Texana من جيجل الذين أوكل اليهم الاتراك تموين الانكشارية طيلة العهد التركي بالجزائر، اما الاندلسيون فقد بلغ عدد منازلهم سنة ١٦٠٩ حوالي ٣٠٠ منزل . ونتج عن هذه الهجرات الضغط السكاني مرة اخرى على المباني الواقعة داخل اسوار المدينة ، وهي اسوار كانت ضرورية لحماية المدينة من حقد العدو المسيحي الذي هاجت عصبيته في هذه الفترة بالذات. وحينئذ تعارضت مصلحة الحماية ومصلحة التوسيع لمدينة الجزائر التي انتقل عدد سكانها من ٢٠ الف نسمة سنة ١٤٥٠ الى ٣٠ الف نسمة سنة ١٥١٨ ثم ٦٠ الف سنة ١٥٨٠ ثم ١٠٠ الف سنة ١٦٣٤ ثم الى اكثر من مائة الف نسمة سنة ١٧٥٥ . وبدأ عروج سنة ١٥١٦ مشروع توسيع المدينة الذي استمر طيلة ٨٥ سنة فيها مدت المباني نحو الجهات العليا من القصبة وهي الجهات التي مازالت تحمل اسماء اثرية للاتراك مثل نهج المماليك ونهج الانكشارية . ورأى المخططون الاتراك ضرورة تشديد اسوار المدينة مرة أخرى واطالتها نحو الجهات الجنوبية الغربية بالخصوص بدلا من الجهات الشرقية التي يحميها البحر وبدلا من الجهات الشمالية التي تحميها الانحدارات الشديدة ، ثم ان الجهات الجنوبية الغربية بحكم شدة ارتفاعها تساعد اكثر من الجهات الاخرى على مراقبة سفن العدو. ورغم هذا التوسع فان مشاكلة السكن ظلت قائمة لتكاثر السكان وتعقيد المنطقة اذ ليس من السهل ايواء عدد كبير من البشر في منطقة محصورة وحمايته من العدو الذي يتربص به الدوائر . ولذلك بدأت المساكن تتزاحم واخذت الديار ترفع فى كل شبر يمكن البناء فيه بالمدينة ، فعمرت الحدائق والشعاب واسرة المجاري . ثم تسلقت المباني فوق بعضها البعض مثل حبات عنقود العنب بعد ان غزت حتى الانهج القديمة منها و الحديثة ببناء طابق ثاني اوسع فوق الطابق القديم . وركز الطابق الثاني على اضلاع مائلة مثبتة على الطابق الواقع في الاسفل بحيث تحولت معظم الانهج في الاخير الى انفاق ودروب لاتظهر منها

الشمس بمجرد قلب النظر الى السماء الابمشقة ، بل منها ما لاترى الشمس طوال اليوم فعامل الحماية وعامل توفير المساكن دفعا بالاتراك الى بناء حي شديد التسلق والتركيب فوق القصبة العليا بدلا من القصبة الدنيا التي بناها بلكين سنة ٩٥٠م . وبذلك نلاحظ قصبتين في مدينة الجزائر ، قصبة بلكين وقصبة عروج .



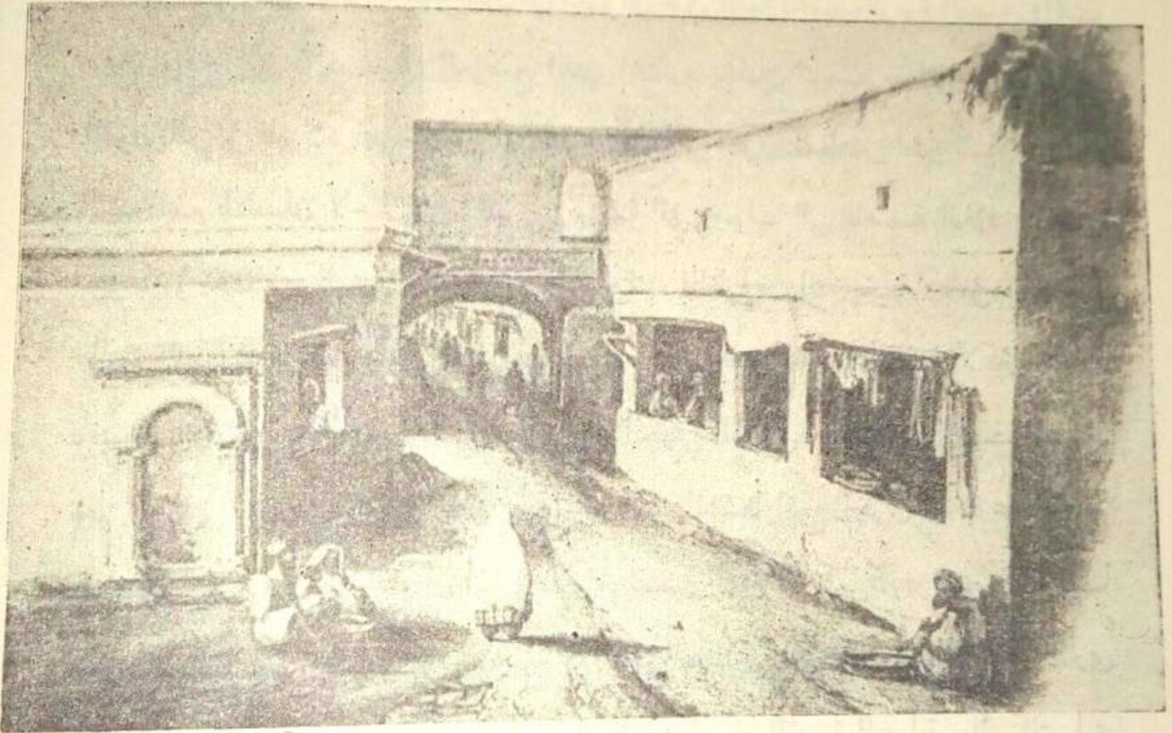
اما قصبة بلكين فكانت تمتد فيما بين خط يتبع شارع باب الوادي - باب عزون - وخط نهج بالمى وانيبال ، اي بين خط كنتور ٢٠ متر و ٨٠ متر تقريبا . وكان السور المحيط بمدينة بلكين ينطلق من باب عـــزون ليمر بالانهج التـــالية : Rue des dattes

Palmiers, Ramadan, Annibal, Centaure, Médée ، ثــم ينحني جنــوبا ليخــرج فى باب الوادي بالقرب من حديقة سيدي عبد الرحمن الحالية . والمتتبع لخط هذا السور يلاحظ انه كان لايسير فى استقامة واحدة بل كان عبارة عن خط منكسر يشبه اضلاع مثلث رأسه عند نقطة التقاء نهج بالمي ونهج انيبال وهـما النهجان اللذان حلا محل السـور الصنهاجي القديم بعد ان هدم الاتراك سور بلكين لتوسع المدينة الى هذه الجهات العلوية . ويظهر ان اهم أنهج نشأت في العهد الصنهاجي هي انهج المتون او الاذرع المتقطعة مثل نهج الباب الجديد ونهج القصبة حاليا اللذين تولدا عن سبل بسيطة كانتا تمثلان المدخلين الرئيسين للمدينة من الجهات العلوية . ويظهر ايضا ان المنازل، فى اول الامر، كانت متباعدة عن بعضها تتخللها او تفصل بينها مزارع وحدائق لتموين سكان المدينة بالخضر والفواكه وتضمن لهم الارزاق اثناء الحصار . ولقد اختار بلكين لبناء قصبته موضعا يتشابه الى حد بعيد والموضع الذي انتقاه ابوه الامير الصنهاجي زيري بن مناد في القرن١٠ للميلاد لبناء مدينة آشير بالجبل الاخضر ،ذلك ان البربر في بنائهم للمدن كانوا ينتقون الروابي التي تتوفر بها مياه الشرب وتكثر بها العيون الجارية ، وتشرف على منطقة واسعة لاكتشاف العدو من بعيد والاستعداد له قبل الوصول . وكانوا يراعون فى تخطيطاتهم للمدن ان تكون العيون داخل اسوار المدينة حتى اذا داهمهم العدو او حاصرهم لايمكنه ان يقطع عنهم مياه الشرب ويستحسن ان تكون العيون فى الجهات العلوية من المدينة حتى يسهل ، عن طريق الجاذبية، بناء السواقى لتموين السكان و ادخال المياه الى المنازل ، ولهذا اختار زيرى لبناء مدينة آشير فى جبل تنبجس من اعاليه عيون غزيرة المياه ، مثل عـين سليمان وعين تلة تـبراخ . وكذلك فعل بلكين فى تجديده وتوسيعه لجزائر بني مزغنة فاختار موضعا تتوفر به مواد للبناء ومياه للشرب ، قريبا من البحر ، على ربوة مشمسة يمكن الاشراف منها على مساحة واسعة من البر والبحر . ومن خريطة العيون القديمة لمدينة الجزائر نلاحظ ان الصنهاجيين اختاروا عين النزاوقة الواقعة عند التقاء نهج بالمي وهانيبال والغزالة حدا غربيا لمد اسوار القصبة ، ولاداء تلك الوظائف السابقة ، اذ تنبجس هذه العين على خط ارتفاع ٨٠م

تقريبا و بالتالي يمكن ادخال المياه منها عن طريق الجاذبية الارضية (اي الانحدار) الى المنازل الواقعة فى اسفل العين . ولاشك ان عين النزواقة كانت تقع داخل اسوار المدينة مثلها فى ذلك مثل بقية العيون التي كانت تمون سكان القصبة وحي باب البحر مثل عين العطش و عين العلج وعين السلطان والعين الجديدة ، وكانت مياه هذه العيون تكفى لسد حاجات السكان قبل اكتظاظهم ثم حفرت الآبار فى ساحات المنازل عندما زاد عدد السكان . وهكذا يظهر ان الاختيارات الصنهاجية كانت موفقة في توسيع مدينة الجزائر .

اما قصبة الاتراك فقد بنيت الى اعلى من القصبة الصنهاجية وفي موضع اكثر ارتفاعا من الموضع الذي اختاره الصنهاجيون من قبلهم اي فوق القمة الحقيقية لربوة القصبة . والذي دفع عروج الى ذلك هو ان الموضع الذي اختاره بلكين لتوسيع جزائر بني مزغنة فى القرن العاشر للميلاد اصبح لايؤدي وظيفته الكاملة فى القرن السادس عشر للميلاد عندما اشتد طمع الاسبان لاحتلال جزائر بني مزغنة التي حولت الى عاصمة البلاد وتدفقت نحوها موجات من الهجرة الداخلية و الخارجية ، فالظروف التاريخية وعامل الحماية ، والنمو الديموغرافى أملت على عروج ان يصعد بالمدينة نحو القلة ، اي القمة الاكثر ارتفاعا فاتسعت المدينة نحو الجبل بدلا من الشريط السهلي الشاطيء الضيق واتجهت المباني نحو الروابي اكثر من اتجاهها نحو بقية الجهات وانشئت انهج اخرى زيادة عن الانهج القديمة ، و ينبغي ان نلاحظ ان أغلب الانهج لقصبة العهد التركي كانت تتبع فى سيرها بطون الشعاب على عكس أغلب الانهج فى العهد الصنهاجي التى كانت تتبع خطوط الذرى وقد ادت زيادة ازدحام المساكن و انحصارها بين اسوار القصبة للحماية ، الى التسابق نحو الجو واقتراب الديار من بعضها البعض وبالخصوص السطوح التي كثيرا ما تعانقت فى الهواء وغطت الانهج التي تحولت بطول الزمن الى انفاق مظلمة وضيقة مفروشة بالحجر الجيرى ، ولايزيد عرضها عن المترين الا نادرا ، بل ان بعض الانهج تحولت الى ازقة لايمكن العبور منها الا الى ابواب المنازل ، وهي ابواب متينة وضيقة ، رصعت بالمسامير وشدت بالالواح السميكة ، ولايمكن فتحها الا بمشقة ، وربطت اغلبها بحبال يتدلى منها

ثقل يساعد على فتح الباب او غلقها . وقد بلغ عدد الازقة فى اواخر العهد التركي حوالي ١٥١ زقاقا ، لايتسع الزقاق الواحد لمرور جملين فى اتجاهين معاكسين ، بل منها ما كانت لاتتسع لمرور جمل واحد نظرا للطوابق التي بنيت فوق النهج ، وبهذا كان لاينطبق عليها القانون الاسلامي او العربي القديم للعمران الذي ينص على ان النهج يجب ان يكون اتساعه يكفي لمرور جملين محملين على الاقل . ولم يسن الاتراك قانونا تخطيطيا يمنع السكان من البناء فوق الانهج بل تركوا الامر للسكان الذين راوا فى ذلك حلا لمشكلة السكن من جهة ودرء خطر ضربة الشمس واشتداد الحرارة من جهة اخرى فى فصل الصيف .

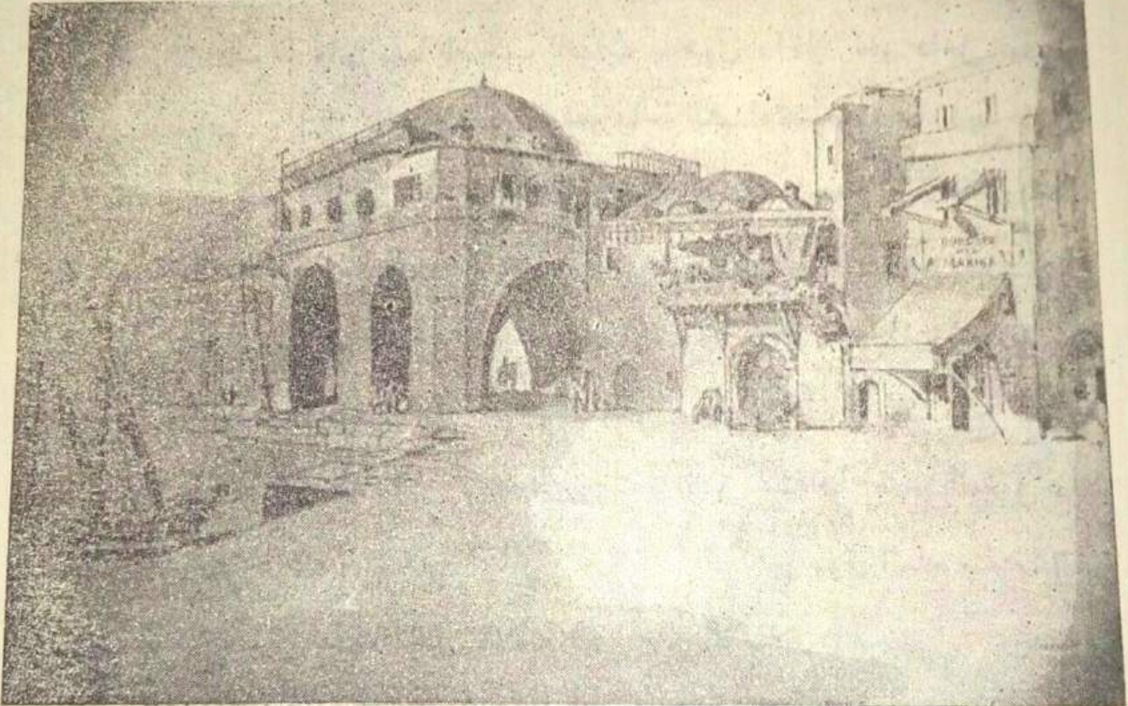


نهج تغطي جزءا منه المباني

فالازقة الضيقة و الانهج الملتوية و الدروب المغطات تقي المارة من حمارة قيض الصيف وتجلب لهم الدفء ، ثم ان حاجة سكان القصبة فى العهد التركي لم تدع الى توسيع الانهج لان التنقلات كانت تقع اكثر ما تقع على الارجل ، ولا تدخل دواب الحمل الى قلب القصبة الا نادرا ، وان دخلت اقتصرت على الحمير لنقل الاوسخاخ ، وهى

دواب تكفيها الانهج الضيقة ، اما الجمال والبغال والخيل التى كانت تمثل اهم وسائل النقل فكانت تترك فى اسطبلات بالقرب من اسوار المدينة او خارج المدينة .

والى جانب الانهج الضيقة بالقصبة كانت توجد بمدينة الجزائر فى العهد التركي انهج واسعة في الجهات السفلى من المدينة واخرى تمتد بالقرب من الاسوار، منها نهج باب عزون، ونهج القصبة،ونهج الباب الجديد، ونهج باب الوادي، ونهج باب البحر، وكان اتساعها يزيد عن المترين ومنها ما كان يصل عرضها الى اكثر من اربعة امتار مثل نهج الاسواق التي كانت تزدحم فيها المارة كنهج باب عزون ونهج الجامع الكبير الذي كانت تتركز فيه عدة حرف مثل الخراطة والصياغة والحدادة والرصاصة والنحاسة . والنحاتة والنجارة .



نهج بـاب البحـر

ومما تجدر الاشارة اليه ان اسماء الانهج والازقة الحالية ، لمدينة الجزائر ، العتيقة بما فيها حي البحرية وحي القصبة ، انها من وضع الاستعمار الفرنسي الذي جمعها واختارها لضبط الانهج لذلك نلاحظ عليها انها غريبة عن العربية ، لان الادارة الفرنسية انتقتها

من بين اسماء لعظماء فرنسيين او اوربيين بصفة عامة ، اوهي اسماء ترجع الى مدن اوربية مثل نهج تولون . وقليلا ما ضبطت الادارة الفرنسية النهج باسم الحرفة التي كانت سائدة فيه قبل الاحتلال . وفي العهد التركي ومن قبله فى العهد العربي كانت الانهج تعرف باسم الحرفة السائدة فيه او باسم الطائفة التي كانت تسكنه اويطلق على النهج اسم باب السور المجاور له او المنتهي عنده ومثال لذلك نهج السوق الكبير الذي كان يمتد من الجنوب الى الشمال على طول شارع باب عزون - باب الوادي الحالي، وكانت المحلات التجارية والدكاكين المختلفة تصطف عن يمينه وشماله . وبالقرب من باب عزون كان يمتد نهج السمارين في الموضع الذي يقع فيه المسرح الوطني حاليا ، وموقع نهج السمارين بالقرب من مدخل باب عزون يساعد كثيرا اصحاب الدواب والقادمين من الريف على ترك حيواناتهم لدى السمارين لاصلاح حدواتها بينما اصحاب الدواب يذهبون راجلين نحو داخل المدينة لقضاء مصحالهم . والمتنقل من باب عزون نحو ساحة الشهداء تعترضه اسماء لنهج سوق الرابعة ، ونهج خدم الخيل ، ونهج سوق الخراطين ، والمتنقل من نهج سوق الكبير نحو قمة القصبة تعترضه عدة انهج يطول ذكرها منها نهج ينطلق من الباب الجديد ، ويعرف هنا بنهج الباب الجديد ، ثم يمر بمسجد ابن شمون ويعرف هنا بنهج جامع ابن شمون ، ثم يخرج فى سوق السمن، فيعرف بنهج السمن ثم ينتهي بسوق الكتان فيعرف بنهج الكتان ويلاحظ على هذه الاسماء انها كانت كثيرة التغيير لتغير عامل اشتقاقها ، فنهج بالمير فى عهد الاحتلال الفرنسي عرف باسم نهج القبائل سنة ١٥٦٣ ثم نهج سوق الملح سنة ١٦٥٠ ثم نهج السوق الكبير في مطلع القرن التاسع عشر وقبل الاحتلال الفرنسي .

أما اطوال الانهج الضيقة والشوارع فقد قدرت سنة ١٨٣٠ بحوالي ١٥ كيلومترا واغلبها كانت لاتصلح لمرور العربات وبالخصوص التي كانت تقع في القصبة الشديدة الانحدار فلا تصلح الاللراجلين ولا زالت حتى الوقت الحالي تتقاطع و خطوط الكنتور وتكثر بها السلاليم .


مدينة الجزائر
سنة 1830
خطوط كنتورية
عيون
آثار أنهج رومانية
آثار أنهج عربية وصنهاجية
أنهج تركية
أسوار عربية صنهاجية
أسوار تركية
الميناء
البحر الأبيض المتوسط

المنــاخ

الملاحظات الميترولوجية :

سبقت مدينة الجزائر بقية المدن الجزائرية جميعا من حيث تسجيل الملاحظات الميترولوجية ، و لعل اقدم تلك الملاحظات هي التي اخذت في تسجيلها الحملة الفرنسية في أوائل يونيه سنة ١٨٣٠ على مسافة قريبة من مدينة الجزائر ، اي فى سيدي فرج . ويذكر Bonnafont طبيب الحملة الفرنسية (١) ان مدينة الجزائـــر خالية من الاحـــصاءات الميترولوجية فى عهد الاتراك ، وانها لاتظهر فى قائمة النشريات البحرية التجارة الفرنسية ويستمر نفس طبيب الحملة فى ملاحظاته (التي دامت لفترة ما بين الساعات الاولى لنزول الحملة الى سنة ١٨٣٨) ويذكر ان هواء مدينة الجزائر صحي ومعتدل ، وان العنصر المناخي الذي يقلق الانسان - و هو عنصر نادر في فصل الصيف - هو رياح الصحراء التي رفعت درجة الحرارة يوم ٢٥ يونيه ١٨٣٠ الى ٤٠ درجة في الظل و٥٢ درجة فى الشمس . وبهذه الملاحظات يظهر ان مدينة الجزائر لم تحظ بعناية الارصاد الجوية الا منذ بداية الاحتلال الفرنسي عندما توجهت المصالح الاستعمارية المختلفة من طوبوغرافية وبناء الجسور والطرقات ، وادارات الموانيء الخ . . . نحو رصد عناصر المناخ وتسجيلها . ولم تأت سنة ١٨٦٠ حتى نتج ، عن ذلك التوجيه ، انشاء حوالي ٣٠ محطة للادصاد الجوية كانت تديرها مختلف المصالح . ومنذ تلك السنة توحدت تلك المحطات ووضعت تحت اشراف المصلحة الجزائرية للميترولوجية OAM التى اصبحت مؤسسة قائمة بذاتها بعد قرار ١٣ فبراير سنة ١٨٧٣ وهي مصلحة ظلت تشرف عليها وزارة الدفاع الفرنسي وتمثل فرعا من فروع المكتب المركزي للميترولـوجيه بباريس .B.C.M.P الى ان جاءت سنة ١٨٨٤ فحولت اداريا الى وزارة الثقافة وربطت حينئذ بالمدرسة العليا للعلوم بالجزائر ، وذلك قبل انشاء الجامعة ، وعين لها مدير استاذ فى الرياضيات هو الاستاذ تيفني الذي اجتهد فى توسيع شبكة المحطات الى ان بلغ عددها ١٥٠ محطة سنة ١٩٠٥ ، و جعل من سطح

(1) Bonnafont : Géograppie médicale d'Alger et de ses environs. 1839. P. 124

بلدية الجزائر العاصمة مركزا لجمع و نشر احصاءات الارصاد الجوية ، واصدر سنة ١٨٩٦ كتابا تحت عنوان : محاولة لدراسة مناخ الجزائر ، حلل فيه الاحصاءات المسجلة فى عهده ومن قبله ، وهكذا كانت فترة الاستاذ تيفني مليئة بالنشاط وتقدم الدرسات المناخية بالجزائر ، حيث صدرت كتب اخرى في هذا الميدان . ولما جاءت سنة ١٩٠٥ بلغ الاستاذ تيفني من الكبر عتيا ونال تقاعده، فخلفه في منصب مدير مصلحة الارصاد الجوية بالجزائر الاستاذ كونسيات الذي اضطربت فى عهده الاحوال الادارية ، بسبب قلة المال واخذت بذلك المصلحة تنحدر نحو الاضمحلال ، مما ادى بالاستاذ كونسيات الى الاستقالة والتخلي عن منصبه سنة ١٩١١ ، وحينئذ شكلت لجنة من مختلف المصالح لتدارك الموقف سنة ١٩١٢ ثم جاءت الحرب العالمية الاولى التى زادت المشكلة تعقيدا حيث جندت فرنسا فى هذه الحرب الكثير من ابنائها الذين كانوا يعملون فى مصالح الارصاد الجوية بالجزائر فتعطلت بذلك بعض المحطات ، وصعب الاتصال بالبعض الآخر . وبعد ان وضعت الحرب اوزارها أخذ نشاط مصلحة الارصاد الجوية الجزائرية يعود الى مجراه الطبيعي، وتوسع فى اقامة المحطات الى ان اصبح عددها يربو عن الثلثمائة محطة ، ومدت شبكة الارصاد الجوية نحو الجنوب الجزائري ، بعد ان فتحت محطة تامنراست سنة ١٩٢٥ ثم حولت مصلحة الميترولوجية الجزائرية بعد سنة من ذلك التاريخ الى الديوان الوطني للميترولوجية ONM وهو ديوان تفرع عن المكتب المركزي للميترولوجية بباريس الذي حول ايضا سنة ١٩٣٠ الى المعهد الطبيعي لكورة باريس .I.P.G.P . ولما جاءت سنة ١٩٣١ أحدثت الادارة الاستعمارية معهد الميترولوجية والطبيعية لبلاد الجزائر .I.M.P.G.A . وبذلك ظل هذا المعهد يدير الارصاد الجوية بالجزائر الى ان جاءت ثورة التحرير سنة ١٩٥٤ فاثرت على سير بعض المحطات المنتشرة في انحاء القطر و البعيدة عن مدينة الجزائر . اما مدينة الجزائر فظلت بها الاعمال سائرة بانتظام ذلك لتركز السلطة العسكرية بها . وبعد ان نالت الجزائر استقلالها تحول المعهد السابق الذكر الى مصلحة الميترولوجية الوطنية .

وأهم مشكلة واجهت هذه المصلحة حينئذ هي انسحاب جل الفنيين الفرنسيين بمجرد الاتفاق على ايقاف اطلاق النار • وتعطيلهم لبعض المحطات مما ادى الى توقفها ، لذلك اصبح من الصعب على الباحث الحصول على احصاءات كافية ومنظمة بعد الاستقلال لجميع المحطات التى كانت متشرة في انحاء القطر الجزائري اثناء الاحتلال الفرنسي وبالخصوص الاحصاءات التي ترجع الى الفترة الاولى من الاستقلال . وقد توجهت بعد ذلك ، الجزائر المستقلة نحو ملء هذا الفراغ وذلك بفضل المساعدات الاجنبية وتكوين الاطارات الجزائرية ، لادارة هذه المصلحة الحيوية في الوطن .

اهمية دراسة مناخ المدينة :

عندما يراد بناء مدينة لايكتفي باختيار الموضع الصالح للبناء فقط ،او الموقع الممتاز الذى يساعد على الاتصال او على الدفاع فى أوقات الحرب ، او المنطقة الملائمة للتجارة في اوقات السلم بل يجب قبل كل هذه ، مراعاة جميع الظروف الجغرافية الملائمة لهذه المشاريع ، ومن اهم هذه الظروف الجغرافية مناخ المدينة ، فالمناخ هو الاساس للانسان في تشريعاته وتنظيماته ودياناته ، وبايجاز فالمناخ هو صنيعة الكثير من الاشياء ، وهو الحلقة التي وضع فيها الخالق مخلوقاته بحيث لايمكن لهذه المخلوقات هتك هذه الخلقة الا فى حدود معينة وضيقة للغاية . و المناخ يؤثر على نشاط وصحة الانسان ومن هنا كان له الدور الاول فى بناء المدينة . اذ الصحة قبل التجارة وقبل الثروة ، والصحة قبل الحرب ، وصحة المجتمع قبل كل المشاريع الاخرى التي لها اعتبارات ثانوية ، واذا كانت الامة تملك كل امكانياتها العضوية امكنها ان تدافع وان تتاجر وان تمارس الملاحة او غيرها من الوظائف ، و ان تعيش ايضا ، فهي بذلك امة يمكن الاعتماد عليها . وكم من مشروع واسع اهمل ، وكم من برنامج ترك بعد ان كلف نفقات كبيرة ومجهودات انسانية جبارة ، لا لشيء ، الا انه لم يعتمد فى اصوله على اسس صحيحة ولم يتركز على قاعدة قوية ، فاهمل الانسان المناخ او نسي دراسته ولذلك فشل المشروع ، وكان من اللازم معرفة مدى ملاءمة المناخ قبل بداية المشروع ، وفي هذا معرفة المستقبل ، وما هي

لاخطار التي سيتعرض لها المشروع ، فيوضع لها الاحتياطات قبل حدوثها ، ومن هنا كانت ضرورة دراسة مناخ المدينة قبل نشأتها ، وضرورة بناء المحطات الميترولوجية قبل بناء العمارات السكنية او المؤسسات الاقتصادية بصفة عامة .

توفر المحطات فى اقليم المدينة :

لما كانت الدراسات المناخية تتوقف على المعطيات الحسابية والاحصاءات الميترولوجية يجدر بنا انتقاء المحطات التي امدتنا بالاحصاءات للحرارة والمطر والضغط الجوي والرياح وهي محطات كما يبينها الجدول التالي تقع فى اقليم مدينة الجزائر اي في قلب المدينة او فى ضواحيها الشرقية اوفي ضواحيها الغربية ، ولا تبعد عن المدينة باكثر من ٥٠ كيلومتر ، وتقع على مستويات مختلفة فى الارتفاع تتراوح بين ١٣م و٣٤٤م وعلي بعد مختلف عن البحر . بل منها ما تقع داخل البحر كما هو الحال لمحطة ميناء الجزائر التي تقع فى الرصيف الشـــمالي للمينـاء ومنها ما تقع فى السهل المتيجي كما هو الحال لمحطة روية البعيدة بنحو عشر كيلومترات عن البحر وبنحو ٢٥ كلم عن مدينة الجزائر .

وفى جدول انتقاء المحطات نقرأ فى الخانة الاولي اقليم المحطة اي هل هذه المحطة توجد داخل المدينة او فى ضواحيها ؟ وفي الخانة الثانية نقرأ اسم المحطة ، وفى الخانة الثالثة والرابعة الخطوط الفلكية او الاحداثيات الجغرافية التي تحدد المحطة ، وفى الخانة الخامسة ارتفاع المحطة عن مستوى سطح البحر وفى الخانة الاخيرة البناية التى سجلت فيها آلات الارصاد الجوية الاحصاءات الميترولوجية .

أثر الموقع على مناخ المدينة :

تمثل مدينة الجزائر ، بحكم موقعها البحري ، جل الخصائص المناخية العامة للمنطقة الجزائرية الساحلية الخاضعة لتأثيرات مياه البحر المتوسط الحارة ، ومياه المحيط الاطلسى الباردة التي تعد من اهم المصادر للاعاصير او الانخفاضات الجوية المتنقلة من الغرب الى الشرق والمتحكمة فى نزول الامطار الى حد بعيد فى شمال افريقية . اما تأثيرات اليابس على المنطقة الساحلية فتتجلى فى الرياح الجنوبية او رياح السهوب والصحراء مثل القبلى

جدول رقم (١)

1	2	3	4	5	6
البلدية	ميناء الجزائر	°3,4 ش	°36,47 شمالا	13 م	الرصيف الشمالي
	بوزريعة (محطة الرصد)	°3,1 ..	°36,43 ..	344 ..	المرصد
	جامعة الجزائر	°3,3 ..	°36,46 ..	59 ..	الجامعة
	بوزريعة (محطة الاشارات)	°3,2 ..	°36,48 ..	302 ..	محطة الاشارات
	بلكين	°3,2 ..	°36,48 ..	50 ..	البلدية
	الابيار	°3,2 ..	°36,46 ..	245 ..	»
	الحراش	°3,8 ..	°36,43 ..	48 ..	المعهد الزراعي
الضاحية الغربية	اسطاولي	°2,53 ..	°36,45 ..	122 ..	مزرعة بوشاوي
	راس كاكسين	°2,57 ..	°36,49 ..	33 ..	المنارة
	الشراقة	°2,58 ..	°36,46 ..	195 ..	مزرعة فيدال
	بواسماعيل	°2,42 ..	°36,39 ..	10 ..	محطة تربية الاسماك
الضاحية الشرقية	راس تامنفوست	°3,15 ..	°36,49 ..	62 ..	المنارة
	الدار البيضاء	°3,14 ..	°36,41 ..	22 ..	المطار
	روية	°3,17 ..	°36,44 ..	20 ..	محطة الكروم

جدول انتقاء محطات الارصاد الجوية بمدينة الجزائر وضواحيها

ش = شرق خط جرينتش

وهي رياح قارية قادمة من منطقة حارة ، تهب في مقدمة الانخفاضات الجوية المارة بالبحر الابيض المتوسط من الغرب الى الشرق . ورغم ان مدينة الجزائر تحجبها عن المؤثرات الصحراوية سلسلة جبال الاطلس الصحراوى ثم سلسلة الاطلس التلى الممتدة من الغرب الى الشرق فان رياح القبلي تصل اليها في فترات متقطعة من السنة وتؤثر على طقس المدينة حيث ان القبلي يرفع من درجات الحرارة الى حدودها القصوى ولا يسبب سقوط الامطار ، ويحدث اضطرابات جوية فى فصل الدفء بالخصوص .

وبايجاز تقع مدينة الجزائر في موقع تتناوبه تأثيرات بحرية و اخرى قارية الا ان التأثيرات البحرية لها اليد العلياو هي السائدة فى كل فصول السنة لان المدينة واقعة على نحر البحر، ومفتوحة امام المؤثرات البحرية اكثر من انفتاحها امام المؤثرات القارية .

١ — الحرارة

أ — المتوسطات الشهرية والسنوية :

يتضح من جدول (٢) للمتوسطات الشهرية والسنوية للحرارة لمدينة الجزائر وضواحيها ان اقل شهور السنة حرارة هو شهر يناير اذ لا يــــزيد معدله الحراري عن 13,10° في مياه الميناء وعن 12,10° فى البر ، ثم تأخذ الحرارة بعد ذلك فى الارتفاع التدريجي الى شهر اغسطس او فصل الصيف . وتبين المنحنيات البيانية للمتوسطات الشهرية للحرارة ان التدرج الحراري يكون بطيئا من فصل الشتاء الى فصل الصيف ، و يكون التدرج سريعا من فصل الصيف الى فصل الشتاء. كما يلاحظ ان المتوسطات الحرارية الشهرية من نوفمبر الى افريل 10° اقل من المتوسط السنوي 19° وان المتوسطات الحرارية من ابريل الى نوفمبر 23° اكبر من المتوسط السنوي وبهذا يمكن تقسيم السنة الى نصف سنة حار ونصف سنة بارد .

وأحر شهور السنة هو شهر اغسطس على الاطلاق فيه يزيد المتوسط الحراري عن ٢٤ درجة مئوية فى كل المحطات .

ولا يمثل شهرا يناير واغسطس الحدين الاقصى والادنى لمتوسطات درجات الحرارة الشهرية فحسب، بل يمثلان ايضا الحدين الادنى والاقصى على الترتيب بالنسبة لمتوسطات

جدول المتوسطات الشهرية للحرارة في مدينة الجزائر وضواحيها خلال ٢٥ سنة (١)

المحطة	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيه	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
ميناء الجزائر	°13,10	13,75	13,05	17,05	19,70	22,85	25,50	26,80	24,70	21,25	17,20	14,15
جامعة الجزائر	°12,10	12,80	14,20	16,20	18,85	22,05	24,75	25,55	23,80	20,10	16,10	13
بوزريعة	°10,05	10,65	11,95	14,10	17,05	23,35	23,55	24,30	22,25	18,30	14,05	10,90
اسطوالي	°10,55	11,15	12,90	14,95	17,65	21,25	24,60	25,30	22,75	18,50	13,45	11,35
روبية	°10,55	11,35	13,20	15,25	18,15	21,50	24,15	24,85	23,65	19,40	14,15	11,35
الحراش	°11,10	12,15	13,50	15,20	18,15	21,50	24,20	25	23,20	19,30	15	12,10
رأس تامنفوست	°11,20	11,90	13,35	15,35	18,10	21,45	23,90	24,70	23,15	19,45	15,40	12,25

(1) P. SELTZER : Le Climat de l'Algérie. Alger 1946 P. 38

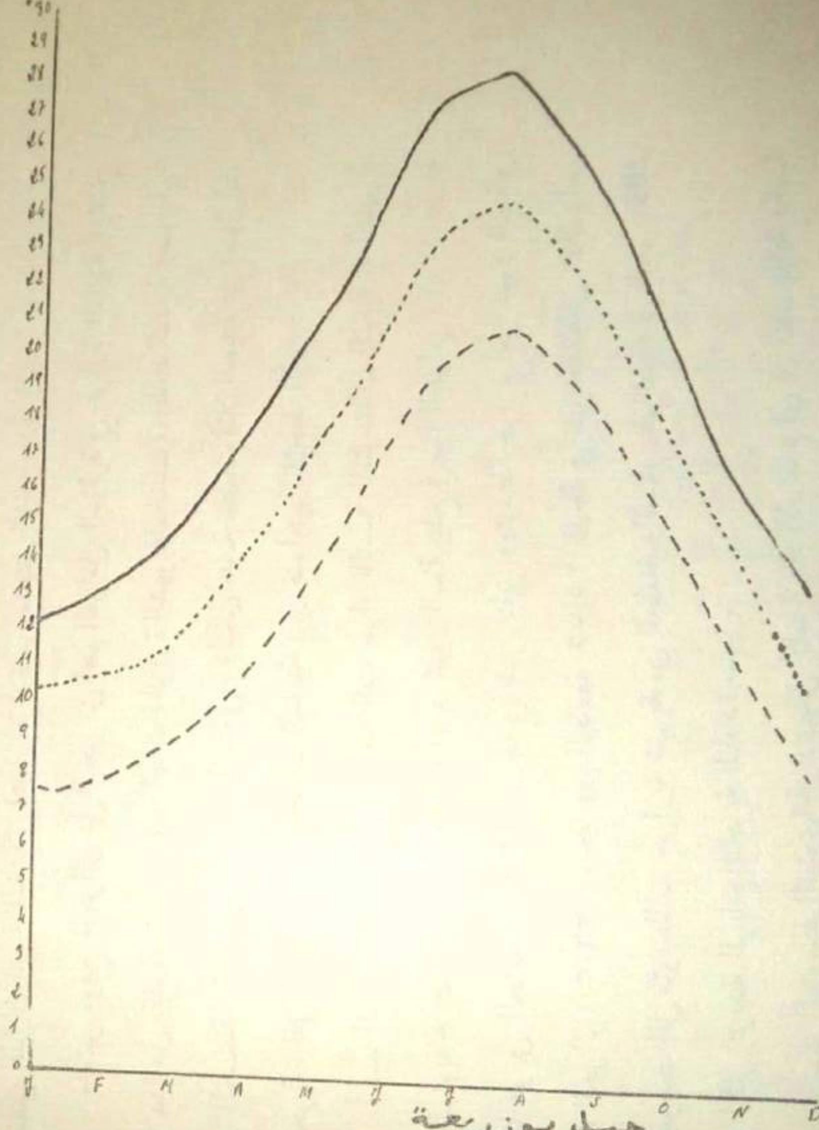
النهاية العظمى ومتوسطات النهاية الصغرى حيث ان مرصد الجامعة سجل خلال ٢٥ سنة (١٩١٣ - ١٩٣٨) متوسط النهاية العظمى لشهر يناير ١٤،٩ درجة ومتوسط النهاية الصغرى لنفس الشهر ٩،٣ درجات ومتوسط النهاية العظمى لشهر اغسطس هى ٢٩،٣ درجة فى نفس الفترة و متوسط النهاية الصغرى لنفس الشهر ٩، ٢١ درجة فى نفس الفترة ايضا .

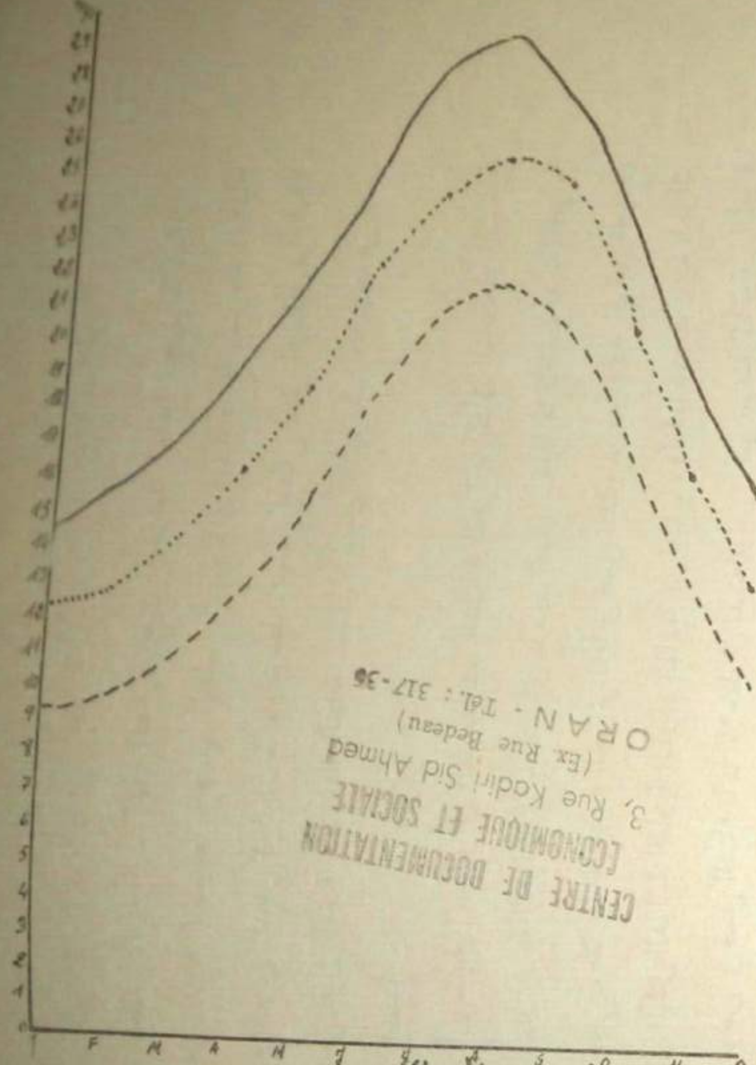
وشأن مدينة الجزائر فى المتوسطات الشهرية للحرارة كشأن المحطات الساحلية من حيث ان درجة الحرارة لاتنخفض الى ما دون الصفر . واذا ما قورنت مدينة الجزائر بمدينة وهران نلاحظ ان مدينة الجزائر ادفأ فى فصل الشتاء من مدينة وهران التي تتعرض كثيرا الى الكتل الهوائية القارية الباردة القادمة من اسبانيا ، واذا ما قورنت مدينة الجزائر بمدينة تونس فى فصل الشتاء فاننا نلاحظ ان مدينة تونس أكثر تعرضا للتأثيرات القارية والرياح الجنوبية من مدينة الجزائر المعتدلة نسبيا والمحجوبة نوعا ما عن المؤثرات القارية ومعنى هذا ان مدينة الجزائر اعدل حرارة من مدينتى تونس ووهران .

ويعتبر موقع الجزائر على البحر من اهم العوامل المؤثرة في حرارة المدينة ويتضح لنا هذا من مقارنة متوسطات دراجات الحرارة الشهرية لمختلف محطات المدينة وضواحيها ثم بالمـــقارنة بمدينة أخرى بالداخل ، ولتكن مدينة سطيف مثلا البعيدة عن المؤثرات البحرية . ففي المقارنة بين محطات المدينة وبين ضواحيها نلاحظ الآتى :

أ ــ المحطة البحرية أحر المحطات سواء بالنسبة للمتوسطات اليومية او الشهرية أو السنوية حيث ان متوسط حرارة أبرد شهور السنة يبلغ في مينا الجزائر ١٣،١٠ درجة بينما هو فى الجامعة ١٢،٣٠ درجة في شهر يناير ومتوسط حرارة أحر شهور السنة فى ميناء الجزائر ٢٦،٣٠ درجة وفى الجامعة ٢٥،٥٥ درجة في شهر اغسطس ، وان رأس تامنفوست اقل متوسطات حرارية شهرية من الجامعة والميناء رغم تعمقه فى البحر ، ذلك لانه اكثر عرضة للرياح البحرية الباردة نسبيا .

ب ــ المتوسط السنوي الحراري يقل كلما ازداد الارتفاع اي ان هناك علاقة عكسية





منحنيات بيانية للمتوسطات الشهرية للحرارة

ـــــ متوسطات قصوى ---- متوسطات دنيا .... متوسطات قصوى ودنيا

بين الحرارة والارتفاع ومثال لذلك جبل بوزريعة الذي يعد أبرد موضع في المدينة فى كل شهور السنة لارتفاعه باكثر من ٤٠٠ م عن مستوى سطـــح البحر ، لانه اكثر عرضة للرياح العلوية الباردة .

جـ ـــ المناطق فى المدينة وضواحيها المقابلة للشمس احر من المناطق الواقعة فى ظل اشعة الشمس ، ومثال لذلك الجامعة المقابلة لاشعة الشمس متوسطها السنوي والشهري أكبر من متوسط اسطاولي . ثم ان منطقة الجامعة واقعة فى ظل الرياح الغربية الباردة نسبيا وهي رياح تزيد من انخفاض درجة حرارة السفوح الغربية لجبل بوزريعة والقرى الواقعة في حجره الغربي .

د ـــ درجات الحرارة تنخفض في المحطات الواقعة خارج مياه البحر في أبرد شهور السنة فى بعض الايام الى ما دون الصفر ، بل تصل الى ما دون الدرجة الواحدة ، والعكس فى محطات المياه البحرية حيث ان درجة الحرارة لاتبلغ في حدودها الدنيا درجة التجمد ابدا ولا ينزل التيرمومتر الى ما دون الصفر ابدا في اي شهر من الشهور السنة او في اي يوم من ايام السنة وسنعود الى شرح هذا فى أثر الموقع على حرارة المدينة .

وفى المقارنة بين محطات المدينة وضواحيها وبين محطة مدينه سطيف (١) الداخلية الواقعة على بعد ٥٠ كلم عن البحر ، وتحجبها عن مؤثرات البحر جبال البابور لذلك نلاحظ في اقليم سطيف ان البرد يشتد فى فصل الشتاء الذي يبلغ فيه المتوسط الحراري لشهر يناير 4,80° بل ان الحرارة قد تنخفض فى بعض ايام هذا الشهر الى 6,4° دون الصفر وهي درجة لم يسجلها تيرمومتر بوزريعة ابدا . اما فى شهر اغسطس فيبلغ المتوسط الشهري فى اقليم سطيف 24,70° و معني هذا ان الفرق السنوي لأبرد الشهور واحرها في اقليم سطيف هو 19,9° بينما هو فى جبل بوزريعة الذي يعد ابرد مكان بمدينة الجزائر يبلغ 13,80° وبهذا يظهر ان مدينة الجزائر وضواحيها اكثر اعتدالا في مناخها من المدن الداخلية و ان الفوارق الحرارية الشهرية والسنوية بل وحتى اليومية تزداد الصوفية

(١) مدينة سطيف تقع على خط عرض 36,11° وعلى خط طول 4,80° .

كلما تعمقنا في الداخل .

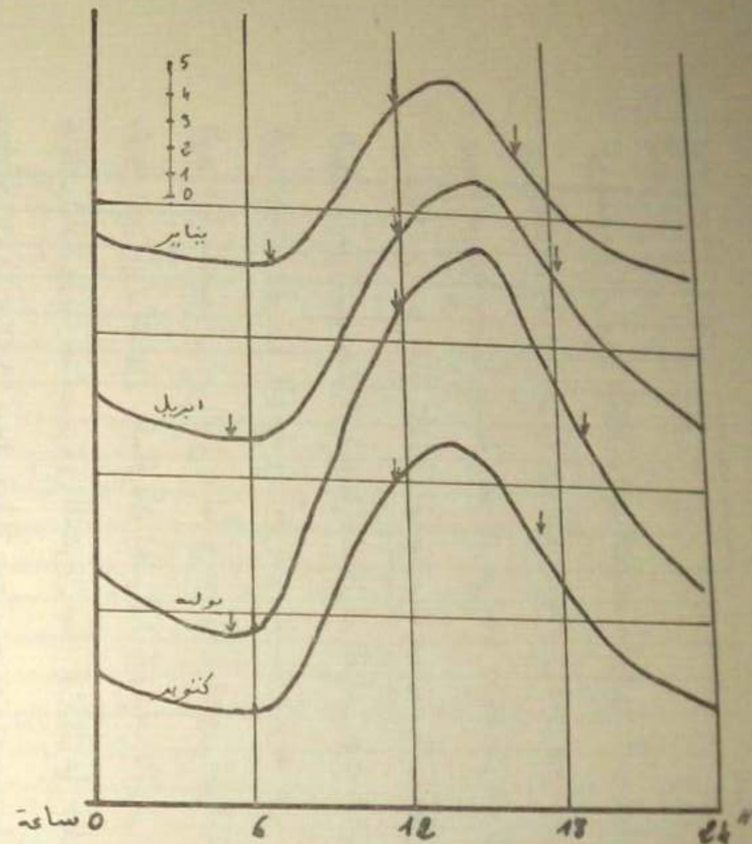
ويجدر بنا ان نشير أخيرا الى ان الفوارق السنوية للحرارة فى مدينة الجزائر لاتزيد عن الدرجتين كما يبينها الجدول التالي لفترة خمسين سنة اخذت فيها الاحصاءات تارة فوق مرصد بلدية الجزائر وتارة فى الجامعة . وكان المتوسط السنوي لهذه الفترة هو 18,8° والفوارق السنوية ضعيفة جدا اكثرها تقل عن الدرجة ، وأحر سنة . كانت سنة ١٨٩٩ حيث بلغ فيه المتوسط السنوي للحرارة 19,8°وابرد سنة كانت سـنة ١٨٨٤ حيث بلغ فيها المتوسط السنوي 17,2° .

السنوات	عشر سنوات									
	0	1	2	3	4	5	6	7	8	9
1880					17,2	17,9	18,1	17,9	18,1	17,6
1890	12,3	17,9	18,7	18,6	18,4	19,2	17,9	18	12,5	19,8
1900	18,6	18,3	18,7	18,1	18,6	18,3	17,9	17,9	18,3	17,9
1920	18,5	18,8	18,4	17,9	18,7	17,7	18,7	18,7	18,4	18,1
1910	17,7	18,3	18,8	19	18,1	18,2	18,2	17,6	17,7	17,8
1930	18,8	18,6	18,3	18,6	17,9	18,2	18,2	19	18,2	18,2

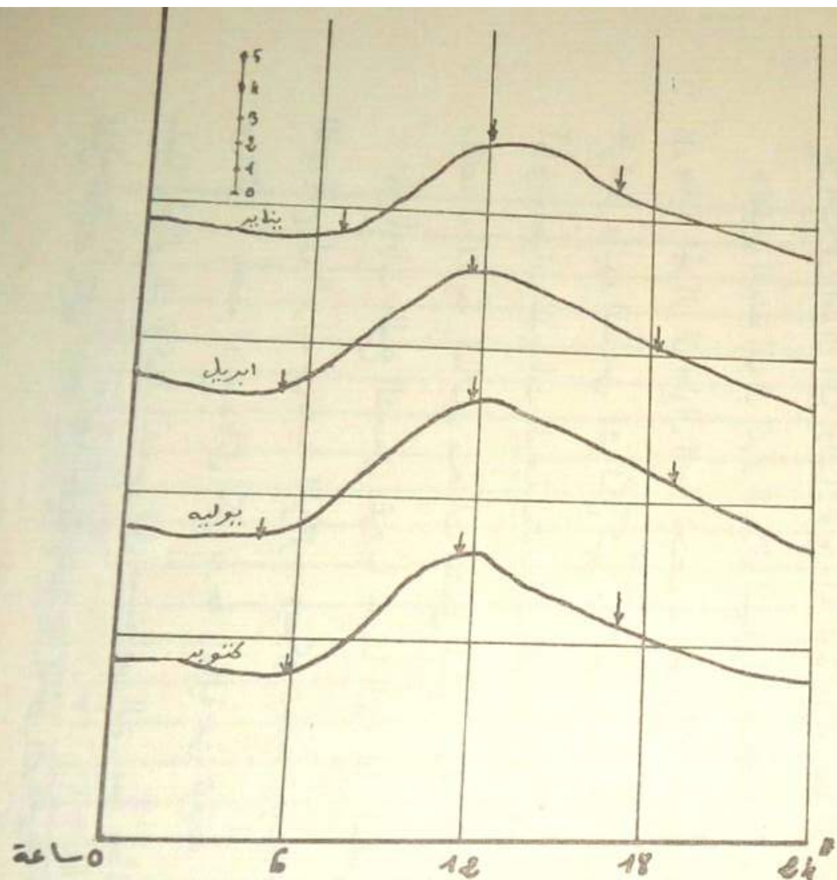
جدول المتـــوسطات الحرارية السنوية من ١٨٨٤ الى ١٩٣٩ (٥٦ سـنة)

٢ ـ الذبذبات الحرارية اليومية :

تؤثر شدة الذبذبات الحرارية اليومية على الجهاز التنفسى : اذ تؤدي الى الزكام الذي ينتشر فى فصل الشتاء وفى بداية الربيع وكان سكان الجزائر يكثرون من لباس الاثواب الصوفية



الذبذبات اليومية للحرارة في مدينة سطيف



الذبذبات اليومية للحرارة في مدينة الجزائر.

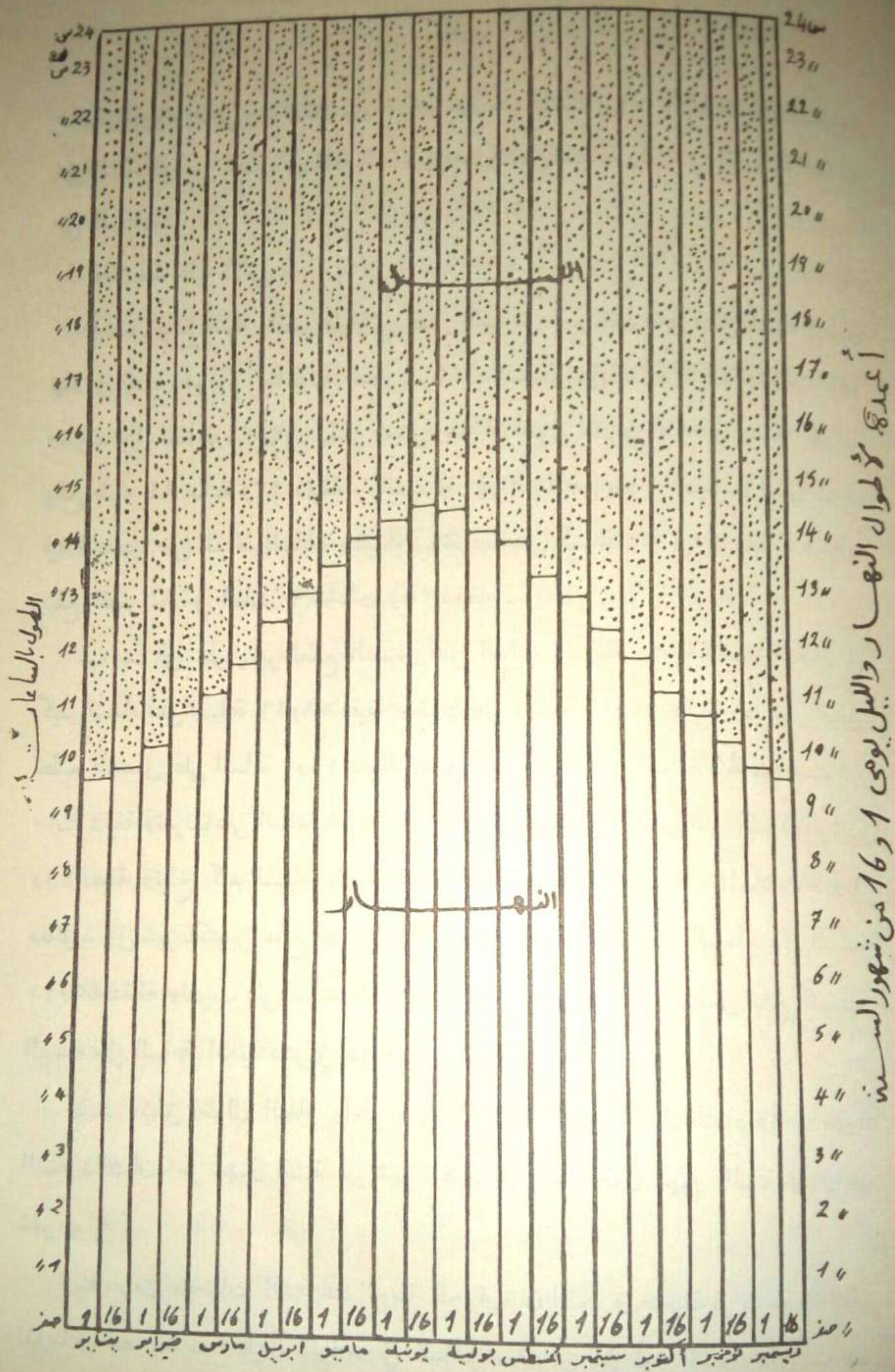
الذبذبات اليومية للحرارة خلال اربعة شهور من السنة

(الاسهم تشير الى اوقات طلوع الشمس وغروبها وزوالها)

وبالخصوص البرنوس لاتقاء عواقب التقلبات الحرارية اليومية وما تؤدي اليه من داء السعال
وتختلف الحرارة اليومية بين الليل والنهار بل ومن يوم لآخر خلال ايام السنة ، وأعلى درجة حرارية سجلت بمدينة الجزائر هي ٤٥ درجة مئوية وكان ذلك فى شهر اغسطس من سنة ١٨٨٨ وهي حالة شاذة اذ انها صاحبت هبوب رياح القبلي في ذلك الشهر من تلك السنة ولم يعد التيمومتر الى تسجيل ذلك الرقم القياسي طيلة ٤٨ سنة ، وفى الظروف العادية فان درجات الحرارة اليومية في أحر شهور السنة لاتزيد عن ٣٠ درجة وانها تبلغ هذا الرقم اذا ما هبت رياح القبلي ، اما في غير ذلك فتدور الحرارة اليومية حول ٢٥ درجة مئوية . وفى ابرد شهور السنة فان الحرارة اليومية لاتنزل الي ما دون الصفر الا في حالات شاذة وربما حدثت مرة في العشرين سنة . والمثال على ذلك نجده فى الفترة الممتدة فيما بين ١٨٧٥ و١٩٢٣ سجل فيها التيمومتر مرتين درجات الحرارة دون الصفر وكان ذلك يومي ١٩و٢٠ يناير سنة ١٨٩١ وهي سنة اجتاحت فيها موجة من البرد الشديد شمال افريقية واوربا كلها فكانت فى ذلك حالة استثنائية ومن المعروف ان هناك علاقة بين اختلاف اطوال الليل والنهار وبين الحرارة ولبيان هذا الاختلاف رسمنا اعمدة .

وتبين اعمدة اطوال النهار خلال السنة والمنحنيات البيانية لمتوسط الحرارة اليومية فى مدينة الجزائر ان اطوال النهار تختلف من فصل لآخر ، وقد حسبنا ذلك فيما بين اليوم الواحد واليوم السادس عشر لكل شهر من شهور السنة هذا بالنسبة لاعمدة اطوال النهار أما فى منحنيات الذبذبات اليومية لمتوسطات الحرارة فقد اقتصرنا على اربعة شهور تتماشى والفصول الاربعة كما تبين منحنيات الشكل لمدينتي الجزائر وسطيف .

وفى أوقات طلوع الشمس وغروبها حسبنا النهار على أساس توقيت خط جرينتش الذي يقع الى الغرب من مدينة الجزائر . ويمكن تحديد توقيت مدينة الجزائر بالنسبة لخط جرينتش ، بخصم أربع دقائق لكل درجة زوالية من توقيت جرينتش ومعنى هذا ان جامعة الجزائر تبزغ فيها الشمس قبل مستغانم التى يمر بجانبها او الى الغرب منها بقليل خط جرينتش بنحو ١٢ دقيقة (خط جرينتش يمر بقرية حسين Dublineau فى



أعمدة لأطوال النهار والليل يومي 1 و16 من شهور السنة
الطول بالساعات
الليل
النهار
24 س
23 س
22
21
20
19
18
17
16
15
14
13
12
11
10
9
8
7
6
5
4
3
2
1
صفر
1 16 1 16 1 16 1 16 1 16 1 16 1 16 1 16 1 16 1 16 1 16 1 16
يناير فبراير مارس ابريل مايو يونيه يوليه اغسطس سبتمبر أكتوبر نوفمبر ديسمبر

غرب الجزائر وعلى بعد °0,6 الى الغرب من مدينة مستغانم) . ولأطوال النهار اثرها على النظام اليومي للعمل فى المدينة ، ومن هنا كانت اهمية دراسته في اثر مناخ المدينة على السكان .

ويلاحظ عليه الآتي :

أ ـــ يبلغ النهار أقص طوله في فصل الصيف واقص قصره فى فصل الشتاء واطول نهار فى السنة هو يوم ٢١ يونيه الذي تشرق فيه الشمس على الساعة الرابعة وثلاثين دقيقة وتغرب على الساعة ١٩و١٣ دقيقة ومعنى هذا ان أطول نهار في السنة في مدينة الجزائر يبلغ طوله ١٤ ساعة و٤٣ دقيقة ، واقصر نهار فى السنة هو يوم ٢١ ديسمبر الذي تشرق فيه الشمس على الساعة السابعة ودقيقتين وتغرب على الساعة ١٦ و ٤٠ دقيقة ، وبذلك يبلغ اقصر نهار في الطول ٩ ساعات و٣٨ دقيقة .

ب ـــ فى شهر يناير تطلع الشمس على الساعة السابعة ودقيقة واحدة وتكون في كبد السماء على الساعة ١١و٥٨ دقيقة وتغرب على الساعة ١٦و٥٣ دقيقة وفى شهر ابريل تطلع الشمس على الساعة ٥و١٦ دقيقة وتبلغ كبد السماء على الساعة الحادي عـــشر و٤٨ دقيقة وتغرب على الساعة ١٨و٢١ دقيقة وفى يوليه تطلع الشمس على الساعة الرابعة و٤١ دفيقة وتبلغ كبد السماء على الساعة ١١و٥٣ دقيقة وتغرب على الساعة ١٩ و ٦ دقائق . وفى شهر اكتوبر تطلع على الساعة ٥و٥٥ دقيقة وتبلغ كبد السماء على الساعة ١١و٤٥ دقيقة وتغرب على الساعة ١٧و١٢ دقيقة ، ومعنى هذا ان الشمس تبلغ كـــبد السماء قبل الساعة الثانية عشر في كل فصول السنة .

جـ ـــ تتفق اطوال النهار وأحر فصول السنة ولا تتفق اطوال النهار وأحر شهور السنة ذلك ان احر شهور السنة هو شهر اغسطس بينما اطول شهور السنة نهـارا هو شهر يونية .

ويتضح من منحنيات الذبذبات اليومية للحرارة ان الفوارق ضعيفة فى مدينة الجزائر اذا ما قورنت بمدينة سطيف الواقعة في الداخل ، ثم ان الحرارة اليومية تكون شديدة

الانخفاض قبل طلوع الشمس بقليل اذ فيها يسجل التيمومومتر ادنى درجة حرارية اما الساعة اليومية التي تشتد فيها الحرارة فهي ليست ساعة الزوال او الساعة التي تكون فيها الشمس فى كبد السماء ولكن بعد ذلك بقليل فى مدينة الجزائر وبعد ذلك بكثير فى مدينة سطيف او على الساعة ١٣ بالضبط فى مدينة الجزائر وعلى الساعة ١٤ فى مدينة سطيف هذا في فصل الشتاء بصفة عامة اما فى الصيف او فى يوليه بالضغط فتبلغ الحرارة اليومية أقصاها فى مدينة الجزائر حوالي الساعة ١٤ وفى هذه الفترة قد تشذ الحالة فى بعض الاحيان اذ قد تشتد الحرارة على الساعة ١٠ فى بعض ايام الصيف او بعد ذلك بقليل اذا ما تأخر وصول نسيم البحر الذي يلطف الجو .

وللفوارق اليومية للحرارة الاثر الاول على التركيب الحيوي للانسان وغيره اكثر من الفوارق الشهرية او السنوية وتبين بوضوح الطابع المناخي للمدينة اكثر من غيرها . والارقام للنهايات العظمى والصغرى للحرارة اليومية تعطينا الفوارق اليومية التي تزداد بانتظام من شهر يناير الى يونيه ثم تأخذ فى الانخفاض ابتداء من شهر يوليه لتثبت حول 8,5° في شهر سبتمبر ثم تأخذ فى الانخفاض بانتظام .

و المتوسطات الفصلية للفوارق الحرارية اليومية هي 6,8° لفصل الشتاء و 7,9° للربيع و 8,8° للصيف و 7,8° للخريف وهى ارقام تدل على ان الانحدار المنتظم للفوارق الحرارية اليومية بصفة عامة ، وان الفوارق ضعيفة فى فصل الشتاء نتيجة لضعف الاشعاع الارضى فى هدا الفصل . اما فى فصل الصيف فيزداد الاشعاع الارضي نتيجة لشدة الاشعاع الشمسي نهارا وبالتالي ترتفع الفوارق اليومية وبالخصوص في الايام التي تهب فيها رياح القبلي فانها ترفع الفوارق اليومية الى حدودها القصوى . وعلى كل فان الفوارق اليومية تتحكم فيها عدة عوامل اخرى غير رياح القبلي مثل شكل الموقع بالنسبة للشمس والموضع بالنسبة للتضاريس وكذلك طبيعة التربة وكفاءتها على الامتصاص الحراري الخ ...

فرأس كاكسين مثلا أقل فوارق حرارية يومية بنحو درجة عن الفواوق الحرارية اليومية لجامعة الجزائر ، والابيار ابرد من الجامعة فى ايام فصلي الشتاء والصيف وحي

بلكين يعد أحسن شواطيء للاصطياف بالعـاصمة تكثر به منازل المصطافين نظرا لجوه

اللطيف فى فصل الصيف وفوارقه الحرارية اليومية الضعيفة ،

٣ ــ اثر الموقع البحري على حرارة المدينة :

أهم ما نلاحظ على الحرارة اليومية والشهرية والسنوية لمدينة الجزائر انها لاتسير في انتظام مع حرارة المدن الداخلية وهذا يرجع الى ان أكثر الرياح التي تهب على مدينة الجزائر هي الرياح البحرية ، وحرارة البحر أكثر تأثيرا على المدينة من حرارة البر. ومن المعروف ان المياه ابطأ من اليابس فى امتصاصها للحرارة الشمسية وابطأ فى فقدانها للحرارة بالاشعاع لذلك كانت المياه البحرية المجاورة لمدينة الجزائر تمثل الفرامل الطبيعية لتنظيم التدرج المنتظم لحرارة المناطق المجاورة لها فى كل فصول السنة ، ولهدا لم يكن من الغريب ان يختلف شهر الحرارة القصوى عن شهر النهار الاقصى .

وقد لاحظ Aimé في دراسته لمياه خليج الجزائر (١) ان مياه الخليج اقل ذبذبة حرارية بكثير من الهواء الملامس لها ، وانه فى فصل الصيف تكون مياه الخليج في متوسطاتها الحرارية ابرد من الهواء الملامس لها وفي فصل الشتاء تكون مياه الخليج أحر من الهواء الملامس لها ، وحاول سيلتزير (٢) تعليل ذلك في انه فى فصل الشتاء تبرد الطبقة السطحية للمياه عن طريق الاشعاع والتبخر وبالتالي تزداد كثافتها فتنحدر وتتعمق ، ويحدث بذلك اختلاط وامتزاج للمياه السطحية بالمياه السفلية ويكون فقدانها للحرارة ضعيفا والفوارق بين مياه السطح ومياه عمق ٤٠م تتراوح بين الدرجة الواحدة وبين الدرجتين ونصف ، فهي بذلك مخزن للحرارة ، و الهواء الملامس لها يكون أكثر حرارة من الهواء الملامس لليابس فى هذا الفصل .

اما في فصل الصيف فان شدة الأشعاع الشمسي المتعمق في المياه البحرية تعمل على استقرار وتعديل حرارة المياه البحرية فتظل منتظمة اي تزداد فيها الحرارة بالتدريج كلما تعمقنا بحيث ترتفع قليلا فى الطبقة السطحية ثم نوعا ما فى الطبقة السفلية وتقل

(1) G. Aimé : Exploration scientifique de l'Algérie. Paris 1845 T.I. P. 116

(2) Seltzer : le climat de l'Algérie. Alger 1946 P. 41

فوارق المتوسطات الحرارية من ٤ درجات الى ٥ درجات ما بين مياه السطح ومياه عمق ٤٠م في شهر سبتمبر .

وقد أجرى Grovel (١) دراسة على مياه خليج الجزائر وخرج بمتوسطات حرارية للمياه السطحية في مختلف شهور السنة كالآتي :

يناير 14,5°، فبراير 14,4°، مارس 14,6°، ابريل 15,6°، مايو 17,4°، يونيو 20,3°، يوليو 22,8°، اغسطس 24°، سبتمبر 23,5°، اكتوبر 12,2°، نوفمبر 18,2° ديسمبر 15,8° . وهذه الاحصاءات اذا قورنت باحصاءات جدول المتوسطات الشهرية للحرارة في مدينة الجزائر وضواحيها ظهر لنا ضعف الفوارق الحرارية لمياه خليج الجزائر وما ذهب اليه ايسمي من ان مياه الخليج ابرد من الهواء الملامس لها فى فصل الصيف وأحر من الهواء الملامس لها في فصل الشتاء .

ويمكن ان نضيف الى ذلك ان مياه البحر المتوسط بحكم موقعها وملوحتها ، تعد مخزنا جيد لخزن الحرارة ، اذا ما قورنت بمياه بحار أخرى تقع في نفس الخطوط الفلكية . ذلك ان التيار البحري المتنقل من المحيط الاطلسي الى البحر الابيض المتوسط انما يقتصر على الطبقة العليا من المياه بحكم ضحولة مضيق جبل طارق (٢) الذي لا يسمح للمياه العميقة الباردة بالمحيط الاطلسى ان تنتقل الى البحر الابيض المتوسط ومن المعروف ان مياه المحيط الاطلسي تتدرج فى الانخفاض الحراري كلما تعمقنا الى ان تستقر حول الدرجتين في الاعماق السحيقة التي تزيد عن ٣٠٠٠م .

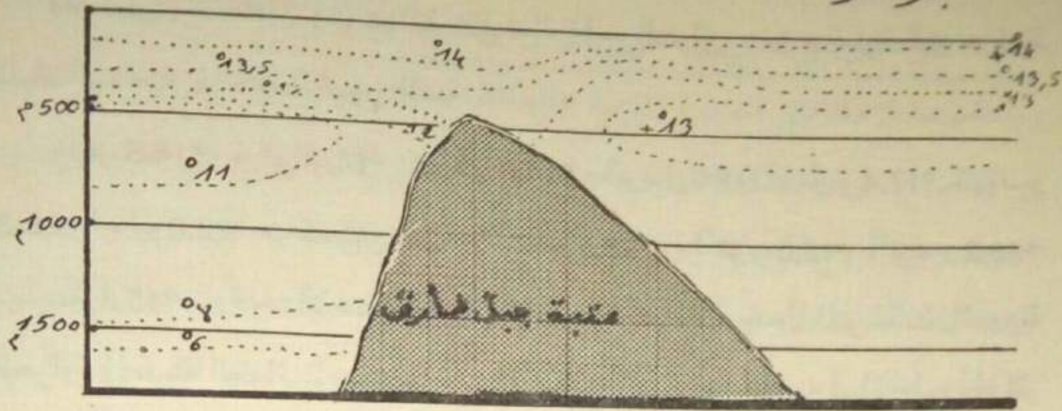
وقد دلت الدرسات الاقيانوغرافية ان عتبة جبل طارق تبعد نحو ٢٠٠م عن سطح مياه البحر ولاتسمح بارتفاعها هذا لمياه المحيط الاطلسي ، التي يزيد عمقها عن ذلك وهي مياه باردة تقل حرارتها عن ١٢,٥ درجة ، بالعبور الى البحر الابيض المتوسط ولهذا كانت حرارة مياه هذا البحر تزيد عن ١٢ درجة في اي عمق وفي اي منطقة .

---

(1) Alain Grovel : Contribution à l'étude sedimentologique des baies d'Alger et de berard

(2) Emmanel de Martonne : Traité de geographie phisyque A.C. Paris 1950 P.407

وتبلغ حرارة مياه خليج الجزائر اقصاها في شهر اغسطس ويعتبر هذا فى الواقع من العوامل



مقطع لمضيق جبل طارق

التي جعلت من شهر اغسطس أحر شهور السنة فى مدينة الجزائر . ومن أثر الموقع البحرى على حرارة المدينة نسيم البر والبحر الذي يعد من العوامل الجوية المؤثرة فى حرارة الشاطيء و من مميزات مناخ الساحل الجزائري . ففي الايام الساكنة يبدأ الهواء في التحرك نهارا من البحر نحو البر حوالي الساعة العاشرة ، وقد يبدأ قبل ذلك بقليل او بعد ذلك بقليل حسب الظروف المحلية ، الا انه يكون خفيفا جدا حتى لا نحس به فى الدقائق الاولى من هبوبه ، وتأخذ قوة نسيم البحر فى الازدياد حتى بعد الظهر بقليل وهي الفترة التى تشتد فيها الحرارة ويسخن فيها السهل المتيجي بسرعة جدا ، ثم يضعف نسيم البحر تدريجيا حتى يصل الى حالة السكون عند غروب الشمس . أما نسيم البر فيبدأ حوالي الساعة الثامنة مساء او بعدها بقليل حتى شروق الشمس تقريبا . ونسيم البحر يكون عادة اشد قوة من نسيم البر لان الانحدار الباروميتري بين الماء واليابس يكون شديدا فى النهار عنه في الليل .

وتختلف المسافة التي يصل اليها نسيم البحر فوق اليابس او نسيم البر فوق مياه

البحر تبعا لاتجاه الرياح السائدة، وقوتها، والحواجز التي تعترضها ، على ان متوسط هذه المسافة فى الجو الساكن الخالي من الحواجز هي ٣٠ كيلومتر . ومعنى هذا ان مدينة الجزائر وسهلها المتيجي يستمتعان بنسيم البحر ، وان هذا النسيم البحري يحس به حتى سكان جبال الاطلس التلي الذين يعرفونه بالبحري يساعدهم كثيرا فى فصل الصيف على التذرية وفصل الحبوب عن التبن .

وقد لوحظ ان نسيم البحر يهب على اليابس عادة على ارتفاع يتراوح بين الصفر والالف متر ، بل يصل الى ٢٠٠٠م في بعض ايام الصيف (١) . اما نسيم البر فيمتد فوق البحر الى ارتفاع يقرب من نصف كيلومتر . و بعد هذه الحدود في الاجواء العليا يبدأ نسيم البر او البحر فى الاختفاء لتحل محله الرياح السائدة . ويتفق موسم نشاط نسيمي البر والبحر مع اشد شهور حرارة اي في شهري يوليو وأغسطس بل وفى سائر شهور الصيف وذلك بسبب خلو فصل الصيف من الاضطربات الجوية ، ويقل فى فصل الشتاء لكثرة الاضطرابات الجوية .

ويعمل نسيم البحر على تلطيف الحرارة الشديدة اثناء النهار خلال فصل الصيف بصفة خاصة ،الامر الذي يترتب عليه انخفاض المدى الحراري اليومي والشهرى والسنوي لدرجات الحرارة ، وتحويل جو مدينة الجزائر الى جو لطيف يجذب السكان والسياح ، ويساعد على العمل .

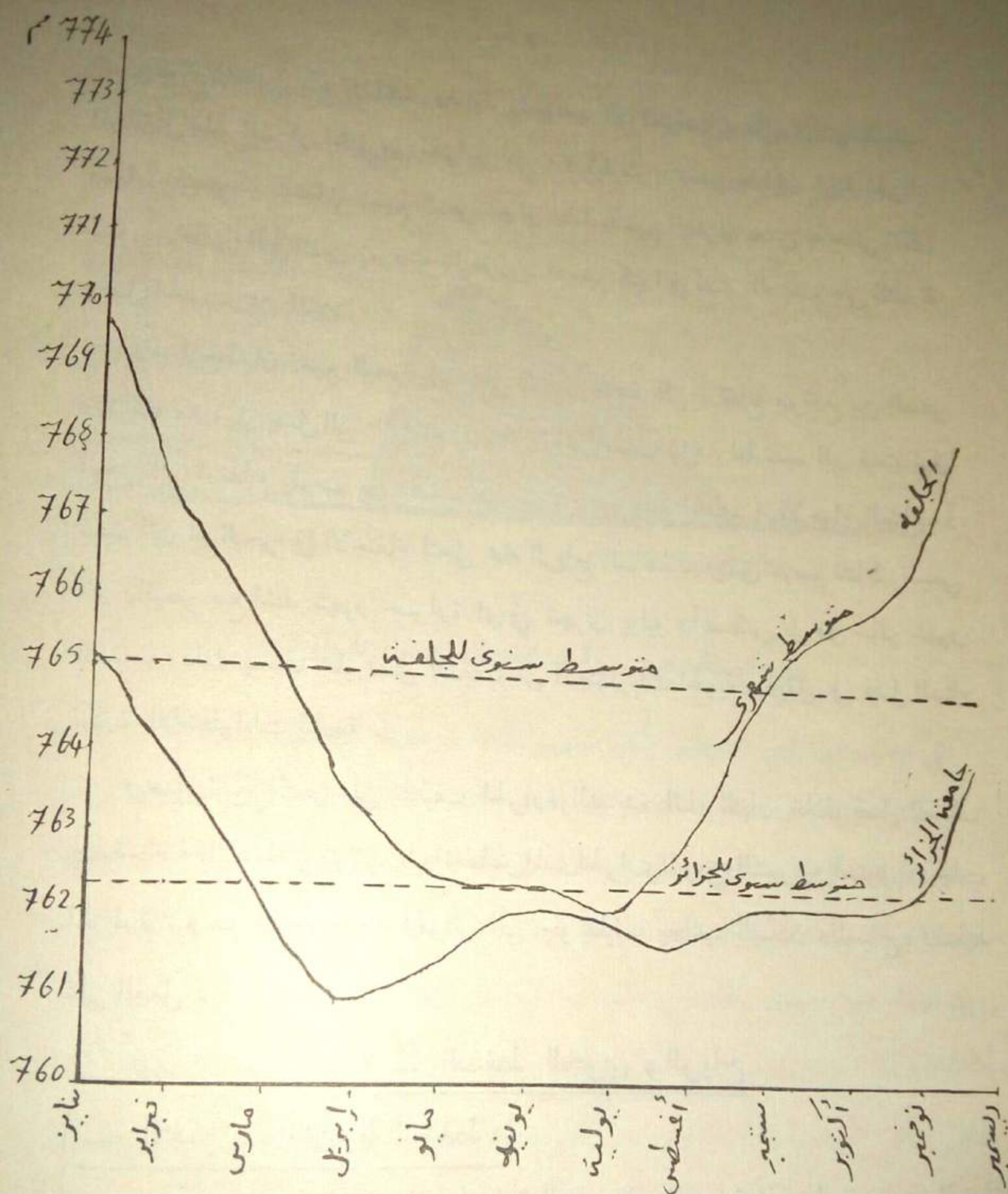
٢ ــ الضغط الجوي والرياح

أ ــ التغيرات الشهرية للضغط :

من جدول الضغط والمنحنيات البيانية للمتوسطات الشهرية للضغط فى مدينتي الجزائر والجلفة تظهر في المقارنة الآتي

أ ــ ان الضغط الجوي يبلغ متوسطاته القصوى في شهر يناير فى كل محطات الجزائر سواء أكانت المحطات ساحلية ام داخلية ، اذ هو ٧٦٥،٤مم في مدينة الجزائر و٧٦٩،٧مم في

(1) P. Siltzer : Climat de l'Algérie. P. 102



منحنيات المتوسطات الشهرية والسنوية للضغط فى

مدينتى الجزائر والجلفة

الحلقة ثم ان الضغط الجوى يبلغ متوسطاته الدنيا في شهر ابريل بالنسبة للمحطات الساحلية (٧٦١مم فى الجزائر) ، وفى شهر يوليه بالنسبة للمحطات الداخلية (٧٦٢،١مم فى الحلقة) ذلك ان الحرارة تشتد في الداخل في هذا الشهر ، اما فى الساحل فتعمل نسبة الرطوبة المرتفعة فى الجو على انخفاض الضغط فى فترة اسبق من الداخل ، ثم ان الانخفاضات الجوية المتنقلة من الغرب الى الشرق تصل الى مدينة الجزائر فى فترة مبكرة عنها فى الداخل .

ب ــ ان اعظم تغيير فى المتوسط الشهري للضغط ، من شهر ، للشهر الذي يليه ، يكون من يناير الى فبراير في مدينة الجزائر حيث ان الفرق فى الضغط بين هذين الشهرين يبلغ ١،٨مم . اما فى الداخل فان أعظم تغيير فى المتوسط الشهري يكون من أغسطس الى سبتمر ومعنى هذا ان الانتقال نحو نظام الضغط الشتوي فى مدينة الجزائر يكون أكثر فجائية ووضوحا من الانتقال نحو نظام الضغط الصيفي أما فى الداخل فان الانتقال الفجائي يكون فى فصل الخريف .

جـ ــ ان فوارق متوسطات الضغط الشهرية لمختلف شهور السنة تزداد شدة كلما تقدمنا فى الداخل وابتعدنا عن البحر وان هذه الفوارق تبلغ اشدها فى الصحراء .

ب ــ التغيرات السنوية :

ان المتتبع للارصادات الجوية لمتوسط الضغط السنوي من ١٨٨٨ الى ١٩٣٧ (اي لفترة نصف قرن) يلاحظ ان المتوسط السنوي للضغط بمدينة الجزائر يدور حول ٧٦٢،٥مم وان الفارق عبر السنوات المختلفة لايزيد عن ٠،٠٢مم وهو بذلك قريب من المتوسط العادي بالنسبة لمستوى سطح البحر مما جعل من مدينة الجزائر منطقة ضغط معتدلة ولاتعد من مناطق الاعاصير تخرج منها الرياح بقوة ولاالعكس . واهم ما تتعرض له منطقة المدينة هي تأثيرات الانخفاضات الجوية القادمة من الغرب الى الشرق .

ويبدأ ظهور موسم الانخفاضات الجوية فى شهر اكتوبر اوقبله بقليل ، ويشعر السكان بيوادره من تقلبات الطقس من آونة لاخرى ، وكلما تقدمت الشهور ازدادت التقلبات

جدول المعدلات الشهرية للضغط الجوى وسرعة الرياح واتجاهها فى مدينة الجزائر . (مرصد الجامعة)

الشهر	الضغط الجوى المتوسط عند مستوى سطح البحر بالميليمتر	سرعة الرياح حسب مقياس بوفور	اتجاهات الرياح (%) شمال	شمال شرقي	شرق	جنوب شرقي	جنوب	جنوب غربي	غرب	شمال غربي
يناير	765,1	2,3	9,3	13,3	5,6	1	2	22	32,3	17,6
فبراير	763,6	2,5	6,3	15,3	5,3	1,3	2	19	32,6	18
مارس	762	2,7	6,6	21,6	5,1	1,3	1,6	17,6	29	16,6
ابريل	761	2,5	9	23	5,6	0,6	1,6	15	2,2	16,8
مايو	761,5	2,3	10,6	34,1	7,1	1,1	1,1	10,6	20,3	13,6
يونيه	762,2	2,3	12,3	43,3	8,3	1,3	0,6	6	15	13
يوليه	762	2,2	12,3	50	10	1,6	1	5,3	10,3	9,6
اغسطس	761,7	2,5	14	49,6	11	1,3	1,3	4,6	9,3	8,6
سبتمبر	762,3	2,2	14,3	35,6	10	1,6	1,6	9	15	12 6
اكتوبر	762,3	2,2	8,6	25,3	7	1	2,3	14,3	27,6	13 ,6
نوفمبر	762,4	2,2	6,3	14	4,6	1,6	2,3	20,6	35,3	15,3
ديسمبر	764,2	2,3	6,3	10	2,3	1,3	2	21,3	36	14,3
المتوسط السنوي	762,6	2,4	9	28,3	7,3	1,3	1,6	14	24,3	14,3

جدول للفوارق اليومية للضغط عن المتوسط فى مدينة الجزائر

(الفرق بالمليمتر)

الشهر	ساعات اليوم											
	h. 1	h. 3	h. 5	h. 7	h. 9	h. 11	h. 13	h. 15	h. 17	h. 19	h. 21	h. 23
يناير	mm8 +	mm8 —	mm34 —	mm4 —	mm34 +	mm40 +	mm33 —	mm46 —	mm35 —	mm1 +	mm29 +	mm39 +
ابريل	mm9 +	mm25 —	mm33 —	mm1 +	mm26 +	mm22 +	mm5 —	mm36 —	mm37 —	mm0	mm42 +	mm41 +
يوليه	mm16 —	mm40 —	mm23 —	mm8 +	mm38 +	mm45 +	mm21 +	mm1 —	mm32 —	mm25 —	mm12 +	mm16 +
اكتوبر	mm2 —	mm43 —	mm41 —	mm2 +	mm38 +	mm37 +	mm16 —	mm31 —	mm22 —	mm18 +	mm34 +	mm30 +

الجوية شدة وعنفا حتى اذا كان شهر يونيه خلا الطقس من هذه الظاهرة الجوية وساد الطقس الصيفي . والانخفاضات الجوية لايظهر أثرها واضحا الا ابتداء من شهر نوفمبر . ويصح ان نميز بين الانخفاضات المبكرة التي تحدث من نوفمبر الى مارس وتمر عادة فوق البحر الابيض المتوسط ، والانخفاضات المتأخرة التي تحدث فيما بين ابريل ويونيه وتمر الى الجنوب قليلا من خط عرض الانخفاضات المبكرة .

ج ــ التغيرات اليومية للضغط :

في التغيرات اليومية للضغط يلاحظ ان الضغط يختلف فى الليل عنه في النهار بل يختلف ايضا من ساعة لاخرى خلال الاربعة وعشرين ساعة من اليوم .

واذا استعرضنا جدول التغيرات للضغط اليومي خلال اقل الشهور ضغطا (ابريل) واكثر الشهور ضغطا (يناير) فى محطة برية من مدينة الجزائر اتضح لنا ان الضغط يكون اكثر من المتوسط بقليل على الساعة الواحدة ليلا في شهرى يناير وابريل ثم دون المتوسط فيما بين الثالثة والخامسة صباحا ، ثم يشتد ويعود الى ما فوق المتوسط فيما بين التاسعة والحادي عشر ، ثم ينحدر الى ما دون المتوسط بعد الظهر لغاية المساء ، ثم يعود الى الارتفاع .

و المتبع لهذه الذبذبات اليومية يلاحظ ان الامطار قد تنزل غالبا بمدينة الجزائر في فترة انخفاض الضغط التي تجلب الرياح ، وتكف فى فترة الارتفاع ، وان ساعات سقوط الامطار بالمدينة تكون فى الصباح الباكر ، ثم تكف فى الضحى ، ثم تعود بعد الظهر حتى غروب الشمس ، ثم تصحو السماء في بقية اليوم . و التغيرات اليومية للضغط بمدينة الجزائر ضعيفة اذا ما قورنت بالداخل لذلك كانت رياحها معتدلة وامطارها اقرب الى الطش منها الى الرش .

د ــ الريــاح

وهي ناتجة عن اختلاف الضغط وتعد من أهم العناصر التي تميز المناخ ، عليها تتوقف حركات السحب ونزول الامطار وانتقال الحرارة ، وعلى أساسها تعتمد بعض الاعمال الفنية وينبغي ان نميز بين الرياح السطحية التي تتوقف شدتها واتجاهاتها على الانحدار البارومتري

ومايعترض سبيلها من حواجز طوبوغرافية ، وبين الرياح العلوية التي تهب على ارتفاعات تزيد عن ١٠٠٠م ولا تعترض سبيلها حواجز طوبوغرافية . وقد لوحظ في مدينة الجزائر ان الرياح العلوية تهب على ارتفاعات تزيد عن الالف متر ، وهى غربية طوال السنة على عكس الرياح السفلية التي تختلف من فصل لآخر، ومن محطة لاخرى ولو كانت هذه المحطات قريبة من بعضها نتيجة للحواجز الطوبوغرافية التي تعترض سبيلها، والمثال على هذا تؤكده لنا المقارنة بين محطة الجامعة ومحطة الحراش اللتين لاتبعدان عن بعضهما باكثر من ١٢كلم

والنظام العام للرياح السفلية في مدينة الجزائر يخضع للتأثيرات المتناوبة بين مياه البحر الابيض المتوسط وبين اليابس الشمالي من القارة الافريقية .

ففى فصل الشتاء او ابتداء من شهر اكتوبر الى شهر ابريل تسود في اقليم مدينة الجزائر الرياح الغربية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية وهي الفترة التي يظهر فيها ضغط مرتفع فوق الاطلس الصحراوي وضغط منخفض فوق البحر الابيض المتوسط يجذب هذا الاخير نحوه المنخفضات الجوية من المحيط الاطلسي عن طريق مضيق جبل طارق او شبه جزيرة ايبيريا ، و هبوب الرياح الجنوبية قليلة فى فصل الشتاء وتكون في معظمها دلالة على اقتراب الانخفاضات الجوية وهي رياح حارة يطلق عليها رياح القبلي الذي له أثر سيء على السكان ومزروعاتهم ، وهبوب الرياح الشمالية فى هذا الفصل تكون دلالة عن ابتعاد الانخفاضة الى الشرق ، وفيما بين فترتي هبوب الرياح الجنوبية والشمالية تهب الرياح الغربية وراء الانخفاضة الجوية وهي السائدة .

وفي فصل الصيف يكون الانحدار الباروميتري ضئيلا فى اقليم المدينة وبالخصوص فى شهر يوليه واغسطس ، لذلك تقل الرياح الغربية اوتهدأ لتحل محلها رياح اخرى محلية متغيرة جدا فى اتجاهاتها العامة ، تخضع في معظم هبوبها الى الظروف المحلية مثل الانحدار الباروميتري من البحر الى البر نهارا ومن البر الى البحر ليلا وما ينتج عن ذلك من نسيم البر والبحر الذي تحدثنا عنه سابقا .

واحسن محطة في الجزائر لبيان التناوب بين نسيم البر والبحر هي محطة الحراش التي

تعد بحق في موقعها الجغرافى بوابة السهل المتيجي نحو البحر . فهواء السهل المتيجي يبرد ليلا لاتصاله بالارض ثم ينحدر بقوة الجاذبية الارضية نحو البحر دون ان يتعرض سبيله حاجز طبيعي ، ثم يعكس اتجاهه في النهار . وفى المقارنة بين وردتيي الرياح لمحطة الجامعة ومحطة الحراش خلال شهور السنة نلاحظ ان الجامعة اقل خضوعا لنسيم البر والبحر من الحراش نظرا لسلسلة الاعراف الجنوبية التى تعوق حركة نسيم البر والبحر فى الجامعة ، ثم نلاحظ ان الجزء الغربي من مدينة الجزائر تغلب عليه طوال السنة الرياح الغربية والشمالية الغربية ، والجزء الشرقى او مدينة الحراش بالضبط ، فتغلب عليها الرياح الشمالية اثناء النهار ، والرياح الجنوبية الغربية اثناء الليل والصباح ، فى كل فصول السنة وبذلك كانت فى حرارتها اقل من جامعة الجزائر الواقعة فى ظل الرياح الغربية اوالشمالية الباردة بنحو ثلاث درجات طوال السنة . ويجدر بنا ان نلاحظ ان مدينة الجزائر القديمة تسود بها الرياح الشمالية الشرقية لانها غير مكشوفة للرياح الغربية التي يحجزها جبل بوزريعة وعلى العكس من ذلك حى باب الوادي وحي بلكين ورأس كاكسين وهي احياء تجابه اشد الرياح فى المنطقة أي الرياح الغربية او الشمالية الغربية وجدول اتجاهات الرياح يوضح ان ما يقرب من ٣٠٪ من مجموع الرياح ، التي تهب على المدينة القديمة طوال السنة، هي الرياح الشمالية الشرقية واقلها هي الرياح الجنوبية ثم الجنوبيه الشرقية .

واذا حللنا اكثر من ذلك متوسط اتجاهات الرياح اليومية ، لاربعة شهور منتقية من الفصول الاربعة اتضح لنا من خلال وردة الرياح للحراش والجامعة ان الرياح السائدة صباحا على مدينة الجزائر القديمة في شهر يناير هى الرياح الغربية التي تقل نسبتها بعد الظهر لتعود فى المساء . وفي شهر ابريل تسود الرياح الغربية صباحا والشمالية الشرقية ظهرا ثم تقترب كل من الغربية والشمالية الشرقية من التعادل بالمساء . وفى شهر يوليو تسود الرياح الشمالية الشرقية في كل ساعات اليوم . وفى شهر اكتوبر تعود الغربية الى الظهور صباحا والشمالية الشرقية في بقية اليوم . اما فى مدينة الحراش فان الرياح اكثر انتظاما من الجامعة والرياح السائده صباح كل يوم من شهور السنة ، فى الحراش ، هي الرياح الجنوبية الغربية

او ما اطلقنا عليها بنسيم البر ، ويعد الظهر تسود الرياح الشمالية او ما أطلقنا عليها بنسيم البحر ، ثم يظهر التصارع جيدا بين نسيم البر والبحر بالمساء .

ولاتختلف الرياح السفلية التي تهب على مدينة الجزائر طوال السنة فى اتجاهاتها وذبذباتها فقط ، بل كذلك في شدتها التي تختلف من ساعة لاخرى ومن شهر لآخر . وقد لوحظ ان هذه الرياح تبلغ شدتها القصوى فى فصل الشتاء حيث يلبغ معدل سرعتها فى اوائل شهر مارس نحو العشر كيلومترات في الساعة وفي شهر ديسمبر نحو التسع كيلومترات في الساعة . على العكس من ذلك رياح الصيف الهادئة التي يدور معدل سرعتها حول السبع كيلومترات فى الساعة ، ومعنى هذا ان الرياح في معظمها ، التي تهب على مدينة الجزائر هي من نوع الرياح الحفيفةles vents faiblesحسب مقياس بوفور Beaufort اوالرياح التي يعرفها انجو(١)Angot بانها تحرك اغصان الاشجار وتهزها هذا من غير ان تكسرها .

وقد تختل هذه القاعدة ، من ان الرياح بمدينة الجزائر خفيفة ،حيث انه فى سنوات

الساعة 7
الساعة 13
الساعة 18
الساعة 7
الساعة 13
الساعة 18
يناير
ابريل
يوليه
اكتوبر
وردة الرياح فى الحراش
وردة الرياح فى الجزائر

رسم لاتجاهات الرياح

(1) A Angot. Instructions météorologiques. 3eme éditions. Paris 1891 p.77

نادرة تهب - فى اوائل فصل الشتاء لدقائق او لساعة او لساعات معدودة من اليوم - رياح الانواء او الزوبعة la trombe التي تزيد فيها سرعة الرياح عن الخمسين كيلومترا فى الساعة وتسبب اخطارا جسيمة فى المدينة ومينائها . وقد حدثت مثل هذه الزوبعة فى ٢٥ اكتوبر من سنة ١٥٤١ فاهلكت حملة شارل الخامس التي نزلت على مصب وادي الحراش قاصدة الاستيلاء على مدينة الجزائر ، وتسببت العاصفة فى تحطيم ما يزيد عن مائتي مركب للعدو وقتل مايزيد عن ١٢ ألف جندي وهي ضربة الهية كانت قاسية على الاسبان فى حروبهم مع الجزائر (١) وحدثت زوبعة اخرى مساء يوم الاربعاء ١١ ديسمبر سنة ١٩٦٨ فجرفت أمامها سفينة الطوباز والقت بها على رمال شاطيء حسين داي ، وفى صباح هذا اليوم سجلت الارصاد الجوي سرعة الرياح بمحطة الجامعة : ٣،٦ كيلومتر فى الساعة ودرجة السحب ٨/٨ ومتوسط الحرارة ١٥ درجة ، وبعد الظهر بدأ الطقس فى التغير وما ان جاءت الساعة السادسة مساء حتى اكفهر الجو واظلمت السماء وهبت ريح شمالية غربية قوية جدا اثارت الامواج وجرفت الطوباز و افاضت مياه البحر على شارع الجيش وحطمت الاشجار فى القبة وتوقفت المواصلات و صاحبتها امطار كافواه «القرب» بلغت ذروتها فى هذا اليوم حيث سجل مرصد الجامعة ٥٣مم اي حوالي ١٠٪ من مجموع الامطار السنوية وفى الصباح الذي تلى تلك العاصفة عاد الجو الى صفائه وسادت الرياح الطيبة بقية العام .

والزوبعة ظاهرة بحرية تتحرك رياحها فى شكل حلزوني من اسفل الى اعلى او من القمة الى القاعدة حول عمود من الفراغ يشبه الممصة ، خال من الهواء وبالتالي من الضغط ، فيه ترتفع التيارات المائية داخل هذا الفراغ ، وتكون حركة المياه سريعة في الاسفل حتى يسمع لها دوي من بعيد ثم تتباطأ كلما ارتفعت ، نظرا للمقاومة التى تتلقاها من الطبقات الهوائية كلما ارتفعت . وتتبع العاصفة ثلاث مراحل فى حركاتها

---

(١) فيها قال ارتان Aretin احد هجائي الحملة الاسبانية لشارل الخامس عندما اهدى له هذا الاخير سلسلة ذهبية ثمينة لاسكاته :

«Elle est bien légère pour une faute si lourde» d'aprés

M. Bonnafont : geographie medicole d'Alger et ses environs Alger 1839. p. 16

١ ــ حركة حلزونية امتصاصية في المركز اواوسط النقطة الارضية التي تبدأ فيها عملية الامتصاص . ٢ ــ حركة دوران : ٣ ــ حركة نقل . وعندما تتشبع العاصفة تنطوي على نفسها او تنكمش مثلها فى ذلك مثل العلقة في حركاتها الدودية ، واول ما يختفى من العاصفة هي قمتها او سطح ملامستها للارض ، اما قاعدتها فتظل ظاهرة من تحت السحب واذا تشبعت الزوبعة بالمياه تحول ما امتصته الى سحب تظل عالقا بالهواء وقد تنزل فى شكل امطار طوفانية ان اعترض هذا العمود الحلزوني المتنقل عارض ادى الى تحطيمه وبالتالي لا تصل المياه الممتصة فى الحلزون الى طبقات الجو العليا التي تجعلها في توازن مع السحب.

واخيرا يجدر بنا ان نشير الى ان رياح القبلي المشهورة في شمال افريقية، وهي التي تهب في مقدمة الانخفاضات الجوية كما ذكرنا سابقا ، تـؤثر على المظهر الحيوي بصفة عامة حيث تعوق النشاط البشري وتحرق الغلات ، وتزيد الارض جفافا والتبخر نشاطا . وقدساعد الحظ لمدينة الجزائر فى ان هذه الرياح المعروفة برياح السموم ايضا لاتهب عليها الافي فترات متقطعة من بعض ايام السنة وفى بعض الاحيان تهب لساعات معدودة من اليوم ، وقلما نجدها تهب طيلة اليوم . وقد دلت الملاحظات الجوية انها تكثر في ايام شهور الصيف اذ يبلغ معدل عدد ايام القبلي ٢،٤ فى شهر اغسطس و٢،٣ فى شهر يوليه ، بينما المعدل اليومي ينخفض فى شهر ديسمبر ويناير الى ٠،٦ . وعلى كل هذا فان مدينة الجزائر لاتتعرض كثيرا لرياح القبلي اذا ما قورنت بالمدن الداخلية بل وحتي بعض المدن الساحلية ذلك ان مدينة الجزائر محمية طبيعيا ، بفضل اعرافها الجنوبية وسلاسل جبـال الاطلس من رياح القبلي الجنوبية وان جبل بوزريعة بحكم ارتفاعه لايتعرض طوال السنة الا نادرا لرياح القبلي والاحصائية التالية تبين ذلك :

المحطة	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر
بوزريعة	٠،٦	١	٢،١	١،٧	١،٢	١،٢	٢،٣	٢،٤	١،٨	١،٤
الجزائر	٠،١	٠،٢	٠،٣	٠.٨	٠،٨	٠،٨	!،٣	١،٧	١،١	٠،٩

المحطة ،	نوفمبر ،	ديسمبر ،	السنة :
بوزريعة ،	١،٦	٠،٦	١٧،٩
الجزائر ،	٠،٥	٠،٠	٨.٥

ويسمى بعض الكتاب هذه الرياح الجنوبية الصحراوية بالرياح المتلفة او المفسدة Vent de corruption والعرب يسمونها بالسموم وفى ايطاليا يطلقون عليها اسم السيروكو وفى مصر تعرف بالخماسين وفى قسنطينة بالقبلي و كل هذه الاسماء توحي لنا بالنتائج الوخيمة التي تسببها رياح القبلي على السكان وعلى مزروعاتهم اثناء هبوبها . اذ هي رياح حارة لان مصدر نشأتها داخل الاقاليم الافريقية الحارة ثم تشق طريقها نحو الشمال فتعبر الصحراء الكبرى لتجمع منها ما شاء الله من حرارة وجفاف واتربة فى شكل غيوم تنقلها الى مسافات عظيمة وهي غيوم اكثر خطرا بمائة المرة على سكان الصحاري من عواصف وامواج المحيطات على سكان الجزر . اذ تحرق رياح القبلي وتخنق كل من وما يعترض سبيلها ، وتلهب الدم ، وتثير الاعصاب ، وتحصر الصدر ، وتضيق التنفس وتزيد من الفوارق الحرارية اليومية . وعلامة هبوب رياح القبلي هي تلبد السماء بالغيوم حتى الافق ثم تأخذ الحرارة في الارتفاع ويشتد التبخر ، ويحجب الافق بهالة يتراوح لونها بين الاحمر والاصفر البرتقالي نتيجة تحلل الاشعة الشمسية ، وتنتشر رائحة كريهة من الاتربة لارتفاع الحرارة ثم تتبعها عاصفة ارضية تحمل الاتربة والغبار الذي يدخل فى كل منفذ يصادفه مثل الفم والاذنين ويلتسق بالعينين بل وبكل جسم يلامسه . ومدينة الجزائر الواقعة بالقرب من البحر لاتهب عليها رياح القبلى الا نادرا كما يظهر من الجدول السابق .

٣ ـ الرطوبة :

يعنينا هنا أثر الرطوبة على الجسم والنشاط البشري ، فللرطوبة تأثير سيء ان زادت عن الحدود التى يمكن لجسم الانسان ان يتحملها ، و بالخصوص اذا صاحبتها الحرارة كما تعمل زيادة الرطوبة على التأثير في النشاط البشري واقتصادياته ومؤسساته . فيلاحظ ان الجدران المغطات بطبقة من الجير تعمل على امتصاص الرطوبة والتقليل من نسبتها

في الجو كما ان الرطوبة تؤثر على المواد البنائية بصفة عامة والمزروعات بصفة خاصة وتحسب الرطوبة الجوية بالاطلاق او بالمقارنة ومن هنا كانت الرطوبة المطلقة والرطوبة النسبية .

ان الرطوبة المطلقة مرتفعة في جو مدينة الجزائر بصفة عامة نتيجة لموقع المدينة على شاطيء البحر ، وتبلغ الرطوبة المطلقة حدودها الدنيا فى فصل الشتاء (المتوسط اليومي لشهر يناير ٧،٦مم) وحدودها القصوى في فصل الصيف (المتوسط اليومي لشهر اغسطس ١٦،٤مم) . وفي المقارنة بين مدينة الجزائر والجلفة مثلا نلاحظ ان الرطوبة المطلقة تقل بصفة عامة كلما توغلنا في الداخل والسبب فى ذلك واضح اذ يرجع الى مجاورة المياه البحرية للمدن الساحلية ، وهي مياه تعد المصدر الاول للرطوبة الجوية اما سبب ارتفاع الرطوبة المطلقة على الساحل فى الصيف عنها في الشتاء فتفسره عملية التبخر التي تشتد فى فصل الصيف نتيجة لاشتداد الحرارة في هذا الفصل عنه في بقية فصول السنة ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان الرياح التي تهب من البحر نحو الساحل تكثر فى فصل الصيف فتنقل بذلك الى الاقليم كميات كبيرة من الرطوبة وتؤدي الى ارتفاع الرطوبة المطلقة على الساحل ، على عكس الرياح التى تهب من الصحراء فهي تعمل على زيادة الجفاف وانخفاض الرطوبة المطلقة ويظهر هذا واضحا فى المقارنة بين الرطوبة المطلقة لمختلف ساعات اليوم ولاسيما في شهر اغسطس حيث يسود نسيم البر والبحر فى مدينة الجزائر . ففي صباح ايام هذا الشهر يبلغ المعدل للرطوبة المطلقة ١٥،٩مم على الساعة السابعة وهي فترة يسود فيها نسيم البر وتكون درجة الحرارة منخفضة . ثم يرتفع المعدل للرطوبة المطلقة الى ١٦،٨مم بعد الظهر ثم ١٧،٥مم على الساعة السادسة مساء هي فترة يسود فيها نسيم البحر وتكون درجة الحرارة مرتفعة وبالتالي عملية التبخر شديدة ويلاحظ ان الرطوبة المطلقة اليومية تزداد ذبذبة فى الصيف عنها فى الشتاء لنفس السبب .

ولتكوين صورة جلية عن ملاءمة المكان للاستقرار من الناحية المناخية ينبغي دراسة

الرطوبة النسبية وعلاقتها بالحرارة فى كل شهر من شهور السنة وذلك لان ارتفاع الحرارة الى درجة معينة قد يمكن تحملها اذا اتفقت مع نسبة معينة للرطوبة النسبية ، فاذا ارتفعت هذه النسبة عن ذلك تحول الجو الى جو خانق يصعب تحمله .

ويلاحظ من الجدول ان الرطوبة النسبية فى ارتفاعها و انخفاضها على عكس الرطوبة المطلقة حيث ان الاولى تبلغ حدودها القصوى فى فصل الشتاء (معدل شهر يناير ٧٢٪) وحدودها الدنيا في فصل الصيف (معدل شهر اغسطس ٦٨٪) . وهذا يرجع بالطبع الى ارتفاع درجة الحرارة فى الصيف عنها فى الشتاء وزيادة هبوب الرياح الجنوبية الحارة فى فصل الصيف مما يزيد من قدرة الهواء على حمل بخار الماء وابتعاده عن نقطة الندى فى الصيف والعكس في الشتاء ، ثم يلاحظ ارتفاع الرطوبة النسبية في الشتاء عنها في الصيف اي ان الحرارة الشديدة و الرطوبة النسبية المرتفعة لايجتمعان فى مدينة الجزائر ، مما يجعلان جو المدينة ملائما تماما للسكن . ويظهر أثر الحرارة والرياح الجنوبية على الرطوبة النسبية جليا فى المقارنة لمحطة الجزائر ، بين نسب الرطوبة النسبية وبين الدورة اليومية للحرارة لمختلف ساعات اليوم طوال ايام السنة ، والعلاقة بينهما عكسية حيث ان الرطوبة النسبية ترتفع صباحا ومساء واثناء الليل ، وتتفق فى ذلك مع فترات انخفاض درجات الحرارة وتنخفض الرطوبة النسبية وسط النهار عندما تشتد درجات الحرارة او عندما يشتد الاشعاع الارضي والاشعاع الشمسي . فالرطوبة النسبية لمختلف ساعات اليوم من شهر اغسطس يكون معدلها ٧٠٪ عند الساعة السابعة ، و ٦٠٪ عند الساعة ١٣ و ٧٤٪ عند الساعة ١٨ ، ومن هنا يتجلى لنا السبب فى ان جل مطار مدينة الجزائر تنزل اثناء الليل .

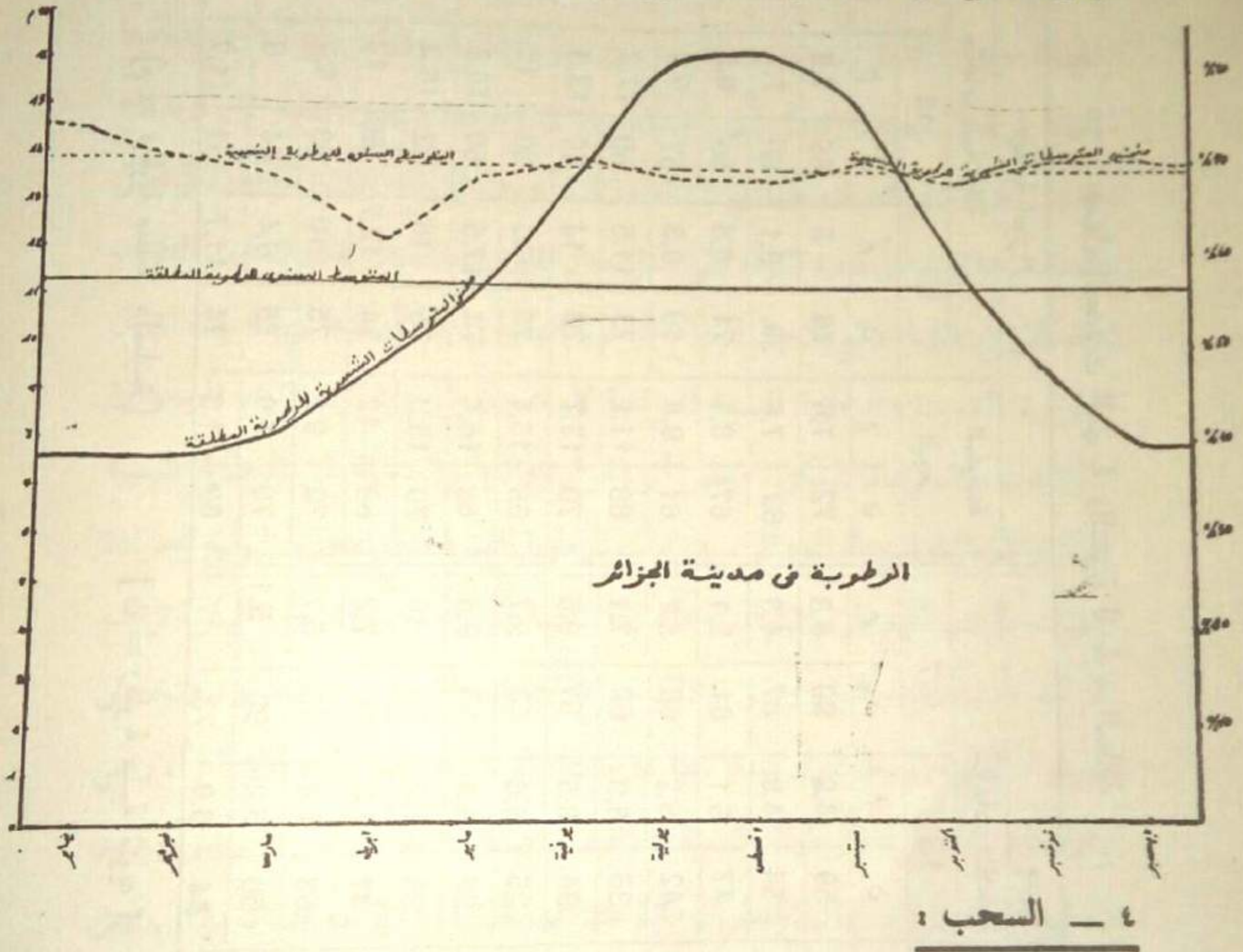
وثمة ظاهرة اخرى مناخية تتميز بها مدينة الجزائر عن المدن الداخلية هي ضعف المدى السنوى للرطوبة النسبية على عكس الرطوبة المطلقة ، اذ يبلغ هذا المدى في مدينة الجزائر ١١٪ بالنسبة للرطوبة النسبية و ٨،٨مم بالنسبة للرطوبة المطلقة ، والفرق بين النهايتين العظمى والصغرى للرطوبة النسبية يكون اقل ما يمكن فى الشتاء عنه فى الصيف أما في مدينة الجلفة فيبلغ المدى السنوي للرطوبة النسبية ٣٩٪ ويبلغ المدى السنوى للرطوبة المطلقة

جدول المعدلات الشهرية والسنوية للرطوبة المطلقة

الشهر	جامعة الجزائر – ساعات الملاحظة 7		13		18		المتوسط اليومي		مدينة الجلفة – ساعات الملاحظة 7		13		18		المتوسط اليومي	
	م	ن	م	ن	م	ن	م	ن	م	ن	م	ن	م	ن	م	ن
يناير	7,2	75	7,8	66	8	76	7,6	72	4,8	90	4,9	59	4,9	71	4,8	73
فبراير	7,2	72	7,7	60	8,1	75	7,6	69	4,6	87	4,9	54	4,9	61	4,8	67
مارس	7,6	71	8,2	59	8,5	71	8,1	67	5,1	81	5,1	47	5,5	59	5,2	62
افريل	8,6	67	9,3	57	9,3	69	9,6	61	5,7	68	6,2	42	6	49	5,9	53
مايو	11	72	11,2	60	11,5	73	11,2	68	7,1	62	6,9	36	7,3	44	7,1	47
يونيه	13,6	72	13,5	60	14	79	13,7	70	9,6	67	8,5	34	8,4	37	8,8	46
يوليه	15,9	73	16	60	16,6	72	16,1	68	9,7	48	8,6	25	9,3	29	9,3	34
اغسطس	15,9	70	16,8	60	17,5	74	16,4	68	9,6	50	8,3	25	8,6	28	8,8	34
سبتمبر	15	74	15,4	62	16	75	15,3	70	10	79	9,2	39	9,5	46	9,5	54
اكتوبر	11,5	72	12	60	12,7	74	12	68	7,2	76	7,8	47	6,9	50	7,3	57
نوفمبر	9	73	6,9	63	10	75	9 5	70	5,7	80	7,4	58	6,5	72	6,5	70
ديسمبر	7,4	72	8	64	8,4	75	7,9	70	5,1	90	5,2	60	5	70	5,1	73
السنة	10,8	72	11,7	61	11,7	74	11,3	69	7	73	6,9	44	6,9	51	6,9	56

[م = رطوبة مطلقة بالميليمتر] [ن = رطوبة نسبية مئويه]

٤،٧مم وتفسير هذا يرجع دائما الى الموقع البحري لمدينة الجزائر ، الذي جعلها اقل ذبذبة فى الرطوبة النسبية ، واكثر رطوبة مطلقة من المدن الداخلية فمتوسطها السنوي للرطوبة النسبية ٦٩٪ ومتوسطها السنوى للرطوبة المطلقة ١١،٣مم اما الجلفة فمتوسطها السنوي للرطوبة النسبية هو ٥٦٪ ومتوسطها السنوي للرطوبة المطلقة ٦،٩مم .



٤ ــ السحب :

ان المنطقة الواقعة تحت سماء تحجبها السحب لفترة طويلة من ايام السنة تعد منطقة غير ملائمة للسكن لأن السماء المحجوبة لاتبعث الكآبة فى نفوس السكان فقط، ولكن تعوق الاشعاع الارضي والاشعاع الشمسي ومن هذه الزاوية كانت دراسة السحب للمدينة من اهم الدراسات لمعرفة مدى التلاؤم بين المناخ والتركز البشري ، اذ الجو الصافى يشحذ الذهن ويسر النفس ، ويساعد على التفكير المنتظم ويزيد من ثروة الانسان .

ويبين جدول المتوسطات الشهرية والسنوية لدرجة السحب في مدينة الجزائر وضواحيها

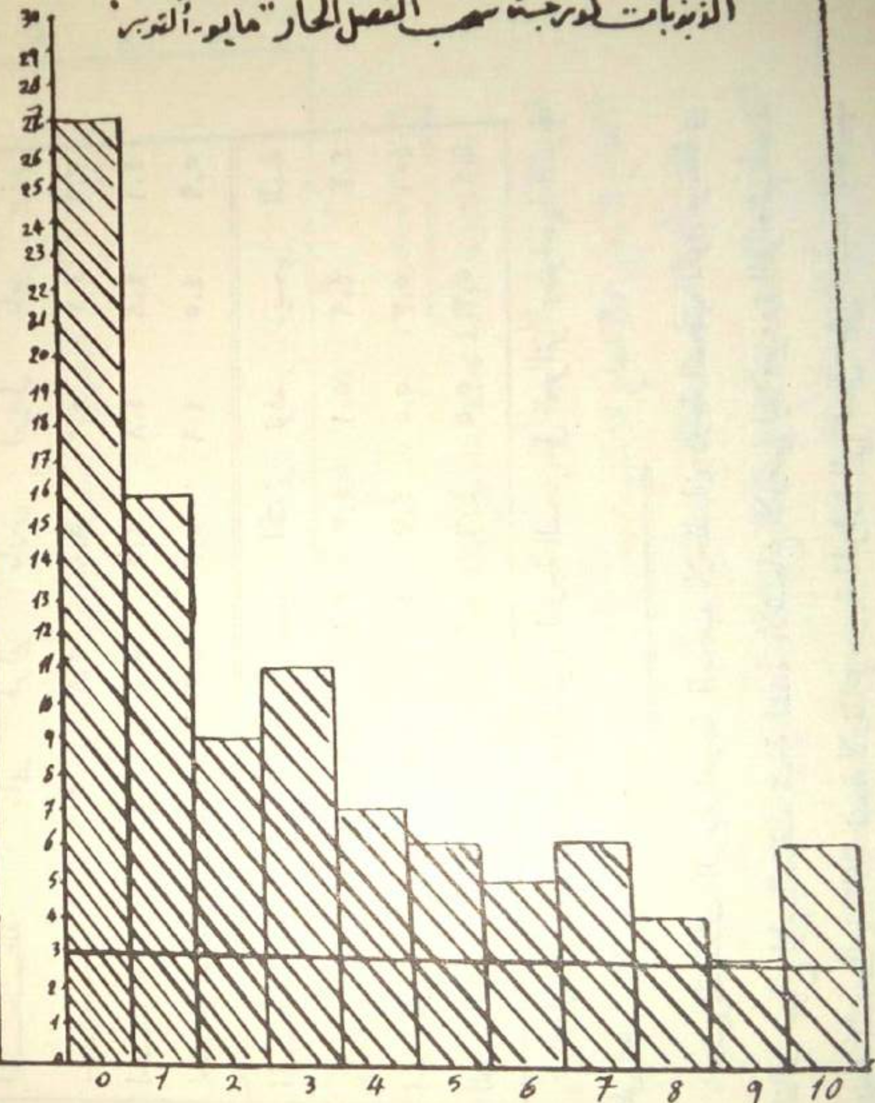
ان سماء المنطقة صافية في اغلب ايام السنة حيث ان المتوسط السنوي لدرجة السحب يقل عن ١٠/٥ وان هذه الدرجة تقل كلما توغلنا في الداخل . وان درجة السحب تبلغ اقصاها في فصلي الخريف والشتاء او فى نصف السنة البارد الممتد من نوفمبر الى ابريل كما يبينه الشكل حيث ان هذا النصف البارد تبلغ فيه نسبة ١٠/١٠ خمسة عشر يوما ونسبة ١٠/٠ اثنا عشر يوما . واكثر الشهور سحبا هو شهر نوفمبر الذى يبلغ فيه المتوسط الشهري لدرجة السحب ١٠/٥،٥ . ثم ان درجة السحب تبلغ حدودها الدنيا في فصلي الربيع والصيف او في نصف السنة الحار الممتد من مايو الي اكتوبر ، وهو فصل تصفو فيه السماء ، وتقل به درجة السحب حيث ان هذا النصف الحار تبلغ فيه نسبة ١٠/٠ سبعة وعشرين يوما ، ونسبة ١٠/١٠ ستة ايام ، واقل الشهور سحبا هو شهر يوليو الذي يبلغ فيه المتوسط الشهري لدرجة السحب ١٠/٢،٧ .

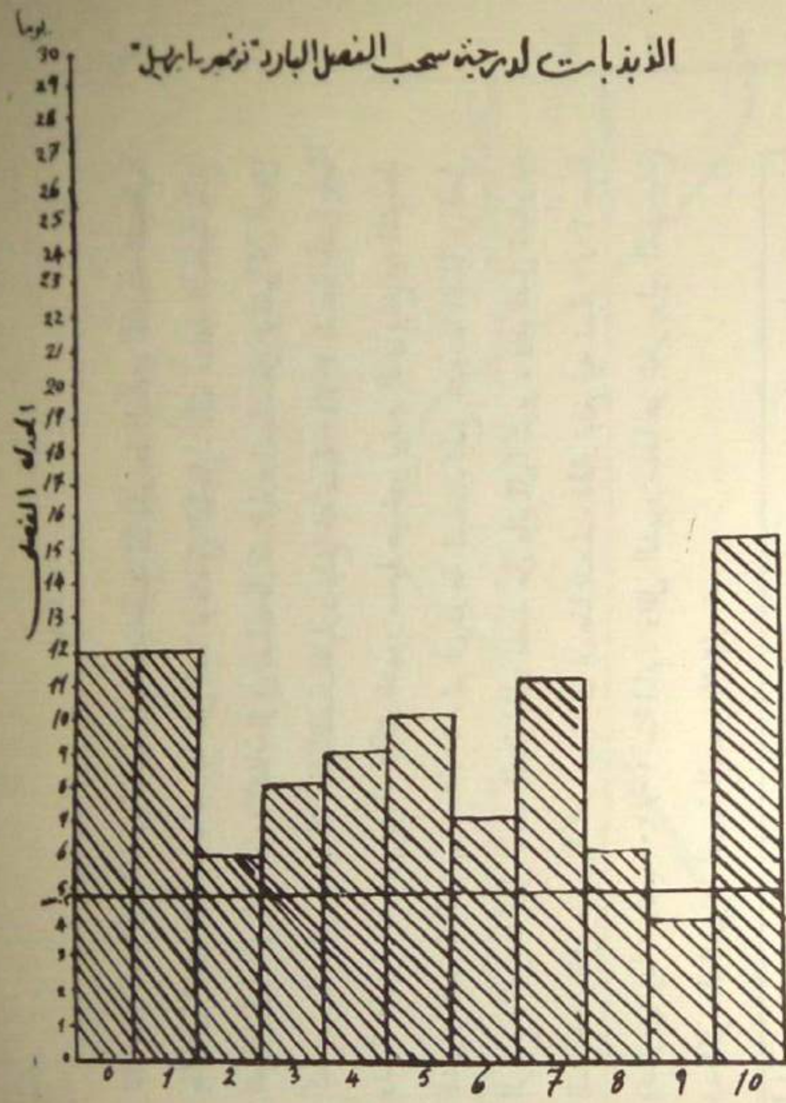
المحطة	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو
بوزريعة	٥	٤،٨	٥،٠	٤،٢	٤،٢	٣،٩
الحراش	٥،٤	٥،٤	٥،٥	٤،٨	٤،٨	٤،١
الجزائر	٥،٤	٥،٣	٥،٣	٤،٦	٤،٥	٥،٩

المحطة	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
بوزريعة	٢،٧	٢،٩	٣،٨	٤،٣	٥،١	٤،٩	٤،٢
الحراش	٢،٧	٢،٨	٤،١	٤،٧	٥،٥	٥،٣	٤،٦
الجزائر	٢،٤	٢،٥	٣،٩	٤،٦	٥،٥	٥،٢	٤،٤

جدول المتوسطات الشهرية والسنوية لدرجة السحب فى الجزائر وضواحيها محسوبة على اساس عشري

ومن الذبذبات اليومية لدرجة السحب نلاحظ ان درجة السحب تكون مرتفعة فى الغالب صباح ايام الصيف نتيجة لشدة الاشعاع الارضى ليلا وبرودة الهواء ثم تأخذ درجة السحب فى القلة نتيجة لارتفاع درجة الحرارة التي تعمل على تشتيت السحب





الذبذبات الفصلية لمختلف درجات السحب في مدينة الجزائر

وسط النهار ، وبالتالي يصفو الجو وتزداد درجة سطوع الشمس . أما في فصل الشتاء فان أغلب السحب تسوقها الرياح بصفة عامة والرياح الغربية والشمالية بصفة خاصة ، وتأتي بها من بعيد وتغطي بها كبد السماء بل وحتى الافق لساعات طويلة من اليوم .

واذا ما أخذنا كل محطة على حدة نلاحظ انها تختلف عن بعضها في درجة السحب وذلك تبعا للموقع بالدرجة الاولى ، ومثال لذلك ان المتوسط السنوي لدرجة السحب في جبل بوزريعة اقل منه في الجامعة وهذه اقل من الحراش ذلك ان بوزريعة اكثر ارتفاعا وبالتالي اكثر عرضة للرياح التي تشتت السحب او تسوقها . وتتناقص درجة السحب في الجزائر عموما كلما ابتعدنا عن البحر ومؤثراته واتجهنا نحو الجنوب .

٥ ـ الضباب :

ان الضباب في مدينة الجزائر وضواحيها يقل في فصل الشتاء ويبلغ حدوده الدنيا في اصباح شهر ديسمبر (٣،٣يوم) واصباح يناير (٠،٣يوم) ويكثر في اصباح فصل الصيف حيث يبلغ حدوده القصوى في ايام اغسطس (٧،٨يوم) . فالضباب يتركز في فصل الصيف لانه فصل اشتداد الحرارة والفوارق الحرارية بين الليل والنهار ، وجل الضباب في مدينة الجزائر وضواحيها يرجع في اصوله الى الاشعاع الارضي ، ففي الليل يشتد الاشعاع الارضي الذي يؤدي الى انخفاض حرارة الطبقات السفلية للهواء الملامس لسطح الارض البارد فيحدث التكاثف في شكل ضباب يختلف في كثافته تبعا لنسبة ما يوجد من رطوبة في الجو ، ويختلف في عدد ايام ظهوره من محطة لاخرى حسب موقعها . فضاحية الحراش مثلا اكثر ضبابا من بوزريعة نظرا لموقع الحراش في منخفض وادي الحراش الذي تكثر فيه الرطوبة من ناحيه ومن ناحية أخرى فان ضاحية الحراش محمية طبيعيا من الرياح التي تعوق شروط ظهور الضباب ، ولذا كان معدلها السنوي ٥٨،٥ يوما بينما معدل ايام الضباب في جبل بوزريعة اقل من ذلك بكثير ، لان الجبل اكثر عرضة للرياح التي تشتت الضباب ولا تترك الفرصة لتكونه ، اما في الجامعة فترجع قلة عدد ايام الضباب الى موقعها المواجه لاشعة الشمس ، والضباب لايمكث طويلا بعد الشروق . وعلى كل فان

فة كثافة الضباب هي الظاهرة السائدة بمدينة الجزائر وضواحيها وهى ظاهرة لاتعوق الملاحة البحرية او الجـوية ولا تعطل المرور في اي يوم من ايام السنة والبك المتوسطات الشهرية لعدد ايام الضباب فى محطتي الحراش وتامنفوست :

	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو
الحراش	٣.٣	٤،٤	٣.٧	٣،١	٤،٤	٦.٣
تامنفوست	٠.٣	٠.٨	٠.٩	١.٢	١.٩	٢.٨
	يوليو	**اغسطس**	**سبتمبر**	**اكتوبر**	**نوفمبر**	**ديسمبر**	**السنة**
الحراش	٦.٥	٧.٨	٦.٢	٦.٠	٣.٥	٣.٣	٥٨.٥
تامنفوست	٤.٤	٤.٨	١.٩	٠.٩	٠.٥	٠.٣	٢٠.٧

سطوع الشمس :

ان مدة الاشعاع الشمسي اوالوقت الذي فيه تكون الشمس غير محجوبة بالسحب تلعب دورا فعالا فى المظاهر الحيوية لسطح الارض . فسطوع الشمس هو سر الحياة والمبيد لكثير من الآفات حتى قيل ان البيت التي تدخلها الشمس لايدخلها الطبيب . ومدينة الجزائر تحظى بكمية كبيرة من سطوع الشمس طوال السبة اذ يتراوح فيها عدد ساعات سطوع الشمس بين ٢٨٠٠ و٣٠٠٠ ساعة فى السنة . ويبين الجدول التالي مدة المتوسط اليومي لسطوع الشمس خلال شهور السنة فى مدينة الجزائر ، محسوبة خلال عشرين سنة فالسطر الاول للشهور و الثاني للمتوسط اليومي بالساعات ، و السطر الثالث لمجموع المتوسط الشهري بالساعات واعشارها :

يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو
٥.٣٠	٦.١٥	٨	٨.٥٨	٩.١٨	١٠.٤٦
١٦٤.٣٠	١٧٢.٢٠	٢٥٧.٢١٧	٢٨٤.٥٨	٣٢٤.٢٦	٣٤٤.٤٠
يوليو	**اغسطس**	**سبتمبر**	**اكتوبر**	**نوفمبر**	**ديسمبر**
١١.٤٨	١٠.٤٨	٨.٢٢	٧.٢٤	٥.٦٨	٥.٠٢
٣٢٤.٨٨	٢٤٦.٦٠	٢٢٤.٤٤	١٧٠.٤٠	١٥٥.٦٢	

ويتضح من الجدول ان مدة سطوح الشمس تبلغ ادناها في شهر ديسمبر ثم تأخذ فى الازدياد حتى تبلغ اقصاها في شهر يوليو الذي تزيد ساعات سطوعه عن ضعف مثيلتها فى شهر ديسمبر ، ويلاحظ ان فصل الصيف اوفر الفصول سطوعا ولذلك كان اوفرها صحة وبرغم من ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة المطلقة فى الصيف فان شدة السطوع جعلت الجو يلائم تماما حتى السكان الذين لم يتأقلموا به ، وهو الفصل الذي تقل به وفياف سكان المدينة نظرا لنشاط الاشعة البكتيرية للطيف الشمسي فى هذا الفصل . هذا من جهة ومن اخرى فالاشعة الشمسية المنعكسة على الجدران الجيرية البيضاء تؤثر على غشاء العيون وتؤدي الى توتر الاعصاب واوجاع الرأس ، لذا يكون من الافضل طلاء البيوت باللون الاصفر او الرمادي .

٦ — المطــر :

المطر هو النتاج الاخير للرياح القادمة من المناطق الرطبة لذلك نلاحظ العلاقة الوثيقة بين نظام المطر والرياح الغربية القادمة من مسطحات مائية بالبحر المتوسط والمحيط الاطلسي وهي مسطحات يسود بها هواء قريب من درجة التشبع أو مليء بالرطوبة .

وتدل المتوسطات المطرية لفترة ٧٥ سنة (١٨٤٨ — ١٩٢٢) ان المتوسط السنوي للمطر بمدينة الجزائر ٧١٨ مم وهي كمية وسطى اذا ماقورنت بمدينة القالة الاكثر مطرا (٩١٠مم) من مدينة الجزائر واذا ما قورنت بمدينة وهران الاقل مطرا (٤٠٥مم) .

واكثر الفصول تساقطا هو فصل الشتاء يليه الخريف ثم الربيع ثم الصيف الذي تندر فيه الامطار . وشهر ديسمبر اكثر الشهور مطرا على الاطلاق وشهر يوليو اقلها . ثم ان التدرج من فصل الشتاء الى فصل الربيع اكبر انتظاما من التدرج الفجائي من فصل الخريف الى فصل الشتاء وان كانت هناك حالة شاذة فى التدرج الربيعي حيث ان ابريل اقل مطرا من شهر مايو .

ولايكفي فى دراسة المطر الاقتصار على المتوسطات فقط ذلك ان توزيع الامطار على مختلف شهور السنة يجب ان يلاحظ من قريب ، وتدل الجداول الاحصائية لكميات

جدول المعدلات الشـــهرية لكميات المطر وايامها فى مدينة الجزائر وضواحيها

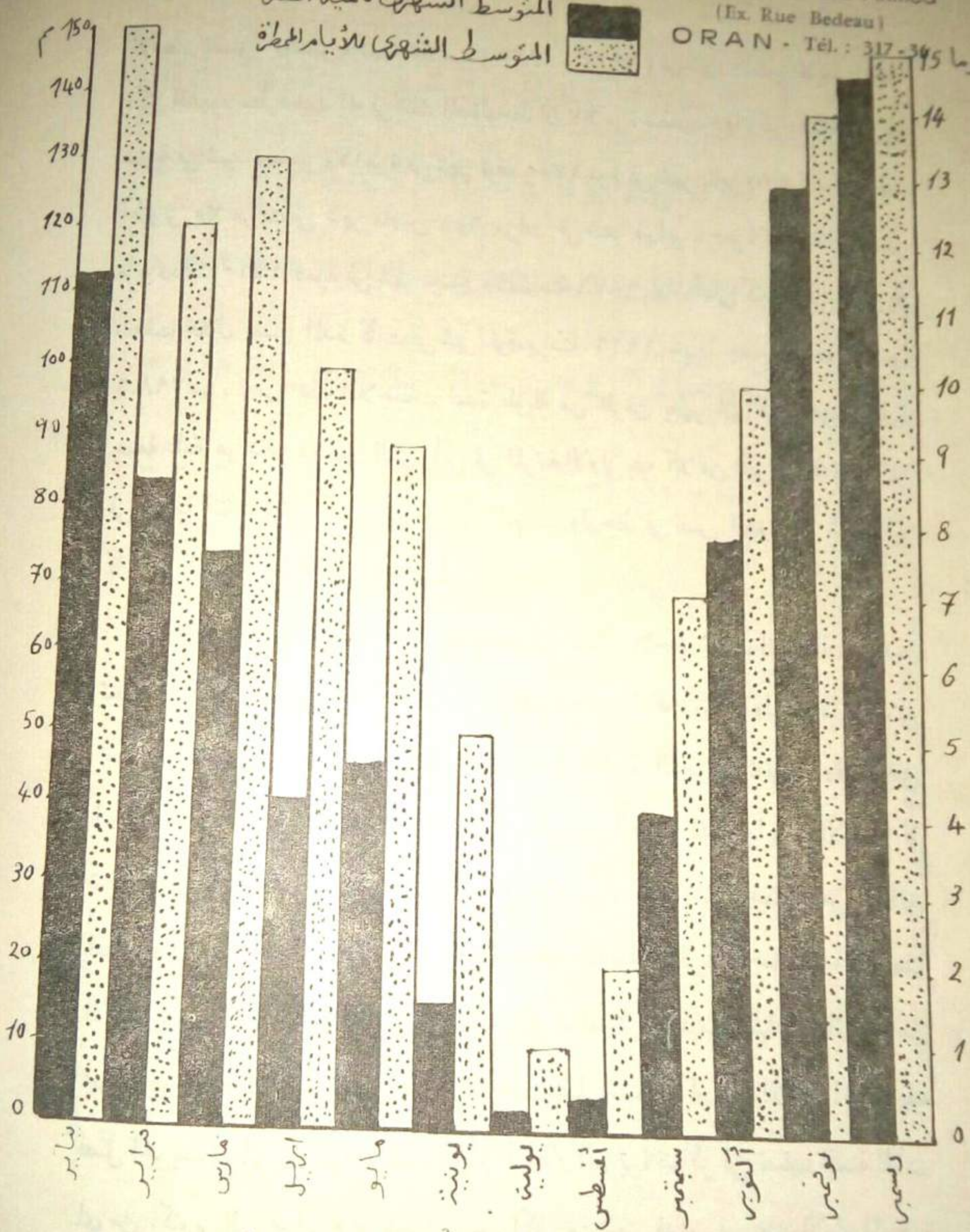
(السطر الاعلى لكميه المطر بالميليمتر والسطر الاسفل لعدد ايامها) .

المحطة	يناير	فبراير	مارس	ابريل	ماي	يونيه	يوليه	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المتوسط السنوى
راس كا كسين	97 12	75 6	64 10	34 7	40 6	13 3	1 1	2 1	33 5	78 8	121 12	127 13	682 87
بوزريعة	103 14	82 12	75 12	43 9	49 8	16 5	2 1	5 1	42 6	82 11	139 14	138 15	776 108
الابيار	118 11	83 9	80 11	44 8	47 6	17 4	3 1	4 3	44 5	85 8	131 10	131 12	787 88
بلكين	97 11	73 9	65 10	36 6	42 5	14 3	1 1	4 1	38 4	72 8	118 12	121 11	681 81
الميناء	91 13	68 11	63 11	35 7	37 2	14 4	2 1	5 1	39 5	69 9	109 13	115 13	647 95
الجامعة	113 15	84 12	74 13	41 10	46 9	15 5	2 1	4 2	40 7	78 10	129 14	136 15	762 113
الحراش	99 12	70 11	68 11	40 8	42 7	17 4	1 1	5 1	39 5	72 8	105 12	114 13	672 93
تامنفوست	87 11	58 8	57 8	31 5	33 5	12 3	2 1	4 1	34 4	68 6	94 10	99 11	579 73
روبية	106 11	76 10	75 9	50 8	43 7	11 3	2 1	1 1	37 4	85 8	104 11	115 12	705 85

جدول رقم ٨

الامطار السنوية والشهرية لمدة ٨٥ سنة (١٨٣٨ - ١٩٢٣) ان شهر ديسمبر لايعد دائما اكثر الشهور مطرا حيث انه فى تلك المدة لوحظ ان ٢٧ مرة سقطت فيها اكبر كمية مطرية سنوية فى شهر ديسمبر و١٧ مرة فى شهر نوفمبر و١٧ مرة فى شهر يناير و٨ مرات فى شهر اكتوبر و٧ مرات فى شهر مارس ، و٦ مرات فى شهر فبراير ، ومرة واحدة فى شهر مايو وذلك ١٩١٠ ومرة فى شهر سبتمبر وذلك سنة ١٨٧٦ . وان أعلى كمية مطرية شهرية سجلت خلال نفس المدة كانت فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٦ حيث جمع فى هذا الشهر ٢٩٨،٦ مم . ومن هذه الملاحظات لمدة طويلة من الزمن يظهر ان أكثر الشهور مطرا بصفة عامة هو شهر ديسمبر الذي يأتي فى المرتبة الاولى يليه كلا من شهري نوفمبر ويناير فى المرتبة الثانية ، ثم اكتوبر ثم مارس . الخ ... ولوحظ فى نفس الفترة ان شهر يوليو كان اقل الشهور مطرا لعدد ٥٩ مرة .

و المتتبع لمنحنيات التساقط لمختلف فصول السنة يلاحظ ثلاث انحناءات محدبة تتفق والكمية القصوى للخريف ، والشتاء ، والربيع ، و الانحناءة الاولى والثانية تمثل الكمية القصوى المطلقة و الانحناءة الثالثة تمثل الكمية القصوى الثانوية ، وقد ترافق انحناءة فصل الربيع انحناءة اخرى ثانوية تكون فى الغالب لشهر مايو . والامطار لا تنزل طوال ايام الفصل المطير ولكنها كثيرة التقطع بل هناك ايام تنزل فيها لبعض الدقائق فقط ، وعلى كل يعد اليوم المطير كل يوم بلغت فيه الكمية المطرية ٠،١ ملليمتر وعلى هذا الاساس تتوزع امطار مدينة الجزائر على عدد من الايام الممطرة يزيد متوسطها عن المائة يوم من مجموع ايام السنة تتقاسمها الفصول المختلفة ويحظى فصل الشتاء بأكبر نسبة للايام الممطرة يليه فصل الخريف ثم الربيع ثم الصيف . وايام الامطار الغزيرة تتركز فى نصف السنة البادر اي من اكتوبر الى فبراير و ان شهر مارس اكثر من شهر فبراير فى عدد الايام الممطرة ومن الملاحظ ان متوسط كمية الامطار الشهرية لاتتناسب و المتوسط الشهري لعدد الايام الممطرة من ذلك ان شهر ابريل اكثر من شهر مايو فى عدد الايام الممطرة بينما فى الكمية المطرية نجد شهر مايو أكثر مطرا من شهر ابريل وهذا يرجع الى شدة المطر



معدل التوزيع الشهري للأمطار وأيامها

في مدينة الجزائر

اليومية ومدة نزولها طيلة الاربعة وعشرين ساعة . ومن المناسب ان نشير الى ان مدينة الجزائر من احسن المحطات للشاتين وللذين يبحثون عن مناطق تكون فيها فترات سقوط المطر متقطعة تساعدهم على التجوال و الخروج للتمتع بحرارة الشمس ودفء الطقس وتدل الاحصائية لمدة ١٢ سنة ان ما بين ١٢٧٩ يوما ممطرا كانت ١٥٠ يوما تستمر فيها الامطار لمدة ثلاثة ايام متوالية وان بقية الايام كانت امطارها شديدة التقطع او تخللها فترات الصحو ، بل ان هناك ايام لاتنزل فيها الامطار الا فى بعض الدقائق من اليوم، وان هناك ايام عديدة ومتتالية فى الفصل المطير تكف فيها الامطار عن النزول ويصفو الطقس ويزداد السطوح حتى يظن ان الفصل فصل صيف .

وتتصف الايام الممطرة لفصلي الخريف والشتاء بالفجائية وقصر ساعات هطول امطارها وهي فى بعض الاحيان عبارة عن امطار سيلية ، يزيد متوسطها اليومي عن ٣٠ مم وقد تكون مصحوبة بالرعود ، لكن هذه الحالات شاذة ونادرة جدا ، نذكر منها امطاريوم ١٧ مايو سنة ١٨٥٤ التي جمع فيها المرصد خلال ربع ساعة من الصباح ٣٠مم ، وامطار يوم ١٧ ديسمر من نفس السنة التي بلغت ١٠٦ مم ، وامطار يوم ١٢ نوفمبرسنة ١٩٣٥ التي بلغت ١٦٠مم خلال ٢٤ ساعة وبذلك كانت اكبر كمية سجلها مرصد الجزائر منذ تأسيسه الى يومنا هذا .

ولايخفى مالهذه الامطار السيلية من آثار سيئة على طرق المدينة ومبانيها وبالخصوص المباني والطرق الواقعة فى الاحياء المنخفضة او الواقعة فى الشعاب و المرافض مثل حي باب الوادي وحي بئر مراد رائس ، وحي حسين داي ، وساحة اول مايو ، حيث ان الامطار السيلية تنقل الوحل وتردم السبل وتخرب الجسور وتعطل المرور وتهدم المباني . و يلاحظ على الامطار السيلية ان نزولها يغلب فى شهر ديسمبر بالنسبة للجزائر وضواحيها ، وتؤثر تأثيرا بالغا على طرقاتها حيث تؤدي الى تكوين الحفر وتعميقها ، وتخرب الانهج ، فتفسد بذلك السيارات وتجبرها على السير ببطء قدر الامكان .

وفى المقارنة اليومية للامطار نلاحظ ان جل الامطار فى مدينة الجزائر تنزل بالليل كما يبينه الجدول التالي للاحصائيات خلال عشر سنوات اجريت فى محطة الجامعة لمختلف

ايام شهور السنة . والارقام عبارة عن النسبة المئوية للامطار النازلة من الساعة السابعة صباحا الى الساعة الثامنة عشر مساء منسوبة الى ٢٤ ساعة مضروبة في مائة :

الشهور :	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيه
النسبة .	٪٤٢	٪٤١	٪٣٨	٪٤١	٪٥٢	٪٣٦

الشهور :	يوليه	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
النسبة :	٪٤٣	٪٢١	٪٤١	٪٤٨	٪٤١	٪٤٤	٪٤٣

ويلاحظ على هذا الجدول ان امطار النهار تغلب فى شهر مايو فقط والعكس فى بقية شهور السنة ، وان اقل الشهور مطرا اثناء النهار هو شهر اغسطس ذلك انه احر الشهور نهارا

ومما تجدر الاشارة اليه بصفة عامة فى الظاهرة المطرية هو ان الكمية السنوية مختلفة فى محطات الجزائر وضواحيها ويفسر هذا الاختلاف المحلي المعيار الطوبوغرافى والموقعى ويتجلى فى المقارنة التالية :

أ ــ ان الكمية السنوية للمطر تزداد على السفوح المقابلة للرياح الغربية والشمالية الغربية الممطرة اكثر من السفوح الواقعة فى ظل الرياح الممطرة من ذلك كانت الابيار اكثر مطرا من بلكين . (انظر الجدول صفحة ١٠٢) .

ب ــ ان كمية الامطار السنوية تقل كلما تقدمنا من الغرب الى الشرق سواء أكان ذلك التقدم على الشاطيء حيث ان رأس كاكسين اكثر مطرا من رأس تامنفوست ، اوكان ذلك التقدم فى الداخل او على تلال المدينة ، حيث ان الابيار اكثر مطرا من الجامعة وهذه اكثر مطرا من الحراش .

جـ ــ عدد الايام الممطرة لاتسير سيرا منتظما فى كامل المحطات بل ولا هي مطرية مع كمية الامطار حيث تبلغ اشدها فى الجامعة (١١٣ يوما) تليها في بوزيعة (١٠٨ ايام) ثم الميناء (٩٥ يوما) ثم الحراش (٩٣ يوما) ثم الابيار (٨٨ يوما) .

د ــ الابيار اكثر مطر من بقية المحطات رغم انها تأتي فى المرتبة الخامسة من حيث المجموع السنوي لمعدل عدد الايام الممطرة و السبب في ذلك واضح هو ان الابيار

اكثر عرضة للرياح الغربية وهي اشد الرياح مطرا ، ولا تحجب الايار عن هذه الرياح حواجز طبيعية ، وتسود بها الامطار السيلية التي ترتفع شدتها وتقل مدتها .

ه ـ اكثر الفصول امطارا سيلية هو فصل الشتاء بالنسبة للمحطات الواقعة على السفوح الشرقية لجبل بوزريعة مثل الجامعة وساحة اول مايو وحي باب الوادي ، وفصل الخريف بالنسبة للمحطات الواقعة على السفوح الغربية لجبل بوزريعة مثل الايار وقمة بوزريعة ورأس كاكسين . ذلك ان الموقع المواجه للرياح الغربية جعل السفوح الغربية لجبل بوزريعة تتلقى امطارها السيلية فى فترة مبكرة بالنسبة لفترة الامطار السيلية على السفوح الشرقية .

واخيرا يجدر ان نشير الى ظهور الندى والصقيع نادر بمدينة الجزائر وقليل بضواحيها اما ظاهرة الثلج فهي اندر على المدينة وضواحيها حتى يمكن اعتبار سقوط الثلوج من الحوادث العظيمة التى تتخذ مبدأ للتاريخ مثل السيول بالصحراء ، والمثال على ذلك ان السنوات التي عرفت سقوط الثلوج منذ عهد احتلال التركي الى يومنا هذا لا تزيد عن العشر سنوات من أهمها سنة ١٧٣٥ التي اصيبت فيها مدينة الجزائر بموجة من البرد الشديد ادت الى سقوط الثلج في عهد الداى عبدى . و فى يوم ٢٩ ديسمبر سنة ١٧٨٩ نزل ما يقرب من السبع بوصات من الثلوج بمدينة الجزائر ونحو القدمين على السهل المتيجي(١) وبذلك كانت اكبر كمية منذ العهد التركي بالجزائر الى يومنا هذا اذ تفوق الكمية التي نزلت سنة ١٨٣٨ وبلغت ٤ بوصات اثناء الاحتلال الفرنسي و الكمية التي نزلت سنة ١١٦٧ ه فى عهد الداى محمد ، ثم اخيرا الكمية التي نزلت فى ٢ يناير ١٩٧١ . واذا كانت مدينة الجزائر لاتنزل بها الثلوج الانادرا لموقعها على البحر فان الشريعة او جبال الاطلس المتيجي البعيدة بحو الي ٤٠ كيلومتر عن مدينة الجزائر او البحر المتوسط قلما تكون خالية من الثلوج لبعض ايام شهور فصل الشتاء ، ومن جبل شريعة تهب في هذا الفصل رياح باردة نحو مدينة الجزائر تؤثر على الاحياء المقابلة او المواجهة لجبال الاطلس المتيجي . ولتلك

---

(1) E. Fagnan : Venture de paradis Alger au 18er Siècle P. 165

الثلوج دور كبير في جلب السياح، ويقصدها سكان مدينة الجزائر حاليا للتزحلق في فصل الشتاء.

الخـلاصـة :

ان مناخ مدينة الجزائر وضواحيها بحري بالدرجة الاولى ومعتدل للغاية واقرب الى الدفء منه الى البرودة في فصل الشتاء حيث ان مقياس الحرارة فى هدا الفصل لاينزل الى ما دون الصفر الانادرا بل لاينزل بالمرة على الشاطيء . وفصل الصيف تغلب عليه الحرارة التي يمكن تحملها بارتياح نظرا للرطوبة الجوية المنخفضة وهبوب نسيم البحر الذي يلطف الطقس .

والرياح تهب في فصل الشتاء في الغالب من الشمال او الغرب او الشمال الغربي تجلب السحب والامطار الغزيرة على عكس الرياح التي تهب فى فصل الصيف وتكون في الغالب من الشرق او الجنوب او الجنوب الشرقي وهي رياح جافة تحمل السحب في بعض الاحيان لكنها لاتسبب الامطار . والصغط معتدل فى المدينة وضواحيها اذ يقرب من الضغط العادي في كل فصول السنة .

و الامطار متوفرة ، يبلغ متوسطها السنوي ٧١٨ مم وهي كمية يمكن ان يتجاوزها المعدل الى ١٣٤٢مم او يقل عنها ولكن دائما فى حدود اكثر من ٤٠٠ مم ويبدأ فصل المطر عادة في اواخر سبتمبر لينتهي في اواخر مايو ويشتد في شهر ديسمبر ، وقليلا ما كانت الامطار مصحوبة بالرعود كما تقل الامطار السيلية التي تحفر الاخاديد وتجرف التربة وتعوق المرور .

وعدد الايام الممطرة قليلة بالنسبة لكمية الامطار التي تتصف بنوع قليل من الشدة ولا تحجب الغيوم الا جزء من سماء المدينة ، وان الغمام يندر فيما بين شهرى مايو واكتوبر وهي فترة الجو النقي الصافى اللماع الذي تكون شفافيته شديدة ومتجانسة ليلا نهارا ، ويشتد في هذا الفصل السطوع ولاتظهر الابخرة البيضاء الاصباحا فوق البحر بالخصوص لكنها ابخرة زائلة اذ سرعان ما تبدها الاشعة الشمسية ونسيم البحر ، ثم تعود للجو صفاوته ونقاوته ويحس الانسان وكأنه فى فصل الربيع .

والفصول تتوالى من غير ان يشعر بها الانسان لكن الطبيعة لاتغفل عن الاخبار بتناوب الفصول وذلك باخضرار الحشائش، وسرور الاطيار كعلامة لدخول فصل الربيع، وعلى العكس فصل الصيف الذي تنام فيه الطبيعة ثم تزيل رداءها فى فصل الخريف لتستيقظ فى فصل الشتاء مستعدة لاستقبال فصل الربيع بازهاره الباسمة، ما اجمل طبيعة الجزائر وما أطيب مناخها.

٧ - الاثر والاستصلاح المناخي

ينقسم اقليم مدينة الجزائر من حيث أثر المناخ على صحة سكانها الى ثلاثة احياء عظمى مختلفة، وكل حي يشمل احياء اخرى ثانوية والاحياء العظمى هي: احياء ظلت صحية نسبيا منذ نشأة المدينة التي انحصرت فيها لمدة طويلة، واحياء كانت موبوءة في القديم ثم استصلحت وحولت الى احياء صحية للغاية بل حولت الى احياء مثالية في الصحة فيها يتجلى اثر التقدم والحضارة الحديثة. ثم احياء مازالت تنتظر العناية الصحية والاستصلاح.

أ - الاحياء الاولى هي التى تتقاسمها المدينة القديمة مثل حي باب الجزيرة، وحي باب عزون، وحي القصبة، وهذا الاخير رغم ما به من مباني عتيقة ومنازل متشابكة وأزقة غير مكشوفة تقي سكان القصبة من شدة الحر فى فصل الصيف وشدة البرد فى فصل الشتاء ورغم ما به من دروب مزورة (شأنه فى ذلك شأنه المدن القديمة فى العالم، كانت تنتشر بها الاوساخ فى عهد الاتراك)، رغم ذلك فان شدة الانحدار وسطوع الشمس المتوفر بالخصوص فى ساحات المنازل العربية، حالا دون انتشار الاوبئة. فالمدينة القديمة تقع فى موضع صحي للغاية محمى من الرياح الغربية البارة ومقابل تماما للاشعة الشمسية ولا يغطي الضباب حي القصبة الا نادرا ولا تكثر به الرطوبة، وكذلك المنطقة الممتدة من حصن الابراطور (المعروف ببرج بوليلي حاليا) الى رأس بيسكاد وديلي ابراهيم وسيدي يخلف وجبل بوزريعة حتى اسطوالى فليس بها منخفضات حتى تركد بها المياه المستنقعية وتعد من احسن المناطق الصحية يلائم مناخها السكن، ولا تظهر بها الامراض

الخطرة مثل السل وان ظهرت الامراض فهي في هذا الحي خفيفة وزائلة يرجع معظمها الى الزكام الذي يكثر في فصلي الشتاء والخريف. ويعدجبل بوزريعة من احسن المناطق لبناء المستشفيات لان مناخه مثالي من الناحية الصحية منذ القديم حيث كان يمثل في عهد الاتراك منطقة تطهير المحلة التركية من أوبئة السهل المتيجي ، وهي محلة كانت تعبر السهل لجمع الضرائب او معاقبة المتمردين ثم تعود الى مدينة الجزائر لكنها قبل دخولها المدينة تظل اياما معدودة متركزة فوق مرتفعات بوزريعة لتتطهر من الاوبئة ثم يسمح لها بالدخول . الى المدينة (١)

ب ــ أحياء كانت موبؤة في القديم ثم استصلحت وحولت الى أحياء مثالية في السكن الصحي وهي جل الاحياء التي انشئت في عهد الاستعمار الفرنسي ونذكر منها حي مصطفى وحيدرة والقبة وحسين داي وبئر الخادم . ذلك ان الاحياء القائمة على السفوح الجنوبية لسلسلة الاعراف في شرق المدينة القديمة مثل القبة وحيدرة وبئر الخادم ، مواجهة تماما في موقعها للسهل المتيجي الذي كانت تنتشر به المستنقعات والمياه الركدة في عهد الاتراك لذلك كانت في السابق احياء موبوءة ، ومما ساعد علي تكوين تلك المستنقعات في السهل المتيجي ، انصراف سكان السهل المتيجي الى تربية الحيوانات،وترك املاكهم بورا،واهمال الجانب الزراعي وما يتطلبه من حرث وقلب التربة والتشجير ، وبالتالي كان يمكن للارض اللينة ان تخزن في باطنها ما نزل على ظهرها من امطار ، بل ان جل اراضي السهل المتيجي المنبسط كانت عبارة عن مراعي لاتحرث بالمرة ومعرضة لخطر الفيضانات فساعدت بذلك على تكوين المياه الراكدة ، فيها كانت تتحلل بقايا حيوانية ونباتية ، وتتحول في فصل الصيف الى مخازن لاوبئة فتاكة ، تحصد السكان ، اذ الصيف هو الفصل الذى تشتد فيه الحرارة فتزيد من قدرة المياه على الاذابة وفي نفس الوقت تشتد عملية التبخر فتزيد من تشبع مياه المستنقعات بالاوبئة ، كما ان فصل الصيف تشتد فيه ظاهرة الضباب الذي يتكون عند الصباح فوق سطوع المستنقعات وبعد شروق الشمس تأخذ الرياح في نشر هذا الضباب الذي يتجه في الغالب نحو بطون الاودية حاملا بين طياته ما جمعه

---

(1) M. Bonnafout : Géographie medicale d'Alger et ses environs Algers 1938 P. 77

من اوبئة مستنقعات السهل المتيجى ليوزعها على حي القبة او بئر الخادم او الحراش،وهذا الاخير يعد منفذا جيدا وممرا طبيعيا للضباب المتنقل من السهل الى البحر او العكس. هذه هي حالة السهل المتيجي قديما او في العهد التركي فكان مصدرا للأوبئة .

وبعد الاحتلال الفرنسي رأت الحكومة الاستعمارية ان لا مجال للاحتلال الدائم والتركز الا بالتوسع واستصلام الاحياء الموبوءة فى مدينة الجزائر وذلك لتصلح ان تكون عاصمة للمستعمرة فى المستقبل ، وان هذا التوسع لابد ان يكون من الضاحية الشرقية اولا ذلك ان المنطقة الشرقية من مدينة الجزائر سهلة وتساعد على التوسع في العمران والتوسع فى الميناء على عكس الجهات الغربية المعرضة كثيرا للرياح الغربية ، والكثيرة الحافات ، والشديدة الانحدارات . واهم عقبة كانت تجابه تمديد العمران الى الناحية الشرقية هي المستنقعات فقط ، وما كانت تتوالد فيها من امراض ، تحملها الرياح اوالضباب مثل الحمى النوبية المصحوبة بالقيء ، واوجاع المعدة . اذلك بدىء اولا فى استصلاح هذه المستنقعات وتجفيفها . وسلكت السلطات الاستعمارية سبيل الوقاية خير من العلاج فى كل مشاريعها العمرانية لتوسيع المدينة . اما الطرق التي نظمتها او سلكتها فى تجفيف المياه الراكدة والنصائح التي سنتها لعمال تجفيف المستنقعات ، فكانت كالاتي :

أ ــ انتقاء فصل معين لعملية التجفيف فيه تكون الاوبئة قليلة مثل نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الربيع او بمجرد ان تكف الامطار عن النزول اذ في هذه الفترة تكون البقايا الحيوانية والنباتية التي جمعتها مياه الفيضانات من هنا وهناك غير محللة اولم تفسد بعد في المستنقعات .

ب ــ ايقاف عملية التجفيف او الزراعة صيفا فى اقليم المياه الراكدة قبل غروب الشمس بساعة على الاقل ثم استئنافها بعد طلوع الشمس بساعة على الاقل . وذلك ان فى فصل الصيف تعمل الحرارة الجوية - في هذه الفترة من النهار المسموح فيها بالعمل - على ابعاد الاوبئة من سطح الارض وتعليقها في طبقات الجو العليا .

ج ــ اسكان عمال التجفيف في مناطق مرتفعة بالنسبة للمستنقع ، كالروابي مثلا ، وفى

أكواخ من الحطب او فى منازل من الحجارة ، و تحريضهم على عدم الخروج ليلا من هذه المساكن . حتى يبيتوا فى معزل من الهواء الموبوء النازل ليلا ، وايقاد النار نهارا في موضع العمل لتبديد الهواء الموبوء .

د ــ لايخرج العامل من منزله صباحا الا بعد تناول طعام الفطور لانه قبل تناول الفطور يكون جسم الانسان ، بحكم تركيبه الفيزيولوجي ، مستعدا لامتصاص اي جسم يلامسه ، سواء أكان هذا الجسم رديئا ام طيبا . اما اثناء الهضم فتكون المسام والقنوات الجسدية مغلقة اومشغولة بالهضم لاتسمح بالتسرب اليها لاي جسم يلامسها ، ولزيادة الاحتيطات في غلق المسام اثناء العمل يحسن بالعامل فى المستنفع ان يدهن جسمه قبل الشروع في العمل بالخل او الزيت ، وان يتزود بالطيب او الحمض الخلي .

وبهذه الطرق بدأ العمل في التجفيف واستصلاح الضواحي الشرقية لمدينة الجزائر وكانت مستنقعات الآغا في عهد الاتراك (الى الشرق قليلا من تافورة) اول مياه راكدة ازيلت ، ورفعت مكانها المباني مثل بنايات مستشفى مصطفى باشا المعروف حاليا بالمستشفى الجامعي ، ثم منطقة الحامة التي رفع فيها حي بلكور الاسفل ، ثم توجهت الانظار الى السهل المتيجي ، واخذ المعمرون يتوافدون اليه من مختلف مناطق اوربا ، نتيجة للدعايات و المساعدات التي كانوا يتلقونها من جيوش الحملة الفرنسية ، فمنحت لهم الاراضي مجانا ولم تشترط عليهم الا تجفيفها والتركز فيها . وبذلك اخذت المستنقعات في السهل المتيجي تنحصر شيئا فشيئا على حساب الزراعة وغراسة الكروم الى ان اختفت او قلت ولم تبق منها في الوقت الحالي الا مناطق محدودة للغاية بعيدة عن مدينة الجزائر مثل مستنقعات هللولة فى الحجر الجنوبي لربوة قبر الرومية ومستنقعات شمال بوفاريك ومستنقعات وادي رغاية . و بتجفيف سهل متيجة طاب المناخ واختفت الاوبئة واطمان السكان فى تعمير حي القبة وحي الابيار وحي حيدرة ، وهي احياء اصبحت حاليا ، بطيب هوائها وجمال طقسها ونقاوة جوها ، يتسابق اليها سكان المدينة ويتركز بها معظم الاجانب على عكس المدينة القديمة التي اصبحت فى الدرجة الثانية من ناحية ترتيب الاحياء الصحية .

ج — احياء ما زالت تنتظر الاستصلاح ومن اهمها حي وادي الحراش ، الذي يقع مصبه بالبحر دون مستوى سطح البحر ، لذلك كان صرفه رديء للغاية ، و تتحول مياهه عند المصب في فصل الصيف بالخصوص الى مياه راكدة ، متعفنة ، لها رائحة كريهه جدا تشمئز منها حاسة الشم على مسافة بعيده ، وان هبت الرياح الشرقية على مياه وادي الحراش المتعفنة زادت مساحة انتشار الرائحة الكريهة الى ان تصل في بعض الاحيان الى حي بلكور ، وبذلك تحمل الجراثيم الى سكان هذه الاحياء حتى المرضى في مستشفى بارني ومصطفى باشا في بعض الاحيان . وقد زاد من نتانة هذا الوادي الموبوء القاء فضلات مدينة الحراش ، وفضلات مصانعها في تلك المياه الراكدة ، وهي اول مياه جزائرية تستقبل الزائر او القادم من مطار الدار البيضاء . ولم يعتن الاستعمار الفرنسي بدرء خطر هذه المياه ، كاستصلاح وادي الحراش ، اما بتغطيته او جمع اوساخه او ضخ مياهه ، بل ترك الاستعمار هذه المشاريع الى الحكومة الجزائرية التي يجب ان تدرأ خطر الملاريا والامراض المعدية المتوالدة في وادي الحراش ، وعلى سكان هذا الحى واصحاب المصانع ان يساهموا في هذا المشروع ، لتحويل الضواحي الموبوءة الى ضواحي صحية ذلك ان مناخ مدينة الجزائر وضواحيها صحي للغاية ، وماظهرت في المدينة من احياء موبوءة ، ترجع الى حوادث محلية كان فيها ليد الانسان الدور الاولى وللطبيعة الدور الثاني .

٨ _ النباتات الطبيعية

يوجد اقليم مدينة الجزائر في منطقة تتوفر بها الضوابط الجغرافية لنمو النباتات الطبيعية . وكانت الغابات والاحراش والمراعى فى القديم تغطي مساحة اوسع منها فى الوقت الحالي ويعود السبب فى انكماش الغطاء النباتي الطبيعي حاليا للظروف الاقتصادية التاريخية التي مر بها الاقليم ، كما تأثر الاقليم بالظروف الطبيعية والمناخية بالخصوص ، حيث ان المناخ المطير الذي ساد فى المنطقة منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة يختلف عن المناخ الحالي الجاف نسبيا . و اعني بالظروف الاقتصادية حرفة الرعي ، التي كانت سائدة في السهل المتيجي فى العهد العربي الاول وفي العهد التركى و هي حرفة ساعدت على اختفاء الاحراش فى السهل المتيجي ، فتحولت اغلب اجزائه الى مستنقعات فى بعض الفترات التاريخية . اما فى العهد الفرنسي فان اتساع مساحة الرقعة الزراعية على حساب مساحات النباتات الطبيعية كما حدث فى منطقة القليعة وخميس الخشنة و الراسوطة ادت الى انكماش رقعة النباتات الطبيعية فى منطقتي التل و السهل بالخصوص ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان حرفة الرعي التى انحصرت فى مساحات محدودة من الاقليم فى عهد الاحتلال الفرنسي عاقت نمو الغابات والمراعى الطبيعية بسبب ضغط القطيع على المراعي وتحديد مساحة تنقلاته . وظلت حرفة الرعي لفترة طويلة من الزمن هي الحرفة السائدة فى اقليم مدينة الجزائر تعود عليها السكان حتى كان من الصعب عليهم ان يتخلوا عنها عندما حددت المراعي الطبيعية فى الفترات الحديثة . واعني بالظروف التاريخية الحروب التي دارت بين سكان الاقليم والغزاة منذ عهد الاحتلال الروماني . ويزعم البعض ان العرب وحدهم كانوا سببا فى اختفاء الغابات الكثيفة والاحراش الواسعة من الجزائر ذلك للحرائق التي كان العرب يضرمونها في هذه النباتات الطبيعية ، لكن التاريخ يعاكس هذا الحكم القاسي على العرب ، ذلك ان الغابات الجزائرية بدأت تختفى من البلاد قبل دخول العرب الى شمال افريقيا بدليل ما ورد في كتب المؤرخين الرومان ومنهم سالوست الذي كتب عن حروب يوغرطة وهو يشكو اختفاء اجزاء واسعة من الغابات والاحراش الجزائرية التي كانت مليئة بالحيوانات

٩

المفترسة ، وكانت روما تتزود من هذه الغابات بما تحتاجه من حيوانات مفترسة للحفلات والملاعب والمصارعة فى روما (١) . وربما كان السبب فى ازالة مناطق واسعة من الغابات يعود الى ازدهار العمران المدني فى عهد الاحتلال الروماني ذلك ان المدن الرومانية التي كانت منتشرة في انحاء القطر ومنها شرشال وايكوسيوم و تيبازة كانت تحتاج الى كمية كبيرة من الاخشاب للبناء و للصناعات الخشبية المتنوعة من ادوات منزلية وادوات فلاحية ، اذ كان المحراث الخشبي هو الآلة المفضلة فى الزراعة ولا زالت صورته منقوشة فى الالواح الاثرية للزراعة القديمة بمدينة شرشال . فالحضارة العمرانية في هذه الفترة كانت تعتمد على الحجارة بالدرجة الاولى وعلى الخشب بالدرجة الثانية مما ادى الى ظهور واشتداد الصراع بين الانسان و الغابات ، ثم ازداد الصراع لما وجه الاستعمار الروماني سكان المستعمرات نحو الزراعة وما تدفع اليه من اجتثاث الغابات ، وكانت الغلبة في الاخير للانسان الذي ازال غابات السهل المتيجي ، ومناطق الاحراش بالتل الساحلي التي تظهر بها التربة الخصبة الصالحة للزراعة ، وربما اشتدت ازالة الغابات فى فترات الحروب كما حدث اثناء فترة الاستعمار الفرنسى و كذلك في عهد الوندال ابتداء من سنة ٤٢٩ م وهم الذين اشتهروا بتخريب البلاد باضرام النار فى غاباتها وبتحطيم الكثير من منشآتها العمرانية التي قامت في عهد الاحتلال الروماني ، بعد جهد مضنى ، على حساب مجهود واقتصاد سكان البلاد .

وليس هناك دليل واضح يؤكد ان الغابات باقليم مدينة الجزائر بدأت تختفي بالدخول العربي الى شمال افريقية ، اذ لو كان للحرائق العربية المزعومة ، دخل فى ازالة الغابات لبقيت آثارها على سطح الارض في العروق التي لم تحترق لانها تقع داخل التربة التى تحميها من النيران ، ثم ان ليس هناك فائدة ترجى للعربي من احراق الاحراش والغابات والمراعي الطبيعية حيث أن حرفته الاساسية هي الرعي الذي تدعو الى تنمية الكلأ ، ومنزل العربي خيمة من الوبر ، لاتتطلب الا أوتادا معدودة لاتؤثر بالمرة في ازالة الغابات

(1) M. Bonnafont cit P. 118

النباتات الطبيعية لاقليم مدينة الجزائر

غابات صنوبرية	
غابات الأرز	
غابات الفلين	
احراش ومراعي	
نباتات مستنقعية	

10 كلم 5 0 10 20

500000:1

البحر الابيض المتوسط

الجزائر

بوزريعة

سيدي فرج

القليعة

الساحل

متيجة

البليدة

الشبلي

بوفريك

الاربعاء

سهل

الخشنة

رغاية

بودواو

جبل بوزقزة

جبل بوعروس

الثنية

سلسلة جبال الأطلس

تيمزقيدة

شرشال

جبل شنوة

تيبازا

حجوط

جبل زكار

حمام ريغة

مليانة

جبل القنطاس

المدية

عين السلطان

وادي الشلف

موزاية

الشريعة

30' 3° 30'

36°30'

الواسعة التي تنتج وتنمو باكثر من جاجيات العربي المحدودة للرعي والخيمة ، ثم ان القطيع الحيواني عند العربي فى تلك الفترة كان نموه وحجمه اقل من نمو وحجم النباتات الطبيعية وكفاءة المراعي .

والخريطة النباتية القديمة تبين مناطق للغابات واخرى للاحراش والمراعي واخرى للنباتات المستنقعية قبل الاحتلال الفرنسي و كل هذه الانواع تظهر انها كانت تحتل مساحة اوسع مما هي عليه فى الوقت الحالي . وهي نباتات ترجع في معظمها الى نباتات البحر المتوسط ذي الميزة المعروفة من حرارة وجفاف في فصل الصيف وامطار ودفء فى فصل الشتاء ولهذا كانت السنة النباتية تنقسم الى فصلين : احدهما فصل النوم والراحة تختفى فيه النباتات الصغيرة ويتوقف فيه النشاط النباتى فى معظمه ، اما الفصل الثاني فهو فصل النمو والانبات فيه تنزل الامـــطار وتورق الاشجار وتزهر الاغصان وتطلع البراعم . على انه يجب ان نلاحظ ان اشجار وشجيرات احراش وغابات اقليم مدينة الجزائر دائمة الخضرة طوال السنة ، والتي تختفى فى فصل الجفاف هي الحشائش القصيرة فقط . ولما كانت الضوابط الجغرافية للغطاء النباتي باقليم مديمة الجزائر متنوعة ، من تربة فيضية فى السهل المتيجي وتربة خشنة فى الجبال و التلال المجاورة للسهل ، ومن كمية مطرية سنوية متوفرة ومختلفة في السهل عنه في الجبل ومن حرارة مرتفعة فى السهل ومنخفضة فى الجبل (فجبال الاطلس المتيجي اوفر مطرا وابرد من السهل المتيجي بصفة عامة) لما كان ذلك الاختلاف المناخي فان الغطاء النباتى باقليم مدينة الجزائر متنوع فالجبال اكثف غابات من السهل ، ثم ان الغابات الجبلية اكثر احتفاظا بطابعها القديم لان الزراعة فى توسعها الحديث والقديم كانت في السهل اكثر منها فى المناطق الوعرة . فالانسان بطبعه يغزو في توسعه الزراعي المناطق السهلة قبل المناطق الوعرة التي تكلفه جهودا كبيرا ولا يلجأ الانسان الى المناطق الوعرة الابعد الضغط الشديد على السهل او عندما لم يجد مجالا للتوسيع رقعته الزراعية في السهل فهناك يضطر الى الالتجاء الى المناطق الوعرة . وفي اعتبارنا لأختلاف الضوابط الطبيعية و البشرية للغطاء النباتي نلاحظ باقليم مدينة الجزائر قبل الاحتلال

الفرنسي ثلاث نطاقات نباتية ممتدة من الشرق الى الغرب :

أ ـ غابات صنوبرية واحراش في مناطق التلال والوهاد الساحلية متناثرة هنا وهناك تأثرت بالنشاط البشري فى استغلاله للارض .

ب ـ نباتات مستنقعية و مراعي طبيعية فى السهل المتيجي ، زاد انكماشها عبر التاريخ الاستعماري .

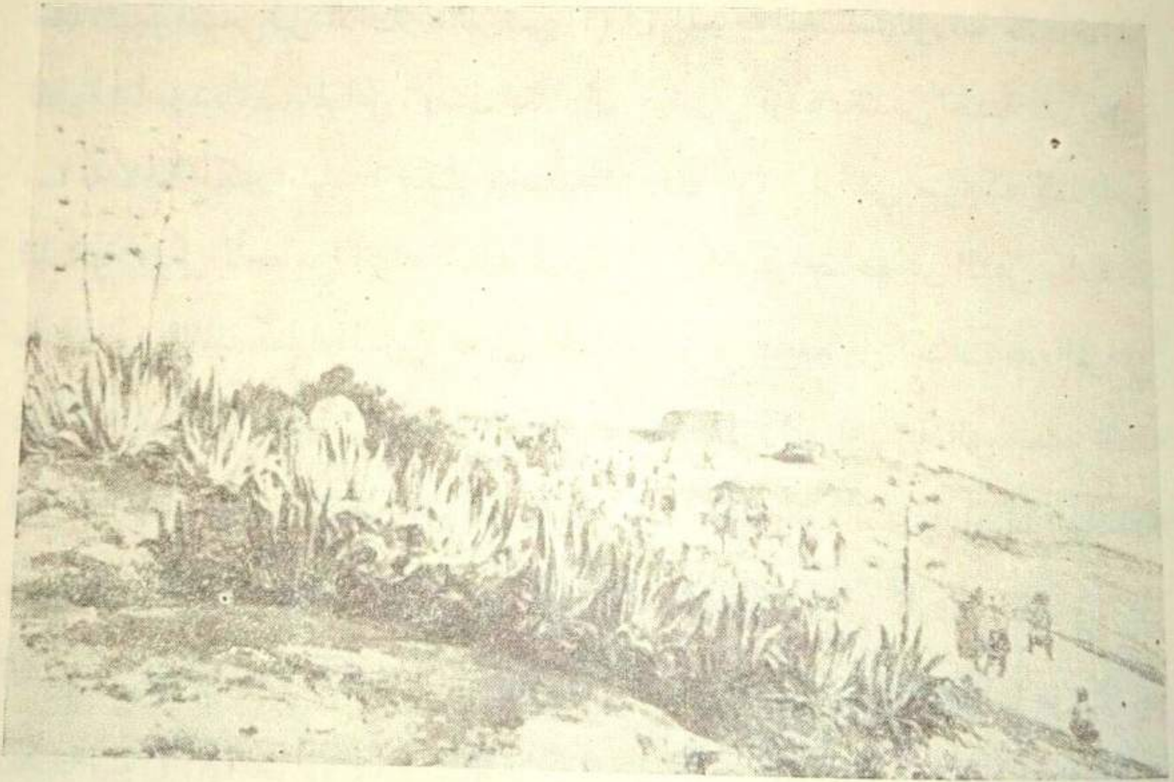
جـ ـ غابات متدرجة ومتنوعة وكثيفة فى جبال الاطلس المتيجي ولازالت محافظة على طابعها القديم الى خدما .

فعلى تلال الساحل الغربي وروابيه الشرقية تظهر غابات الصنوبر التي تزحف حتى الشواطيء البحرية : فى سيدي فرج والمعالمة و الدوادة وتيبازة الى جبل شنوة ، وتغطى هذه الغابات ايضا بعض السفوح الجنوبية لتلال الساحل اذ تظهر فى منطقة القليعة بالخصوص ، وفي مقطع خيرة على الاخص ، وكثيرا ما ظهرت مختلطة بالاحراش والنباتات الشوكية والعطرية (١) . اما كتلة بوزريعة فتكسوها الغابات الكثيفة ذات الاشجار المتنوعة من صنوبر وشجيرات البلوط والريحان والضرو وهي غابات على السفوح الغربية اكثف منها على السفوح الشرقية ، والسبب فى ذلك ان السفوح الغربية اوفر مطرا واقل انحدار واخصب تربة من السفوح الشرقية وغابة بينان تعد أكثف غابات ضواحي مدينة الجزائر وكانت تمتد حتى شاطيء البحر وتكسو السهل الضيق والسفح الشمالي والغربى للجبل ثم اجتث الجزء من الغابة الواقع فى السهل لفائدة العمران وتوسيع زراعة المدرجات . اما السفح الشرقي لكتلة بوزريعة فانه اجرد عاري من النباتات اللهم الا من بعض الشجيرات المنتشرة هنا وهناك وذلك لشدة الانحدار . ومن منطقة الابيار الى مصب وادي الحراش تعود الغابات الصنوبرية المختلطة بالشجيرات للظهور على طول امتداد الروابي واعراف تيلملي والمرادية وبلكور و القبة وقد استغلها سكان المدينة فى الحصول على حاجياتهم من الحطب للتدفئة والطهي قبل ظهور البترول والغاز والكهرباء ، اذ كانت افران الخبز ومواقد

---

(1) A. M. Ferrot : Esquise topograph'que et historique du royaume et de la ville d'Alger. Paris 1830. p. 11

البيوت فى القصبة ترد اليها يوميا ، من غابات الضواحي على ظهور الدواب ، حزم من الحطب واكياس من فحم الحطب ، ولا شك ان مواقد التدفئة المنزلية فى المنطقة الجبلية تحتاج الى كمية اكبرمن الحطب في فصل الشتاء، اوفى فصل البرودة،عنها في فصل الصيف، كما كان سكان الضواحي يربون قطعانا من الماشية فى هذه الغابات والاحراش ويزودون بمنتوجاتها سكان القصبة ولم يستغل الاتراك ولا الذين حكموا المدينة من قبلهم هذه الغابات فى صناعة السفن بل ان الاتراك كانوا يستوردون حاجياتهم من الاخشاب لصناعة الاثاث وبناء السفن من دول اوربا الشمالية مثل هولندا وبريطانيا . ولعل هذا يرجع الا ان اشجار هذه الغابات غير صالحة لتعطي الاخشاب الجيدة لصناعة السفن لكنها كانت جيدة الاستغلال في بناء المنازل ، حيث نلاحظ ديار القصبة وسقوفها مشدودة بأوتاد كثيرة جيء بها من الغابات المجاورة للمدينة .



احراش الصبار فى حي تافورة

وفى العصر الحديث توسع عمران المدينة على حساب هذه الغابات فازيل جلها ولم يبق منها فى الوقت الحالي الا خرق متناثرة في حي بلكور الاعلي ولمرادية و روبرتسو وعلي

الضفاف العليا و الوسطى من مجرى وادى كنيس . وتعد هذه الخرق قطع متاحف للغابات القديمة التي كانت تكسو مساحة اوسع من الضواحي احتفظت بها الحكومة وادخلتها فى املاك الدولة حتى تحميها من تناول يد الخاصة ، والبعض منها نظم للنزهة مثل غابات المرادية وغابات الحامة ، كما زيدفي تشجيرها فى بعض الاحيان وادخال بعض الانواع الغريبة عنهـا .

واذا انتقلنا الى السهل المتيجي نجد ان جل الاراضي كانت مهملة فى العهد التركي وذلك رغم خصوبة معظم تربتها ، لذلك كستها الاحراش وغلبت عليها المراعي وسادت بها النباتات المستنقعية مثل نباتات السمار والراوراو والسل والطرفة والدفلة ، والقصب البري على شريط التقاء تلال الساحل بالسهل المتيجي ، ولازالت هذه النباتات المستنعية تحتل مساحة واسعة من مروج وادي العلق و وادي فطيس . وتذكر بعض التقارير عن حالة السهل المتيجي قبل الاحتلال الفرنسي (١) ان المساحة المخصصة للزراعة كانت ضئيلة للغاية اذا ما قورنت بالمراعي ، ومثال لذلك ان حوش بني فودة بخميس الخشنة كان يحتل مساحة ٩٨٧ هكتار منها ٦٠ هكتار مخصصة للزراعة و٦٢٧ اراضي متروكة للمراعي الجماعية وليس لأحد من افراد الجماعة ان يمنع من كان من جماعته عن الرعى و امتلاك ما يداه من الماشية كما ان ليس لأحد من الجماعة الحق فى مد يده الى اجتثاث هذه المراعي وتوسيع رقعته الزراعية على حسابها الابعد الرجوع الى رأي الجماعة التي تمنح حينئذ لكل فرد منها ما منحته للآخر (٢) وهذا القانون الصارم من المحافظة على المراعي الجماعة دعت اليه الظروف الاقتصادية وتربية الحيوانات بالخصوص التي كانت سائدة في كل الاقليم من تله وسهله وجبله ، ومثال لذلك ان السفوح الجنوبية لتلال الساحل كانت تقطنها سنة ١٨٤٢ حوالي ١٦٤ عائلة لاتستغل من المساحة الواسعة الصالحة للزراعة من هذه السفوح الا حوالي السبعمائة هكتار اي حوالي الواحد في المائة من مجموع

---

(1) H. Hisnard : Etat economique et sociale de la mt/dja en1830
(2) Rapport de Péchot 24 Décembre 1848 2L. Agga

الاراضى الصالحة للزراعة ، اما الباقي فهي اراضى متروكة للرعى تعيش بها اعداد كبيرة من الماشية قدرت حينذاك بحولي ٢٨٢٠ رأسا اي بمعدل ١٧ رأسا للعائلة الواحدة . والعدد المذكور للقطيع كان يتألف من ٧٨٧ رأس من الابقار و١٢٧٢ رأس من الضأن و٦٥ رأسا من الخيل ، و٥٦٧ من الماعز و٩٨ من البغال ، و٢٢ من الابـل و١٠٩ من الحمير . ومن هذه الارقام يتبين لنا شدة تنوع القطـيع شأنه فى ذلك شأن حرفة تربية الماشية التقليدية وان الضأن كان يحتل المرتبة الاولى تليه الابقار حتى اشتهرت مدينة الجزائر في هذه الفترة بتصدير الجلود و الاصواف الى اوربا وفرنسا بالخصوص ، اما تربية المطايا فكانت ضرورية في منطقة تعد فيها دواب الحمل من اهم و سائل النقل .

وكانت مراعي المستنقعات من أهم مراعي الاقليم لان اديمها الرطب تغطيه الاعشاب طوال السنة على عكس المراعي الجافة التي لاتتوفر بها الاعـشاب الا في الفصل الرطب فقط ، ثم يجف فيها الكلأ فى فصل الصيف ولهذا كانت القطعان تتحرك نحو المستنقعات فى فصل الجفاف وتقصد مراعيها حتى القبائل الرحل من وراء جبال الاطلس مثل قبيلة بني هجرس من قرية البويرة ، وقبيلة الزناخرة تأتي من بوغاري ، وقبائل اخرى مثـل بني حسن ، وريغة ، والمفاتة ، والدوائر ، و الوزرة ، والعبيد ، والغرايزية و الربايع التي كانت تقضي فصلا من السنة في مستنقعات وادي ماء زعفران ، او السهل الغربي لمتيجة . وقد زاد مراعي المستنقعات أهمية قربها من الـسوق الاستهلاكي للمنتوجات الحيوانية بمدينة الجزائر ، اذ هي على قاب قوسين او أدنى من المدينة .

والنطاق الثالث للغطاء النباتي هو نطاق الغابات المتنوعة التي تسود الى الجنوب من السهل المتيجي وتغطي معظم جبال الاطلس البليدي من جبل زكار الى جبل بوزقزة وهناك يتضح جيدا اثر التضاريس وبالتالي اثر تنوع المناخ على تنوع الغطاء النباتي وذلك من حضيض الجبل حتى قمته . ففي الحضيض تكون الحرارة مرتفعة و الامطار قليلة نسبيا ويظهر هذا فى المقارنة بين محطة الصومعة الواقعة عند اقدام جبل الشريعة على ارتفاع ١٥٠م ، و بين محطة تيفراون الـواقعة على ارتفاع يزيد عن الف متر فى السفوح العليـا

لجبل الشريعة . فالمحطة الاولى سجل بها المتوسط السنوي للامطار خلال ٤٠ سنة ٩٠٠مم بينما الثانية بلغ متوسطها السنوي ١١٧٣مم خلال نفس الفترة . والمحطة الاولى لاتغطيها الثلوج الا نادرا وربما نزلت بها الثلوج مرة في العشرين سنة بينما محطة تيفراون لا تفارقها الثلوج الا نادرا فى كل سنة ، ولهذا التنوع فى المناخ ظهرت الاحراش ، من ضرو وريحان وحمايرة وعلائق ودوم ، مختلطة باشجار الزيتون عند حضيض الجبل ، وهي احراش دائمة الخضرة وكثيفة تمثل فى بعض الاماكن سدا منيعا لتشابك اغصانها وكثرة اشواكها . و اشجار الزيتون تعد رمزا صادقا امناخ البحر المتوسط ، تمثله احسن تمثيل وتظهر على السفوح التي يتراوح ارتفاعها بين المائة متر والخمسمائة متر ، وربما زادت عن ذلك ، وتفره فوق التربة الرملية بالخصوص . واذا كانت مختلفة باشجار اخرى او بشجيرات الاحراش كونت غطاء نباتيا متشابكا يصعب اختراقه ، لكنه غطاء جميل للغاية لمنظره ورائحة اشجاره التي تنعش الالباب وتـذكى القرائح وتبعث الراحة والسرور فى الانفس في كل فصول السنة ، وبالخصوص فى فصل الربيع الذي تزهر فيه أغلب الاشجار والشجيرات ، وتتوالد فيه الطيور التي تبنى وكناتها فى هذه الاحراش التيتنساب من نحتها مياه العيون والجداول المتدفقة ، وهي مياه تنحدر نحو السهل المتيجي لتغذي اودية مدينة الجزائر . وتمتاز اشجار الزيتون باوراقها القصيرة والسميكة و الصلبة ذات اللون الاخضر الفاتح من الجهة العلوية واللون الفضي من الجهة السفلية المقابلة لسطح الارض مغطاة بطبقة شمعية تقيها شدة التبخر فى فصل الصيف . وتختفي اشجار الزيتون تماما على قمم الجبال الباردة . و تشتهر بتعميرها للقرون الطوال ، وكثيرا ما ظهرت مختلفة بغابات الصنوبر فى نطاق الاحراش . وغابات الصنوبر لاتتحكم فيها خطوط الكنتور مثلما تتحكم فى اشجار الزيتون ، فاشجار الصنوبر تظهر على قمم الجبال الباردة مثلما تظهر عند خطوط الكنتور المنخفضة جدا ، وقد نجدها حتى على شاطىء البحر كما سبق لنا فى الحديث عن غابات الصنوبر بنطاق التل الساحلى ، وتغطي جزءا واسعا من جبال الاطلس المتيجي وجبال زكار ، والمدية ، وبوزقزة ، وموزاية . واشجار الفلين تظهر في مناطق محدودة للغاية

فتكثر فى جبال بوزقزة كما تغطى مساحة محدودة فيما بين ابن عجال ووادي رغاية .
واشجار الفلين يتراوح ارتفاعها بين الستة و الستة عشرة متـــرا ، تفره فوق التربة الرملية بالخصوص ، وتهجر التربة الطينية ولا تتحمل البرودة المتطرفة للغاية ، لذلك تقتصر على المناطق القليلة الارتفاع والمشمـــسة فى الـــغالـب . وكان استغلال سكان مدينة الجزائر لغابات اشجار الفلين محدودا للغاية ، يقتصر على صناعة السدادات وعسالات النحل اما جذوع الفلين فهي رديئة لصناعة الاخشاب ولاتصلح لصناعة فحم الحطب وتعد ثمار البلوط من أجود انواع العلف للحيوانات البرية والآلفة على السواء لذلك تكثر الخنازير البرية فى الاماكن التي تكثر بها غابات البلوط ، و يقصدها الرعاة ايضا ، وكانت ثمار البلوط تدخل بكمية ضئيلة في غذاء السكان (١) .

وغابات الارز تسمى بغابات الجبال الشاهقة لان اشجار الارز لا تظهر الا على قمم الجبال المرتفعة و على السفوح الممطرة ، التي تنزل بها الثلوج فى بعض ايام السنة و التي يتراوح ارتفاعها بين الالف والالفين من الامتار ، ولذلك اقتصـرت اشجار الارز فى ظهورها باقليم مدينة الجزائر على جبال الشريعة فقط وهي جبال يزيد ارتفاعها عن ١٥٠٠ متر (جبل بني صالح ١٦٢٩ مترا) تكسوها الثلوج لمدة تزيد عن شهرين من فصل الشتاء فى بعض السنوات . وتغطي اشجار الارز مساحة ضئيلة بالنسبة لبقية الغابات ، وتمتاز بطولها واستقامتها ، وضخامة جذوعها ، تعمر السنين الطوال وتتطلب امطارا وفيرة وشتاء باردا ، وصيفا معتدلا ، وهذه الضوابط المناخية جعلت اشجار الارز لاتظهر على تلال الساحل وتهجر السهل المتيجي ، الذي لاتنزل فيه الثلوج الانادا كماسبق.ولما كانت اشجار الارز تعطي الاخشاب الجيدة الصالحة لبناء السفن وصناعة الاثاث المنزلي فانه بالامكان ان تكون قد استغلت منذ القديم ، وربما استغلها الفينيقيون مثل ما استغلوا غابات الارز بجبال لبنان فى بناء مراكبهم البحرية ، ولا سيما ان جبال شريعة غير بعيدة عن الموانيء

(1) A.M. Perrot : Esquise Topographique et historique du royaume et de la ville d'Alger. Paris 1830. p. 11
René Louiche Des fontaines (1751-1833) Botaniste et auteur d'une flora atlantica voyagea dans les régences de Tunis et d'Alger de 1783 à 1781

الفينيقية العتيقة وهي موانيء كانت ممتدة على نقط شاطئية من رأس تامنفوست الى شرشال بما فيها مدينة الجزائر ولم تكن هناك عقبات طبيعية تحول دون قطع ونقل اخشاب الارز من جبل الشريعة الى ميناء تيبازة ، مثلا ، او ميناء الجزائر وهي من اهم الموانيء الفينيقية في الاقليم اذ فهناك ممرات طبيعية مثل وادي الناظور ووادي الشفة والوادي الكبير تسهل الوصول الى غابات الشريعة من الجهات الغربية كما ان وادي قرقور والمقطع والحراش تعد معابر طبيعية من مدينة الجزائر الى غابات الارز على السفوح الشرقية لجبل الشريعة .

وخلاصة الحديث ان مدينة الجزائر بنيت في اقليم تتوفر فيه النباتات الطبيعية المتنوعة وتكثر به الغابات التي ظلت طيلة تاريخ المدينة في صراع مع سكان الاقليم • الذين قد دفعتهم الظروف في بعض الاحيان الى استغلالها استغلالا هدميا . ولكن رغم ذلك فقد ظلت بعض الاجزاء من الغابات القديمة محافظة على شكلها العتيقة ولم تمتد اليها يد الانسان حتى الوقت الحالي .

٩ ـ المـيـاه

واعني بها المياه الجارية على سطح الارض والتي هي فى متناول الانسان وتعد من المقومات الاساسية لبناء المدن والتركز العمراني . وليس باقليم مدينة الجزائر انهار باتم معنى الكلمة ، وانما تكثر المسيلات والاودية والعيون والآبار .

١ ـ المسيلات والاودية :

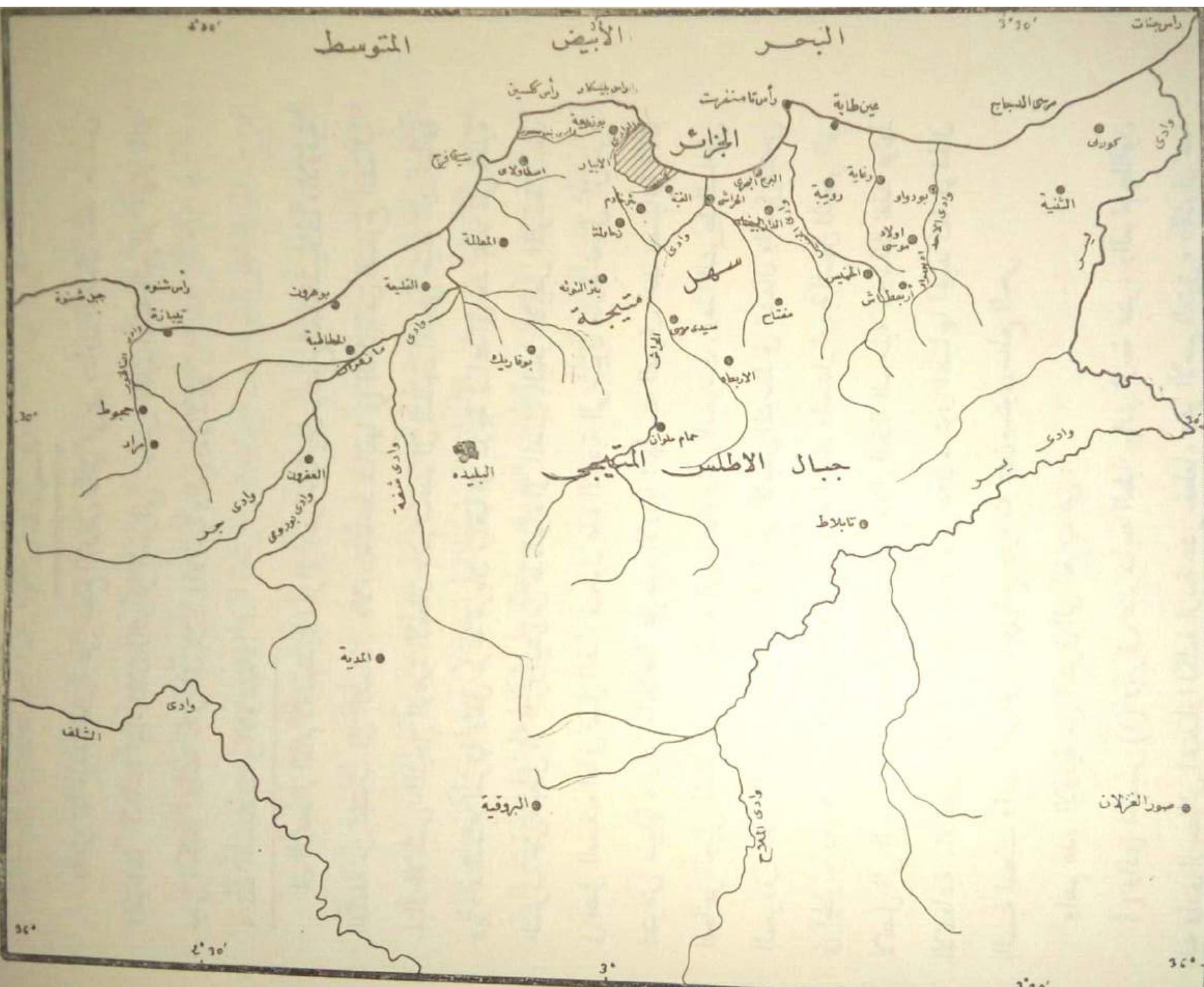
ان الانحدار العام لاقليم مدينة الجزائر وضواحيها يبين بوضوح اتجاه المسيلات والاودية القادمة من الجنوب الى الشمال . فالاودية تأخذ منابعها في الغالب من السفوح الشمالية لجبال الاطلس المتيجي الوفيرة الامطار ، ثم تنحدر الى السهل المتيجي حيث تلين ثنياتها ويزداد اتساع اسرتها وتقل سرعة جريان مياهها الى درجة تساعد الى حد بعيد على عملية التسرب حتى لا يصل الا النزر اليسير من هذه المياه الى المصب بالبحر الابيض المتوسط وذلك فى فصل الصيف اما فى فصل الشتاء فتتحول هذه الاودية الى سيول جارفة تحمل كل شيء اعترض سبيلها . واهم مايلاحظ على هذه الاودية انها سيئة الصرف عند مصباتها ذلك للحاجز الجبلي الممتد من جبال شنوة الى ماوراء رأس تامنفوست ، وهذا الشريط الساحلي المعروف بتلال الساحل يفصل بين مياه البحر الابيض المتوسط فى الشمال والسهل المتجي فى الجنوب،وهو فى نفس الوقت سد طبيعي فى وجه امتداد وانحدار اودية السهل المتيجي التي لاتصل الى البحر الابعد عناء في شق طريقها خلال الكتلة الساحلية ، وبذلك تفقد قوتها الاندفاعية ، او تصل تلك الاودية الى البحر وهي دون مستوى انصبابها الجيد كما هو الحال بالنسبة لمصب وادى الحراش الذي يقع جزء منه دون مستوى سطح البحر .

واهم هذه الاودية من الشرق الى الغرب هى :

أ) وادي الخميس (١) ويعرف عند منابعه العليا بوادي اربعة عشر، والعوام يطلقون عليه وادي اربعطاش اختصارا لكلمة اربعة عشر مقطعا ، وهو الاسم العتيق ، ذلك ان هذا

---

(١) حليمي عبدالقادر علي : من الاطلس المتيجي سكان حوض وادي اربعطاش، دبلوم دراسات عليا . الجزائر ١٩٦٩



أودية مدينة الجزائر وإقليمها

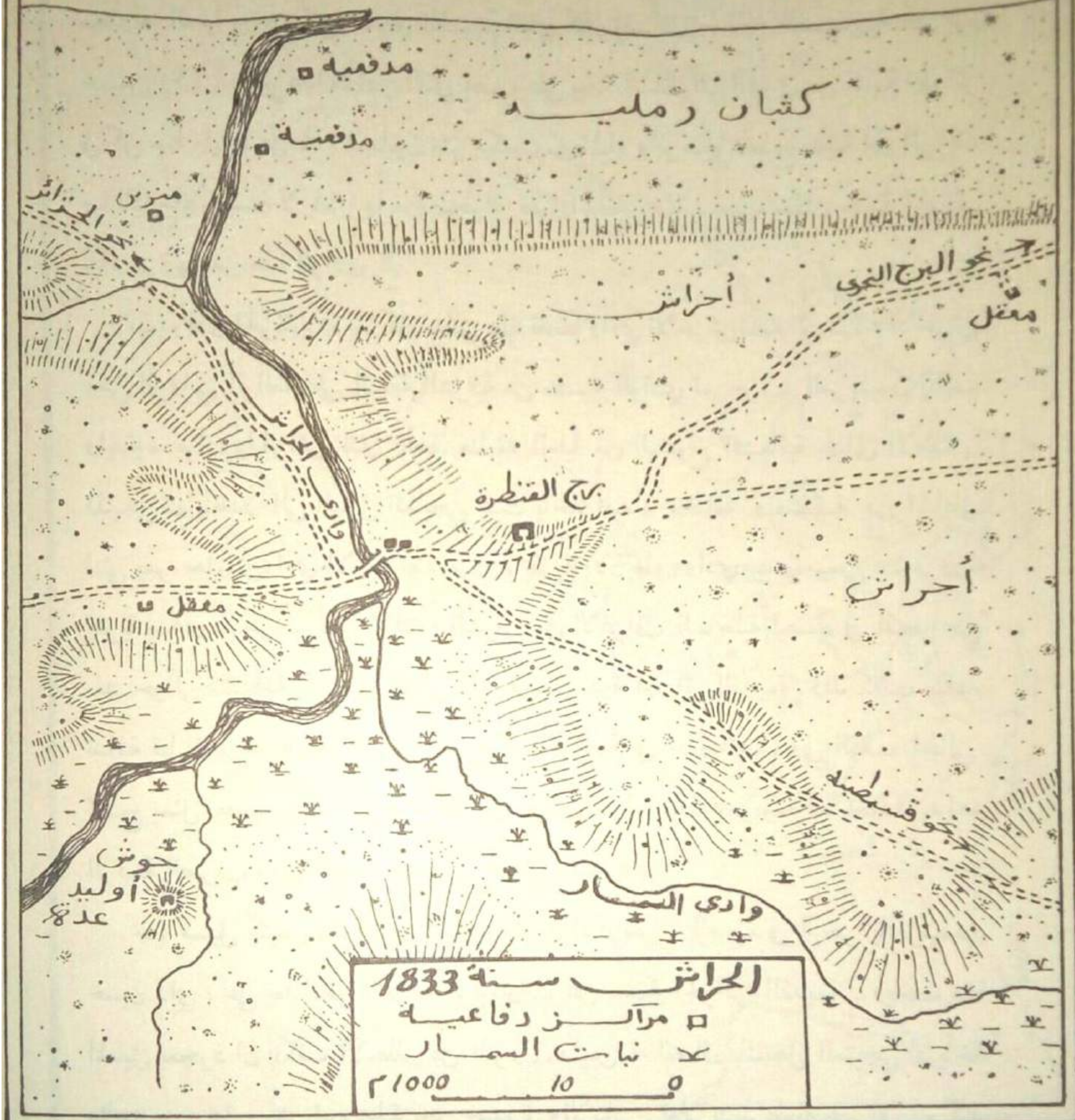
المقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠

الوادي كان يمثل المقطع (المعبر) الرئيسي للطرق والدروب القديمة القادمة من الشرق والغرب والجنوب ، في عهد الاتراك ومن كان من قبلهم . اما اطلاق اسم وادي الخميس على مجاريه الدنيا فيرجع الى السوق القديم الذي كان يعقد على ضفافه الغربية كل يوم خميس (١) . ويلقي هذا الوادي الذي يصب على بعد ٢٠ كلم الى الشرق من مدينة الجزائر في كل سنة مايزيد عن ١٢،٤ مليون متر مكعب من المياه والوحل في خليج مدينة الجزائر (٢) وبذلك ساهم بنسبة لا باس بها من ضحولة هذا الخليج ، ولا يسحب سكان مدينة الجزائر مياه شرابهم من هذا الوادى .

ب) وادى الحراش وربما كان يطلق عليه قديما وادي الاحرش نسبة الى ذراع الاحرش وهي الروابي الواقعة على الضفة الشرقية من مصب الوادي ثم حرف الفرنسيون الاسم وابدلوه بوادي الحراش الذى يأخذ منابعه العليا من السفوح الشمالية لجبالى الاطلس المتيجي ثم ينحدر الى السهل المتيجي حيث يأخذ اسماء مختلفة و مشتقة من المناطق التي يمر بها ، مثل وادي الاربعاء عند مروره بقرية الاربعاء ووادي سيدي موسى عند مروره بقرية سيدى موسى ثم يعبر الالنتوء الشرقي من الاعراف الساحلية ليصب فى البحر على بعد حوالي الثمانية كيلومترات الى الشرق من مدية الجزائر القديمة . وقد كانت مياهه صافية قبل نمو مدينة الحراش واستغله سكان الضاحية فى حاجياتهم . وفي الوقت الحالي اصبح يمثل مصبه - الذي يزيد عرضه عن الستين مترا - منطقة موبوءة لما تختلط بمياهه الرديئة الصرف ، من اوساخ المعامل وفضلات المدية .

ج) مسيل كنيس ويتولد من شهاب بئر مراد رائس ، ليصب فى البحر بالقرب من حسين داي ، على بعد نحو الثلاث كيلومترات عن مدينة الجزائر القديمة . ويجف هذا المسيل بمجرد ان تكف الأمطار عن النزول ، وليس له اتصال بالسهل المتيجي اذ يأخذ منابعه من روابي بئر ابن عطية بحى حيدرة والابيار . ولا يزيد طوله عن الاربع كيلو مترات . ويقطع او يشق وادي كنيس سلسلة الاعراف الشرقية الى شقين ، فى شكل خانق تسلكه

(1) M. Bonnafont op. cit. P. 46
(2) A. Grovel op. cit.


البحر الأبيض المتوسط
مدفعية
مدفعية
كثبان رملية
متريس
نحو الجزائر
أحراش
نحو البرج البحري
معقل
وادي الحراش
برج القنطرة
معقل
أحراش
نحو قسنطينة
حوش
أوليد
عدة
وادي السمار
الحراش سنة 1833
مراكز دفاعية
نبات السمار
0 10 1000م

طريق البليدة وغرب الجزائر . ولولا عتبة بئر مراد رائس لكان ممرا طبيعيا بين السهل المتيجي والمدينة .

٤) مسيل الوادي ، ويسمى بوادي الازهر عند منابعه العلياء بروابى ابن عطية ، ثم يعرف بوادي مغاسل في مجراه الاوسط ، ثم يحمل اسم الوادي عند مصبه بالبحر الى الغرب من المدينة القديمة ومنه اشتق اسم حي باب الوادي . ومياهه قليلة تجف فى فصل الصيف ، ولا يتصل بالسهل المتيجى ، ويكتفي بصرف السفوح الشرقية لجبل بوزريعة ولا يزيد طوله عن الست كيلو مترات وهو شديد الانحدار ولذلك كان اقرب الى المسيل منه الى الوادي له اخطار جسيمة على عمران المدينة في وقت الفيضانات ، ولا يستفيد منه السكان فى الري والشراب .

د) وادي ابن مسوس ، نسبة الى قبيلة بني مسوس التي تسكن على ضفافه ، ويصرف السفوح الغربية لجبل بوزريعة ليصب فى البحر ، معاكسا فى اتجاهه لبقية الاودية المذكورة حيث يجري من الشرق الى الغرب . ورغم عدم اتصاله بالسهل المتيجي فانه اوفر ماء من وادي كنيس ووادي مغاسل وذلك لطوله النسبي ، ولعيونة الكثيرة وشعابه المتعددة وهو اقل انحدارا من وادي مغاسل ، ويسهل منه العبور نحو ظهر المدينة ، ولقد سلكته الحملة الفرنسية فى احتلالها لمدينة الجزائر .

هـ) وادي ماء زعفران ويطلق عليه العوام ما زفران نظرا لاصفرار مياهه بالقرب من مصبه فى البحر ، غير بعيد من قرية زرالدة . ويرفد وادي ماء زعفران من جهاته اليسرى وادي الشفة الذي يأخذ منابعه من الاطلس البليدي ، ووادي جر الذي يأخذ اكثر منابعه من جبل القنطاس . ويتميز وادي ماء زعفران بكثرة روافده القادمة من كل الاتجاهات وبطوله وكثره منابعة ولذلك كان اوفر ماء من بقية الاودية بالجزائر وضواحيها ويشق طريقه بصعوبة داخل الكتلة الساحلية من الجنوب الى الشمال بعد عبوره للسهل المتيجي من الغرب الى الشرق ، وتجتمع مياهه فى مقطع خيرة بالقرب من القليعة ثم يشق مجراه من الجنوب الى الشمال نحو البحر . وقد استفاد منه سكان الضواحي فى ري حقولهم .



وادي ماء زعفران في مقطع خيرة

وكل هذه الاودية السابقة الذكر المنطلقة من جبال الأطلـــس لا تزود المدينة بمياه الشرب عن طريق مباشر اما عن طريق غير مباشر فانها تحمل من الجبال المجاورة كمية كبيرة من المياه يتسرب جزء منها داخل تكوينات السـهل المتيجي و بذلك تتحول الى مياه باطنية ، تظهر في شكل عيون وآبار ارتوازية في المروج او تخرج من الطبقة الخازنة للمياه بضواحي المدينة .

٢ ــ العيون والآبار والسواقي :

ان الدراسات المناخية والجيولوجية تؤكد توفر المياه الباطنية في اقليم مدينة الجزائر وضواحيها فالمتوسط السنوي للامطار يزيد عن ٧٠٠مم يتسرب جزء منه الى باطن الارض والجزء الباقي ينصرف الى البحر ، والجزء المتسرب هو الذي يغذي العيون الجارية والخزانات الباطنية ومن المعروف ان عملية التسرب تتوقف على التركيب الصخري للطبقات الارضية ولهذا يكون من المفيد معرفة بنية المنطقة .

ان جل مساحة اقليم مدينة الجزائر تتكون من طبقة رملية نفادة ترجع لعصر

البلايوسين ، تتركز فوق طبقة صماء ترجع الى عصر المايوسين و تعـرف بالتكوينـات الساحلية . وسطح التماس الطبقتين : البلايوسينية والساحلية ، يعد بجزنا جيدا للميـاه الجوفية . وعلى عمق سطح التماس يتوقف عمق المياه الذي يتراوح بين العشرة امتار والمائة متر فى السهل المتيجى و فى اقليم سلسلة الاعراف ، بل هناك بعض الاماكن تظهر بها المياه على عمق دون العـشرة امتار كما هو الحال فى السهل الشاطئي ، وقد يظهر سطح التماس فى بعض النقط على سطح الارض فتنبجس منه العيون الطبيعية المعروفة منذ القديم مثل عيون الحامة وعيون ابن عكنون . والملاحظ على عيون ضواحي مدينة الجزائر ان المناطق الشرقية اوفر ماء من المناطق الغربية وربما هذا يرجع الى انتظام سمك طبقة البلايوسينية فى الجهات الشرقية ، اما فى الجهات الغربية فيزداد تقطع تلك الطبقات المتداخلة وانفصالها عن بعضها ، لذلك كانت أغلب العيون بجبل بوزريعة تظهر من خلال التكوينات الجيرية او التكوينات الشيستية،على عكس العيون فى الحامة التي تنبجس من خلال التكوينات الرملية وبذلك كانت اكثر نقاوة وخالية من الجير ، وطعمها عذب للغاية .

وقد ظل سكان اقليم مدينة الجزائر مدة طويلة يعتمدون في سقيهم على العيون الطبيعة بالدرجة الاولى (١) وعلى الآبار بالدرجة الثانية ، ومازالت اغلب المنازل القديمة فى حي القصبة تحتضن في ساحاتها تلك الآبار القديمة القليلة المياه فى فصل الصيف ، اما العيون فكانت دائمة الجريان عذبة المياه ، ويذكر فى شأنها محمد بن حوقل فى كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك الذي زار الجزائر في ايام زيري بن مناد ، اى حوالى ٩٤٨م او ٣٣٧هـ ما يلي : «... وجزائر بني مزغنان مدينة عليها سور في نحر البحر وفيها سواقى كثيرة ولها عيون على البحر طيبة وشربهم منها» . ثم يذكر ابو عبد الله البكري الاندلسي فى كتابه المسالك والممالك الذي ألفه فى نهاية القرن الخامس للهجرة عن عيون مدينة الجزائر ما يلي : «... ومرساها مأمون له عين عذبة ، يقصدها اهل السفن من افريقية و الاندلس

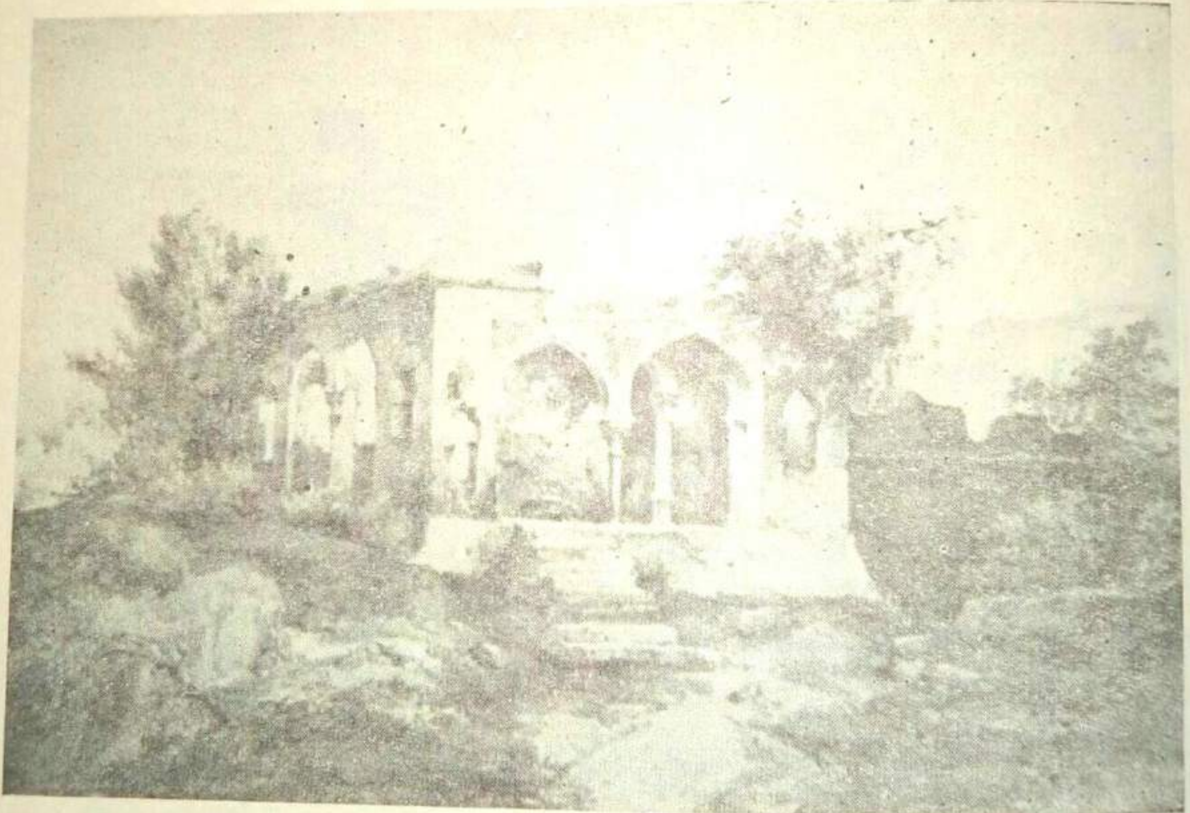
(1) E. Pasqual Ingénieur en chef du service d'urbanisme de la ville d'Alger. Documdut Algériens culturelle No 62 . 30 Avril 1952 Viile d'Algerie : Alger.

وغيرهما ... » ، وبايجاز قلما نجد رحالة عربيا يمر بهذه المدينة دون ان يشير الى عيونها العذبة او الكثيرة . و كانت هذه العيون تكفى حاجة السكان نظرا لقلة عددهم فى تلك الفترة لذلك لم يلجؤوا الى حفر الآبار الانادرا .

وقد دلت الآثار للعيون القديمة بمدينة الجزائر انه فى العهد الفينيقي و الروماني كان سكان مدينة الجزائر يعتمدون فى الغالب على مياه العيون بالمدينة وضواحيها للتزود بمياه الشرب ، وهي عيون كثيرة كانت منتشرة فى منطقة الجبل ، او القصبة الحالية مثل عين الصباط ، وعين العطش ، وعين السلطان ، وعين الملح ، الخ . . وكانت هذه العيون تغذيها مياه الامطار التي تتسرب خلال الشقوق للصخور الشيستية ، والفوالق الباطنية بالمنطقة ثم تظهر بعد ان تقطع مسافة قصيرة في بطون شعاب القصبة او فى حجر جبل القصبة فى شكل عيون . وقد اكتشفت - فى عهد الاحتلال الفرنسي - آثار بجامع كتشاوة لاحواض رومانية كان يجمع فيها المياه لتموين سكان المدينة . ولا شك ان الموقع المرتفع لهذه الاحواض يلائم تماما سقي سكان منازل المدينة السفلية ، او الواقعة فى منخفض حي باب البحر . وكانت المياه ترد الى احواض كتشواة من عيون القصبة العليا ومن عيون اخرى خارج القصبة عن طريق الساقية الرومانية التي وجدت آثارها بالقرب من حصن الامبراطور .

وفى عهد الاتراك اتخذت مدينة الجزائر لاول مرة في التاريخ عاصمة للبلاد الجزائر فتكثر عمرانها وازدادت تجارتها وتركزت بها موجات عديدة من المهاجرين الاندلسين الذين كانت لهم خضارة زراعية تعتمد على الري في شبه جزيرة ايبيريا،فنقلوا الى اقليم مدينة الجزائر هذا الطابع الحضاري الذي ما زال يتجلى فى بعض المنازل الواسعة الارجاء والمرصعة بالرخام والفسيفساء ، ذات نوافذ تفتح نحو المناظر الجميلة من حدائق غناء فى ضواحي المدينة تحيط بها سياجات وترويها آبار او عيون جارية، وغرس بها اشجار متنوعة من برتقال وليمون وتين ورمان وزهور افنان . وتبع الاندلسيين فى ذلك ارباب السفن من الاتراك وغيرهم من الذين جمعوا الاموال الطائلة من القرصنة تم اختاروا

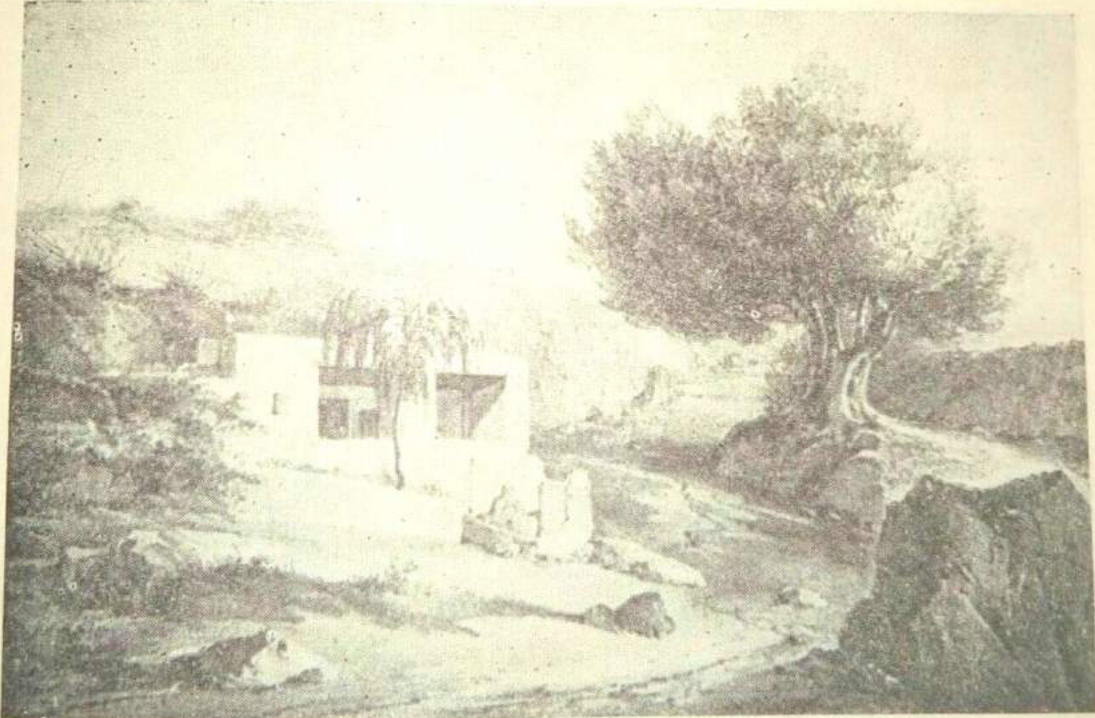
مواضع بضاحية المدينة لبناء القصور (١) وحفر الآبار ومن ذلك مراد رائس أحد الفلامانيين المشهورين فى القرصنة ، اسره الاتراك ثم دخل فى الاسلام ثم ظل يتدرج فى مراتب الدولة ، وكان يجوب البحار الاوربية حتى جزيرة ايسلاندا ، فاكتسب من هذه الحرفة اموالا كبيرة نزل بها البر وحفر بضاحية مدينة الجزائر بئرا الى جانب قصره فعرف هذا البئرفيما بعدبيئرمراد رائس ثم اطلق اسم البئرعلى الحي . واسماء الآباركثيرة فى ضواحي مدينة الجزائر مثل بئر الخادم والابيار وبئر طرارية ، مما يدل على اعتماد السكان فى عهد الاتراك بالخصوص على حفر الآبار للري والشرب ،وكان عددها يزيد عن الف بئر حيث كان فى بعض الاحيان لكل منزل بئره الخاص (٢) ، وحوضه الخاص فالبئر لاستخراج المياه الباطنية والحوض لجمعها لوقت الحاجة .زيادة عن العيون لطبيعية التي كانت منتشرة فى الضواحي ولقد ادى ازدهار اقتصاد المدينة الى زيادة سكانها الى ان بلغوا المائة الف نسمة (٣)



عين بابا حسن في ضاحية المدينة

(1) Gabriel - Esquer : Alger et sa region. Alger 1957. P. 106-112.
(2) Morgan. A Complet history of Algeriors. P. 249 et 305
(3) Maurice wall : Les villes de L'Algerie. Alger 1887 P. 12 et
William Shaller : Esquise de l'Etat d'Alger. Lib. Ladvocat 1830.P. 66

في نهاية القرن السادس عشر، و ارتفع عدد منازلهم الى ٢٠ الف منزل في نفس الفترة . ولا شك ان هذا الاكتظاظ ادى الى زيادة طلب الحفر على مياه الشرب، فقلت كفاءة العيون والآبار الى ان اصبح السكان يذهبون الى خارج المدينة لجمع ، ونقل حاجاتهم من المياه،وبالخصوص في فصل الصيف ، مما جعل حكومة الدايات تتوجه نحو توفير المياه لديار القصبة بالخصوص التي رغم انها كانت خالية من الحدائق - اذ انها كانت عبارة عن مباني مكدسة - فان ما بها من آبار اصبحت لا تكفي حاجات الحضر المتزايدة. وفي سنة ١٦١١م اكتشف أحد النازحين الاندلسيين من اسبانيا عينا غزيرة المياه بالقرب من برج حسن وطلب من الداي حسين باشا ايصال ماءها للمدينه فجازاه الداي على فعلته. وامر بايصال الماء للمدينة واجريت منذ هذا التاريخ السواقي واصبحت المدينة وبالخصوص القصبة ، تعتمد في شرابها على ضاحيتها وكانت هذه السواقي تشق طرقات المدينة وتصل حتى رصيف الميناء القديم لتزويد السفن والمراكب البحرية بما تحتاجه من مياه (١).وزيادة عن تلك السواقي ، انشأت حكومة الدايات بالجزائر



عين ومقهى بالقرب من حصن الامبراطور

---

(1) Thomas Shaw : travels and observations relating to several ports of barbary and the levant. Oxford 1738. Traduction française la Haye 1743 2 vol. Shaw fût chapelain du consulat de Grande Bretagne à Alger et il a résidé 12 ans à Alger de 1720 à 1732.

مايزيد عن المائة حنيفة بالمدينة ، وعلق بكل حنيفية آنية لسقى الجماهير ، وعابري السبيل مجانا ، وكان للسقي مراتب فالاولوية للتركي ، يليه العربي ثم اليهودي ، وللعبيد والاسارى النوبة الاخيرة . والصورة التالية تبين عينا بداخل المدينة .



عين داخل المدينة بساحة يوبا

وفى اواخر ايام الحكم التركي بالجزائر كانت المدينة تتوفر بها مياه الشرب اذ كان يوجد بضواحيها نحو ٢٤ ينبوعا اوعيونا طبيعية تنتشر فى دائرة قطرها نحو العشرة كيلو مترات من أهمها عين الزبوجة بابن عكنون ، وعين الحامة ببلكور ، وعين القصر الصيفي بتلملى وعين حصن بوليلة اوالامبراطور . وكانت اربع سواقى تربط هذه العيون بالمدينة منها ساقية الحامة ـ باب عزون ، وهى أهم السواقي ، ثم ساقية القصر الصيفى - الباب الجديد

مارة بتلملي ، وساقية ابن عنكون ـ القصبة التي تجمع مياه عيون وآبار كثيرة في طريقها الى حي القصبة ، ثم ساقية بئر طرارية ـ باب الوادي ، وهي اقل السواقى ماء . وكل هذه السواقي كانت مبنية بالأجور ، تجرى مكشوفة نحو المدينة ، ما عدا ساقية ابن عكنون القصبة التى كانت مغطية فى بعض اجزائها . وكانت الكمية المائية التى تصرفها هذه السواقي الى المدينة يوميا ، تقرب من المليون ليتـــرة اي بمعدل ٥٠ ليترة للفرد الواحد يوميا ، وهي كمية كافية لحاجات الحضر المحدودة فى ذلك الوقت ، على عكس حاجات الحضر في الوقت الحالي التي تتطلب اكثر من مائة ليترة يوميا فى المناطق الحارة .

ولم يكن لجيش الحملة الفرنسية سنة ١٨٣٠ معرفة دقيقة بهذه العيون والآبار الكثيرة ذات المياه الغزيرة والعذبة ، بل كان يظن ان مياه مدينة الجزائر مالحة لقربها من البحر ولذلك تزود جيش الحملة بالميـاه الكافيـــة من فرنـسا . وبمـجرد نزول الفرنسيين فى سيدي فرج أخذوا يبحثون عن المياه فوجدوا ثلاثة آبار قليلة المياه ، لقلة عمقها ، وكانت لا تكفى شراب وحاجات جيش الحملة ، لذلك خصصت مياه احدى الآبار للمرضى ، ثم راحت جيوش الحملة تحفر الآبار وسرعان ما اكتشفت فى قلب شبه - جزيرة سيدي فرج ، وعلى عمق خمسة أقدام فقط ، مياهها غزيرة وعذبة ، تفوق في عذوبتها المياه في مرسيليا فضجت فرحا وعادت الطمأنينة للانفس . ثم تتابعت عمليات الحـفر و كانت النتائج دائما حسنة ، اذ حيثما حفر جيش الحملة الا وخرجت المياه العذبة ، وقليلا ما كانت مالحة لقرب المنطقة من البحر . وعندما دخلت جيوش الحملة مدينة الجزائر وجدت تلك السواقي التركية فحطمت جزءا منها اثناء المعارك ثم عادت الى ترميمها بعد استسلام الداي وسقوط المدينة . ثم ظهرت مشكلة تزويد المدينة بمياه الشرب فى عهد الاحتلال عندما تكاثر عدد السكان الى ان زادعن الخمسين الف نسمة سنة ١٨٤٦ وعادت حصة الفرد الواحد لاتزيد عن ٢٦ل يوميا فاتجهت بذلك الانظار الى مشاريع عدة منها جلب المياه المخزونة بباطن سهل متيجة ، وهذا ما وقع بالفعل حيث ان مدينة الجزائر تأتيها مياه الشرب حاليا من خزانات السهل المتيجي عن طريق القنوات الباطنية .

الفصل الثاني

الظروف البشرية والتاريخية في نشأة مدينة الجزائر

١ ـ أصول النشأة :

ترجع نشأة مدينة الجزائر الى فترة ظهور الفينيقيين الذين خرجوا من فينيقية باحثين عن المعادن ومنشئين للمستعمرات التجارية على الشواطيء الجنوبية للبحر المتوسط وحيث استقر بهم التجوال اسسوا مدنا كثيرة اختلفت في تمثيلها للاهداف التي اسست لها ، فمنها المراكز التجارية ومنها المدن العمرانية ، ومنها المدن السياسية . واختلفت هذه المدن العتيقة بشمال افريقية و بجزر البحر المتوسط في مدى ثباتها امام الاحداث التاريخية ، فكانت منها العظيمة الذائعة الصيت ، مثل قرطاجنة بتونس ، وسيراقوســة بصقلية التي استمرت في دورها الحضاري مدة طويلة من الزمن ، ومنها المدن المتواضعة التي كانت عبارة عن مراكز تجارية بسيطة اضمحلت باضمحلال الغرض الذي اسست من أجله مثل روســقينا Rusgunae (تامنفوست أو Cap. Matifou حاليا) . ومنها المدن القيمة التي تناوبتها فترات الازدهار والركود حسب القيمة الاستراتيجة التي اضفاها عليها التاريخ السياسي للبلاد ، مثل مدينة الجزائر .

ومن أهم ما يلاحظ على هذه المدن الفينيقية العتيقة ، خارج فينيقية ، انها كانت مطبوعة حضاريا بطابع شرقي واضح ، ذلك ان الوافدين ، الذين كان لهم الفضل الاول في نشأة المدن العتيقة على شواطيء الحوض الغربي للبحر المتوسط ، لم يغفلوا عن طبع مدنهم في شمال افريقية بالطابع التقليدي المنقول من الشواطيء الشرقية لنفس البحر ، حيث نقلوا اليها عاداتهم ، وتقاليدهم ، ومعاملاتهم ، ومعتقداتهم وحتى قصصهم واساطيرهم التي تدور حول نشأة هذه المدن ، مما يؤدي بالباحث ، في بعض الاحيان الى اخذ الحقائق ، وتصفيتها او تخيلها بتحفظ وحذر ، هذا من ناحية ، ومن ناحية

اخرى فان هذا التاريخ الحضاري العمراني رغم ما يحمله فى احد جوانبه من تصورات خيالية واساطير بالية وقصص زاعمة، يساهم الى حد كبير في احياء التراث القديم، وجعله المادة المتكلمة عن الماضي البعيد، وبذلك يمكن الرجوع بالآثار الى اصل النشأة

وفي البحث عن اصول نشأة مدينة الجزائر لابد ان نعتمد على هذه الآثار مهما كانت قيمها وقيمتها، دون ان نهمل العرض، فالتحليل، ثم التعليل، ثم الأخذ بالواقع ثم بالاقرب للصواب. واول ما يعترضنا فى البحث عن اصول نشأة مدينة الجزائر هو الضبط بالارقام التي لاتقبل الشك لتاريخ تأسيسها، ذلك ان الابحاث الاثرية ما زالت جارية حول هذا الموضوع، وهي ابحاث تتفق على ان المدينة لم يكن لها وجود قبل ظهور الفينيقيين فى عرض البحر المتوسط اي قبل نهاية الالف الثاني قبل الميلاد، وان مدينة الجزائر ظهرت لاول مرة فى عهد انتشار الفينيقيين وخروجهم من فينيقية.

والسؤال الذي مازال يثير اهتمام وبحث الاثريين هو: من الجماعة التي كانت لها الفضل الاول فى نشأة مدينة الجزائر؟ هل السكان القدماء من شمال افريقيا؟ ام اليونانيون؟ ام الفينيقيون؟

فالذين يردون اصل النشأة الى السكان القدماء من شمال افريقية يعتمدون على القصص دون دراسة للآثار، ومنهم مورقان (١) الذي يزعم: «ان اغلب المؤرخين يذكرون ان مدينة الجزائر اسسها يوبا الثاني - وهو ملك اهلي او بربري كان يحكم بلاد الجزائر فى مطلع عهد الاستعمار الروماني، الذي اطلق عليها اسم ايول او يوليوس قيصر، تخليدا لذكرى سيده الامبراطور الروماني يوليوس قيصر (١٠١ - ٤٤ ق م)، وان العرب الذين دخلوا هذا الاقليم في القرن السابع للميلاد غيروا المعالم الرومانية واسماء المدن ومن بينها اسم مدينة ايول، التي اطلقوا عليها اسم الجزائر، نظرا لما كان امام هذه المدينة الاهلية البربرية من جزر فى البحر، ثم نزلت بها قبيلة بني مزغنة فيما بعد فاضيف اليها حينذاك جزائر بني مزغنة». وهذه الرواية لمورقان بعيدة عن الواقع اذ المرجع

(1) A. Morgan : op. cit p. 245.

والمعروف لدى المؤرخين ان ايول هي مدينة شرشال ، وليست بمدينة الجزائر فى شيء وان اسم جزائر بني مزغنة لم يرد الا فى كتب الرحالة العرب ، امثال محمد بن حوقل ، وابو عبيد الله البكرى ، وكانوا يريدون بها مدينة الجزائر الحالية ، التي يعود أصل نشأتها الى فترة أقدم مما ذكرها مرقان ، اذ ان يوبـا الثاني تولى الحكم في هذا الاقليم فيما بين ٢٥ق م و٢٣ ميلادية ، وكانت مدينة الجزائر موجودة قبل ذلك ، اذ كانت مستعمرة رومانية مزدهرة لها مشيختها الخاصة وادارتها المعروفة قبل يوبـا الثاني . و ربما قام هذا الملك الاهلي بتجديد المدينة ، ورفع البعض من معالمها وبذلك اختلط على مورقان أصل النشأة بتجديدها .

ومن أنصار فكرة : مدينة الجزائر بناها الاهالى القـدماء ، نجد ايضا فانتيردي بارادي Venture de Paradis (1) الذي يـــذكر : ان مدينة الجـــزائر حديثة النشأة بناها المور (ويقصد بهم الاهالي اوالبربر)، بعدان هدموا مدينة تامنفوست في احدى ثوراتهم ضدالرومان واستعملوا صخور المدينة المهدمة في بناء مدينة الجزائر الحديثة التي لا توجد بها آثـار عتيقة . وهذا رأي بعيد عن الصواب ، اذ ان مدينة الجزائر اسست في الفترة التي اسست فيها مدينة تامنفوست وبها آثار للاول لم ينتبه لها فانتير .

أما صولين Solin (2) المؤرخ الروماني و النحوى اللاتينى الذي كان يعيش فى القـرن الثالث للميلاد (٢٥٠) فيذكر ان مدينة الجزائر يونانية الاصل بدليل اسمها العتيق

---

(1) Venture de Paradis : Alger au 18ème siècle. Alger 1898 p. 2.

وهو ديبلوماسي فرنسي ولد بمرسيليا فى ١٧٣٩/٥/٨ و درس اللغات الاجنبية في مدرسة لويس لوجرا Louis le Grand بباريس ثم دخل في السلك السياسي فارسل الى المشرق العربي ثم تونس و الجزائر التي اقام بها فيما بين ١٧٨٨ ـ ١٧٩٠ ثم عين قنصلا عاما بازمير ثم مترجم اول لجيش حملة نابليون على مصر سنة ١٧٨٩ وتوفى بسان جان دارك سنة ١٧٩٩ بعد ان ترك مخطوطات كثيرة منها قاموس اللغة البربرية ، وملاحظات عن مدينة الجزائر فى القرن ١٨ جمعها واصدرها فاقنان سنة ١٨٩٨

(2) Marcel le Glay : Antiquité Africaine. T. II pp. 7 à 54 1968 et E. Pasqual op. cit.

ايكوسيوم ، وهى كلمة يونانية مركبة من ايكوسي Eikosi ومعناها باليونانية عشرون ذلك ان الذين اسسوها كانوا عشرين نفرا من اليونين . اما قصة تأسيسهم للمدينة فيرويها صولين فى «ان هؤلاء العشرين كانوا من ركاب البحر ، ومصاحبين لهرقل الجبار ابن الاله جوبيتير فى احدى رحلاته البحرية لتحقيق عجائبه الكثيرة ، منها الفصل بين جبال كالي ، وجبال ابيك (اي بين جبال سيرانيفادا بشبه جزيرة ايبريا وجبال الريف بالمغرب الاقصى) . وعندما وصل هرقل واصحابه العشرون الى الموضع الذي تقوم عليه مدينة الجزائر الحالية توقفوا للاستراحة، فاعجبتهم المنطقة ومل اوسئيم اصحاب هرقل من طول الطريق ، فانفصلوا عنه. اما هرقل فتابع رحلته البحرية حتى وصل الي البرزخ الذي كان يصل بين شبه جزيرة ايبريا والمغرب فشقه، وبذلك حقق احدى معجزاته الكثيرة وأوصل بين البحرين بمضيق ، ظل يحمل اسم عمود هـرقل مدة طويلة من الزمن . (وهو ما يعرف بمضيق جبل طارق حاليا في كل اللغات ، نسبة الى طارق ابن زياد فاتح بلاد الاندلس سنة ٧١١م اثناء الفتوحات الاسلامية) . اما العشرون نفرا الذين انفصلوا عن هرقل فقد نزلوا البر ، واسسوا مدينة اطلقوا عليها مدينة العشرين ، حتى لايستأثر بها احدهم دون الآخر ، واحاطوها بسور ظل قائما مدة طويلة من الزمن الى عهد الاحتلال الروماني للجزائر . حينذاك غير الرومان اسم مدينة الجزائر من ايكوسي اليونانية الى ايكوسيوم الرومانية التيمنحها الامبراطور فسباسيان حقاوقانون الاحياء اللاتينية في النصف الثاني من القرن الاول للميلاد .

و نلاحـــظ من هذه الاسطورة للنحوى الروماني انها لاتختلف كثيرا عن اساطير القدماء التى كانوا ينسجونها حول تأسيس المدن وربطها بقصة من القصص الميثولوجية ولا تثبت هذه القصص كثيرا ، بل سرعان ما تسقط غبارا امام الحقائق العلمية ، اذ ليست بمدينة الجزائر آثار يونانية ، ولا ما يدل على وجودها ولم يتحدث عنها الكتـــاب اليونانيون ، وان اهم ما يستفاد من قـصة صولين ان مدينة الجزائر اقدم من الاحتلال الروماني لشمال افريقيا وانها ظهرت في الفترة الاولى لازدهار حضارة حوض البحر

ايكوسيوم . وهى كلمة يونانية مركبة من ايكوسي Eikosi ومعناها باليونانية عشرون ذلك ان الذين اسسوها كانوا عشرين نفرا من اليونيين . اما قصة تأسيسهم للمدينة فيرويها صولين فى «ان هؤلاء العشرين كانوا من ركاب البحر ، ومصاحبين لهرقل الجبار ابن الاله جوبيتير فى احدى رحلاته البحرية لتحقيق عجائبه الكثيرة ، منها الفصل بين جبال كالبي ، وجبال ابيك (اي بين جبال سيرانيفادا بشبه جزيرة ايبريا وجبال الريف بالمغرب الاقصى) . وعندما وصل هرقل واصحابه العشرون الى الموضع الذي تقوم عليه مدينة الجزائر الحالية توقفوا للاستراحة، فاعجبتهم المنطقة ومل اوسئيم اصحاب هرقل من طول الطريق ، فانفصلوا عنه. اما هرقل فتابع رحلته البحرية حتى وصل الى البرزخ الذي كان يصل بين شبه جزيرة ايبريا والمغرب فشقه، وبذلك حقق احدى معجزاته الكثيرة وأوصل بين البحرين بمضيق ، ظل يحمل اسم عمود هرقل مدة طويلة من الزمن . (وهو ما يعرف بمضيق جبل طارق حاليا في كل اللغات ، نسبة الى طارق ابن زياد فاتح بلاد الاندلس سنة ٧١١م اثناء الفتوحات الاسلامية) . اما العشرون نفرا الذين انفصلوا عن هرقل فقد نزلوا البر ، واسسوا مدينة اطلقوا عليها مدينة العشرين ، حتى لايستأثر بها احدهم دون الآخر ، واحاطوها بسور ظل قائما مدة طويلة من الزمن الى عهد الاحتلال الروماني للجزائر . حينذاك غير الرومان اسم مدينة الجزائر من ايكوسي اليونانية الى ايكوسيوم الرومانية التى منحها الامبراطور فسباسيان حق اوقانون الاحياء اللاتينية في النصف الثاني من القرن الاول للميلاد .

و نلاحظ من هذه الاسطورة للنحوى الروماني انها لاتختلف كثيرا عن اساطير القدماء التى كانوا ينسجونها حول تأسيس المدن وربطها بقصة من القصص الميثولوجية ولا تثبت هذه القصص كثيرا ، بل سرعان ما تسقط غبارا امام الحقائق العلمية ، اذ ليست بمدينة الجزائر آثار يونانية ، ولا ما يدل على وجودها ولم يتحدث عنها الكتاب اليونانيون ، وان اهم ما يستفاد من قصة صولين ان مدينة الجزائر اقدم من الاحتلال الروماني لشمال افريقيا وانها ظهرت في الفترة الاولى لازدهار حضارة حوض البحر

المتوسط ، وهي فترة كان لليونانيين اغلب مستعمرات الشواطيء الشمالية للبحر المتوسط من بحر ايجي الى بلاد الغال ، وللفينيقيين اغلب مستعمرات الشواطيء الجنوبية للبحر المتوسط .

ويظهر لنا ، كما ذهب اليه الكثير من الكتاب (١) ، ان مدينة الجزائر فينيقية الاصل للادلة الجغرافية والتاريخية والاثرية الآتية :

١ ــ ان انتقاء الموقع يدل على انه من انتقاء فينيقي . ذلك ان الفينيقيين هم الذين كانوا يحتلون هذة الشواطيء ، وقد تعودوا على انشاء المحطات التجارية على الضفاف الجنوبية للبحر الابيض المتوسط مثل قرطاجنة وعتيقة بشواطيء تونس وروزيكاد (سكيكدة حاليا) ، وهيبون (عنابة حاليا) بشواطيء الجزائر . وروزادير (مليلة حاليا) وتانجيس (طانجة) بشواطيء المغرب ، ومحطات أخرى يطول ذكرها على هذا الشمال الافريقي وكانت هذه المحطات تساعدهم على الاستراحة فى اسفارهم البحرية ورحلاتهم التجارية للبحث عن ذهب السودان ، وفضة اسبانيا ، وبضائع وأصواف البربر . وفى هذه المحطات كان التجار الفينيقيون يتزودن بما يحتاجونه فى اسفارهـم من مياه عـذبة ومواد غذائية زيادة عن تبادل تـجاري مع سكان الاقليم ، ومما يلاحـظ على هذه المحطات ، التي اسس البعض منها فى مطلع الالف الاول لما قبل الميلاد ، وربما كانت منها مدينة الجزائر التي اسست حوالي القرن السادس لما قبل الميلاد ، انها كانت تقع فى اماكن معينة ومقصودة للغاية ،حيث تقع على مسافات تتلاءم والمسافة التي تقطعها السفينة الفينيقية في اليوم الواحد مثل ٢٥ الى ٤٥ كلم بين المحطة والتى تليها (٢) . وزيادة عن اعتبـار المسافة فكان الفينيقيون ينتقون ، لتأسيس مراكزهم التجـارية ، المواضع التي تساعدهم طبيعيا على ارساء سفنهم ، مثل الجزر ، او الرؤوس ، او الخلجان ، او مصبات الاودية والاماكن التي تتوفر فيها المياه العذبة و يوجد بجانبها الظهير الغنى مثل سهل متيجة

---

(1) Maurice Wall : Les villes de l'Algérie 1886 p. 6 W. Shaller opt. cit p. 63.

(2) P. Cintas : Fouilles puniques à Tipaza Alger 1949 p. 8. - Stephane Gsell : Atlas Archéologique Alger 1911 p. 2.

واعتمادا على هذه الظروف يبدو ان مدينة الجزائر ترجع فى اصول نشأتها الى الفينيقين حيث انها تقع على نقطة الوسط للمسافة البحرية الفاصلة بين تامنفوست Rusgunae و هي محطة فينيقية ، وتيبازا وهي محطة فينيقية ايضا، يفصل بين المدينتين نحو الثمانون كيلوميترا وهي مسـافة طويلة لاتقطعها السفينة الفينيقية في اليوم الواحد لذلك اختار الفينيقيون موضعا وسطا ، يقع بين المحطتين السابقتين ، تتوفر فيه الشروط الطبيعية لتأسيس محطة تجارية ملائمة تماما لارساء مراكبهم البحرية ، وهو موضع توجد به اربع جزر فى شكل حرف ألف ممدود آ ، وجزيرات عدة يمكن التنقل عليها بسهولة الى البر ، تحمي السفن من حركات الامواج ، والموقع يساعد على الدفاع ، والاتصال بالداخل او بالسهل المتيجي وتتوفر به المياه العذبة التي كانت تفور من احدى جزيرات الميناء القديمة ، ثم ازيلت هذه الجزيرة بما فيها من عيون فى مطلع عهد الاتراك لاستصلاح الميناء وتوسيعها .

٢ ــ الادلة الاثرية . لقد اجريت ابحاث كثيرة عن آثار المدينة القديمة ، التي بنيت على اساسها المدينة الجديدة ، وهي ابحاث اثرية نشطت فى فترة الاحتلال الفرنسي وخرجت بنتائج قيمة ، تدل على ان مدينة الجزائر فينيقة الاصل ومن هذه الآثار :

أ ــ تمثال عثر عليه في نهج القصر القديم (Rue du vieux palais) يتكون من صخرة واحدة نقش عليها ما يرمز للعالم العلوي والآلهة القرطاجنية ، كالاله بعل حمون الذي كان يعبده الفينيقيون ، ويتقربون اليه فوق الروابى او الامـاكن العالية القريبة في زعمهم من العالم العلوى حيث تقيم الارواح الطيبة . وهـذا الاله يشبه الى حد بعيد الاله المصري القديم آمون (١) .

ب ــ ضريح صخري اكتشف سنة ١٨٤٨ في حديقة سيدي عبدالرحمن ، وهو قبر فينيقي الاصل (٢) طوله ٢،٣٩ م وعمقه ٠،٨٢ م. وجدت به تميمة مصرية الصنع، نقشت عليها صورة للاله المصري انوبيس من طين ، ارتفاعها نحو الستةسنتيمترات، وقطع اخرى

---

(1) A. Julien : H. de l'Afrique du Nord, des origines à la conquête des Arabes p. 87.
(2) J. Cantineau et LesCh : Monnaies Puniques d'Alger : C.R.A.I. 1941 pp. 263 à 272.

من الزجاج الاخضر والاحمر والاصفر كان يتحلى بها صاحب الرفـــاة ، وآنية من طين ارتفاعها ٠،١٧ م وقطرها ٠،١٢ م . ولاشك ان هذه الآثار فينيقة الاصل لما يغلب عليها من الطابع الشرقي ، وكما تؤكده عادات الفينيقيين الذين تعودوا على دفن الميت وحليه وتمائمه وادواته المنزلية التى كان يستعملها فى حياته الدنيا .

جـ ـ نقود فينيقية . اكتشفت سنة ١٩٤٠ فى حي باب الجزيرة او حي البحرية ، وهي عبارة عن ١٥٨ قطعة نقدية ، جلها من الرصاص ، واقلها من البرونز ، صكت فيما بين القرن الثاني والاول قبل الميلاد ، تحمل فى احدى جهاتها صورة لأمرة على رأسها تاج ، و امامها رمز النصر ، وربما كانت هذه الصورة للالهة المصرية ايزيس لانها تشبهها الى حد بعيد ، وعلى الوجه الثاني من النقود نقشت صورة لرجل واقف على قاعدة صخرية ،ومتوج بتاج لـه ثلاث اسنة تشبه الاشعة ، وتوحي الى هيئة الاله الفينيقى بعل ، يكسوه قميص ويتدلى من كتفه الايسر خوج من جلد الحيوانات . وقد كتب على هذا الوجه العبارة التالية : ايكوسيم IKOSIM (١) . وبذلك عثر لاول مرة فى الابحاث الآركولوجية على الاسم القديم للمدينة . وهو اسم فينيقى حرفه الرومان فيما بعد الى ايكوسيوم Icosium حتى يتماشى ولغتهم اللتينية . وقد تصـدى Cantineau المتخصـص فى اللغـات السامية للبحث عن أصل ومعنى الكلمة المنقوشة في تلك النقود ، وذكر انها بونية الاصل (اي فينيقية) وتتألف مـن كلمتين هما : أ ومعناها جزيرة ، و KOSIM كوسيم ومعناها الشـوك . او الطيور التي تعيش في الاطلال مثل البوم . وهذا التحليل لكانتينو يذكرنا بالجزر الاربعة القديمة التي ظلت مدة طويلة منفصلة عن بعضها وكانت تسمى فى عهد الرحالة العرب بجزر سطـفلة STOFLA (٢) تقع امام حي البحرية الى ان اوصـلها خير الدين والديـات من بعده باليابس ، كما يذكرنا التحليل بالطيور البحرية التي كانت تعيش في اطلالها . ويرى البعض ان كلمة كوس KOS معناها دجاج البحر ، و على هذا يكون معنى ايكوسيم

(1) Marcel Le Glay op. cit. et Doduments Algériens service d'information n°62 du 30-4-1952.

(٢) الشيخ نورالدين عبد القادر مجلة كلية الآداب . غ ١ سنة ١٩٦٤

(2) René Lespes : op. cit. p. 44.

جزيرة دجاج البحر ، وهو الاقرب الى الصواب حيث يكثر دجاج البحر فى الشواطيء الجزائرية حتى الوقت الحالي وسميت عليها موانيء كثيرة مثل مرسى الدجاج بالقرب من ارزيو ومرسى الدجاج ايضا على الشاطيء الغربي من مدينة الدلس ، وهي موانيء لازالت تقصدها طيور البحر ، وبالخصوص الدجاج ، التي تطوف في عرض البحر ثم تأوي للمبيت او للاستراحة على الحافة الشمالية للبانات البحرية حاليا فى ميناء الجزائر.

د ـــ بئر فى حي البحرية اكتشفت سنة ١٩٥٢ اثناء اعادة بناء ما خربته الحرب العالمية الثانية بشارع اول نوفمبر حاليا ، وعثر على هذه البئر العمال وهم يحفرون اسس البنايات الجديدة ، وكان عمقها يزيد عن ١٤،٥٠ م ، وجدت فيها اواني فخارية وطينية ترجع الى عصور مختلفة واقوام متعددة تداولت النفوذ في هذه المنطقة واقدمها هي الواقعة فى اسفل الطبقات ، وترجع الى الآثار الفينيقية تيلها الآثار الرومانية ثم العربية.

وخلاصة هذا العرض ان المتتبع للآثار الفينيقية على نطاق واسع فى شواطيء شمال افريقية يظهر له ان الفينيقيين بدأوا فى تأسيس مراكزهم التجارية من الشرق الى الغرب بادئين بقرطاجنة ومنتهين بالمدن العتيقة على شواطيء المغرب الاقصى وان المراكز الشاطئية الشرقية اقدم من المراكز الشاطئية الغربية . وان التركز الفينيقي على هذه الشواطيء سلك مرحلتين ، اولهما مرحلة الاستكشافات للمواضع والمواقع الملائمة للتركز ابتداء من اواخر الالف الثاني لما قبل الميلاد ، والمرحلة الثانية بناء المراكز التجارية ثم المدن الصغيرة فى النصف الاول من الالف الاخير لما قبل الميلاد ، ولما كانت مدينة قرطاجنة واقعة فى شرق المغرب العربي وبنيت سنة ٨١٤ق م كما دلت عليها الآثاو فان مدينة الجزائر الواقعة الى الغرب منها بحوالي ٨٠٠ كلم فلا بد ان تكون قد اسست فيما بعد. ولقد دلت الابحاث الاثرية التي اجراها سنطاس Cintas (١) بعد الحرب العالمية الثانية في مدينة تيبازا ان اقدم آثار فينيقية بتيبازة لاتتعدى القرن السادس قبل الميلاد ، ويظهر من ذلك ان مدينة ايكوسيم الفينيقية اسست فى هذه الفترة اي حوالي القرن السادس قبل الميلاد فى حجر

(1) P. Cintas : Fouilles Puniques à Tipaza - Alger 1949.

حي القصبة الحالي او فى حي باب الجزيرة وبالتالي يعد هذا الحي اقدم احياء المدينة على الاطلاق واول نقطة اختارها الفينيقيون لبناء مركزهم التجاري اي مدينة الجزائر العتيقة.

٢ ـ أثر العامل البشري في النشأة :

يظهر ان مدينة الجزائر عمرت في الفترة الاولى لنشأتها بعناصر فينيقية مـــهاجرة وعناصر افريقية اهلية ، وان كان الاساس الجنسي للفريقين واحدا ، وجمعت بين العنصرين حرفة التجارة ، لذلك كانت تزدهر المدينة وتنمو بازدهار التجارة وتركد بركودها .

ولم تكن مدينة تامنفوست ولا مدينة ايول بالمدن الفينيقية الكبري التي يمكنها ان تؤثر على عمران مدينة الجزائر ، بل ان هذه المدن المجاورة كانت متممة لبعضها ، بحيث تعتبر اساسا تاريخيا لما يمكن ان نسميه «بالجزائر الكبرى» .

ولم يكن للمهاجرين الفينيقيين اطماع استعمارية غير المسالمة والحياة التجارية مع البربر ، لذلك لا يحدثنا التاريخ عن قلاقل اجتماعية لسكان مدينة الجزائر فى الفترة الاولى من النشأة ، بل وطيلة العهد الفينيقيي بها . ولم تظهر الحياة الطبقية و امتياز بعض الجماعات عن الاخرى ، وعدم الامتزاج بالسكان الاصليين ، فى مدينة الجزائر الا فى عهد الاستعمار الرومانى ، عندما هاجرت الجاليات الرومانية الى المدينة ، وكانت تـحيي فى المستعمرة ، حياة ارستقراطية ، تختلف تماما عـن حياة السكان الاصليين ولم يتركز الرومان بالمدن فقط ، بل حصنوها باسوار قوية حتى كانوا فى مأمن موقت من غضب وثورات طبقة السكان الاصليين الذين كانوا معتبرين عبيدا فى عهد الرومان ، ثم رفع الرومان داخل هذه المدن الابراج و القصور ، زينوها بالرخام والتماثيل ونظموا بها العيون والصهاريج واتخذوا من المدن المحصنة مراكز لادارة البلاد .

ولما دخل العرب المسلمون الى شمال افريقية غيروا الكثير من المعالم الاجتماعية فالغوا الاسوار التي تفصل بين الحاكم والمحكوم ، وهذا شيء استمد من طبيعة الاسلام واطلقوا على مدينة ايكوسيوم جزائر بني مزغنة نسبة الى قبيلة اهلية كانت تسكنها ثم اشتدت الهجرات العربية الى شمال افريقية في القرن الحادي عشر للميلاد ، فعمروا النجود

والسهول ، ثم المدن ، التي اخذوا يطبعونها بالطابع العربي الاصيل ، ونقلوا اليها دينهم الجديد ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ولغتهم ، وربطوها اشد الارتباط ببقية المدن العربية في المغرب والمشرق ، فازدهرت جزائر بني مزغنة ازدهار المدن العربية ثم اخذت تنحدر نحو الاضمحلال اثناء الخلافات الاسلامية في شمال افريقية وفي بلاد الاندلس ، وانتهزت قبيلة الثعالبية من المهاجرين العرب هذه الفرصة للانتقال من السهل المتيجي الى مدينة الجزائر وكونت دويلة كانت تمتد من الدلس شرقا الى شرشال غربا ؛ مركزها مدينة الجزائر . وحينذاك وطد الثعالبة علاقاتهم بالاوربيين ؛ وكانت التجارة تسير جنبا الى جنب مع القرصنة بالنسبة لاغلب الدول الاوربية والواقعة على شاطىء البحر المتوسط وعدت مدينة الجزائر سنة ١٣٠٠ من بين اسواق النخاسة التي كان القسيس Raymond Albert يقصدها لشراء العبيد المسيحيين وتحريرهم (١) . وأثرت قبيلة الثعالبة ومدينة الجزائر من هذه التجارة حينا من الدهر ؛ وتكونت فيها طبقة من الاثرياء كان بيدها مقاليد الحكم ؛ وفي نفس الفترة بدأت تؤم مدينة الجزائر جماعات من المهاجرين الاندلسيين الذين جاؤوا الى شمال افريقية بعد ضعف دويلاتهم في شبه جزيرة ايبيريا وانقسامهم الى احزاب وشيع ضعفت امام العصبية المسيحية ، التي اخذت تتولى شيئا فشيئا على دويلات ملوك الطوائف وتدفع بالمسلمين الى شمال افريقية واشتدت هجرة الاندلسيين بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م ثم بعد قرار ١٦٠٩ الاسباني الذي ينص على ان كل مسلم او من كان مسلما باي شكل من الاشكال وفي اي عهد من العهود يجب ان يغادر اسبانيا في الحين ؛ وتركز البعض منهم في مدينة الجزائر ؛ وكانت لهجراتهم اثرها الواضح على عمران المدينة . حيث زادوا من عدد سكانها ونقلوا اليها على اكتافهم ما وصلوا اليه من تطور حضاري في العمارة والتنظيم العمراني بصفة عامة ؛ من شبه جزيرة ايبيريا . ومن الهجرات التي جاءت الى مدينة الجزائر في العصور الوسطى نلاحظ هجرة اليهود التي نتجت عن العصبية الدينية المسيحية وكان لها اثر على سياسة

(1) René Lespes op. cit p. 45.

واقتصاد المدينة فى عهد الاتراك الذين بدوا يفدون على مدينة الجزائر بعد ان قضى عروج على مملكة الثعالبة سنة ١٥١٦م . و الى العنصر التركي يضاف عنصر اللفيف الاجنبي الذي تكاثر بمدينة الجزائر فى عهد الاتراك ؛ ونقصد باللفيف الاجنبي اولائك العبيد المسيحيين الذين جمعوا عن طريق القرصنة وهي حرفة ضرب فيها الاتراك بسهم الاسد ؛ حيث جمعوا من الاسبان والايطاليين والانجليز والبرتغاليين والالمان وغيرهم من الدول الاوربية المسيحية اعدادا كبيرة من البشر حولوهم الى عبيد ولم يطلقوا سراحهم الا بعد الفداء من ذويهم أو من المؤسسات المسيحية التي انشأتها بعض الكنائس الاوربية لهذا الغرض : مثل les trinitaires وهي منظمة دينية اسسها سنة ١١٩٨م St Jean de Matha البروفانسي ؛ ومنظمة Notre Dame de Merci التي اسسها St Pierre Nolasque فى برشلونة سنة ١٢١٨م وجمعية Lazaristes وآباء de la mission دى لاميسيون التي أسسها Vincent de Paul سنة ١٦٢٣ وكان الآب ليفاشي من شهر رجالها الذي قذف بالمدفع سنة ١٦٨٣م لحبثه ، وكان من مهام هذه الجمعيات الدينية المسيحية جمع النقود من اوربا للفداء ، واقامة الصلوات وتنظيم الحملات الصليبية ، وبناء المراكز الصحية للاسارى المسيحيين وتثبيت الايمان فى قلوبهم وكثيرا ما كان الاسارى المسيحيون فى الجزائر يعتنقون الاسلام وبالتالي كان يمكنهم ان يرتقوا الى مناصب الاتراك ، وربما اصبح منهم داي البلاد والامثلة على ذلك كثيرة منها نذكر الباشا علج على [١٥٦٨ - ١٥٨٧] الذي اخذ من سواحل كالابريا وعمره ١٨ سنة [١] . فاعتنق الاسلام ثم اخذ يرتقي في مناصب الدولة الى ان وصل الى القمة وصار بيرلرباي سنة ١٥٦٨م . ومثال ايضا على رمضان باشا فهو ساردي الاصل ؛ وحسين قبطان بندقي الاصل ، وجعفر داي مجرى الاصل ، وحسين فينزيانو بندقي الاصل ... كل

---

(1) Miguel de cervantes Saavedra El-Gautivo : traduction C. Pitoet. Hatier . Paris
ويحكي صارفنت فى كتابه الرقيق كيف اسر فى معركة ليبانت سنه ١٥٧١ ثم نقل الى اسطنبول من بين الاسارى المسيحيين حيث ظل بها ٣ سنوات ثم نقله البيرلرباى علج على الى مدينة الجزائر سنة ١٥٧٤ وظل بها اكثر من ست سنوات .

هؤلاء وصلوا الى مرتبة الديات وحكموا مدينة الجزائر [٢] . ومعنى هذا ان سكان مدينة الجزائر كانوا خليطا في العهد التركي الذي ذاب فيه العنصر العربي كما ذاب في بقية السلطنة العثمانية ، وفقد قيمته الاجتماعية . وانزلقت شخصيته .

والملاحظة الاخيرة على اثر العامل البشرى للمدينة في عهد الاتراك هو ظهور طبقة جديدة عرفت بالكروغليين وهم الابناء المنحدرون من اب تركي وأم جزائرية وكان عددهم يختلف من فترة لاخرى وستتعرض الى ذلك في الباب الثاني من فصل نمو سكان المدينة .

أثر الاحتلال على لغة سكان المدينة :

ان لغة سكان مدينة الجزائر كانت تخضع دائما الهجرات البشرية ، وللعنصر القوي ان يفرض لغته على المدينة ؛ ففي العهد الفينيقي كانت لغة سكان مدينة الجزائر المازيغية الى جانب الفينيقية واليونانية . وفى العهد الروماني فرضت اللغة اللاتينية . والمتتبع لأثر لغة القوي او المستعمر على لغة سكان اقليم مدينة الجزائر يجد ان الطبقة الراقية والحاكمة او رجال الدين من ابناء الوطن كانت اسرع الى الاخذ بلغة الاجنبي اوتعلم اللغة الاجنبية ثم نشرها بين سكان البلاد . فمسنيسا اجتهد كثيرا في تعليم احد ابنائه اللغة اليونانية وماسيبسا كان يعيش بين جمهرة من العلماء مثقفين باليونانية ومنهم من كان اصله يوناني . اما جوبا الثاني فقد غرف من اليونانية الكثير واستعمل اللغة اليونانية فى كتاباته . وفى العهد الروماني مال الكتاب الجزائريون نحو اللغة اللتينية فعبر بها الاديب البربري Fronton المولود بسيرتا فى القرن الثاني للميلاد . وفى نفس الفترة كتب باللغة اللتينية الاديب والفيلسوف البربري ابيلي Apulée المادوري (نسبة الى قرية مادور وهي مادورش حاليا توجد بالقرب من تبسة) انسلاحياته ، من اهمها : الحمار الذهبي ، والتبريرات ، والعقيدة الافلاطونية ، وعبقرية سقراط الخ ... وفى القرن الرابع للميلاد اشتهر القديس اغسطس St Augustin بافكاره الدينية الخالدة منها الاعترافات les confessions التي كتبها باللغة اللتينية ودافع فيها

(1) Fernand Braudel. Revue Africaine 1928

عن الديانة المسيحية وعن المذهب الكاتوليكي بالخصوص ، واستنكر المذهب الوهبي وهي آثار قيمة ظلت تغذي الحياة الروحية الغربية مدة طويلة من الزمن ، واغترف منها الفلاسفة المسيحيون افكارهم الدينية فى العصور الوسطى والحديثة (١) . وبعد اغسطس ظهر شعراء وادباء آخرون باللغة اللتينية نذكر منهم الشاعر Licentus التاغستي ، ومارتيانوس Martianus Capella المادوري الذي كتب عن زفاف عطارد وكتب عن فقة اللغة اللتينية Philologie وكان اسقف مدينة الجزائر كريسانس الوهبي يجيد اللغة اللتينية ، ودافع بها عن مذهبه الوهبي ، وعن اعتقاداته الدينية .

وفى العهد الوندالي ظلت اللغة اللتينية هي السائدة فى البلاد لدى الطبقة الراقية ، والمثقفين من ابناء الوطن لمدة من الزمن مثل Fulgence الافريقي الذي كتب باللتينية مسرحية الالهية عن جهنم في نهاية القرن الرابع للميلاد ، وبربسيان Priscien الشرشالى الذي كتب في الجغرافية كتبا قيمة باللغة اللتينية ايضا .

وفى العهد العربي بدأت اللغة العربية تنتشر بين السكان بانتشار الاسلام والقرآن و هو اساس الديانة الاسلامية ، واخذت اللغة الرومانية تأفل شيئا فشيئا لتحل محلها اللغة العربية التى اصبحت بعد طول الزمن لغة الادب والعلم والدين والادارة والمجتمع بعد ان مال نحوها السكان ونظمت لها مدارس فى ارجاء الوطن وتخرج فيها عباقرة من شعراء وادباء وفقهاء منهم ابن الخميس فى القرن ١٣ للميلاد والمؤرخ العظيم عبد الرحمان

---

(١) St Augustin القديس اغسطس ولد سنة ٣٥٤م في تاغاست وهي قرية بالقرب من سوق اهراس ، من ابوين بربريين ، امه Monique مسيحية وابوه Praticus وثني . واخذ مبادئه العلمية الاولية من قرية مادور بالقرب من تبسة ثم انتقل طالبا للعلم الى قرطاجنة حيث تخرج استاذا في مدارسها ثم بدأ التدريس بها ثم انتقل الى ايطاليا وعين استاذا في روما ثم في ميلانو وهنا اعتنق المسيحية وعمره ٣٣ سنة ثم رجع الى بلاده فعين اسقفا ثم مطرانا لمدينة عنابة التى ظل بها ينشر اللغة اللتينية و الديانة المسيحية ويدافع عن المذهب الكاتوليكي الى ان ادركته الوفاة سنة ٤٣٠ والوندال محاصرون لمدينة عنابة .

ابن خلدون في القرن ١٤ للميلاد ، والميطافيزيقي السنوسي ، وسيدي عبد الرحمان الثعالبي من مدينة الجزائر الذي كان له باع طويل في الفقة ، واللغة والفلسفة وقد تعلم في المشرق العربي ثم رجع الى مدينة الجزائر حيث تركز بها في القرن ١٥ للميلاد لنشر الآثار العربية بين سكان مدينة الجزائر ، و تخرج عنه عدد كبير من الطلبة الذين ساهموا الى حد كبير في نشر اللغة العربية في ربوع البلاد وبذلك سادت اللغة العربية بمدينة الجزائر وتعلمهـا الخاصة والعامة .

وفي العهد التركى ضعفت اللغة العربية وتعددت لغات ولهجات سكان المدينة نظرا لتعدد اصول العناصر التى كانت تعمر المدينة ، فكانت التركية هي 'للغة الرسمية ، او لغة الطبقة الاروستقراطية وركاب البحر ، والمعاهدات ، والعقود الرسمية ، يجب ان يتقنها كل رئيس لاسطول القرصنة الجـزائرية ، و ان يتحدث بها كل باي او آغا ، او من كانت له مسؤولية فى البلاد . وجاء المهاجرون الاندلسيون باللغة الاسبانية (١) وبذلك انزوت اللغة العربية في العهد التركي لدى السكان القدماء من المهاجرين العرب او لدى من اصبح يطلق عليهم بالحضر بعد تقادم 'العهد ثم لغة الخليط من اسبانية وبرتغالية وايطالية وفرنسية بالخصوص (٢) التي كانت تتداول بين الاسارى العبيد من المسيحيين او بين المعتنقين للاسلام من اولائك العبيد ، او بين الذين حرروا بعد ان تتركوا ، اما اللغة المازيغية فى مدينة الجزائر فى العهد التركي فكانت نادرة الاستعمال ، نظرا لأن سكان الجبال من الاهالى انزووا فى مناطقهم وكانوا يمثلون نسبة قليلة من سكان المدينة ، بل ان الهجرة الى مدينة الجزائر كانت محرمة عليهم فى بعض الفترات لاسباب كثيرة منها عدم خضوع بلاد القبائل الى الاتراك (٣) ومنها

---

(1) Jean André Peysonnel (1694-1759), médecin marseillais, voyages dans la Barbarie

(2) E. D'Arando : Relation de la captivité et liberté du sieur Emmanuel d'Aranda. Paris 1665.

(3) Fray Diego de Haedo : Abbé de Fromesta à Alger, 1881 pp. 119-122.

وقد لبث عبدا في مدينة الجزائر ثلاث سنوات (١٥٧٨ - ١٥٨١) و الف كتابه المشهور: تاريخ ملوك الجزائر بالاسبانية ترجمه الى الفرنسية دى جرامون الذي اصدره بالجزائر سنة ١٨٨١

اتهامهم بتزوير النقود (١)، ومنها خشية الانقلابات، ويذكر سفير الولايات المتحدة Shaller (٢) ان الاتراك منعوا دخول البربر الى مدينة الجزائر والعمل بها لذكائهم ونشاطهم وكانوا يتتبعونهم فى كل حركاتهم بالمدينة.

ولا يتجلى اثر العامل البشري و التاريخي فى لغة سكان المدينة فقط، بل يظهر لنا فى اسم المدينة ايضا، اذ من المعروف ان المدينة سكنتها عدة عناصر مختلفة فى اللغات، وأعيد بناؤها عدة مرات، وبالتالى تعرضت الى عدة تغييرات فى الاسم والموضع. فالفينيقيون اطلقوا عليها اسم ايكوسيم الذي استبدله الرومان بايكوسيوم ثم طوره العرب الى جزائر بني مزغنة، ويذكر ياقوت الحموي فى كتابه معجم البلدان: «ان الجزائر جمع جزيرة اسم لمدينة على ضفة البحر، بين افريقية و المغرب، بينها وبين بجاية اربعة ايام، كانت من خواص بلاد بني حماد بن زيري بن مناد الصنهاجي، وتعرف بجزائر بني مزغناي وربما قيل لها جزيرة بني مزغناي». ولما تكاثر المهاجرون العرب بمدينة الجزائر غيروا اسمها الى جزائر الثعالبة، وحافظ الاتراك على جزء من الاسم العربي القديم للمدينة وهو الجزائر الذي أصبح في اللغات الاجنبية Algiers، ثم Algers، ثم Algei، ثم Alger كما ورد فى خرائط البورتيلان. واطلق الاتراك على القطر الجزائري اسم الجزائر بدلا من موريطانية القيصرية فى العهد الرومانى وبدلا من المغرب الاوسط فى العهد العربي الاول، وذلك نسبة الى العاصمة وهو الاسم الذي احتفظ به الفرنسيون وما زال معمولا به حتى الوقت الحاضر. ويذكر البعض (٣) ان حوالي ٦٠٠ كلمة من اصل فارسي او تركي نجدها متداولة حاليا لدى سكان مدينة الجزائر مثل كلمة خوجة اي الكاتب، والداي اي خال، وبير لرباي اي امير الامراء، وان هناك كلمات اخرى جاء بها الاندلسيون من اسبانيا مثل كلمة باردو وهي من اصل اسباني واصلها البادرو El-Padro اي الحديقة المسيجة وقيل القصر الملكي، والطاقارة اي الثغرة.

---

(1) Boyer : L'Evolution de l'Algérie Médiane, Alger 1960, p. 62.
(2) William Shaller : Exquisse de l'Etat d'Alger, p. 122.
(3) Mohamed Ben Cheneb : Mots turcs et persans conservés dans le parler algérien. Documents Algériens, numéro 60, 1952. Voir aussi Gabriel Audisio dans les D. Alg. : Les Ecrivains Algériens, numéro 67, le 10/12 1952

٢ ـ اثر العامل التاريخي فى النشأة :

أ ـ قبل الفتح الاسلامي :

عرفنا فيما سبق ان الهدف الاساسي للفينيقيين فى بناء مدينة ايكوسيم كان انشاء ميناء تأوي اليها السفن التجارية للاستراحة والتزود بما تحتاجه من مياه ، وتكوين محطة تجارية فيهايادل الفينيقيون بضائعهم، ببضائع السكان الاهالى . وقد احسن الفينيقيون في اختيار الموقع الذي تحول الى سوق رائجة تأوي اليها البضائع من البر والبحر ، وتحول الميناء البسيط الى مدينة تجارية ذات صيت فى حوض البحر الابيض المتوسط يقصدها التجار من البر وهم الاهالى حاملين اليها بضائعهم من اصواف وعاج وجلود وانتاج حيوانى بصفة عامة ، ويقصدها التجار من البحر حاملين اليها الاواني الزجاجية والفخارية والاصباغ والعطور والاسلحة والمنسوجات . وكان لهذا النشاط التجاري اثره على تعمير ايكوسيم حيث اصبحت بطول الزمن من اهم المدن الشاطئية للتجمعات السكانية يزدحم فيها الاهالي والفينيقيون الذين ربطوها فى الاخير ، سياسيا واقتصاديا ، بمدينة قرطاجنة ، حتى لم يتركوا ثغرة لليونانيين،وهم اكبر المنافسين للقرطاجنيين اذ ذلك ، فى حوض البحر المتوسط .

وقد اتخذ البونيون وهم القرطاجنيون من محطاتهم التجارية مستعمرات ومراكز الانطلاق والاشراف والسيطرة السياسية والتجارية . وقد دامت للبونيين هذه السيادة فترة من الزمن ، تزيد عن الخمسة قرون وهي فترة كانت تتبلور فيها ، في شبه جزيرة ايطاليا ، قوة اخرى جديدة هي القوة الرومانية ، وبينما كان التنافس للسيطرة على البحر المتوسط يشتد من حين لآخر بين اليونانيين و القرطاجنيين ، رأى الرومان ان لاسبيل لأمنهم وتوسعهم ،ودوام ملكهم ، وثبات قوة دولتهم ، الا بالقضاء على الدولتين العجوزتين من يونان وقرطاجنيين ، ولذلك اخذت روما تتقرب من قرطاجنة ، وتبرم معها الاتفاقيات ، التي جاءت في كتاب ديودور الصقلي ، ضد المستعمرات اليونانية فى جنوب ايطاليا ، ثم بادرت روما بالاستيلاء على المناطق الايطالية الواقعة تحت النفوذ

اليوناني . فضمت اليها اقليم تارنت ثم ايطاليا الجنوبية برمتها وذلك فى النصف الاخير من القرن الثالث قبل الميلادي بعد معركة بنفانت Benvent سنة ٢٧٥ واندحار ملك المستعمرات اليونانية Pyrrhus الذي خرج منها قائلا : «ما اجمله ميدانا للحرب نتركه للقرطاجنيين والرومان» وكأن بيروس تنبأ بحدسه ومهارة سياسته لما سيجري من بعده بين الدولتين الحليفتين ضده ، وضد بقية المستعمرات اليونانية وجزيرة صقلية ، وادرك جيدا اهداف روما والاطماع البعيدة للدولة الرومانية ، وقد صدق فى ذلك ، حيث ان الرومان بعد قضائهم على النفوذ اليوناني في جنوب ايطاليا وجزرها ، تفرغوا للقضاء على النفوذ القرطاجني ، والاستيلاء على المستعمرات القرطاجنية ، لا في ايطاليا فقط ، ولكن فى شمال افريقية ايضا . وكانت بداية النزاع بين روما وقرطاجنة في جزيرة صقلية وهي جزيرة كانت موطن الاحتكاك وتخوم التماس والتنافس بين اليونانيين الذين ملكوا ثلثها وبين القرطاجنيين الذين ملكوا الثلثين الباقيين .

وفى سنة ٢٦٤ق م بدأ الهجوم الروماني على مسينا، احدى مستعمرات قرطاجنة فى جزيرة صقلية ، وكان هذا الهجوم اول شرارة لحرب دامت اكثر من قرن بين القرطاجنيين والرومان ، تخللتها فترات المعاهدات ، فيها كانت روما تعد قوتها للهجوم مرة اخرى بينما قرطاجنة كانت تنهار نحو الذبل ، رغم محاولة بعض زعمائها امثال هانيبال الذى زعزع روما في عقر دارها ، وكاد ان يقضي عليها لو أحسن التصرف لكن الاقدار كانت بجانب روما التي نقلت الحرب الى شمال افريقية ودحرت قرطاجنة فى معركة زاما سنة ٢٠٢ق م ومن هذا التاريخ بدأ النفوذ الرومانى يتسرب الى شمال افريقية ، وزاد من ضعف الدولة القرطاجنية استقلال بعض الملوك الاهالي ببعض المناطق ، وخرجت مدينة ايكوسيم من النفوذ القرطاجني و استقل بها السكان البربر . ثم ازداد النفوذ الروماني في شمال افريقية بعد ان لعن وأحرق شيبيون (القائد الروماني) مدينة قرطاجنة سنة ١٤٦ق م . و بعد هذه السنة قضت روما تماما على الدولة القرطاجنية وحلت محلها واصبحت لها السيادة دون منافس فى شمال افريقية واستولت شيئا فشيئا على المدن

القرطاجية منها مدينة ايكوسيم التي حكمتها روما في اول الاحتلال بواسطة ملوك من سكانها القدماء الذين كانوا يأتمرون باوامر روما وينتهون بنواهيها . وفي سنة ٤٠ ميلادية كان يحكم مدينة الجزائر ملك اهلي (بربري) من صنيعة الرومان ، هو بطليموس بن يوبا الثاني ، الذي تشبع بالعادات الرومانية و التقاليد الاجنبية فعادت عليه بالويل والثبور ، حيث استدعاه الامبراطور الروماني Caluguia الى روما فجاءها بطليموس في ثوبه الارجواني وهيئته العظيمة مما اثارت الغيرة في قلوب الرومان ، وحركت حقد الامبراطور الروماني ، فاضمر له الشر ، واطفأ نار حسده بقتل بطليموس آخر ملوك من الاهالي على مورطانية القيصرية وعلى مدينة الجزائر ، وبذلك دخلت مدينة الجزائر مباشرة تحت نفوذ الاستعمار الروماني الذي اخذ يشجع اليها الهجرات من شبه جزيرة ايطاليا ثم منحها الامبراطور الروماني Vespatien (٦٩ - ٧٩ م) حق الاحياء اللاتينية (١) وهي حقوق كانت لاتمنح الا للمستعمرات الرومانية التي كثر فيها العنصر الايطالي ، وأبدت خضوعها لروما ، وبذلك كان يرفع عن اهاليها صفة العبيد ، وهم الذين يعاملون اسوأ المعاملات في طبقات المجتمع ، اذ كان من القوانين الرومانية ان السيد اذا قتل في داره يعاقب جميع ما يملك من عبيد بالقبل ، ومن المعروف ان المجتمع الروماني في ايطاليا كان ينقسم الى طبقات حتى سنة ٤٥١ ق م فيها صدر قانون الالواح الاثني عشر بعد حروب بين تلك الطبقات دامت مدة طويلة ، وملخص ما جاء في الالواح ان الحكم الاخير يكون للشعب ، ثم المساواة امام القانون بين جميع افراد الشعب . لكن هذه القوانين كانت نظرية فقط ، اذ ظل النظام الطبقي هو السائد في روما ، ومستعمراتها ، وبالخصوص في عهد الحكم الديكتاتوري . حيث كان المجتمع ينقسم الى طبقة الاغنياء او الكبراء او الرجال المهمين ، وهم الذين يملكون ثروة عظيمة تزيد عن خمسمائة الف دينار ، لهم حقوق خاصة و امتيازات كبيرة ، والى طبقة الفقراء او المنبوذين الذين لهم حقوق محدودة ولا يسمح لهم بالمشاركة في الحياة السياسية ، ولا في الوظائف الادارية المهمة

(1) Charles Delvert : Le Port d'Alger. Paris 1923, p. 5.

ثم طبقة العبيد الذين يعاملون معاملة السوام . وربما كان الحق اللاتيني الذي منحته روما الى مدينة الجزائر لايزيد عن اعتبار اهالي المدينة من الطبقة الثانية .

وقد ازدهرت مدينة الجزائر مرة اخرى فى اوسط العهد الروماني الذي اتخذ منها مركزاً للسيطرة على البلاد ، وربطها بالطرق البرية ، وجدد الرومان اسوارها ورفعوا بعض ابراجها وذلك رغم ما كانت تتلقاه من منافسة من مدينة (شرشال) العاصمة القيصرية التي اتخذها يوبا الثاني عاصمة لدولته ونقل اليها عرشه ، واضفي عليها الطابع الروماني واليوناني فى النحت والعمارة وهو طابع يبدو انه كان متطبعا للغاية او منقولا من الخارج ، على عكس مدينة الجزائر المتواضعة التى كانت تمثل دورا ثانويا .

ولقد كان حظ مدينة الجزائر من الحضارة الاوربية فى العهد الروماني قليلا جدا ، وحظها من الطابع الافريقي كثيرا جدا ، اذ انها لم تعتبر نفسها طيلة عهودها منعزلة عن القارة الافريقية بل كانت تستمد منها عاداتها و تقاليدها ، وتنبذ كل ما جاء عن طريق اوربا واعتبرته غريبا عنها على عكس ما جاءها عن طريق القارة الافريقية فتقبلته ، وليس فى ذلك ما يدعو الى الغرابة ، وهي مدينة افريقية قبل كل شيء . ومن اهم ما يلاحظ على مدينة الجزائر في اواخر الاستعمار الرومانى انها اصبحت من أهم المدن الدينية لنشر المذهب المسيحي . ومع ذلك لم تتمكن منها المسيحية مثل ما تمكنت من بعض المدن الافريقية مثل الاسكندرية في مصر ، حيث كنيسة الاسكندرية ظلت قائمة بالبلاد المصرية حتى يومنا هذا ، وبالديار المصرية نسبة لابأس بها من الاقباط المسيحيين على عكس مدينة الجزائر التي تخلصت من المسيحية عندما تخلصت من الرومان ، ولعل هذا يرجع الى ان الاهالي فى مدينة الجزائر اعتبروا الديانة المسيحية سياسة رومانية استعمارية يراد بها اخضاع الاهالى ، و انها ليست من الديانات السماوية الصحيحة حينما جعلت من المجتمع طبقات بعضها فوق بعض؛ وانها ليست من القوانين الانسانية العادلة حينما حددت الحريات فى فائدة البعض دون الآخر ، وجعلت من هذا سيدا ومن ذلك مسودا . اذ بمجرد هجرة الرومان من ايطاليا الى مدينة الجزائر اختلت المساواة الاجتماعية

امام القانون ، واصبحت تعمر المدينة جاليات رومانية وهم الاسياد بيدهم الثورة وقيادة البلاد ، وطبقة من المواطنين وهم الاذلاء المحرومون من كل الامتيازات الرومانية المسيحية وحينئذ حاول البعض من المواطنين التخلص من هذا الجور الروماني وكان من اشهرهم Firmus البربرى الذي حمل السلاح ضد الاستعمار الروماني ، وقام بثورته المعروفة سنة ٣٧١ ميلادية فيها اشغل الفيالق الرومانية لمدة ثلاث سنوات . وفيها احتل مدينة الجزائر بعد ان اشعلها نارا ، وخرب الكثير من مبانيها ، ثم اعاد تحصينها بجدار قوي لكيلا يستطيع عليه العدو الروماني الذي انتدب له تيودوس Théodos لمعاقبته ، وبعد مقاومة شديدة وحصار قوي تخلى فيرموس عن مدينة ايكوسيوم ، ورد اليها كل ما اخذه منها من غنائم الى تيودوس ، ثم انتحر لما ناله من فشل في محاربته للرومان سنة ٣٧٣م

ويظهر ان مدينة الجزائر اخذ نجمها يأفل بعد هذه السنة ثم ازدادت عليها النكبات حينما استولى عليها الوندال فى مطلع القرن الخامس للميلاد و ظلوا بها من سنة ٤٢٩ الى ٥٣٤ وخلال هذا القرن خرب الوندال مدن البلاد ، ودمروا شرشال وعنابة ، وحاولوا هدم قبر الرومية ، وعبثوا بمدينة الجزائر وكانت لاعمالهم المشينة اثر على رجـــوع البيزنطيين مرة اخرى الى شمال افريقية سنة ٥٣٤ واحتلالهم لمدينة الجزائر التي ظل بها النفوذ البيزنطى الى منتصف القرن السابع للميلاد والى ان دخلها العرب المسلمون .

والخلاصة ان مدينة الجزائر ظلت طيلة الاحتلال الرومـانى تنزع دائما للافريقية وتنبذ الاوربية فكرا وسياسة فنبذت المسيحية كفكرة اوربية ونبذت الاستعمار كسياسة اوربية ، بينما تقبلت الاسلام فكرا وسياسة .

ب ــ الجزائر في العصر الاسلامي :

بعد وفاة الرسول عليه السلام اخذ الخلفاء الراشدون ينظمون الحملات العربية لنشر الدين الحنيف ، لا في شبه جزيرة العرب فقط ، ولكن خارجها ايضا ، وذلك على حساب الدولتين العظيمتين في ذلك الوقت : الفرس والرومان ، والتي تهمنا من الدولتين المذكورتين هي الدولة البيزنطية اودولة الرومان الشرقية التي كان نفوذها يمتد من سوريا الى شمال افريقية

وكانت تملك اقليم مدينة الجزائر . وفى عهد عثمان بن عفان امر واليه على مصر عبدالله ابن سعد ابن ابي سرح بالسير الى شمال افريقية سنة ٦٤٧م وتخليص سكانها من الجور البيزنطى ، ونشر الاسلام . وكان لانتصار عبدالله فى معركة سبيطلة بداية لعهد جديد فى شمال افريقية ولمدنها وسكانها ، حيث تتابعت الفتوحات العربية لكل منطقة من مناطق المغرب العربي وخرج منها البيزنطيون والمسيحية الى الابد وحل محلهما العرب والاسلام. والسكان انفسهم هم الذين تعربوا ، ولم يطرد العرب احدا من دياره ، كما اعتنق الاهالى الاسلام طواعية . ولسنا ندري السنة التي فتح فيها العرب مدينة الجزائر ، الا انها كانت فترة متأخرة لبعد مدينة الجزائر عن الجهات التي جاء منها العرب الفاتحون .

وكانت الهجرات العربية ، المصاحبة للفتح الاول، بسيطة وتقتصر على جماعات من قبائل الولاة واتباعهم ممن عينوا لتنظيم البلاد ونشر الاسلام وجمع الزكاة ، وان هؤلاء الولاة كانوا يتركزون بالقرب من أهم المدن الرومانية في اول الامر ثم فى مدن جديدة بنوها خصيصا للادارة ، مثل مدينة القيروان ، ولم يكن لمدينة الجزائر فى هذه الفترة شأن يذكر ، لما نالها من تخريب فى اواخر ايام الحكم الرومانى ، ولأنها كانت تقع فى منطقة هامشية بالنسبة لتيارات الهجرة العربية والطرق الرئيسية للفتوحات ، اذ كان طريق النجود اهم من طريق الساحل . ولقد وفدت الى سهل متيجة ، في القرن الثاني للهجرة ، جماعة العلويين من شبه الجزيرة العـــربية بعد وقعة فخ (٧٨٥م - ١٦٩هـ) وهم الذين ينحدرون من عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، واختار سليمان بن عبد الله بن الحسن هذا السهل او الربوع الشمالية للمغرب الاوسط ، تاركا بلاد المغرب الاقصى لاخيه ادريس بن عبد الله ، ولعبد الرحمن بن رستم واتباعه الربوع الجنوبية للمغرب الاوسط ، ولابراهيم بن الاغلب المغرب الادنى او ما كان يعرف ببلاد افريقية ، وقد ظل النفوذ العلوي يتزايد باقليم الجزائر الى ان كونوا فيها ممالك منها مملكة قزرونة بسهل متيجة - وقزرونة كلمة رومانية هي مدينة البليدة حاليا اطلق عليها العرب اسم متيجة ثم عمموا اسم المدينة على السهل المتيجي ، حيث اطلقوا عليه

فيما بعد سهل متيجة ـ وفي اواخر القرن الثالث للهجرة اخذت الممالك العلوية تتقلص لفائدة الدولة العبيدية التي نشأت في شمال افريقية سنة ٢٩٦هـ بعد تغلبها على الرستميين والاغالبة وبعض العلويين ، وقد لعب الصنهاجيون ، وهم من البربر سكان اقليم مدينة الجزائر ، دورا كبيرا فى بناء الدولة العبيدية وتقويض الممالك العلوية فى السهل المتيجي ولذلك اطمأن العبيديون اليهم ، وقلدوهم امور الدولة ، وأعاد بلكين بن زيري بن مناد بناء مدينة الجزائر سنة ٩٦٠م ، بعد ان وطد فيها الحكم للعبيديين وذلك للاشراف على سهل متيجة ومحو نفوذ العلويين منه . و يذكر الرحالة العربي ابن حوقل (١) الذي زار مدينة الجزائر (سنة ٩٤٨م ـ ٣٣٧هـ) بايام قليلة قبل ان يعيد بلكين بناءها ما يلي : (وجزائر بني مزغناي مدينة عليها سور فى سيف البحر ايضا ، وفيها اسواق كثيرة ولها عيون على البحر طيبة ، وشربهم منها . ولها بادية كبيرة ، وجبال فيها قبائل من البربر كثيرة ، واكثر اموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة فى الجبال ، ولهم من العسل ما يجهز عنهم والسمن والتين ما يجهز ويجلب الى القيروان وغيرها ، ولها جزيرة فى البحر على رمية سهم منها تحاذيها فاذا نزل بهم عدو لجأوا اليها فكانوا في منعة وأمن ممن يحذرونه ويخافونه اهـ.) ويظهر من حديث ابن حوقل ان اغلب سكان المدينة كانوا من البربر المعروفين بقبيلة بني مزغنة وان العرب بها قليلون حتى لم يتعرض لهم ، وان الجزائر كانت مسورة قبل ان يعيد بلكين بناءها . وفي سنة ٤٤٠هـ قطع المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين الدعوة فى مملكته للدولة العبيدية التي كانت قد انتقلت الى القاهرة ، وانحاز المعز للدولة العباسية التي كانت فى حروب مع الدولة العبيدية ، نتيجة للتنافس على الخلافة في المشرق العربي ، وحينئذ كتب الوزير العبيدي البازوري من القاهرة الى المعز الزيري يخبره عن عقوبة العبيديين للصنهاجيين فى قوله : «قد انفذنا اليكم خيولا فحولا ، وارسلنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله امرا كان مفعولا» ويعني بذلك فتح باب الهجرة لعرب صعيد مصر من ابناء

---

(١) هو ابو القاسم محمد بن على الموصلي الحوقلي البغدادي صاحب كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك .ص٧٧ . (مكتبة الحياة بيروت) .

قيس غيلان وهم الذين اشتهروا بالتخريب ، وكانت اشرف اعمالهم الغارة ، واطيب مكاسبهم النهب ، ولم يتهذبوا بآداب الاسلام ، ولم تقدر على اخضاعهم الدول الاسلامية فاكثروا الفساد ، وهلكوا البلاد ، وما عليها من عباد . وشجعهم العبيديون على اجتياز وادي النيل بمنحهم بعيرا ودينارا لكل من اراد اجتياز النهر ، ورغبوهم فى بلاد المغرب فخرجوا من صعيد مصر افواجا ، وكأنهم جراد منتشرة ، او سيل عرم ، نحو شمال افريقية ، حيث توزعت بطونهم وهي المنحدرة من أصول ثلاثة : معقل ، وسليم ، وهلال والذي يهمنا من هذه البطون هي الاولى ذلك ان الثعالبة الذين ملكوا سهل متيجة ومدينة الجزائر ينحدرون من معقل الذي ينسبه البعض الى جعفر بن ابي طالب والبعض الآخر ينسبونه الى قيس عيلان . وعلى اى حال فان هذه البطون جاءت من الجزيرة العربية الى بلاد مصر ومنها الى المغرب العربي وكان لهجرتها اثر قوى على طبع هذا الشمال بالطابع العربي وكانوا سببا فى تعريب مناطق واسعة من البلاد ونشروا الكثير من عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، وعمروا السهول والنجود ، وسكنوا القرى والمدن منها مدينة جزائر بنى مزغنة التي نزل عليها الثعالبة من الجنوب ، ويذكر عبد الرحمن بن خلدون فى هذا الشأن : «ومن بطون معقل الثعالبة من ولد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير ، موطنهم لهذا العهد بمتيجة من بسيط الجزائر ، وكانوا قبلها بتيطرى وطن حصين لهذا العهد ؛ نزولها منذ عصور قديمة واقاموا بها حيا حلولا ، ويظهر ان نزولهم لها حين كان ذوي عبيد الله فى موطن بني عامر لهذا العهد . وكان موطن بني عامر فى موطن بني سويد ، فكانت مواطنهم لذلك العهد متصلة بالتلول الشرقية ، فدخلوا من ناحية قزول وتدرجوا فى المواطن الى ضواحى المدينة (آشير) ونزلوا جبل تيطري وهو جبل آشير الذي كانت فيه المدينة الكبرى . فلما تغلب بنو توجين على التلول وملكوا ونشريس زحف محمد بن عبد القوى الى المدينة فملكها وكانت بينه وبينهم حرب وسلم ، الى ان وفدت عليه مشيختهم ، فتقبض عليهم ، و اغزى من ورائهم من بقية الثعالبة ، واستلحمهم واكتسح اموالهم ، وغلبهم بعدها على تيطري ، وازاحهم عنها الى متيجة ، ودخل هؤلاء

في ايالة ملكيش من صنهاجة بسيط متيجة واوطنوا تحت ملكتهم ، وكان لهم عليهم سلطان كما نذكر حتى اذا غلب بنو مرين على المغرب الاوسط واذهبوا ملك ملكيش منها استبد الثعالبة هؤلاء بذلك البسيط وملكوه ، وكانت رياستهم في واد سباع بن ثعلب بن علي ابن بكر بن صغير ، ويزعمون ان سباعا هذا كان اذا وفد على الموحدين يجعلون من فوق عمامته دينارا يزن عددا من الدنانير ، مسابقة في تكرمته وترفيعه اهـ) (١) ويظهر من حديث ابن خلدون ان الثعالبة وصلوا الى سهل متيجة في مطلع القرن السادس للهجرة ، وزارهم محمد بن تومرت سنة ٥١٣ هـ وهو عائد الى المغرب لتأسيس دولة الموحدين سنة ٥١٥هـ. وان الثعالبة ساعدوا الموحدين في تأسيس دولتهم ، ومد نفوذهم الى سهل متيجة ، ومدينة الجزائر ، لذلك حماهم عبد المؤمن وابناؤه ، وجعلوا منهم السيادة على مدينة الجزائر وضواحيها سنة ٥٤٨ ، ويظهر ان هذه الفترة المحدودة كانت فترة استقرار بالنسبة لمدينة الجزائر التي ازدهرت اسواقها وزاد عمرانها كما يذكر عنها الادريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الذى اكمله سنه ٥٤٨هـ - ١١٥٤م ومن كتاب الادريسي يتجلى لنا ان الهجرات العربية اخذت تتغلب على سكان مدينة ، وان البربر اخذوا يتركزون بالجبال . ولم تعد جزائر بني مزغنة تطلق على المدينة ولكن الجزائر فقط ، ثم بعد مدة تنسب الى الثعالبة ومنهم سيدي عبدالرحمن الثعالبي صاحب القبر المشهور بالمدينة وفي اواخر عهد الموحدين بالجزائر ، اراد ابناء غنية (٢) احياء الدولة المرابطة ، التى قامت على انقاضها دولة الموحدين . واختار علي بن اسحق الميورقي من آل غنية المغرب الاوسط منطقة الانطلاق لتقويض عرش الموحدين فنزل بجاية سنة ٥٨٠هـ - ١١٨٤م ومنها توجه الى سهل متيجة فتغلب على الثعالبة ودخل مدينة الجزائر وفتح مليانة ومازونة

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون : العبر . المجلد السادس . ص ١٢٦ .

(٢) وهم الذين ينحدرون من امرأة اسمها غنية من اهل بيت يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين . تزوج بها علي بن يحي المسوفي فولدت له محمدا ومنه اسحاق ثم علي الذي قام بثورة ضد الموحدين عرفت بثورة ابن غنية .

والقلعة ، ثم كر راجعا الى قسنطينة ، وحاصرها حصارا شديدا سنة ٥٨١هـ ، وطار الخبر الى الموحدين بالمغرب الاقصى ، فانتدبوا له جيشا ظل يحارب ثورة ابناء غانية الى ان قضوا عليها بعد نصف قرن . وهذه الثورة لم تجن منها مدينة الجزائر واقليمها الا الخراب الذي يتجلى لنا فيما جاء عن الرحالة العربي محمد بن علي العبدري الذي زار مدينة الجزائر سنة ٦٨٨هـ فيما بعد هذه الثورة ويذكر عن هذه المدينة ، انها كانت جميلة المنظر تحيط بها الاسوار الوثيقة ولكنها خالية من العلم والعلماء وقليلة السكان وليس لها شأن يذكر .

وبعد سقوط الدولة الموحدية عاد الثعالبة الى الاستضعاف وتشتت اهواؤهم مع دول المغرب العربي من حفصيين بتونس ومرينيين بالمغرب وزيانيين بتلمسان وهي دول تداولت ملك سهل متيجة ، ومدينة الجزائر ، وبالتالي كانت تفرض المغارمة على الثعالبة الذين كانوا يؤدونها صاغرين ، ويكفون عن ادائها احيانا اخرى الا بعد خروج الحملات اليهم ، امثال حملات السلطان الزياني ابى حمو الثاني الذي خرج من تلمسان الى متيجة سنة ٧٧١هـ فاخضع الثعالبة ، واخذ منهم جباية السنوات الماضية ، وبعد عودة ابى حمو الى تلمسان رجع الثعالبة الى التآمر ضده ، لذلك كر راجعا الى الجزائر سنة ٧٧٨ هـ فاستولى على المدينة وتتبع الثعالبة بالنهب والاسر حتى لم يترك منهم الا العدد القليل ثم زاد من ابادتهم الاستيلاء التركي الذي شتت شملهم واهلك دولتهم .

ولكن مهما قيل عن الهجرات العربية فلا يمكن الاستنتاج بان هذه الهجرات غيرت الطابع الاثنولوجي للاقليم تغييرا تاما او جذريا ، ولكن اصبح الاسلام هو الطابع المميز للجميع والاسلام دين يلغى العصبيات الجنسية ويقيم الاخوة .

جـ ــ العهد التركي :

دخل الاتراك مدينة الجزائر فى مطلع القرن السادس عشر للميلاد وهي فترة حرجة فيها كان مسلمو الجزائر منقسمين الى احزاب وشيع ، وممالك قزمية ، والاسبان يهددونهم بالاستيلاء والخطر . فتلمسان كانت لابى حمو الزياني ، ومدينة تنس كان عليها ملك اسمه ابو عبد الله ، ومدينة الجزائر عليها ملك اسمه سالم التومي ، منحدر من الثعالبة ، وبجاية

عليها ملك حفصي . وما كان الاسبان يجهلون مدى ضعف المسلمين فى تفرقهم وتنافسهم ولذلك انتهز Don Fernando ملك اسبانيا الفرصة في طرد المسلمين من اسبانيا سنة١٤٩٢م وهي السنة التي سقط فيها آخر معقل للمسلمين بالاندلس وهي مدينة غرناطة التي كانت في ايدي بني النصر. ثم اصدر فرناندو قانون منع الديانة الاسلامية فى الاندلس ، ونظم مراقبة شديدة لتتبع المسلمين الاندلسيين ، وارغامهم على اعتناق المسيحية او الخروج من اسبانيا ، وحينئذ اشتدت هجرات الاندلسيين الى بلدان المغرب الاسلامي وكانت قبل ذلك هجرات بسيطة . وبمضايقة المسيحيين للمسلمين فى الاندلس اشتدت الحمية الدينية لدى ابناء يوسف يعقوب التركي وهم : عروج وخير الدين واسحق ، وكان لهؤلاء الاخوة شهرة في حوض البحر الابيض المتوسط ، فجاسوا سواحل شبه جزيرة ايبيريا لحماية اخوانهم المسلمين ، او اخوالهم كما يذكر البعض ، اذ قيل ان يوسف تزوج بعربية مسلمة اندلسية انجبت له الاخوين بربروس : عروج وخيرالدين ، فكانت لهم بذلك صلة الرحم بعرب الاندلسيين (١) ، لذلك نشط الاخوين فى مساعدة وتهجير المسلمين الاندلسيين الى شمال افريقية وتركيزهم فى المدن الساحلية من بينها مدينة الجزائر التي عمر الاندلسيون فحصها - الروابي المحيطة بالمدينة - فى اول الامر ثم تدحرج او انتقل البعض منهم بعد ذلك الى المدينة ، وكان اشهر احيائهم بمدينة الجزائر هو حى الطاقارة الذي بناه الاندلسيون الوافدون من Catalogne, Aragon, Valence ويذكر بعض الكتاب (٢) فى شأن هجرة الاندلسيين ان خير الدين نقل ما يزيد عن ٧٠٠ مهاجر اندلسي فى سبع رحلات متتالية في المدة الاخيرة التي تلت استلائه على حصن الصخرة ركزهم في مدن سواحل شمال افريقية من بينها مدينة الجزائر كما غنم فى تلك الرحلات السبع ما يزيد عن ٣٦ غليوطة مسيحية Gallotes ويقدر هايدو Haëdo عدد الديار الاندلسية فى مدينة الجزائر سنة ١٥٨٠ بنحو ألف دار . وكان دون فرنندو ملك اسبانيا وكيسمنى

---

(1) M. Renaudot : Tableau du royaume et de la ville d'Alger et ses environs. Paris 1830, p. 1.

(2) Jean André Peyssonnel : Voyages dans les Régences d'Alger et de Tunis (entre 1724-1725), publié en 1838 par Dureau de la Malle.

الكاردنال (والمرشد الديني للملكة ايزابيل زوجة ملك اسبانيا) يدركان جيدا عاقبة هجرة المسلمين الاندلسيين الى مدن شمال افريقية ، وانها هجرة مؤقتة ، او فترة فيها يتحزب المسلمون مرة اخرى ثم يعودون الى غزو بلاد الاندلس ، وتقويض عرش المسيحية فيها لذلك خطط الملك الاسباني وكارديناله تنظيما فيه أوجبا تتبع الاندلسيين في شمال افريقية واحتلال المدن الساحلية ، وبدآ بالمدن القريبة من الساحل الاسباني ، فاستولى الاسبان على مدينة وهران سنة ١٥٠٩ وحضر الكاردينال المجزرة الرهيبة التي تبعت احتلال هذه المدينة اذ فيها اشبع المسيحيون غليلهم ونقمتهم فى المسلمين ، فقتلوا ما يربو عن الاربعة آلاف نسمة من مسلمي سكان مدينة وهران ، واسروا ما يزيد عن ضعف هذا العدد ، كما خربوا مساجدها ، وبنوا باحجارها كنائسهم ، واستبدلوا المآذن بالاجراس. ونظمت اسبانيا حملات اخرى بقيادة بيدرو نافارو Pedro-Navaro لاحتلال بقية المدن في شمال افريقية ، فاستولى بيدرو على مدينة بجاية سنة ١٥١٠ ، ثم سقطت دلس وشرشال ومستغانم فى يد الاسبان سنة ١٥١١ وبذلك باتت مدينة الجزائر فى خطر، يحيط بها العدو الاسبانى المسيحي من كل جهة ، وارتعدت فرائص الثمالبة لذلك ، فانتدبوا ممثلين عنهم من شيوخ متيجة والساحل للذهاب الى بجاية ، والطلب من بيدرو نافور التكرم بابرام عقد الخضوع والذل ، فاحالهم هذا على ملك اسبانيا فيرنندو ، فانتدب الثعالبة واعيان المدينة ملكهم سالم التومي لهذا الامر ، وذهب سالم فى ٣١ يناير ١٥١٠ صحبة ملك مدينة تنس ابي عبد الله ، ومعهما اموال كثيرة وعبيد مسيحيون اطلق المسلمون سراهم ، الى اسبانيا لطلب الامن . واجتمع الملكان الذليلان بملك اسبانيا دون فرنندو في مدينة Burges ودارت بينهما المحادثة التي انتهت بقبول الجزائر لدفع غرامة سنوية للاسبان ، والسماح لبيدرو نافارو بانشاء حصن الصخرة فوق احدى جزر مدينة الجزائر على بعد ٣٠٠م من باب البحر وبهذا الاتفاق وضع سالم التومي الخنجر الاسباني على نحر مدينة الجزائر ، اذ من هذا الحصن ظل الاسبان يهددون سكان المدينة ، الذين اخذوا يبحثون عن حل لدرء هذا الخطر الاسباني ، وكان المهاجرون الاندلسيون ينشرون الاخبار الطيبة فى الاوساط

الجزائرية عن الأخوين بربروس ، فتكونت بذلك سمعة حسنة للاتراك فى نفوس سكان مدينة الجزائر من العرب والبربر ، الذين ملوا وسئموا حكم وسياسة الثعالبة ، وكرهوا نفوذ الخونة وتصرفاتهم الشائنة . فانتدب اغلب سكان المدينة رسلا الى مدينة جيجل التى كانت بيد الاخوين بربروس منذ سنة ١٥١٤ ، يطلبون الحماية من عروج وخير الدين وما كان لسالم التومي ان يعارض فى رأي الاغلبية . فلبى عروج النداء. ووصل الى مدينة الجزائر فى اواسط سنة ١٥١٦ عن طريق البحر فى غليوطتين تحملان مائة تركي تقريبا وهي اول شحنة تركية تدخل مدينة الجزائر ، ثم اردفه اخوه خير الدين بنحو ٢٨٠ تركيا ، ومعدات حربية حديثة ، وسفن اخرى تحت قيادة اخيهما اسحق لمحاصرة حصن الصخرة واقلاع هذه الشوكة من نحر سكان مدينة الجزائر ، وقيل ان عروج جاء عن طريق البر مصحوبا بثمانمائة تركي والف مواطن من جيجل بعد ان ارسل ١٦ غليوطة عليها خمسمائة تركي الى مدينة الجزائر (١). وبدأ عروج برفع الحصون ، وحفر الخنادق وتركيب المدافع ، ثم اخذ يقنبل حصن الصخرة فى ١٢ اغسطس سنة ١٥١٦ وشدد الحصار على الحصن وقطع عنه المياه الى ان اضطر قائد الحصن اذ ذاك Mossen-Nicolos-Quint الى الذهاب الى جزيرة ماجوركة وقطع مسافة تزيد عن ٢٠٠ كلم لتزويد حميته بالماء والمؤن ، لكن هذه المؤن كانت قليلة لذلك ازداد الجوع والعطش بحوالي المائتين من الاسبان الذين كانوا من حراس حصن الصخرة . وكاد عروج ان يقضي عليهم لولا الفتن والدسائس التي حبكها سالم التومي واتباعه ، من الخونة الذين ألفوا الذل والمسكنة ، وكانوا على استعداد للتعاون حتى مع الشيطان لضمان سلطتهم الخاوية ، فحاولوا الانقلاب على عروج واتباعه بالوشاية الى الاسبان والتعاون معهم وكشف اسرار المسلمين ، وندموا لقبول دخول الاتراك الى الجزائر ، اذ رأوا في هذا زوال سلطتهم . وكان عروج للخونة بالمرصاد ، فقضى اولا على رئيس الفتنة سالم التومي ، ثم على اتباعه ، ونصب نفسه حاكما على المدينة بدلا من الثعالبة ، ثم استولى على مدينة تنس التي كان فيها مولاي ابو عبد الله

---

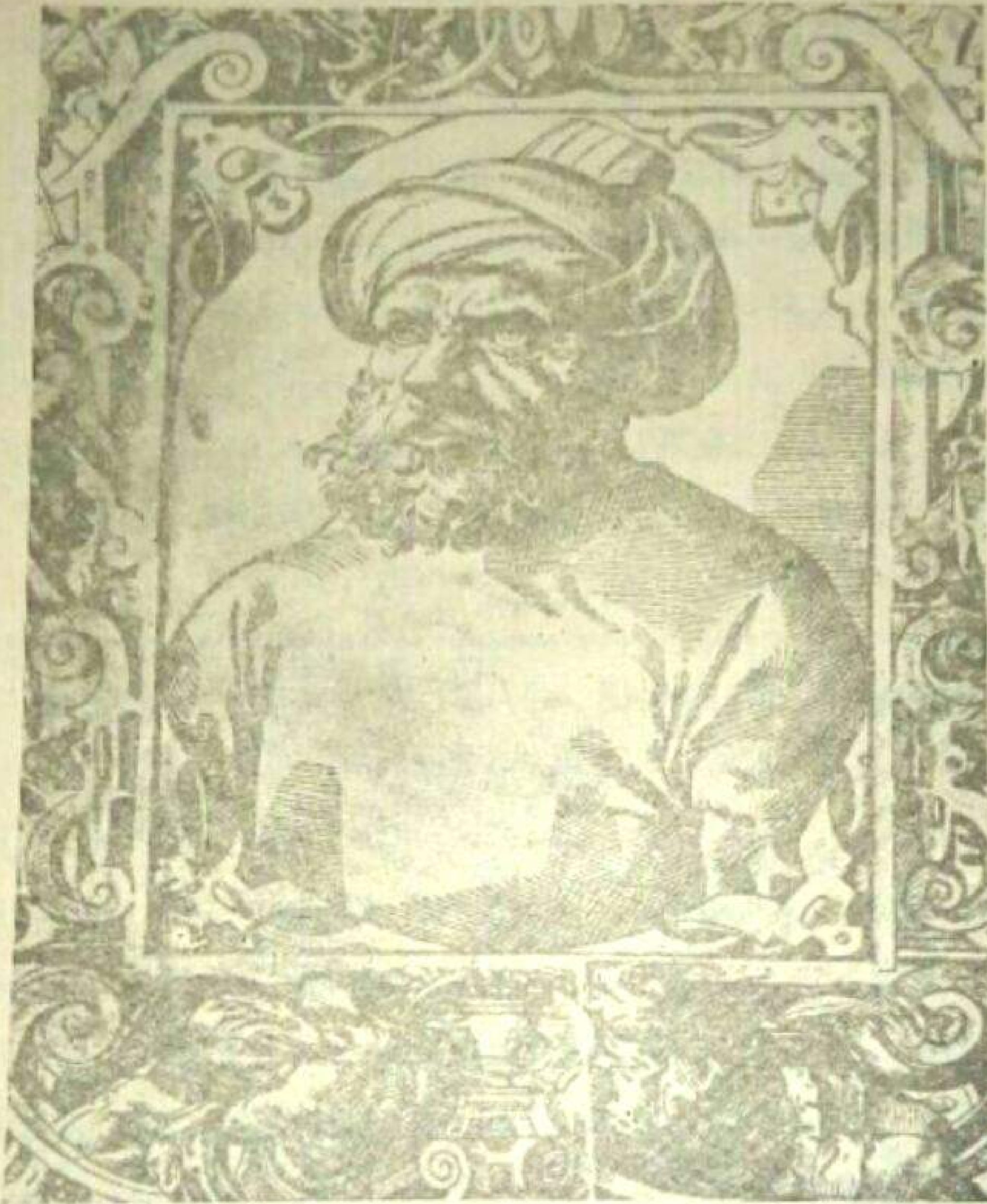
(1) Fray Diego de Haedo : Histoire des Rois d'Alger (traduit par H.D Grammont) Alger. 1881. p. 17



عروج : و هو احد الاخوة الثلاثة : عروج ، خير الدين . اسحاق الذين أنزلوا الرعب في قلوب الصليبيين في مطلع القرن السادس عشر . وهو اول ملك تركي على مدينة الجزائر قتل في معركة مع الاسبان بوادي الملاح في اقليم وهران سنة ١٦١٨ وقد اشتهر بالشجاعة والرعب

ملك مدينة تنس وضواحيها يراسل الاسبان ويحرضهم على المساعدة في طرد الاتراك ، خشية زوال ملكه ايضا اذ كتب هذا اللعين في ٢٥ اغسطس من سنة ١٥١٦ الى القائد الاسباني Diego de vera الذي كان يجهز الحملة لطرد الاتراك واحتلال مدينة الجزائر ما يلي : « مولاي الفاضل لقد اتصلنا برسالتكم ، واطلعنا بفائق الارتياح لخبر مجيئكم قائدا على اسطول الحملة التي تهمنا وتهمكم . وانتم تعرفون ان ابي عند وفاته اوصى بي الى ملك اسبانيا رحمه الله ، (الملك الاسباني فرناندو مات في أوائل سنة ١٥١٦) . والآن انني تحت حماية سيدي البرانس دوكارلوس (الوالي الاسباني على مدينة وهران اذ ذلك) يفعل بي ما يشاء . انني دائما في خدمته وستكون احسن وسيط بيننا ، ولا أرجو من سيادتكم الا المحافظة على مملكتي ، ولاتعيروا اهتماما لحديث المرجفين ... والذي احتفظ به منكم هي المنطقة الممتدة من الشلف الى قبر الرومية ، ولاتقفوا على ماذهبت اليه سفن شرشال بالقوة ...» .

وهذه رسالة اخرى يبعث بها قائد الحملة الاسبانية دياقو بتاريخ ١٨ اغسطس سنة ١٥١٦ وهو اليوم الذي كانت فيه قنابل عروج تنزل كالصواعق على حصن الصخرة ، فكتب دياقو هذه الرسالة الى من شم فيهم رائحة الغدر والخيانة ، بمدينة الجزائر وعلى رأسهم يحي بن سالم التومي ، فيها يقول دياقو الى يحي ما يلي : «ايها الشريف الشجاع والسيد الامين ، ان مولانا الملك ، وقداسة الكاردينال والى المملكة الاسبانية ، بلغتهما موت ابيك الصادق الامين ، وفى استبار البلا ، ادراك ان لموت مثل هذا الرجل ، يجب ان تلقن وان تلتهم . وللاخذ بالثأر ، ومعاقبة المجرمين ، فان الامر صدر لجمع اسطول كبير وجيش عظيم اذ للجريمة عقوبة تكون عبرة لدانيها وسامعها . ولهذا تهيء واستعد لمساعدتنا عندما نصل الى مدينة الجزائر حتى نقضى على الاتراك ومن تبعهم من العرب الذين كانوا سببا في قتل ابيك ، وحتى لاينجو احد هم من البر ، اما من جهة البحر فسأكفيك شرهم ولا يستطيعون هروبا دون ان الاحاقهم ولو فروا الى اسطنبول ولهذا تكون ضرورة تحرير خدم ابيك القدماء ، ومجازاتهم ، والمحافظة على املاكهم ...



خير الدين : شيخ قوي ، ذكي ، متين، ربط مدينة الجزائر بمدينة اسطنبول ، وبذلك عظمت مدينة الجزائر عندما عظمت الامبراطورية العثمانية وضعفت مدينة الجزائر عندما ضعفت الأمبراطورية العثمانية والصورة مأخوذة حسب ما جاء عنه في الدائرة الاسلامية عن G. Yver

وان قداسة الكاردينال قد حملني وصية تخص شرفك وشرف اهلك ...»(١) وكتب دياقو في نفس الفترة رسائل اخرى من قرطاجنة بساحل اسبانية ، التي كان يتهيء فيها للهجوم على الجزائر ، الى قائد الحامية الاسبانية بحصن الصخرة المحاصرة من طرف الاتراك وكتب رسائل اخرى الى مولاي ابي عبد الله ملك تنس ، والى الخونة يطلب منهم المؤازرة وضمان نجاح حملته. لكن عروج كان يدرك جيدا ما يدور في الخفاء ولهذا اخذ احتياطاته واستعد للمعركة وحمى ظهره بتركيز اصحابه في المدينة ، ومعاقبة الخونة ، وبذلك باءت حملة دياقو بالفشل عندما وصل أسطوله في ٣٠ سبتمبر ١٥١٦ الى مدينة الجزائر ؛ ولم يتجرأ احد من الخونة على مساعدته ، فخسر دياقو المعركة وفقد مالا ورجالا ثم رجع الى بلاده يجر اذيال الخيبة والعار الى ان اصبح سخرية يهزأ به اطفال الاسبان الذين عادوا يجرون وراءه قائلين : « اجل ! ان فيرا ليس بالقوى الاريب ، لان عروج الذي له يد

Certes ! Vera n'a été ni fort, ni habile, puisqu'ayant ses deux bras il s'est laissé battre par un manchot.

واحدة غلبه وهو ذو اليدين. وبعد النصر ازدادت قوة الاتراك في مدينة الجزائر وانحاز إليهم ضعاف القلوب ، واشتدت شوكة المدينة بعد ان جاءها خير الدين لمساعدة اخيه في محاربة الاسبان والخونة من الملوك الاذلاء امثال مولاي ابي عبد الله في تنس وابى حمو في تلمسان . واراد الله النصر للاتراك الذين قوضوا عرش الدولة الزيانية بالجزائر وجعلوا حدا للاطماع الاسبانية . وقد رأى خير الدين بعد وفاة اخيه عروج ، أول حاكم تركي بالجزائر ، ان لا استقرار لشمال افريقية وان لاضمان لما اكتسبه الاتراك في مدينة الجزائر الا بربطها بدولة اسلامية قوية في ذلك الوقت ، وانه لايمكن الاتكال على اصحاب الاطماع والاغراض الشخصية ، وكانت الدولة العثمانيه اذ ذاك ذات شأن وقوة لذلك مال اليها خير الدين ، ولا حرج عليه وهو التركى الامين ، فراسل ملوكها لتزويده بالحماية والمال والرجال من الاتراك ، وسكان الاناضول بالخصوص ، فلبى السلطان العثمانى سليم الاول نداءه ، وزوده بألفى رجل ، ثم باربعة آلاف من المتطوعين الاتراك سنة

---

(1) Andre Berbrugger : Le Pegnon d'Alger P. 29



خريطة
طرق أهم الحملات
الأوربية على الجزائر
طريق الحملة
المقياس
فرنسا
ايطاليا
اسبانيا
صقلية
سردينيا
المتوسط
الأبيض
الجزائر
أوراس
جبال الأطلس الصحراوي
الصحراء الكبرى
المغرب
ليبيا
فالنسيا
طولون

١٥١٩ ومن هذا التاريخ وضعت الجزائر تحت الحماية العثمانية مقابل ضريبة معينة تدفعها سنويا الى الباب العالي فى اسطنبول ،لذلك ازدهرت المدينة فى فترة ازدهار الدولة العثمانية وذبلت مدينة الجزائر عندما ذبلت الامبراطورية العثمانية . وبتكاثر عدد الجنود الاتراك بمدينة الجزائر اشتد ساعد خيرالدين الذي تفرغ لمحاربة الاسبان . وفي صبيحة يوم الجمعة ٢١ مايو سنة ١٥٢٩ حاصر حصن الصخرة، وكان به نحو الخمسمائة رجل من الحماية الاسبانية برأسهم فى هذه المرة مارتان دى فارقاس Martin de Vergas واخـــذت قنابل مدافع خير الدين تنزل على حصن الصخرة ابتداء من الساعة الاولى لصباح ذلك اليوم الى ساعة الزوال ، فهدمت جانبا من الحصن وقتلت عددا كبيرا من جنود الاسبان ولم يبق من بين ذلك العدد الا نحو ٢٥ جنديا ، اسروا في الاخير ، اما مارتان فكان للعصى فيه حق ، الى ان قتل ، وقيل كانت نهايته النار وبئس القرار . اما الحصن فدك عن آخره وبنى بصخوره خيرالدين رصيفا للربط بين الجزر الاربعة القديمة والمدينة،ومن ذلك سمى برصيف خير الدين الى يومنا هذا . وتابع خير الدين بناء الميناء القديم لمدينة الجزائر التي كانت تهتز لها فرائص الاوربيين ، وقيل انه أتم بناءه فى ظرف ثلاث سنوات ونقل اليه الصخور من آثار مدينة تامنفوست القديمة ، التي كانت تقع في الضفة الشرقية لخليج مدينة الجزائر ، على أكتاف العبيد والاسارى المسيحيين .

ووجه الاتراك اقتصاد مدينة الجزائر نحو البحر ونحو القرصنة بالخصوص ، وهى من الحرف الرئيسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، لابالنسبة للجزائر فقط ولكن بالنسبة لاغلب الدول الاوربية ، وعلى رأسها اسبانيا وبريطانيا . وقد وجد الاوربيون من القرصنة الجزائرية وحماية المسيحية مبررا للهجوم وتنظيم الحملات على مدينة الجزائر عدة مرات ومن أهم هذه الحملات :

أ ـــ حملة شارل الخامس فى ٢٨ جمادى الثانى سنة ٩٤٨هـ الموافق لتسعة عشر خلون من اكتوبر سنة ١٥٤١م. فى هذه الحملة جاء شار الخامس بما يقرب من ٧٥٠ سفينة تحمل فوق ظهورها نحو ٦٠ الف جندي ، وبذلك تعد اكبر حملة قادها المسيحيون على

مدينة الجزائر ، انتهت بتحطيم العصبية المسيحية ، والغرور الاسبانى ، حيث قتل فى هذه المعركة ما يزيد عن ١٢ الف جندي مسيحى، زيادة عن عدد كبير من المجروحين والأسارى ولم يبق من عدد السفن المذكورة الا نحو المائة قطعة، فيها لاذ شارل الخامس بالفرار بعد ان ذاق اشد مرارة الهوان و الانهزام ، ثم لزم منزله باسبانيا وهو حزين الجنان ، لما اصابه من خسران ، الى ان ادركته المنية كمدا .

ب — حملات الانجليز، ووقعت فى سنوات ١٦٢٢ ، ١٦٥٥ ، ١٦٧٢ ، ١٨١٦ ، ١٨٢٤ ولم تخسر المدينة فى هذه المرات . بل ازداد نشاط قراصنتها اثر كل هجوم ، الى ان بلغ عدد السفن التي غنمتها حوالي الخمسمائة سفينة متنوعة الاحجام والجنسية ، والى ان رجع الانجليز يخطبون ود الجزائر ويحاولون الحصول على السلام عندما فشلوا بالقوة فابرمت معهم المدينة وثيقة الأمان سنة ١٦٨٢ ، ثم نكث الانجليز عهدهم عندما ضعفت المدينة فى اواخر العهد التركى .

ج — حملات الهولنديين. ومنها الحملة التي ارسلوا فيها امير الهم ريتر Ruyter لقنبلة الجزائر فى عهدالباشا اسماعيل سنة ١٦٦٣ فعادخائبا امامقوة المدينة ؛ ثم طلبت هولندا الصلح سنة ١٦٨٠، وعادت تزود الجزائر بالمعدات الحربية ؛ ثم نكثت العهد فى مطلع القرن التاسع عشر ؛ وتعاونت مع الانجليز للهجوم على المدينة سنة ١٨١٦ .

د — حملات الفرنسيين وبدأت سنة ١٦٨٢ عندما جهزوا ١٠ سفن متنوعة الاحجام و١٥ فرقاطة fregate لمهاجمة المدينة وجعلوا على رأس هذه الحملة قائدهم Duquesne الذي حاول فرض السيطرة الفرنسية بالقوة ؛ وظل يطارد الاسطول الجزائر الى ان جاءت سنة ١٦٨٣ ؛ فقدمت اربع سفن حربية فرنسية فى ٤ صفر من العام المذكور الى مدينة الجزائر بعنوان الصلح ، الذي رفضته المدينة ، لجوره ، وحينئذ اشتد النزاع بين فرنسا والجزائر ، وظلت فرنسا تعد العدة الي ان بلغ عدد أسطولها المرابط بالقرب من مدينة الجزائر ٩٠ سفينة حينئذ حاولت مرة أخرى فرض الصلح، لكن مدينة الجزائر صممت على رفضه لما جاء عن طريق القوة وشدت الخناق على العبيد الفرنسيين الذين

كانوا يتربصون الدوائر بسكان المدينة، ومنهم لوبير لوفاشي(١) وعشرون من امثاله وذلك في ٢٦ يونيه ١٦٨٣ ، وعندئذ قنبلت السفن الفرنسية مدينة الجزائر وهدمت نصف مبانيها وجزءا كبيرا من حصونها ، حتى قصر الباشا التركى بابا حسن الذي بادر الى الصلح دون استشارة اصحابه وأولى الامر فى مجلس الديوان وعلماء المدينة ، ورضي بتسليم خمسمائة اسير فرنسى الى اسطول الهجوم الذي كر راجعا الى فرنسا تاركا وراءه الخراب بمدينة الجزائر واثار الشعب على الدى ثم قتله وولى الحاج حسين ميزومورتو دايامكانه(٢)



نذير الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر سنة ١٨٣٠

(١) Le Père Levacher هو احد رجال الدين الفرنسيين الذي كان مقيما بالجزائر يظهر مساعدات العبيد المسيحيين و يبطن الجوسسة . ولما كانت حملة ٢٦ يونية ١٦٨٣ اطلع سكان مدينة الجزائر على خبثه لذلك أدخله الاتراك فوهة مدفع ثم رموه قذيفة .

(٢) محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن الجيلالى بن رقية المعروف بالتلمساني : الزهرة النيرة ص. ١٣٩ .

وبعد هذه المعركة ازداد طمع الفرنسيين فى النيل من مدينة الجزائر ، حيث نظموا لها حملة اخرى سنة ١٦٨٤ ثم ١٦٨٧ بقيادة Estrées و Tourville وانتهت هذه الحملات بابرام اتفاقية صلح ومعاهدات تجارية سنة ١٦٨٨ بين الجزائر وفرنسا ثم تلاها تبادل السفراء والاسارى بين الجزائر وفرنسا (١) . وكانت الجزائر تستفيد من سفراء فرنسا بعد عقد المعاهدة اكثر مما كانت تناله من سفن فرنسا قبل المعاهدة ، حيث ان السفير الفرنسى بالجزائر كان يقدم الى البشواة و اصحاب الرتب العالية هدايا جليلة فى كل المناسبات تفوق قيمتها ما لو كانت الجزائر تحصل على هذه الهدايا عن طريق القرصنة ومهاجمة السفن الفرنسية (٢) .

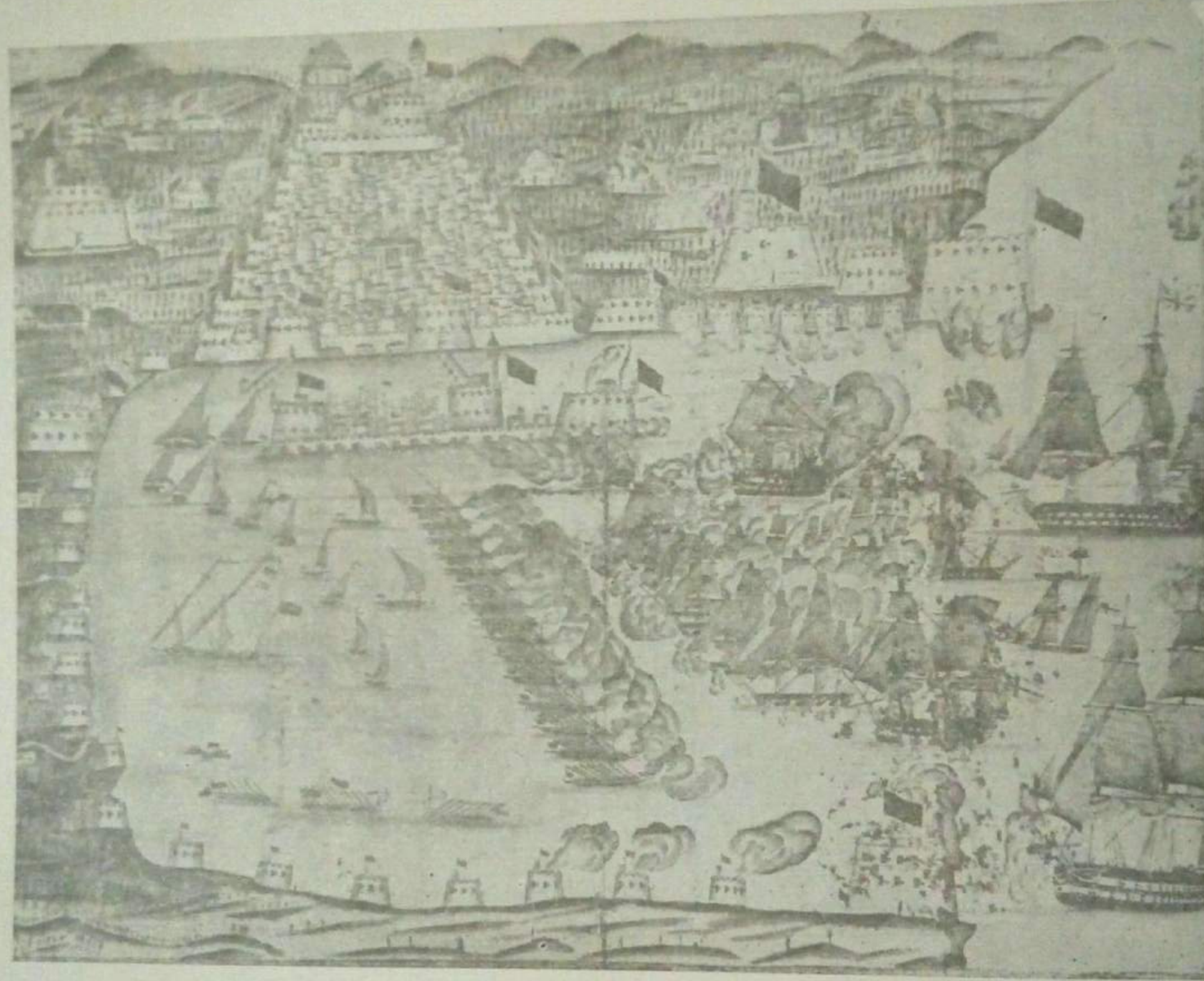
هـ ـــ حملة الدانمارك ؛ وكانت سنة ١٧٧٠ فيها ارسلت دولة الدانمارك لمهاجمة مدينة الجزائر احدى عشر قطعة بحرية ، وصلت امام الميناء الجزائرية فى ٨ ربيع الاول سنة ١١٨٤ هجرية ، وحاولت فرض قوتها على المدينة لكنها باءت بالفشل ثم حاولت المفاوضة التي رفضها محمد باشا داي الجزائر حينذاك ؛ ولم يسمح حتى بالنزول على البر للمفاوضين الداناماكيين الذين عادوا الى بلادهم خائبين .

ن ـــ حملة الاسبان وهي المرة الثانية التي حاول فيها الاسبان السيطرة على مدينة الجزائر وكان ذلك سنة ١٧٧٥ فى عهد شارل الثالث الذى لم يكن حظه احسن من حظ شارل الخامس حيث خسر الاسبان فى هذه المرة ما ينيف عن الثمانية آلاف جندى زيادة عن ثلاثة آلاف جرحوا . وكانت الحملة في هذه المرة تتألف من ٢١٦٠٠ جندى جاءوا على ظهر ٣٨ مركبا ونزلوا على وادي الحراش في ٨ يوليه من السنة المذكورة ، وعلى رأسهم الجنرال O'Reilly والاميرال Castejon ثم حملة Angels Barcelo سنة ١٧٨٣ التي انتهت بعقد اتفاقية شاقة للمسالمة بين الجزائر والاسبان . وتلت هذه الحملة الاسبانية حملات اخرى واخرى مسيحية يطول ذكرها منها حملة الولايات المتحدة

---

(1) Henri Garrot : Histoire génerale de l'Algerie. Alger 1910

(2) H. D. Grammont : Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742



هجوم الاميرال نيل البريطاني على مدينة الجزائر سنة ١٨٢٤

سنة ١٨١٥ ثم الحملات التي تلت مؤتمر لندن سنة ١٨١٦ ، وفي هذا المؤتمر قررت الدول الاوربية إلغاء القرصنة ، وبعثت بهذا الشأن الى داي الجزائر مذكرة كي يوافق على ما جاء فى هذا المؤتمر، لكن الداي لم يستقبل هذه الاتفاقية الاوربية المفروضة عليه بارتياح لذلك هوجمت مدينة الجزائر مرة اخرى من طرف الانجليز الذين ارسلوا قائدهم Lord Exmouth سنة ١٨١٦ لقنبلة المدينة مستعينا بالاسطول الهولوندي . ثم ارسل الانجليز حملة اخرى ضد الجزائر سنة ١٨٢٤ بقيادة الاميرال Neal الذي لم يكن حظه احسن من الأول . ثم كانت حملة فرنسا فى ١٤ يونيه من سنة ١٨٣٠ وهى آخر حملة اوربية مسيحية على مدينة الجزائر انتهت بسقوط المدينة فى ٥ يوليه من السنة المذكوة وطرد الاتراك ، وسلب املاك المواطنين وهجرة الاوربيين الى مدينة الجزائر .



حملة الفرنسيين على مدينة الجزائر سنة ١٨٣٠

وهكذا ظهرت مدينة الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر للملاد هدفا للهجومات الاوربية المسيحية المتكررة ، واشتدت الحملات فى عهد الاتراك حتى كان من الحق ان

تسمى مدينة الجزائر بالمجاهدة ، وبالفعل فقد اطلق عليها السكان فى اواخر العهد التركى «الجزائر المجاهدة و «المحروسة» و «دار الجهاد» وقد وردت هذه التسميات في عقود الدولة التركية بالجزائر ، وهى اصدق الاسماء واوفاها ، اذ كثيرا ما كانت تتحالف الدول الاوربية ضد مدينة الجزائر زاعمة بذلك القضاء على ركن القرصنة وكأن هذه الحرفة كانت شيئا محرما او عجابا بالنسبة لمدينة الجزائر او بالنسبة للمسلمين ، وشيئا حلالا ، ومكسبا طيبا بالنسبة للاوربيين المسيحيين ، حيث كان حكام اوربا وعظمائها ينظمون القرصنة ضد بعضهم او ضد المسلمين في عرض البحار والمحيطات ، و يشرفون عليها ويشرعون لها ، بل منهم من كانت له اسهم فيها ، وعلي هذا يكون من الجور ان يحكم الكتاب الاوربيون على القرصنة الجزائرية بانها منافية للانسانية ومخالفة للعدالة الاجتماعية بل ان القرصنة الجزائرية كانت مكسب حلال وطيب فى ذلك الوقت ، املتها الظروف التاريخية في العصور الوسطى ، وكانت تتماشى مع القوانين الاجتماعية و الاقتصادية السائدة فى ذلك الوقت ، وانما الذي يأخذه التاريخ على حكومة الاتراك فى مدينة الجزائر هو عدم تطوير سياستهم مع الزمن ، حيث ظلت علاقتهم قوية بالبحر في مرحلة بلغت فيها اوربا شوطا بعيدا فى تطوير اقتصادها ، فاوربا اتخذت من القرصنة حرفة لجمع رؤوس الاموال من الشعوب المغلوبة ثم انفاق هذه الاموال فى تطوير اقتصادها الصناعى والزراعى ، وعندما انطلقت صناعتها اخذت تقلل شيئا فشيئا من القرصنة ومن تجارة العبيد ، وتتوجه نحو الصناعة والتجارة او الكسب الانسانى ، بينما كان العكس بالنسبة للاتراك بالجزائر ، الذين ظلوا يوجهون اقتصاد الجزائر نحو البحر وجعلوها تعتمد اعتمادا كبيرا على القرصنة طوال فترة احتلالهم ، فاهملوا لذلك الصناعة ، وعزفوا عن التجارة ماعدى تجارة العبيد المسيحيين ، وعرقلوا الزراعة ، واعتنوا بالقرصنة التي ظلت أطيب حرفهم وظل البحر اساس موردهم ، والمسيحية ظلت ألد أعدائهم لذلك اعتنوا بالشواطىء ، واكثروا من رفع الحصون على ساحل المدينة ، ووجهوا مدافعها نحو راكبي البحر ، واعتنوا بجمع وترميم وبناء السفن ، اما بقية القطاعات الاقتصادية فلم يكن فيها للاتراك شأن

الا الجباية ولعل هذا يرجع الى الاسباب الآتية :

١ ـــ لم يكن للاتراك الوافدين غيرة وطنية على الجزائر اذ انهم جيء بهم من الاناضول وهم في ذلك عبارة عن جنود غرباء يقضون فترة تجنيدهم فى وطن اجنبى عنهم مثلهم في ذلك مثل الجنود المرتزقة ، بل مثل جـــنود االفيف الاجنبى او الاستعمار فى البلدان المستعمرة ، فكان الاناصولى او الانكشاري ، عند نزوله بمدينة الجزائر ، يحس انه غريب عنها ، وانه ماجيء به الا للحرب ، ولذلك سيكون هدفه الحكم او الترقى فىمناصب الدولة واشباع اللذة ، فيتحول بذلك من جندي تركى جيء به لمساعدة المسلمين الى زبانطوط بأتم معنى الكلمة (الزبنطوط كلمه تركية يراد بها مجرم) ، وينضم الى فكرة اصحابه في احدى القيصرات السبع التي كانت بمدينة الجزائر بعد ان تمنح له كسوة الانكشارى من سروال وقميص وحزام وقلنسوة وحذاء و بطانية وقطعة صابون مجانا ، وبعد ان تسلحه حكومة الـــديات ببـــندقية ومسدسين وسيف يدفع قيمتهم فيما بعد ، اي بعد ان تتحسن حالته المادية ويمتلى جيبه بالنقود من رشوة وغيرها ، وتمنح له الحكومة مجانا الوجبات اليومية من الارز او البرغل ، ووجبتين من اللحم فى الاسبوع واربع أرغفة من القمح يوميا ، وتدفع له ١٤ موزونة (١) كلما هل هلالان - اى حوالي الدولار كل ٦٠ يوما . هذه هي حالة الانكشاري في البداية او فى الايام الاولى من حياته بمدينة الجزائر ، ثم يأخذ فى الترقية كلما جاءت مناسبة ، وما اكثر المناسبات للترقية فى عهد الدولة التركية بالجزائر ، ومن اهمها قتل الداي او عزله او طرده ، فتكون الترقية من طرف الداي الجديد ، ومن المناسبات : الاعياد ووصول رسول السلطان العثماني ، وابداء الشجاعة فى القرصنة او جمع الضرائب من الشعب الخ . . . ويظل الانكشاري يرتقي فى المراتب الى ان يصل مرتـبه الى ١٤٠ موزونة او حوالى العشر دولارات في نهاية كل شهرين عندما يبلغ حدا معينا من الاقدمية ، زيادة عن المدخولات من هنا وهناك

---

(١) انظر جدول آخر الكتاب للعملة الجزائرية فى العهد التركى .

وهو اهم من المرتب في فترة سادت فيها الفوضى الادارية .

٢ — انشغال الاوجاق او الانكشارية في التنافس على الحكم وكرسي الداي بالخصوص لما لهذا المنصب من مركز مهم لجمع الاموال وتكديس الثروة الخيالية . وكان الداي عنوان المال و البذخ والسلطة ، من ذلك ان الداي حسن قدرت امواله بعد خنقه بما يزيد عن ٥٤ مليون فرنك قديم ، وكان يتقاضى ٢٧٥٠ دينارا كلما هل هلالان دون العلاوات والغنائم والهدايا والعوائد من الدول المسيحية اوالتجار ، اوممن يريدون التقرب اليه . وقد ادى التسابق الى مركز الداي . بالانكشارية، الى تناسي مصالح الشعب ، وبناء الوطن ، حتى ان الخزينة التي كانت تكتظ بالذهب المجمد ، فكانت لاتنفق في تطوير البلاد ولا في مصالح الشعب ، ومما يذكر في هذا الشأن ان حملة اورلي التي رجع فيها خائبا سنة ١٧٧٥ ، تقدمت فيها الانكشارية الى الخزنجي طالبة ما وعدها من ١١ دينارا لكل من جاء برأس من رؤوس الكفار المنهزمين الأسبان ، ففزع الخزانجي لذلك اذ لم تكن له اموال الابفتح الخزينة التي لايحب فتحها ، فعرض الخزانجي طلب الانكشارية على الداي بابا محمد محذارا اياه بالثورة ان لم يسكت هذه الاصوات وملء جيوب الانكشارية بالنقود ، ورأى الداي حل المشكلة ، لا في فتح الخزينة ، ولكن بالرجوع على الشعب من الاثرياء ، والبايات ، وتقدم حينذاك باي معسكر بنحو ٢٢٠٠٠ دينارا ، وزوجة الداي بابا على تصدقت بنحو خمسة آلاف دينار ، وهكذا جمعت النقود لارضاء الانكشارية دون ان تمس الخزينة بسوء ، ودون ان يزيل عنها الصدأ .

والمتتبع لتاريخ الدايات بالجزائر يجد ان اغلبهم كانت نهايته القتل (١) ، وان المبرر لهذا القتل كان في الغالب التنافس على الحكم أو على من يتولى رياسة الديوان او ما يسمونه بالداي او بابا او الافندي . فمن بين حوالي ٩١ دايا حكموا الجزائر لمدة ٣١٤ سنة . اي بمعدل ثلاث سنوات و٥ اشهر و١٤ يوما لكل داي نجد اكثر من ٧٠

---

(١) احمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا داي الجزائر (١٩٧١-١٧٩٦) وكذلك
Venture de Paradis. op. cit et Devouls : Revue Africaine Alger 1869

دايا كانت نهاية حكمهم القتل او الفرار . وكان لهذا الحكم مبالغة في رواية الاخبار والحقائق التاريخية. منهاقصة مغارة العظام التي اكتشفت بالقرب من حديقة سيدي عبد الرحمان في عهد الاحتلال الفرنسي وقيل عنها انها ترجع الى عظام الدايات السبع الذين قتلوا في يوم واحد ودفنوا سويا ، ويذكر جابريال اسكير نقلا عن فانتيردي برادي انه في اواسط القرن الثامن عشر تآمر سبعة ارانطة اتراك (الارنوطى - الالباني) من جيش الانكشارية بالجزائر، على قتل داي الجزائر ، واتفقوا على ان الذي يتقدم لقتله سيكون له الاولوية في الحكم والتولية مكان الداي باب محمد طورطو ؛ فتقدم لذلك احد السبعة وله لحية حمراء، فقتل الداي ثم جلس مكانه على منظر طاهي الداي المقتول. فانزعج الطاهي لذلك المشهد المؤلم ، وتحركت غيرته ، ثم هم بالثأر لصاحبه المرحوم ، فسلح اعوانه الذين هاجموا الارنوطي صاحب اللحية الحمراء واشبعوه ضربا الى ان هشموا رأسه ، ثم طار الى العرش الارنوطي الثاني ، الذي لم يكن حظه احسن من صاحبه الاول ، ثم جاء دور الثالث الذي دفعه حب الرياسة الى ارتكاب الأخطار ، ثم جاء دور الرابع الذي دغدغه حب الحكم ، ثم الخامس الذي اعجبه كرسي السلطان ثم السادس الذي ثملته نشوة الديوان ، ثم السابع الذي انساه الشيطان مصير من تقدمه من الاخوان ، وهكذا تداول على كرسي العرش الارانطة السبعة في يوم واحد وكان مصيرهم القتل جميعا من طرف الطاهي واعوانه الذين اشبعوا نقمتهم ، وثأروا لصاحبهم طورطو، وعندئذ احجمت الانكشارية وسلمت العرش للطاهي الذي رفضه ، ثم تكرم به للداى علي آغا الذي قتل الطاهي فيما بعد (١). ولا تقل هذه المبالغة عن اسطورة الاسكافي الذي ترك مهنته المتواضعة ليرتقى العرش في الحين ، ذلك ان فرقة من الانكشارية قامت بانقلاب ، فقتلت الداي، ثم اختلفت فيما بينها ، فيمن يتولى العرش منهم ، وبعد خصام شديد اتفقوا على التوجه الى الجامع الكبير لتولية الرجل الاول الذي سيخرج من المسجد ، وشاءت الاقدار على ان أول رجل خرج من المسجد كان حذاءا اندهش عندما تقدمت إليه الانكشارية و بايعته بالعرش ،

---

(1) Venture de Paradis. op. cit

فرفض الحذاء المسكين منصب الداي ، لكن رفضه هذا ادى الى تعنت فرقة الانكشارية التى اخذته بالقوة ، وقادته الى قصر الجنينة واعلنته دايا على الجزائر . والقصص مثل هذه كثيرة ولاشك ان منصب الداي كان محفوفا بالاخطار .

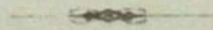
٣ ــ انغماس الديات في الملذات من النساء والموالى ما عدا القليل منهم ادى بهم الى تناسي واجبات الحكم ؛من ذلك الداي كرد علي الذي كان يكثرمن ابتلاع الأفيون الى ان سقطت مدينة وهران للمرة الثانية في يد الاسبان ، وهو منعش فى المخدرات ، ثم مات غما وكمدا عندما أفاق من سكره ، ولم يكن صهره بابا ابراهيم الذي تولى من الحكم بعده احسن دايا ، حيث انغمس في الفساد وغرق في بحر الغرام ، وادى به الحال الى افشاء سره الى قناصل الدول الاجنبية حيث طلب من القنصل الفرنسي بينوه لوميرسنة ١٧٣٣ ان يزوده بالعذارى ، وأن يأتيه بثلاثين بنتا من الفرنسيات الحسان ، ونتيجة لهذا الافراط فى الملذات فقد ادى باحدى جواريه الى حرق حصن الطاقارة سنة ١١٥٥هـ دون ان تحرك الداي المسكين غيرة وطنية فيقلع عن الفواحش .

٤ ــ عدم اندماج الاتراك مع الطبقة الشعبية ، هذا رغم طول المدة التي لبثوها في الجزائر ، فاعتبروا انفسهم دائما هم الاسياد ، منهم الداي ورجال الديوان ، كالخزناجي مثلا ،والآغا ، ووكيل الحرج ، وخوجة الخيل ، بل كل المناصب العالية والرتب القيمة كانت مقصورة على الاتراك اما بقية افراد الشعب فهم الاذلاء . وكانت القوانين المطبقة على التركي اخف من القوانين المطبقة على الشعبي الذي يعد عبدا للدولة ، وكأنه خلق لذلك او خلق لدفع الضرائب وخدمة الاتراك والتذلل لهم والالتصاق بالجدار او اخلاء الشارع لمرور الانكشارى ، واعطاء الاولوية لهذا الاخير ان هم شرابا او اراد املاء قلته من العين الخ ... وكل هذه السياسة أدت الى خلق طبقتين مختلفتين تماما : طبقة الحاكمين الاتراك وطبقة المحكومين الجزائريين ، بينهما نزاع وحروب وعداوة مستمرة وكره شديد وعميق الجذور ، وكل طبقة تتربص بالاخرى الدوائر ، وبهذا لم يكن المجتمع الجزائري فى عهد حكم الاتراك مستقرا او منسجما حتى يتوجه نحو التعاون فى تطوير اقتصاد

المدن والريف ، ولم يضمن الاتراك مركزهم الاجتماعي في هذا البر المفعم بالعداوة لهم ، فراحوا يوجهون عنايتهم نحو البحر ويبحثون عن منافعهم الخاصة .

والملاحظة الاخيرة على حكومة الاتراك بالجزائر انها كانت حكومة من اللفيف الاجنبي (١) ، واطلاق كلمة الاتراك عليها تجاوزا للتاريخ ، ذلك ان اغلب الذين سموا بالاتراك فهم من المتتركين ، او عبارة عن لقيط اوربيين جيء بهم الى المدينة في شكل اسارى مسيحيين جمعوا في الغالب من شواطيء وجزر حوض البحر المتوسط ، واعتنق البعض منهم الاسلام نفاقا في الغالب ، و بذلك تتركوا للوصول الى اهداف معينة (٢) كما ذكرنا سابقا في صفحة ١٤٧ .

واهم الجزر التي كانت تستورد منها الجزائر العبيد المسيحيين هي جزيرة كورسيكا ، وسردينيا ونظرا لاختلاف هذه الاجناس التي كانت تعمر مدينة الجزاير فقد زاد التنافر بين طبقات المجتمع .



(1) Fernand Braudel : Revue Africaine 1928

(2) Thedenat : Memoires de thedenat (1785) publiés par M. EMERIT. Revue africaine. T. XCU 1948. P. 172.

تيدنا اصله فرنسي من اللنقدوك ولد في ايزى سنة ١٧٥٨ و أسره قراصنة الجزائر ثم بيع الى باى معسكر الذي قلده منصب وزير الخزانة فيما بين ١٧٧٩ - ١٧٨٢ .

الباب الثانى

مراحل تطور مدينة الجزائر من النشأة حتى القرن التاسع عشر

الفصل الاول

المرحلة الفينيقية

ايكوسيم الفينيقية

١ — العمران :

يمكن تحديد ابعاد المدينة أوالمساحة التي كانت تشغلها ايكوسيم الفينيقية بالرجوع الى الآثار الفينيقية القديمة ، وهذا يكون بالتقريب ، اذ ليس من السهل تحديد ابعاد مدينة ترجع الى فترة قديمة ، تعرضت فيها الى تغييرات كثيرة ، فهدمت واعيدت منشآتها عدة مرات .

وقد اكتشفت آثار فينيقية لمدينة ايكوسيم منها النقود والاضرحة والبئر التي سبق ذكرها . فالنقود تدل على مواضع الاحياء السكنية التى فيها كان يجمع التجار اموالهم ونقودهم ،وكذلك البئر فلابدان تكون بالاحياء السكنية ،اذمن العادة ان الانسان لايضطر الى حفر البئر الا اذا كان الينبوع الطبيعي بعيداعن منزله. اما الاضرحة فكانت تبنى في ضواحي المدينة ، على عكس التماثيل التى تعد آثارا متنقلة لايمكن الاعتماد عليها فى تحديد ابعاد المدينة ، حيث يمكنها ان تكون في المعبد داخل المدينة ، ويمكنها ان تنقل الى المقبرة بضاحية المدينة ، ويمكنها ان تكون خارجة عن ذلك او تلك ، وبالخصوص اذا كانت هذه التماثيل ذات احجام صغيرة قابلة للنقل . اذ كثير ما كان القدماء يصحبون معهم آلهتهم فى رحلاتهم لايمانهم بحمايتها لهم فى اسفارهم . ولقد اشرنا فى الفصل الثاني من الباب الاول الى ان النقود الفينيقية وجدت فى باب الجزيرة في النهاية الغربية لشارع اول نوفمبر ، وكذلك البئر الفينيقية عثر عليها في وسط نفس الشارع وان ضريحا فينيقيا

اكتشف سنة ١٨٦٨ في موضع حديقة سيدي عبد الرحمن ، وبهذه يظهر ان الاحياء السكنية الفينيقية كانت لاتتعدى حي باب الجزيرة حاليا ؛ وهو موضع ملائم للسكن تماما لخلوه من الانحدارات الشديدة ، ولقربه من الميناء حتى تكون المراكب على مرأى من اصحابها وهذا يتفق مع طابع المدن الفينيقية ، فكانت مركزة على الساحل ، قليلة العمق في الداخل وربما كان شارع القصر القديم هو اقصى امتداد جنوبي للمدينة . واما امتداد المدينة بحافة الساحل فربما كانت تحدها شرقا ساحة الشهداء ، وغربا شارع سيدي عبد الرحمن وقد كانت الجزر الاربعة جزءا من المدينة ، وان كانت لاتساعد على السكن لضيق مساحتها وصلابة صخورها ولكنها صالحة لرسو السفن . وربما كان يحيط بايكوسيم سور ولاسيما منذ الحروب البونية او في اوائل القرن الثاني لما قبل الميلاد ، دمر عن آخره اثناء ثورات اهل البلاد على الاحتلال الاجنبي ، ثم اعيد بناؤه في العهد الاول للاحتلال الروماني . واما المقبرة الفينيقية فكانت توجد خارج اسوار المدينة ، بالقرب من حديقة سيدي عبد الرحمن حيث وجدت الآثار المذكورة .

وقد بدأت ايكوسيم الفينيقية في عهدها الاول كسوق بسيط للغاية ، تغلب عليها منازل التجار المبنية بالحجارة واللبنات والآجر ، ثم نمت الى قرية ثم الى مدينة ، ثم الى مستعمرة فينيقية .

٢ ــ السكان :

يمكن من آثار المساحة الضيقة التي كانت تحتلها ايكوسيم ، تقدير عدد سكان مدينة الجزائر في عهد الفينيقي بالفى نسمة ، وذلك حتى في أروج ازدهارها ، اذ لو كانت كثيرة السكان لكانت لها شهرة ، ولكان لها مركز سياسي مثل ما كان لمدينة قرطاجنة ، ولورد ذكرها في الكتب التاريخية القديمة وهو ما لم نحصل على دليل عليه ، ويظهر ان جماعة قليلة ، ربما لايتجاوز عدد افرادها العشرين من الفينيقيين، نزلوا لأول مرة في المكان ، وكانوا متشبعين بمعتقداتهم الاصلية (١) وماهرين في حرفتهم التجارية فانشأوا سوقا ، سرعان ما جذبت إليها عددا من السكان الاصليين ، وبطول المدة اختلط الفريقان بالمصاهرة

(1) P. Cintas : Op. cit

والمساكة فتكاثروا الى ان اصبح عددهم بقرب من الالفين نسمة فى القرن الثالث لما قبل الميلاد ، وهي الفترة التي ازدهرت فيها التجارة الفينيقية ، واستغل فيها ظهير ايكوسيم واخذ السكان الاصليون يميلون الى الاستقرار وتعمير المدن ، وربما كان ذلك عندما ساد الجفاف فى جنوب الجزائر مما ادى بسكان التلول وتخوم المدن من الرعاة المتنقلين الى الاستقرار والهجرة نحو المدن وزيادة الاحتكاك بالفينيقيين ، والاختلاط بهم ، والاخذ من حضارتهم مثل الحروف الابجدية ، والفنون الزراعية ، والمعتقدات الدينية .

وفيما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي لمدينة ايكوسيم يظهر ان سكانها كانوا ينقسمون الى طبقتين هما : المواطنون ، والغرباء . فالطبقة الاولى تشمل كلا من السكان الاصليين والتجار الفينيقيين ، والطبقة الثانية تشمل العبيد والمهاجرين غير المستقرين، وتدير المدينة طبقة الاهالي والتجار التي تنقسم الى طوائف حسب الحرف وهم الذين تتكون منهم الجمعية العمومية وعلى رأس هذه الجمعية كان قاضيان يعرفان بالسوفات Suffètes (١) ينتخبان من طرف الجمعية العمومية لمدة سنة . ويقضيان بين مختلف طبقات سكان المدينة .

٣ ــ الاقتصاد :

من المعروف ان الفينيقيين اشتهروا بالتجارة ، وعلى هذا الاساس لابد ان تكون مدينة ايكوسيم فى العهد الفينيقي مدينة بحرية تجارية بالدرجة الاولى . وهى فى موقعها تمثل نقطة الالتقاء بين البضائع البرية والبحرية ، ومنها لابد ان تتغير وسيلة النقل ، وشأنها فى ذلك شأن المدن التي جمعت بين ميزة البر و البحر ، لذلك لم تكن العلاقات التجارية لايكوسيم مقتصرة على السكان الاصليين فقط ، بل ومع سكان شواطيء وجزر البحر المتوسط ايضا ؛ وتؤكد هذا الحكم الآثار الفينيقية التى وجدت بالمدينة من قطع فخارية ترجع للقرن الثالث اما قبل الميلاد ، صنعت في ايطاليا الجنوبية او بلاد اليونان او جنوب فرنسا ، ولاشك انها جاءت الى مدينة الجزائر عن طريق التجارة .

---

(١) السوفات : كلمة لاتينية تدل على اصحاب المجلس الاعلى للقضاء فى قرطاجنة وصور.

وكانت هذه التجارة في فترتها المبكرة من نوع التجارة الصامتة او المقايضة ثم تطورت الى استخدام النقود ، وذلك بعد ان صكت فينيقية نقودها من البرونز في القرن الرابع قبل الميلاد ، ومن الفضة في القرن الثالث قبل الميلاد .

وكانت البضائع التي تتبادل في اسواق ايكوسيم ترد الى المدينة عن طريق البحر مثل بضائع النسيج ، والحلي ، والفخار ، والاسلحة ، والخمور ، والعطور ، اوترد عن طريق البر وهي البضائع التي كان يأتي بها السكان الاصليون مثل المنتوجات الحيوانية من اصواف وجلود وعاج ، ثم منتوجات زراعية ، وهذه بعد ان اخذ السكان الاصليون حرفة الزراعة عن الفينيقيين الذين نظموا لهم جدولا زراعيا ، وطوروا لهم الآلات الزراعية ، وحينذاك صارت الخمور والحبوب والزيتون من البضائع الواردة الى ايكوسيم من البر ، والمصدرة الى الخارج عبر البحر من ميناء ايكوسيم ، ويظهر ان حرفة الصناعة كانت تحتل دورا ثانويا في اقتصاد المدينة وكانت تقتصر على صناعة الاواني ، والمصابيح من الفخار والخزف وترميم السفن ، وصناعة الحبال ، واغلب ما يحتاج اليه الملاحون الفينيقيون .

الفصل الثاني

المرحلة الرومانية

ايكوسيوم الرومانية

١ – العمران :

ان الآثار الرومانية لمدينة ايكوسيوم وان كانت قليلة الا انها اكثر وفرة من الآثار الفينيقية ، ولنفس السبب ترجع قلة الآثار الرومانية للتغييرات و الاصلاحات التي ادخلت على المبانى وما أدت اليه من تهديم بعض المنازل لانشاء طرق او شوارع او مبانى اخرى جديد ، تتلاءم والعصر ، وبالخصوص فى عهد الاحتلال الفرنسى الذي طمس الكثير من الآثار الرومانية ، فزاد هذا من تغيير معالم المدينة القديمة .

ويجدر بنا فى تحديد ابعاد ايكوسيوم وعمرانها في العهد الروماني ان نفرق بين الآثار المتنقلة والآثار الثابتة ، فمن الآثار الثابتة الاسوار ، والمقابر ، والطرق ، وعلى ضوء هذه الانواع الثلاثة يظهر ان مدينة ايكوسيوم توسعت فى العهد الروماني عما كانت عليه فى العهد الفينيقى . وان توسعها على المحور الافقي كان اكثر منه على المحور الرأسى ، اي ان الامتداد العمراني كان من الغرب الى الشرق اكثر منه من الشمال الى الجنوب ، ذلك لنفس العامل الطبيعي من شدة الانحدار فى الجهات الجنوبية ولوجود البحر فى الجهات الشمالية . ولنبحث عن هذا التوسع في الاسور والمقابر والانهج .

أ – الاسوار : لقد كانت المدينة محصنة بسور قوي خرب البعض منه فيرموس الثائر البربري في القرن الرابع للميلاد كما سبق ، ثم زاده الوندال تخريبا في القرن الخامس للميلاد ثم الاحتلال الفرنسي ولم تبق منه فى الوقت الحالي الا بعض الاجزاء اوالخرق والرسوم المتقطعة فى مواضع محصورة للغاية ، وهي في بعض الاحيان عبارة عن اسس لأسوار حديثة رفعت على انقاض اسوار عتيقة لذلك لاتظهر للعيان الا بعد الحفر وقد عثر على رسوم لسور روماني

فى الجهات العليا من نهج الوناس ارزقي(Rampe Vallée سابقا) بالقرب من سجن بارباروس ووجدت آثار اخرى عند ملتقى نهجي عمر على(Randon سابقا) والوناس ارزقي ، ورسوم اخرى في الشعبة الفاصلة بين ثانوية الامير عبد القادر وجامع سيدي عبدالرحمن ، ورسوم لجدار سميك روماني عند الزاوية الشمالية الغربية لنفس الثانوية، كل هذه الرسوم تدل على ان السور الرومانى كان موجها في هذه الزاوية من الشمال الى الجنوب، هذا بالنسبة للجهات الغربية والشمالية. اما في الجهات الشرقية والجنوبية فقد عثر على آثار لسور روماني فى منطقة ساحة بورسعيد سنة ١٨٧٠ اثناء هدم ثكنة الانكشارية بباب عزون وبناء الثانوية القديمة . كما عثر سنة ١٨٤٦ في نفس المكان على صخور تدل انها كانت لسور روماني ، ولوحظ اثناء هدم الجدار الشرقي للسور التركي، وعلى طول شارع وريدة مداد حاليا(Gambetta سابقا) والهدم كان في عهد فرنسا لتوسيع المدينة ، لوحظ آثار لسور روماني بنى على اساسه السور التركي ويظهر من الآثار ان اتجاه السور الرومانى فى هذه الجهات كان من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى . اما من الجهات الشاطئية فقد عثر على صخور ترجع الى سور رومانى ايضا .

والمتتبع لرسوم الاسوار الرومانية هذه يستنتج ان حدود عمران ايكوسيوم كان لايتعدى فى جهاته الشرقية الشاطىء الشرقى وحى باب عزون ثم ساحة محمد التورى (La Charte سابقا) ثم شارع وريدة مداد ، وفى الجنوب شارع الباب الجديد ، وفي الغرب شارع حدة عبد الرزاق ثم ثانوية الامير عبد القادر ، وفى الشمال شاطىء البحر بالطبع .

وحسب هذا السور الرومانى القديم فان اقليم العمران كان يحتل موضع ايكوسيم الفينيقية وزيادة كثيرة فى الجهات الشرقية وزيادة قليلة في الجهات الجنوبية ، وزيادة قليلة جدا فى الجهات الغربية اما من الجهات الشمالية فكان البحر يعوق امتداد المدينة .

ب — المقابر : من المعروف ان القانون الروماني كان يحرم دفن الاموات داخل المدينة او فى وسط الاحياء السكنية ، وعلى ذلك فان الموضع الذي اكتشفت فيه اضرحة رومانية يدل على انه كان غير معمور ، وليس من الاحياء السكنية ، وعلى هذا الاساس يمكن تحديد امتداد الاحياء السكنية لايكوسيوم من الغرب الى الشرق ،

بالمقبرة الرومانية ، التي كانت تحتل موضع حديقة سيدي عبد الرحمن حاليا ، والتي اكتشفت سنة ١٨٦٨ (١) اثناء تسوية الارض وازالة مقبرة الديات لمد العمران نحو باب الوادي، وقد وجدت في هذا الموضع ، الذي يعد الحدود الغربية للمدينة ، اضرحة رومانية على اعماق ستة امتار من تحت الاضرحة التركية ؛ كما وجدت عدة اضرحة اخرى رومانية على اعـماق مختلفة تتراوح بين ٨ و ١٢م اثناء حفر اساس ثانوية الامير عبد القادر سنة ١٨٦٢ . اما في الجهات الشرقية فقد وجدت ايضا اضرحة رومانية في موضـع ساحة بور سعيد سنة ١٨٧٠ عندما اريد اصلاح حي باب عـزون وتجديد مبانيه ، مما يدل على ان الحدود الشرقية لايكوسيوم كانت يتفق والنهاية الشرقية لنهج باب عزون .

ج — الانهج : ان اعمال الحفر للبناء في عهد الاحتلال الفرنسي دلت على وجود عدة انهج ترجع لعهد الرومان ، وكانت ممتد في اتجاهات مختلفة للمـدينة ؛ من اهمها ١ — نهج روماني كان يمر امام الجامع الكبير من الشمال الى الجنوب يربط بين ساحة الشهداء ورصيف خير الدين . ٢ — نهج كان يمتد في اتجاه نهج القصر القديم . ٣ — نهج كان يسير ونهج القناصلة . ٤ — نهج كان يقطع نهج أورليون بزاوية قـائمة على بعد نحو الاربعين متر من نهج لامارين . ٥ — شارع كان يمتد من الشرق الى الغرب وهو اهم الشوارع السابقة ، اذ يتراوح عرضه بين ٥،٦٠م و٥،٨٥م ، وله حافة ورصيف من صخور مكعبة ، ويتفق امتداد هذا الشارع وامتداد نهج بـاب عزون ـ باب الوادى حاليا ، ويظهر انه كان الشارع الرومانى الرئيسي بالمدينة ينتهى ببابين ، اهداهما في الشرق والاخرى في الغرب ، ويعد جزءا من الطريق الرئيسى الواصل بين المستعمرات الرومانية في غرب ايكسيوم مثل تيبازة وايولة القيصرية والمستعمرات الرومانية في شرق ايكوسيوم مثل Rusuganae (تامنفوست) و Rusucru (دلس) Iommium و (تيغـــزيرت) و Cirta (قسنطينة) . ٦ — شارع كان يمتد من باب الجزيرة فساحة الشهداء ثم القصبة ليخرج في جهات الباب الجديد ومنه نحو الابيار ثم نحو سهل متيجة متجها من الشمال الى الجنوب

(1) Bergrugger. A. Notice P. 45 Devoulx. L.L. p.p 389-390

وفي المقارنة بين خريطة الانهج لمدينة الجزائر سنة ١٨٣٠ وخريطة لآثار الانهج الرومانية يظهر بوضوح ان الجزائر الاسلامية طبعت فوق المدينة الرومانية والفينيقية وذلك حتى فى اتجاه الانهج التي ظل مفعولها واضحا للعيان الى يومنا هذا (١) . ويظهر ان عمران مدينة الجزائر فى العهد الروماني كان مقسما الى احياء حسب طبقات المجتمع لاحسب الحرف كما فى العهد الاسلامي . وكان للكنيسة الدور الاكبر فى تنظيم وادارة المدينة لذلك خصص لها موضعا فسيحا ، واعتنى ببنائها كما اعتنى ببناء الحمامات منها حمام وجدت آثاره بالقرب من جامع كتشاوة .

ويلاحظ من جهة اخرى ان كثافة الانهج لمدينة ايكوسيوم كانت شديدة في حي باب الجزيرة ، وقليلة كلماتقدمنا الى الاطراف كما تبينه الخريطتين في صفحتي ٥١و٦١ ، ممايدل على ان العمران كان شديدا في موضع ايكوسيم الفينيقية وخفيفا في الاطراف ، وان حي باب الجزيرة كانت تعمره الطبقة الفقيرة المزدحمة من الاهالي ، اما اطراف المدينة فكانت للمهاجرين الايطاليين الذين كانوا يمثلون نسبة ضئيلة من مجموع سكان المدينة ، واختاروا السكن خارج الاحياء الشعبية حتى لايندمجوا مع الاهالى ، فتذوب شخصيتهم ، وشأنهم فى ذلك شأن الطبقة المتسعمرة . أما خارج اسوار المدينة فكانت الديار منتشرة هنا وهناك ، فى الجهات العليا من القصبة ، وفى الابيار والحامة ، وبلكين ، وكانت لكل دار بئرها وصهريجها وحديقتها الخاصة ، تحيط بها اشجار كثيرة ومزروعات متنوعة .

٢ ــ السكان

أ ــ هجرة الرومان :

بعد ان وضعت روما مدينة ايكوسيوم تحت قبضتها لم تبادر بتهجير الرومان اليها بل ظلت تحكمها لمدة تزيد عن القرن بواسطة اتباعها من الملوك الاهالى او البربر . والسبب في ذلك يرجع الى ان روما لم يكن لها فائضا سكانيا في تلك الفترة التاريخية ولانها أكلت ابنائها فى مد نفوذها خارج شبه جزيرة ايطالية وفى حروبها الاهلية التي تلت سقوط الجمهورية اوفي اواخر

(1) M. Le Glay: a la recherche d'Icosium . Paris. 1968. PP 16 a 52

القرن الاول لما قبل الميلاد لذلك اكتفت فى اوائل احتلالها لمدينة الجزائر بارسال عدد قليل من رجالاتها الايطاليين الى المستعمرة، للاشراف على الادارة، وتطبيق القوانين ومتابعة اهواء السكان فى مدى ولائهم لروما ، ومراقبة الملوك الاهالي فى مدى اخلاصهم والخدمات التي يقدمونها لحكام روما .

وفى اواخر النصف الثاني من القرن الاول لما قبل الميلاد بدأ مشروع الاصلاح الزراعى ، الذي جاء به الاخوان Gracchus (محاميان رومانيان) يحرك الهجرات الايطالية نحو المستعمرات، واقتصرت في هذه الفترة على طبقة الجنود القدماء من الذين اتموا خدماتهم العسكرية وعرفوا بالفيتيران Veterans (١) . وبعد ان قضت روما على الملك بطليموس، وهو آخر ملك من سكان بلاد الجزائر، ازدادت هجرة الرومان نحو المستعمرات ، ومنها نحو ايكوسيوم التي منحت حينذاك قانون الاحياء اللاتينية فى عهد اسرة الفلافين ، أوفى أواخر القرن الاول للميلاد، وهو قانون ينص على المساواة بين افراد الطبقات الرومانية المهاجرة في الحقوق والواجبات ، و الارتقاء فى مناصب الحكم، ودفع الضرائب ، والتزواج ، والتجنيد والانتخابات الخ ... ولم تنل مدينة ايكوسيوم هذا الحق لو لم يكن بها عدد كبير من المهاجرين الرومانيين والى هذه الفترة ترجع الكتابة الرومانية التي وجدت بالمقبرة الرومانية في حديقة سيدي عبدالرحمن سنه ١٩٠٩ وقد نقل منها الاتي (٢)

T. FL SEXTVS. MII. LEG III FFF FL-STIP XXVI PIXI T. ANNIS LFL. RESTVTV. H. BMFC

ومعناها ان فلافيوس سكتوس، الذي يرجع الى الفيلق الرابع، وخدم الجندية لمدة ٢٦ سنة ، جاء الى موريطانيا للاشتراك فى احباط بعض القلاقل . ويظهر من الآثار الرومانية العديدة، التي ترجع الى هذه الفترة فى مدينة ايكوسيوم، ان الهجرات الرومانية بلغت اوجها في عهد اسرة الفلافين ، وربما وصل عدد سكان مدينة ايكوسيوم فى هذه

---

(١) Vetrans كلمة لاتينية ، يراد بها الجنود القدماء . مأخوذة من Vetus ومعناها vieux .

(2) Ghsell. S.B.C.T.H. 1909. P. 180. et Berbrugger. A. Revu Africaine T. 6. 1862. PP. 233-315

الفترة الى حوالي الاربعة الاف نسمة منهم نحو حوالي السدس كانوا من المهاجرين الرومان والباقي من الاهالي او العبيد الذين حافظت عليهم روما لتسخيرهم في الخدمات الرومانية وجمعتهم حول المستعمرات حتى يسهل عليها تجنيدهم في وقت الحاجة . وكان سكان المدينة من الاهالي اقرب الى الريفيين منهم الى الحضر . وكانت نسبة الولادات والوفيات عند الاهالي اكثر منها عند الجاليات الرومانية كما تؤكده الآثار الرومانية .

ب ــ الطبقات و نظام الحكم

كان سكان مدينة الجزائر ايكوسيوم فى العهد الروماني ينقسمون الى طبقات منهم المهاجرون الرومان ويمثلون الاقلية ، ثم الاهالي ويمثلون النسبة المرتفعة ، ثم العبيد الذين اختلف عددهم من فترة لاخرى ، ولكل طبقة حقوقها الخاصة بها ، وبالطبع كانت السيادة للجاليات الرومانية وهي الطبقة المحظوظة فى الحقوق والواجبات منها الاسياد وحكام المدينة وملاك الاراضى ، و للباقى الاعمال الشاقة ، والحقوق المضبوطة اوالمجحفة ، والواجبات العديدة والمعاملات السيئة .

وكان نظام الادارة للمدينة يختلف من فترة لاخرى ، فقبل منح ايكوسيوم حق الاحياء اللاتينية كانت تشرف عليها مدينة شرشال العاصمة وهي بذلك كانت تابعة للملوك من الاهالي الموالين لروما ، ثم بدأت تستقل عن مدينة شرشال بضعف نفوذ الملوك الاهالي ، وبعد ان منحت ايكوسيوم حق الاحياء اللاتينية اصبحت تحكم نفسها بنفسها ، وتمثل مستعمرة بأتم معنى الكلمة ، لها مركز هي المدينة ، وضواحي تمتد حتى سهل متيجة . ويتركب نظام الحكم فيها من قاض او شيخ المدينة ، الى جانب مجلس استشارى ومجلس عمومي .

فالقاضي فى اول الامر كان ينتخب سنويا من طرف المجلس العمومى ، ثم قل مفعول الانتخابات فى القرن الثاني للميلاد عندما اصبح على من يريد ان يحوز هذا المنصب ان تكون له اموال طائلة يستطيع بها ان يؤثر على الهيآت العليا ، وان يدفع بها ضريبة المنصب الى الادارة العليا . واختلفت مهمة القاضي من فترة لاخرى ، ففى القرن الاول و الثاني للميلاد كانت مهمته الفصل بين المواطنين و المستوطنين في القضايا البسيطة

المحلية ، ثم فى القرن الثالث اصبحت كل القضايا تعرض على الوالي العام او المندوب الذي حل محل شيخ البلدية . وفى القرن الرابع غير نظام الولاة الى نظام المحامين او المدافعين الذين اصبحوا يعينون من طرف روما ، وكانت مهمتهم الاشراف على القضايا العليا للمدينة ومباشرة الاحكام القضائية . وفى القرن الخامس للميلاد اعطى الحق لسكان المدينة فى انتخاب محاميهم على شرط ان تكون الموافقة في الاخير للامبراطور الروماني (١)

والمجلس الاستشاري يتكون من اعيان سكان المدينة الذين سبق لهم ان احرزوا على منصب القضاء وهو الجهاز التنفيذي للمدينة ، يعين اعضاؤه لمدى الحياة من الشيوخ الذين لهم دراية بامور المدينة ، اذ المجلس الاستشاري هو الذي بيده السلطة العليا وهو المشرف على تنظيم المدينة من أمنها ، وحراستها ليلا ، واعداد للحفلات الرسمية ، والعبادات العامة ، ومراقبة الاسواق والموازين والمكاييل ، وتحديد الاثمان ، و تنظيم التموين ، وتصليح المجاري المائية وبناء الطرق الخ ...

ج ــ الديـــانة

دخلت الديانة المسيحية الى ايكوسيوم عن طريق البحر في العهد الروماني ، وربما يرجع ذلك الى النصف الاول من القرن الثالث للميلاد حيث عثر على اقدم كتابة اسقفية بمدينة تيبازا للاسقف Rasinia Secunda الــذي مات في ١٠/١٧/٢٣٨م . وكانت لمدينة ايكوسيوم كنيسة عظيمة اشار اليها البكري في كتابه المسالك و الممالك في قوله «وكانت بمدينة بني مزغنة كنيسة عظيمة بقى منها جدار مدور من الشرق الى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين ، مفصص ، كثير النقوش والصور » . وكان للمدينة اسقف وهو رئيس الديانة المسيحية ، ومن اشهر اساقفة ايكوسيوم الاسقف كريسانس Crescens الوهبي الذي شارك فى المؤتمر المسيحي المنعقد بقرطاجنة في مايو سنة ٤١١م وكان يضم هذا المؤتمر ٥٤٥ بطريركا منهم ٢٦٦ يتشيعون للكنيسة الكاثوليكية و ٢٧٩ يتشيعون للمذهب الوهبي او الدوناتى «والدوناتي نسبة الى مؤسسه Donat le grand (٢) قسيس

(1) A H. M. Jones : The Cities of the romain empire. P. 174
(2) A. Julien : H. de l'Afrique du Nord. des orig'nes a la conquête Arabe. P. 245

قرطاجنة الذى أسس هذا المذهب في القرن الرابع للميلاد وكان يزعم انه هو الخليفة للحواريين» وكانت بين المذهبين الكاثوليكي والوهبي ، خلافات شديدة ، اقوى مما حدث فيما بعد بين البروتسان والكاثوليك في العصور الوسطى ، وكان اغلب السكان في شمال افريقية يعتنقون المذهب الوهبي لانه يدعو الى المساواة، على عكس المذهب الكاثوليكي الذي استعانت به روما لاخضاع السكان ، و بالتالي كانت الكنيسة الكاثوليكية المركزة فى قرطاجنة تحارب الوهبيين les donatistes ، وخضع لها الناس على مضض وكراهية منهم الاسقف Laurentus الذي كان رئيسا للكنيسة بمدينة ايكوسيوم وشارك في المؤتمر الكنائسي المنعقد بقرطاجنة سنة ٤١٨م ، ثم القسيس Victor الذي انتدبته مدينة ايكوسيوم لتمثيلها في المؤتمر الكنائسي المنعقد بقرطاجنة ايضا سنة ٤٨٤م اثناء فترة احتلال الوندال ، وهو آخر مؤتمر كنائسي في شمال افريقية انتهى بكارثة على المسيحية فى كامل البلاد، حيث أمر الملك الوندالي Henric ، اثر هذا المؤتمر، حل الكنيسة المسيحيه الى الابد، و متابعة اصحابها؛ ومن هذه الفترة ضعفت الديانة المسيحية بمدية ايكوسيوم الى ان جاءها الاسلام عن طريق البر ؛ فاعتنقه السكان ، واقبلوا عليه بثقة تامة وطواعية خالصة ، لما وجدوا فيه من مساواة ، ظل يبحث عنها السكان الاصليون مدة طويلة من الزمن .

٣ ــ الاقتصـــاد

أ ــ الزراعـــة :

ان مدينة ايكوسيوم فى العهد الرومانى ظلت منطقة استغلال لروما اكثر منها منطقة عمران ذلك ان الذين هاجروا إليها من الرومان كان عددهم قليلا اذا ما قورنوا بالسكان الاصليين ، وكان هدفهم كـسب الثروة وظلت الارض هي اساس الثـروة ، والزراعة هي اهم مورد اقتصـادي، فانتزعت روما الاراضى من الاهالي ومنحتها لقمة سائغة الى المهـاجرين الرومان ، أوأضافتها الى املاك الامـبراطورية وبذلك اصبحت الاراضى فى مدينة الجزائر وضواحيها تتقاسمها طبقـة المهاجرين الرومان الذين عرفت ملكـياتهم بالملكيات الخـاصة private Saltus والـذين

قال عنهم بلين Pline المؤرخ الرومان ان ستة معمـــرين كانوا يتقاسمون جل اراضي شمال افريقية ، ثم املاك الامبراطورية Saltus Impeiloux التي انتزعتها الـدولة مـــن القبائل وكانت تشمل معظم الاراضي الخصبة . اما طبقة الاهالي فقد طردوا الى الهوامش والاراضي الرديئة و بذلك تحولوا الى عمال لدى المعمرين الرومان . وكانت الـدولة تكتري املاكها الى مدبرين او مسيرين Conductores لمدة خمس سنوات وهؤلاء يكترونها الى الاهالي ، وعلى الجنود حماية المدبرين لتمكينهم من دفع التزاماتهم وجمع المنتوج من الاهالي ، وكان هؤلاء المدبرون ينتقون من الشخصيات العظيمة ، ومن الطبقـــة الراسمالية التي لها تأثير على كامل دوائر الحكومة ، وليس لها شفقة ولا رحمة على الطبقة الفقيرة من الاهالي . ولم تهتم الامبراطورية الرومانية بتطوير الزراعة فى شمال افريقية اهتمام من سبقوها من الفينيقيين ، بل اكتفت باقتباس الفن الزراعي الذي جاء به العالم الفينيقي Magon و كان بارعا فى هذا الميدان وألف فيه كتبا ترجمت الى اللاتينية ، وربما هذا يرجع الى ان الحضارة الزراعية الفينيقية كانت ارقى من الحضارة الزراعية الرومانية ، على ان الرومان بطول المدة توسعوا فى مد شبكات الري واشتهروا بحفر الآبار وعرفوا ببناء السواقي لتموين المستعمرات والمدن بالمياه . ومن اهم هذه السواقي باقليم الجزائر ساقية شرشال التي مازالت آثارها الى يومنا هدا ، بلغ طولها نحو الاربعين كيلومترا وكانت تعبر الاودية على جسور واقواس واسعة ومرتفعة، مبنية بالآجر والصخور المنحوتة . واهتم الرومان ببناء الصهاريج ، لجمع مياه الامطار ، وتموين المدن والمزارع بهذه المياه في وقت الحاجة ؛ وانشأوا المستعمرات حيثما ظهرت الينابيع ، ويذكر بلين ان المحرات الخشبي هو اهم الوسائل او الآلات التي كانت مستعملة فى حرث الارض وقلب التربة ، وكان هذا المحراث يجره حمار جموح الى جانب امراة .

وفى القرن الاول للميلاد اجبرت الدولة الرومانية سكان مستعمراتها على الاكثار من زراعة الحبوب ، وبالخصوص القمح الصلب ، ليمكنها ان تمون سكان مدينة روما الذين تكاثروا فى عهد اغسطس ، واصبح عددهم يربو عن ٢٠٠ الف نسمة وقدر استهلاكهم

الشهرى بنحو مليون Boisseaux (١) . وكانت الاراضي بشبه جزيرة ايطاليا اذ ذاك قد استنزفت خصوبتها ، واهمل جلها لتجنيد الفلاحين في التوسع الروماني ، فتحولت الاراضي بايطاليا الى مستنقعات وغزتها الاحراش ، واصبح من الافيد ان تبحث روما عن منطقة اخرى لتموين سكانها بالمواد الغذائية ، وحينذاك وجدت من شمال افريقية خير مطامرها لانها مستعمرة تعطي الكثير بالمجهود القليل لخصوبة ارضها ، وتوفر كل الظروف الطبيعية الملائمة للتوسع الزراعي بها ، حينذاك امرت بالتوسع في زراعة القمح والتقليل من بقية المزروعات . وقد زاد من التشجيع على زراعة القمح فى الجزائر ارتفاع نسبة المنتوج حيث يذكر بلين ان الحبة الواحدة المزروعة كانت تنتج ١٥٠ حبة بل تزيد عن ذلك في سنوات الوفرة . وكان جزء من هذه الحبوب ، يجمع فى المخازن للاستهلاك المحلي وتموين الجيوش الرومانية في شمال افريقية ، والجزء الباقي يسلم للدولة او للشركات الرومانية لتصديره الى روما ، ونظرا لوفرة الانتاج فان الجزائر كانت تدفع ضرائبها الى روما فى شكل حبوب . وفى القرن الثاني للهجرة توسعت روما في زراعة الكروم الى جانب الغلال المجففة مثل الفول والعدس والحمص ، والخضر مثل البصل والخردل ، والبطيخ ، كما عملت على التوسع في غراسة اشجار الفواكه مثل التين ، والرمان واللوز والكمثرى والجوز ، واشجار الزيتون بالخصوص . حتى اصبح غصن الزيتون رمزا للبلاد ولخيراتها . واعتنى السكان بتربية الحيوانات من دواجن واغنام وابقار وخيل بالخصوص حتى اصبح الفرس النوميدي مشهورا لدى الرومان في خفته ، وسرعة عدوه ، يختاره الرومان فى الرهان بروما عن غيره من بقية خيل المستعمرات ، وهناك قصص تدور حول الفارس النوميدي الذي كسب الحلبة عدة مرات في روما . والخلاصة ان سكان مدينة الجزائر فى العهد الروماني كانوا مرتبطين بالزراعة اكثر من ارتباطهم ببقية الحرف ولهذا كانت مدينة الجزائر اقرب الى القرية الريفية منها الى المدينة حسب التعريف الحديث للمدينة .

(١) Boisseaux وحدة الكيل للحبوب تساوي حوالي ١٦ ليترا .

الاستشارى والقضاة عند ترشيحهم مقابل هذه المناصب ، وقد أوكلت روما جمع هذه الضرائب في أول احتلالها للمدينة الى سكان المستعمرات أنفسهم ؛ ثم عينت بعد ذلك موظفين من روما وذلك بعد ان امت املاك الكنيسة وضمتها الى املاك الدولة التي كانت تؤجرها باثمان مرتفعة الى المهاجرين الايطاليين وهؤلاء يؤجرونها الى الاهالى باثمان اكثر ارتفاعا ، بحيث لايبقى للمكترين الاهالي في الاخير الا النزر اليسير ، وربما بقى عليهم دين مما يجعلهم في بعض الاحيان يتحولون الى عبيد . وباختصار فان اقتصاد المدينة في عهد الاحتلال الروماني كان موجها نحو خدمة الاقتصاد الاستعماري وبعيدا كل البعد عن تطوير البلاد وكان سكان المدينة من المهاجرين الرومان والجنود يعيشون على ظهر الاهالي من الفلاحين فى الريف ، ولم تكن المدينة مكملة فى اقتصادياتها للريف بل تستمد منه حياتها فى شكل ضرائب متنوعة دون ان تعوض الريف ما افتقده . وان جل دخل المدينة كان يذهب الى روما عن طريق مباشر مثل الضرائب او عن طريق غير مباشر مثل التجارة التي كان يشتري فيها التجار الرومان باثمان رخيصة منتوجات الاقليم ثم ينقلونها على متن سفنهم من ميناء الجزائر الى مواني ايطاليا ليعيدوا بيعها باثمان مرتفعة ، ثم ينفقون ارباحهم فى تطوير اقتصاد روما وبناء قصورها ، وتنظيم عمرانها .

الفصل الثالث

المرحلة العربية

الجزائـــر الاســـلامية

١ – مدينة الجـــزائر فى كتب الرحالة العـــرب :

اذا كان العهد الروماني فى بلاد الجزائر قد اشتهر ببناء المدن المحصنة لصد هجمات الثوار من سكان البلاد ضد الظلم الاستعماري فان العهد الاسلامي قد اشتهر بتنمية العمران المدني والاكثار من بناء المدن المحصنة وغير المحصنة ، ويتفق هذا مع نوع الحكم الذي انشأه الاسلام فى البلاد التي دخلها المسلمون ، فالاسلام قد نشأ في مدينة مكة ثم ترعرع فى مدينة يثرب ، وكانت له اول دولة فى يثرب ثم منها خرج الى الريف وبذلك انتقل من الحضر الى البدو ؛ ولانبالغ ان ذكرنا ان المدينة كانت المصنع الاول للحضارة العربية طوال عصر الخلافة وما بعده من عصور ازدهار بالنسبة للمدن العربية وعصور الظلمات بالنسبة للمدن الاوربية .

ولتتبع تطور مدينة الجزائر فى العهد الاسلامي الاول يجدر بنا ان نستعرض الروايات او ما جاء عن الرحالة العرب عن هذه المدينة ، وعلاقاتها بالمناطق المجاورة لها ، وهي روايات تنتهي الى ان المدينة كانت تحتل المرتبة الثانوية في ترتيب مدن بلدان المغرب العربي ، ولم يكن لها شأن يذكر فى مطلع الفتح الاسلامي ، حتى لم يتعرض لها المؤرخون في هده الفترة ، ولم يوردوا شيئا عن فتحها ، وقد اغفل ذكرها الرحالة العربى اليعقوبي ، الذي زار سنة ٢٠٨ هـ/٨٢٣م جل مدن بلدان المغرب العربى فى عهد الدولة الرستمية وذكر فى كتابه « كتاب البلدان » ما يلي بتصرف : فى سهل متيجة مملكة علوية مزدهرة، كثيرة الزراعة والمدن والحصون ، من اهمها مدينة سوق حمزة (البويرة حاليا) ومدينة مدقرة (مليانة حاليا) ، والخضرة (عين الدفلة حاليا) ، وسوق ابراهيم (عند ملتقى وادى اسلى بوادي الشلف) . وتلمسان . وتمليلس ، ومغنية . وفلوسف ، (ندرومة حاليا)

وهؤلاء العلويون ينتسبون الى الحسين بن علي بن ابى طالب ، فحمزة صاحب البويرة هو علي حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وعلي حمزة كان حاكما على سهل متيجة وما جاوره ...

و اغفال اليعقوبى لذكر مدينة الجزائر يدل على دورها الهامشي في مدن السهل المتيجي في ذلك الوقت ؛ اذ كانت مدينة البويرة عاصمة المملكة العلوية تليها بقية المدن التي ذكرها اليعقوبي وهي مدن ، كما يلاحظ عليها ، داخلية ، تتماشى وتركيز العمران الاول للفتح الاسلامي ؛ ذلك ان القاعدة للمدن والعواصم العربية ، في الفترة الاولى للفتح الاسلامي ، كانت تختار المواقع الداخلية، مثال لذلك القيروان ودمشق، وفاس، وتيهرت. وربما هذا يرجع الى ضعف العرب في هذه الفترة فى قوتهم البحرية التى يمكنها ان تحمي المدن الاسلامية الساحلية . لذلك نهى عقبة بن نافع ، مؤسس القيروان ، نهى عن الاستقرار الاسلامى فى المدن الساحلية (١) ، ومدينة الجزائر لم ترد فى قائمة المدن العربية الا بعد ان تقوى الاسطول الاسلامي ، ويعزز هذا الرى انه لم يتعرض لها كل من ابن خرذذبة (٢٣٠ - ٢٧٠هـ) فى كتابه المسالك والممالك ، ولا ابن الفقيه الحمداني (توفى سنة ٢٩٠هـ) في كتابه البلدان ، ولا ابن رسته (توفي سنة ٢٨٩هـ) فى كتابه الاعلاق النفيسة .

ولقد اخذت مدينة الجزائر تسترجع مكانتها وتفرض دورها العمراني فى عهد الدولة الصنهاجية التي، وان كانت لم تتخذ منها عاصمة للبلاد الا انها، اعادت تجديد بنائها على يد بلكين بن زيري بن مناد سنة ٣٣٩هـ ـ ٩٦٠ ميلادية ، ولا ندري مدى اتساعها في هذه الفترة لكن يظهر ان بلكين شد أسوارها ، وأمن سكانها ، ومد عمرانها ، ونظم اقتصادها وزادها علاقة بضواحيها الى ان اصبحت تجلب انظار الرحالة العرب ؛ فتحدثوا عنها وتعرضوا لازدهارها الاقتصادي ، وعددوا محاسنها ، امثال ابن حوقل في كتابه المسالك والممالك (٢) ، والمقدسي (٣) ٣٣٩هـ ـ ٤٧٨هـ في كتابه احسن التقاسيم فى معرفة

---

(١) حسن بن محمد الوزاني : وصف افريقية . ج ٢ ص ٤٣

(٢) ارجع الى ص ١٥٨ . وابن حوقل هو محمد بن حوقل البغدادي طاف ==

الاقاليم الذي يذكر ما يلي : «هذا الاقليم (اي اقليم المغرب) بهي ، كبير سرى (اي سخى) كثير المدن والقرى ، عجيب الخصائص والرخاء ، به ثغور جليلة ، وحصون كثيرة ورياض نزهة ، وبه جزائر عدة .. قد غابت فى الزيتون مدنه ، وبالتين والكرمات ارضه تجري خلالها الانهار ، وتملأ غيطانها الاشجار ... اما افريقية فقبضتها القيروان ومن اهم مدنها ... المسيلة ، اشير ، سوق حمزة ، جزيرة بني زغناية ، متيجة ، تنس ، سوق ابراهيم الغزة ، القلعة ، مرس الدجاج ، اشير ... وجزيرة بني زغناية على ساحل البحر ، مسورة يعبر منها الى الاندلس ، واهم عيون ، ومتيجة فى مرج لهم ماء جار ، عليه ارحية ، وشعبة من النهر تدخل الدور ، كثيرة البساتين (٤) » .

والمقدسي فى كتابه المذكور لم يتعرض الا لأهم المدن فى المغرب العربي كما يؤكد هذا بنفسه ، لذلك كانت جزيرة بنى زغناية وهي جزائر بني مزغنة من اهم المدن . ويلاحظ من حديث المقدسي ايضا ارتباط تطور المدينة بالبحر حيث انها اصبحت في هذه الفترة مشهورة لكونها نقطة عبور الى بلاد الاندلس . اما ابن حوقل فقد زار مدينة الجزائر قبل المقدسي بسنوات قليلة وتعرض فى كتابه المسالك الى اسواقها وتجارتها ووصفها بالكثرة ، واتصالها بالقيروان . ومن حديثي المقدسي وابن حوقل يظهران جزائر بنى مزغنة زادت علاقاتها فى هذه الفترة بالضواحى والمدن المجاورة لها والبعيدة عنها حتى القيروان وبلاد الاندلس .

وفى القرن الخامس للهجرة تعرض ابو عبيد البكرى الاندلسى (٥) ، (المتوفى سنة

== بالاقطار الاسلامية نحو ٣٠ سنة وخرج من بغداد سنة ٣٣١هـ - ٩٤٢م ودخل مدينة الجزائر سنة ٣٣٧هـ - ٩٤٨م .

(٣) المقدسي هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد ، وسمي بذلك لأصله من بيت المقدس وقد اتم تأليف كتابه المذكور بعد ان زار بلدان المغرب العربي سنة ٣٧٥هـ - ٩٨٥م .

(٤) كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم من صفحة ٢١٥ الى ٢٢٨

(٥) ابو عبيد البكري الاندلسى له مؤلفات عديدة منها شرح امالي ابى على التالي ومعجم ما استعجم واعيان النباتات والشجيرات الاندلسية وكتاب المسالك والممالك .

٤٨٧هـ في سن كبيرة) الى جزائر بني مزغنة في كتابه المسالك والممالك حيث يقول : «جزائر بني مزغنى هي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار للاول وازاج (اقواس) محكمة تدل على انها كانت دار مملكة لسالف الامم ، وصحن دار الملعب فيها قد فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفسيفساء ، فيها صور للحيوانات باحكم عمل وابدع صناعة لم يغيرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون ؛ ولها اسواق ومسجد جامع ، وكانت بمدينة بني مزغنى كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدور من الشرق الى الغرب، وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين منصص كثير النقوش والصور ، ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد اليها اهل السفن من اهل افريقية والاندلس وغيرهما ، وهو مرسى مأمون ، مشتى جزيرة سطفلة من الشرق الى الغرب وبين البر» .

ومن هذا الوصف للبكري يتأكد لنا مدى ارتباط المدينة بالبحر ، وانها استعادت مكانتها بفضل علاقاتها البحرية التي اشتدت في عهد الدولة الحمادية (١) . ثم تقوت علاقاتها بالبر والبحر في عهد الدولة الموحدية ، حيث زارها الادريسي (٢) في هذه الفترة وهو صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الذي اكمله سنة ٥٤٧هـ - ١١٥٤م ويذكر فيه عن مدينة الجزائر ما يلي : «ومدينة الجزائر على ضفة البحر ، وشرب اهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار ، وهي عامرة آهلة ، وتجارتها مربحة ، واسوارها قائمة ، وصناعتها نافقة ، ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر ، وزراعتهم الحنطة

---

(١) حكمت الدولة الحمادية مدينة الجزائر من ٤٠٥هـ - ١٠١٤م الى ٥٤٧هـ - ١١٥٢م ثم سقطت مدينة الجزائر في يد عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين سنة ٥٤٧هـ . ثم الدولة الزيانية من ٦٣٣هـ - ١٢٣٦م الى ٩٢٢هـ - ١٥١٦م وفيها كانت مدينة الجزائر تتناوب حكمها الدولة المرينية تارة والحفصية تارة اخرى والدولة الزيانية في اغلب الاحيان الى ان سقطت في يد الاتراك سنة ١٥١٦م .

(٢) ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس من نسل الامام علي ولد بسبتة سنة ٤٩٣هـ - ١٠٩٩م ولما كبر طاف ببلدان شمال افريقية والاندلس واوربا وآسيا ثم استدعاه ملك جزيرة صقلية ، فعاش في جواره الى ان ادركته الوفات سنة ٥٦٢هـ - ١١٦٦

والشعير ، واكثر اموالهم المواشي من البقر والغنم ، ويتخذون النحل كثيرا ، فلذلك العسل والسمن في بلادهم كثير ، وربما يتجهز بهما الى سائر البلادوالاقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم ، واهلها قبائل ، ولهم حرمة (حماية) مانعة » . ومن حديث الادريسي يظهر ان المدينة بلغت أوج ازدهارها في عهد الدولة الموحدية والصنهاجية حيث توسعت ضواحيها ، وزادت مبانيها ، وكثر عمرانها ، وزادت ثروتها ، وراجت تجارتها .

وفي اواخر عهد الدولة الموحدية اخذت مدينة الجزائر تنحدر نحو التقهقر اذ زارها فى هذه الفترة عبد الواحد المراكشي (١) الذي ذكر عنها بعض السطور في كتابه المدون سنة ٦٢١هـ والمعروف بكتاب : المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، ما يلي : «من مدينة بجاية الى مدينة صغيرة، تدعى الجزائر وتنسب الى قوم يقال لهم بنو مزغنة» ، اما العبدري (٢) فيوضح هذا التقهقر جيدا فى كتابه الرحلة المغربية حيث يذكر عن المدينة ما يلي : «ثم وصلنا الى الجزائر وهي مدينة تستوقف لحسنها نظر الناظر ، ويقف على جمالها خطر الخاطر ، قد حوت مزيتي البر والبحر وفضيلتي السهل والوعر لها منظر معجب انيق ، وسور معجز وثيق ، وابواب محكمة العمل ، يسرح فيها الطرف حتى يمل ، ولكنها اقفر من المعنى المطلوب ، كما اقفر من اهله محلوب (اسم موضع بالجزيرة العربية) ، فلم يبق بها من هو من أهل العلم محسوب ، ولا شخص الى فن من فنون المعارف منسوب ، وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف كربه ، واديب يؤنس غربه ، فكأني أسأل عن الابلق العقوق (البغلة الحاملة) او احاول تحصيل بيض الانوق (بيض العقاب) » . ومن هذا الحديث

---

(١) عبد الواحد المراكشي ولد بمراكش سنة ٥٨١ وتعلم بمراكش وفاس ثم رحل الى الاندلس سنة ٦٠٣ ومنها خرج حاجا فطاف ببلدان شمال افريقية والمشرق العربي ثم توفى ببغداد .

(٢) محمد بن علي العبدري زار مدينة الجزائر وهو فى طريقه الى الحج سنة ٦٨٨هـ ١٢٨٩م ولد فى بلنسية التي خرج منها الى بلاد المغرب فى فترة كانت فيها مدينة الجزائر تحت حكم الدولة الحفصية .

يظهر ان مدينة الجزائر في نهاية القرن السابع للهجرة قد انحطت الى درجة ان قل عمرانها، وكسدت اسواقها، وانزوت على نفسها نتيجة للاضطرابات التي سادت بها من جراء تطاحن الدولتين الزيانية والحفصية عليها اذ كانت الجزائر تتبع تارة تلمسان وتارة تونس واخرى بجاية. وأفول مدينة الجزائر في هذه الفترة جعل الحجاج و التجار المغاربة لايرغبون كثيرا في الاقامة فيها، فابن بطوطة (١) لم يعتن في رحلته المشهورة سنة ٧٢٥هـ بذكر مدينة الجزائر وهو في طريقه نحو بيت الله الحرام مثل ما اعتنى بمدينة تونس مثلا بل انه لم يدخل مدينة الجزائر حسب قوله: «فوصلنامدينة الجزائر واقمنا بخارجها اياما» ويلاحظ من حديث ابن بطوطة ان مدينة الجزائر اصبح يطلق عليها مدينة الجزائر فقط بدون اضافة بني مزغنة إليها ذلك ان القبيلة البربرية القديمة بها قد تعربت بطول الزمن ثم ان الدين الاسلامي ألف بين قلوب العرب والبربر الى ان عادوا يكونون مجتمعا متلاحما ذابت فيه التميزات والفوارق. ولم تنتعش مدينة الجزائر قليلا الابعد ان اخذت الهجرات الاندلسية تتوارد عليها، وذلك في القرن الثامن للهجرة حيث زارها في هذه الفترة الشيخ البلوى (٢) سنة ٧٣٦هـ وذكر عنها ما يلي: «ولما طرزت طرز الظلام يد الاصباح، وارسل الفجر في رداء السحر خيط الصباح، اسرعنا مبادرين، وبادرنا مسرعين، وتفرقنا في سكك المدينة اجمعين، فرأيت محيا صبيحا، وترتيبا مليحا، ومسجدا عتيقا وبناء انيقا، واناسا قد سلكوا الى الحسن والاحسان طريقا، من مدينة قد احاط بها البحر احاطة السوار بالزند ...». واذا حذفنا المبالغة من حديث البلوي الذي حمله

---

(١) ابن بطوطة (١٣٠٤ - ١٣٧٧) تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ط. القاهرة ١٩٣٤ صفحة ٧.

(٢) هو القاضي ابو البقاء خالد بن عيسى البلوي، خرج من بلاد الاندلس سنة ٧٣٦هـ لتأديه فريضة الحج ومر بشمال افريقية وهو كثير النقل عن غيره من المؤلفين اذ يقول عنه لسان الدين بن الخطيب في كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة ما يلي: حج وقيد رحلته في سفر وصف فيه البلاد ومن لقيه بفصول جلب اكثرها من كلام غيره.

على ذلك السجع ، بقي لنا ان نذكر ان المدينة بدأت تسترجع حياتها ونشاطها فنظمت شوارعها واعتنى بمبانيها واستقر سكانها ، واطمأن عمرانها .

وفى فترة مطلع القرن العاشر للهجرة ، وهي آخر فترة للحكم العربي الاول بالمدينة زار مدينة الجزائر الحسن بن محمد الوزاني المعروف عند المسيحيين بليون الافريقي (١) Jean Leon l'Aricain او Johannis Leo de Medicis بعد ان اعتنق المسيحية ، وألف فى العشرينات من القرن السادس عشر للميلاد كتابه : وصف افريقية ؛ باللغة اللاتينية تعرض فيه لاهم المدن بالمغرب العربى و بالخصوص بلاد المغرب الاقصى وقد درسها دراسة جيدة ، وقد جاء فى قواه مترجم عن اللغة الفرنسية عن مدينة الجزائر بالخصوص ما يلي : الجزائر معناها الجزر ، وسميت المدينة بذلك لقربها من جزر ماجورقة وميورقة ويابسة ؛ لكن الاسبان اطلقوا عليها الجزائر؛ وهي مدينة قديمة، بنتها قبيلة بني مزغنة لذلك كان يطلق عليها قديما جزائر بني مزغنة ؛ وهي كبيرة جدا ، بها نحو ٤٠٠٠ موقد (كانون) لها اسوار عظيمة وفى منتهى المناعة ، مبنية بالحجارة الكبيرة ولها ديار جميلة ، واسواق منظمة ، لكل حرفة موضعها الخاص ، تكثر بها الانزال والحمامات ؛ ومن بين المنشآت الاخرى نجد معبدا انيقا وعظيما يوجد بالقرب من البحر ، وامام هذا المعبد ساحة جميلة

---

(١) الحسن بن محمد الوزاني الزياتي عربي الاصل ، ولد فى غرناطة سنة ١٤٨٩ ، وهاجر مع عائلته الى فاس بعد ان استولى فرديناند الكاثوليكي على مدينة غرناطة سنة ١٤٩٢ وشب الحسن مع عائلته في خدمة ملك فاس الذي قلد ابو الحسن عدة مناصب للدولة؛ ولما كبر الحسن عين سفيرا للدولة وكان يتنقل بين الجزائر والمغرب ، ثم خرج من فاس سنة ١٥١٥ حاملا لرسالة من ملك فاس الى سليم السلطان العثماني وفي طريقه زار مدينة الجزائر ثم زار مكة وفي رجوعه الى المغرب اسره Pietro Boyadiglia احد القراصنة الصقليين سنة ١٥١٨ وسلمه الى البابا Leon x الذي ارغمه على التمسح فى ١٥٢٠/١/٦ وظل بروما الى ان ادركته الوفاة ١٥٥٠ ؛ وانتهى من تأليف كتابه وصف افريقية بالايطاليا فى ١٠ مارس ١٥٢٦م بروما . وترجم كتابه الى عدة لغات منها الفرنسية والانجليزية .

بنيت فوق جدار المدينة ، الذي ترتطم به الامواج . ويرى حول المدينة بساتين واراضي مغروسة باشجار الفواكه ، وبالقرب من المدينة، وفى جهاتها الشرقية، يجري وادي اقيمت عليه مطاحين ، ويشرب منه السكان، ويستعملون مياهه فى حاجياتهم الاخرى (ويقصد به وادى الحراش حاليا) وسهول المنطقة جميلة جدا ، وبالخصوص ما يعرف منها بسهل متيجة الذي يبلغ طوله ٤٥ ميلا وعرضه ٣٦ ميلا ، يزرع فيه القمح الجيد الوفير ، وقد ظلت الجزائر مدة طويلة تحت حكم ملوك تلمسان ، وبعد ان نشأت مملكة بجاية (اي بعد وفاة السلطان الحفصى ابو فارس عبد العزيز سنة ١٤٣٠م انقسمت المملكة الحفصية الى مملكتين احداهما في تونس عليها ابو عمر عثمان والثانية فى بجاية عليها ابو الحسن علي) انحازت مدينة الجزائر الى مملكة بجاية لانها قريبة منها ، وبذلك انفصل سكان الجزائر عن ملك تلمسان الذي لم يستطع حمايتهم من ملك بجاية ، وبعثوا لملك بجاية ولاءهم وضرائبهم لدرء شره ، لكنهم فى ذلك شبه أحرار ، وسلحوا اسطولا للقرصنة ، أغاروا به على جزر يابسة وماجورقة ومينورقة وحتي السواحل الاسبانية ؛ لهذا ارسل لهم الملك فرديناند الكاثوليكى اسطولا لمحاصرة مدينة الجزائر . وقد بنى هذا الاسطول امام المدينة برجا عظيما يمكن منه اصابة كل اجزاء من اسوار المدينة بالاسلحة النارية ...»(١) .وأهم ما يؤخذ على حديث الحسن الوزاني انه اخلط في أصل الاشتقاق لجزائر بني مزغنة من جزر بليار، وربما هذا يرجع الى تقادم العهد لاسم جزائر بني مزغنة القديم ؛ وما عدا ذلك يعد كتاب وصف افريقية من أهم الكتب التي تعرضت الى مدينة الجزائر حيث ان المؤلف قضى فى المدينة عدة ايام، وبحكم وظيفته في السلك السياسي كانت له دراية تامة بحالة المنطقة ومدى اتصالها بما يجاورها من المدن ، وما نقله المهاجرون الاندلسيون الى الاقليم من تراث حضاري حيث يذكر فى هذا الشأن : «وكنت حاضرا بالجزائر اثناء أهم حوادثها ، وكنت مسافرا من فاس الى تونس ، وسكنت فى الجزائر عند السفير الجزائري الذي ارسل الى اسبانيا لجمع حوالي ثلاثة آلاف مخطوط عربي اشتراها من Sativa بمملكة بلنسية Valence ،

(1) Jean Leon l'Africain : Description de l'Afrique Traduit de l'Italien par A. Epaulard. Paris 1956 T. II. P. 348

ومن الجزائر ذهبت الى بجاية حيث وجدت بارباروس محاصرا لحصنها ، ومكثت هناك لاطلع على نهاية اعماله الى ان لجأ الى حصن جيجل ... (١) » .

٢ ـ تطـور المدينة فى العهد الاسلامي :

من خلال ما استعرضناه من كتب الرحالة العرب لمختلف العصور يظهر ان مدينة الجزائر فى العهد الاسلامى مرت بثلاث مراحل متباينة هى :

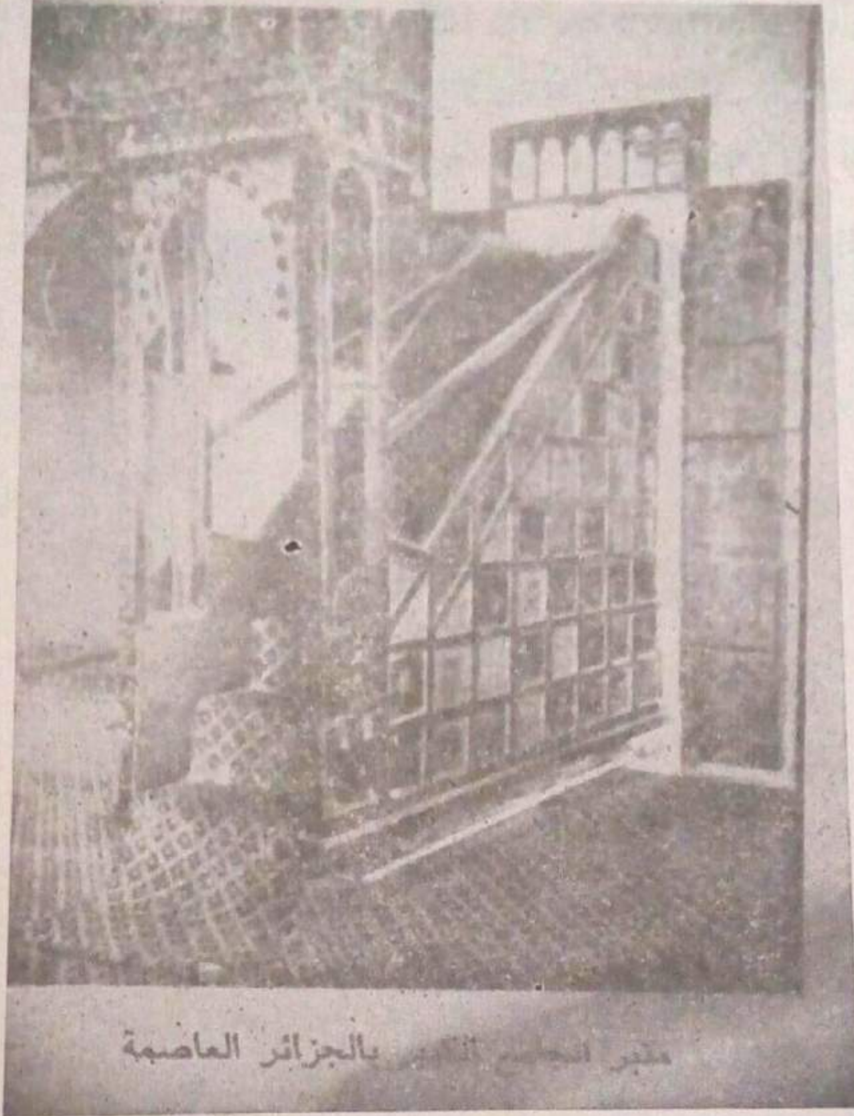
١ ـ مرحلة لم تكن فيها المدينة شيئا مذكورا وذلك ابتداء من فترة الفتح الاسلامى الى مطلع القرن الثالث للهجرة ، فيها كانت الجزائر لاتزال تعاني ماورثته من تخريب فى عهد الوندال ؛ وما توالت عليها من احداث وثورات السكان الاهالي .

وفى الفترة الاولى من الفتح الاسلامى لشمال افريقية توجه العرب الى تأسيس مدن جديدة فى مواضع مقصودة ، تتلاءم والسياسة الاولى للفتح الاسلامى، مثل المواضع الخارجة عن المدن الرومانية وهى مواضع يمكن منها خدمه القضية العربية والهدف الاسلامي من تبادل حضارى ونشر الاسلام وزيادة الاتصال بالاهالي ، فلذلك لم يهتم المسلمون ببناء الاسوار وتقويتها اهتمام الاستعمار الروماني من قبلهم والاتراك من بعدهم ؛ بل ان المدن الاسلامية في بلدان الفتح كانت في فترتها الاولى عبارة عن مراكز بسيطة للجيش الاسلامى لاتمام عملية الفتح ؛ او هي مجموعة من المساكن المتواضعة فى نقط محدودة يتجمع فيها المسلمون العرب ، والمسلمون الاهالى، وغيرهم، للدفاع عن انفسهم في وسط لم يتمكن الاسلام فيه بعد ، او للدعاية ولنشر الاسلام او لتعليمه لمن يرغب فيه .

٢ ـ مرحلة الازدهار ، وتبدأ من فترة نهاية القرن الثالث الى النصف الثانى من نهاية القرن السادس للهجرة . وفي هذه الفترة جدد بلكين بن زيري بن مناد بناء مدينة الجزائر وزاد من شأنها حتى كثر عمرانها ، واتسعت رقعتها ، وكثرت منازلها وحماماتها واخضرت ضواحيها ، واجريت سواقيها واعيدت لمينائها قيمتها البحرية فازدادت علاقة

---

(١) محاصرة بربروس للحصن الاسباني ببجاية كان في شهر اغسطس سنة ١٥١٥ .



منبر الجامع الكبير بالجزائر العاصمة

وكانت مدينة الجزائر في العهد الاسلامي كثيرة الدروب والازقة ، والانهج المزورة التي ترمز الى الاستتار وربما هذا يرجع الى الاستحياء الذي يعد شيمة من أهم الشيم العربية ، او خاصية من أهم الخصائص الاسلامية ، فالابن من واجبه ان يستحى من ابيه والصغير يحترم الكبير ، والجار لايكشف عن عورة جاره . ثم ان العادات العربية تدعو الى استتار المرأة ، وتحرم تبرج الجاهلية الاولى . ويرجع بعض الكتاب من الغربيين (١) ازورار الانهج وضيقها الى عامل الحرارة او الزلازيل في الجزائر ذلك ان الازورار يعوق تحرك الرياح الحارة ، وضيق الانهج لايسمح بالتسرب الكثير للاشعة الشمسية الحارة

---

(1) M. Bonnaffont op. cit et Maurice wall op. cit.

الكثيفة فى هذه المنطقة الحارة . وهذا التعليل الغربي ضعيف للغاية ، لانه لايتجانس وما ذكرناه سابقا عن مناخ المدينة المعتدل ، وعن الرياح القبلي التي لاتهب الا نادرا على المدينة ، على عكس الرياح البحرية المعتدلة وهي السائدة فى كل فصول السنة .

وكانت المدينة مقسمة الى احياء حرفية ، لكل حرفة امينها الخاص ، يشرف على طائفته، وينوب عنهم فى الدفاع عن مصالحهم الخاصة ، ويعمل على تنسيق اعمالهم ، وتحديد اثمان بيع منتوجاتهم ، وترقية حرفهم .

٤ — مرحلة الذبول والتقهقر للمدينة ، وتبدأ من ثورات ابن غانية على دولة الموحدين ، اي من نهاية القرن السادس للهجرة الى الفترة الاولى من دخول الاتراك للجزائر فى القرن العاشر للهجرة ؛ ذلك ان ثورة ابن غانية أثرت تأثيرا بالغا على مدينة الجزائر من ناحية العمران والاقتصاد والسياسة ؛ وازدادت المدينة اضطرابا عندما رجعت تحت حكم مدينة تلمسان البعيدة عنها جدا ؛ بل كانت مدينة الجزائر تعد التخوم الشرقية لدولة بني زيان فى تلمسان فى بعض الاحيان ، وبذلك لم يتمكن ملوك تلمسان من مدينة الجزائر ، وكانوا يكتفون منها بجمع الضرائب ، أوغفلوا شأنها ، فانحط أمرها وانخفض عمرانها وتشعبت اهواء سكانها الى ان اصبحت مطمعا للاسبان وهدفا للاستعمار المسيحي.

٣ — السكان

أ — الهجرات العربية :

بدأت الهجرات العربية تصل الى شمال افريقية بعد الفتح الاسلامى ، ويذكر الحسن بن محمد الوزاني الزياتي (١) في هذا الشأن أن عثمان بن عفان أرسل الى فتح افريقية في سنة ٢٧هـ عددا كبيرا من العرب يقدرون بنحو ٨٠ ألف جندي ، كان اغلبهم من النبلاء، عاد منهم عدد كبير الى الجزيرة العربية بعد الفتح الاول ، ولم يبق منهم فى شمال افريقية الاجنود المراقبة على المكتسبات الاسلامية . ويذكر بعض المؤرخين ان عدد جنود حملة عثمان ابن عفان على افريقية كان ٢٠ ألف مجاهد ظلوا بتونس ١٥ شهرا بعد الفتح

(1) Leon l'Africain idem. P. 17

الاسلامي الاول (اي بعد معركة سبيطلة ، وانهزام الحاكم الروماني جرجير خلال سنة ٢٧ هجرية الموافق لعام ٦٤٧ ميلادية) . وفي عهد معاوية بن ابي سفيان اعيد الغزو مرة اخرى؛ حيث جهز الخليفة الاموي المذكور ١٠ آلاف جنديا بقيادة معاوية بن حديج سنة ٤٥هـ - ٦٦٥م ، وظل هذا القائد يفتح مدن افريقية لمدة خمس سنوات الى ان جاءت سنة ٥٠هـ - ٦٧٠م فعوض معاوية بن ابي حديج بعقبة بن نافع المجاهد القديم؛ وزوده معاوية بن ابي سفيان بعشرة آلاف مجاهدا ، تابع بها الفتح الاسلامي ، وفى سنة ٦٢هـ فتح منطقة النجود من تونس الى المغرب . وبعد موت عقبة (٦٤هـ) انسحب العرب نحو برقة بليبيا مرة اخرى وظلوا بها نحو الخمس سنواب اثناء ثورة كسيلة . وفي سنة ٦٨٧م — ٧٧هـ (أي في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦هـ/٦٨٥ـ٧٠٥م) عزمت الحكومة الاموية ان تنهى مشكلة شمال افريقية ، وان تجعل حدا لثورات البربر ، فارسلت لذلك ٤٠ ألف جندي تحت قيادة حسان بن النعمان الذي استولى على قرطاجنة ، وكان له مع الكاهنة شأن ، اذ لم يخلد الثوار البربر الى الطاعة الابعد قتل زعيمتهم المذكورة سنة ٨٤هـ . ومن هذا الحين خضع البربر والرومان فى شمال افريقية الى الحكم الاسلامي وبدأ الاستقرار يسود البلاد .

والذي يهمنا من هذا العرض هو ان الهجرات العربية فى اوائل الفتح كانت محدودة ومقتصرة على رجال الادارة ، او جنود الحملات المتتالية ، وان عدد هؤلاء بلغ الثمانين ألف من بداية الفتح الى مطلع القرن الثامن للميلاد وان المدن الساحلية بشمال افريقية ومنها مدينة الجزائر كانت متأخرة في الفتح وبالتالي في الهجرات العربية؛ ذلك للاسباب المذكورة منها الاتجاه الذي جاء منه العرب من الشرق الى الغرب ، فدفع بهم الى قطع خط الهضاب قبل خط الساحل ، ثم للحاجز الجبلي فى اقليم التل الذي يعوق مرور الخيل العربية وهي خيل آلفة للسهوب ، ثم ان العمران المدني فى عهد الرومان كان يتركز فى السهول الشرقية من بلاد الجزائر مثل جميلة ، وتيمقداد ، وسطيف ، وفي بلاد تونس ، اكثر منه فى الجهات الغربية من بلاد الجزائر التي كانت بها المدن الصغيرة ما عدا شرشال ، اما مدينة ايكوسيوم

فكانت ذات شأن ضئيل ، بل كانت عبارة عن قرية بسيطة للغاية.

لهذا الاسباب لم تصل الى الجزائر الهجرات العربية الامتأخرة ، وظل نفوذالحكومة الاموية بها ضئيل للغاية، وكذلك النفوذ العباسي فى اول الامر، لذلك وجد منها العلويون بيئة ملائمة تماما لتركزهم ، فهاجرت اليها العائلة العلوية السليمانية بعد وقعة فخ (سنة ١٦٩هـ - ٧٨٥م في عهد الخليفة العباسي الهادي بن المهدي بن المنصور) مع اتباعهم من الشيعة ، بغية تكوين دولة علوية ؛ تكون نواة لاسترجاع الحقوق المغتصبة فى المشرق العربي لكن هذه الهجرة العربية الى ضواحي مدينة الجزائر كانت ضئيلة ادا ما قورنت بهجرات الهلاليين واتباعهم فيما بعد سنة ٤٤١هـ ، حيث يقدرها مارمول (١) باكثر من مليون نسمة منهم نصف مليون فارس و الباقى من الشيوخ و الاطفال و النساء ، وكانت القبيلة اللاحقة تدفع القبيلة السابقة نحو الغرب ، والجدول الآتي (٢) يبين اهم القبائل وعدد افرادها من النساء والاطفال والشيوخ الذين نزلوا بشمال افريقية خلال نصف قرن :

قبيلة	في المغرب	فى الجزائر	فى تونس وطرابلس	المجموع
بني سليم	٣١٩٤٠٠	٢٣٠٠٠	١٣٠٠٠٠	٤٧٢٤٠٠
بني هلال	٣٤٠٠٠	١٥٠٥٠٠	٤٠٠٠٠	٢٠٤٥٠٠
معقل	٣١٤١٠٠	٤٦٠٠٠	—	٣٦٠١٠٠
المجموع	٦٦٧٥٠٠	١٩٩٥٠٠	١٧٠٠٠٠	١٠٣٧٠٠٠

ومن الجدول يلاحظ ان قبيلتي معقل وهلال هما اللتان تركزتا فى بلاد الجزائر ، ومن المعقل انحدر بطن الثعالبة الذين عمروا السهل المتيجى اولا ؛ ثم دخلوا الى مدينة الجزائر بعد ان ازداد عددهم ، وتكاثر نسلهم ، وقدر مارمول عدد الثعالبة الذين عمروا

(1) Marmol C. : Description générale de l'Africa (Traduit en français par M. Perrot d'Abblaucourt sous le nom de : l'Afrique de Marmol)

(2) P. E. Carette : Recherches sur l'origine et les migrations des principales tribus en Afrique. Paris 1853. P. 434.

السهل المتيجي ومدينة الجزائر بحوالي ٤٤٠٠٠ نسمة ، وربما كان ربع هذا العدد يتركز بمدينة الجزائر والباقي ينتشر في السهل المتيجي ،وهم الذين يعود لهم الفضل في تعريب المدينة

ومن الملاحظ على تعداد سكان مدينة الجزائر اننا لانملك احصائيات مضبوطة عنها ، في العصر الاسلامي الاول ، بل وحتى نهاية القرن ١٤ للميلاد ذلك لاسباب كثيرة منها الدور الثانوي الذي لعبته مدينة الجزائر في اقليم المغرب العربي ، ثم لحداثة علم احصاء السكان ، يضاف الى هذا وذاك عوامل اخرى منها عدم الاستقرار ، او حركات الهجرة المستمرة من والى المدينة وهي عوامل عاقت تقدير وضبط السكان ،لذلك تعتبر تلك الارقام تقريبية

ويظهر ان عدد السكان قد سلك مراحل التطور الثلاثة التي ذكرناها سابقا في تطور العمران ، وربما لم يتجاوز الخمسة آلاف في مطلع الفتح الاسلامي كان جلهم من الاهالي اي من السكان الاصليين يضاف اليهم بعض الافراد القلائل من العرب الذين جاؤوا ليحلوا محل الرومان . ثم انتقل عدد السكان مدينة الجزائر الى حوالي الثلاثين ألف نسمة في اوج ازدهارها اي بعد ان اعاد بلكين بن مناد بناءها ، وظل جل سكانها من الاهالي ، اي من قبيلة بني مزغنة يضاف اليهم عدد من المهاجرين العرب الذين فاقت نسبتهم في عهد الدولة الموحدية لما اضفته من مزايا لقبيلة الثعالبة ، فنزلوا جزائر بني مزغنة وساكنوا اهلها ، وعربوا من كان بها . اما في مرحلة التقهقر فقد سادت فيها الاضطرابات الداخلية واخذ عدد سكان مدينة الجزائر ينحدر نحو التناقص ، نظرا لهجرة الحضر من المدينة نحو الريف او الجبال . ويقدر حسن بن محمد الوزاني (١) عدد سكان المدينة في مطلع القرن السادس عشر باربعة آلاف موقد الذي يعطينا في المتوسط عشرين الف نسمة وذلك بمعدل خمسة انفار لكل موقد ، وهم ينقسمون الى عرب من قبيلة الثعالبة وعددهم نحو ١٢٠٠٠ نسمة يليهم الاهالي ، ثم المهاجرون من عرب الاندلس ، ثم المهاجرون اليهود الذين كانوا يتميزون بحمل العمائم الصفراء (٢) . ولا يذكر حسن بن محمد الوزاني تركيب السكان

---

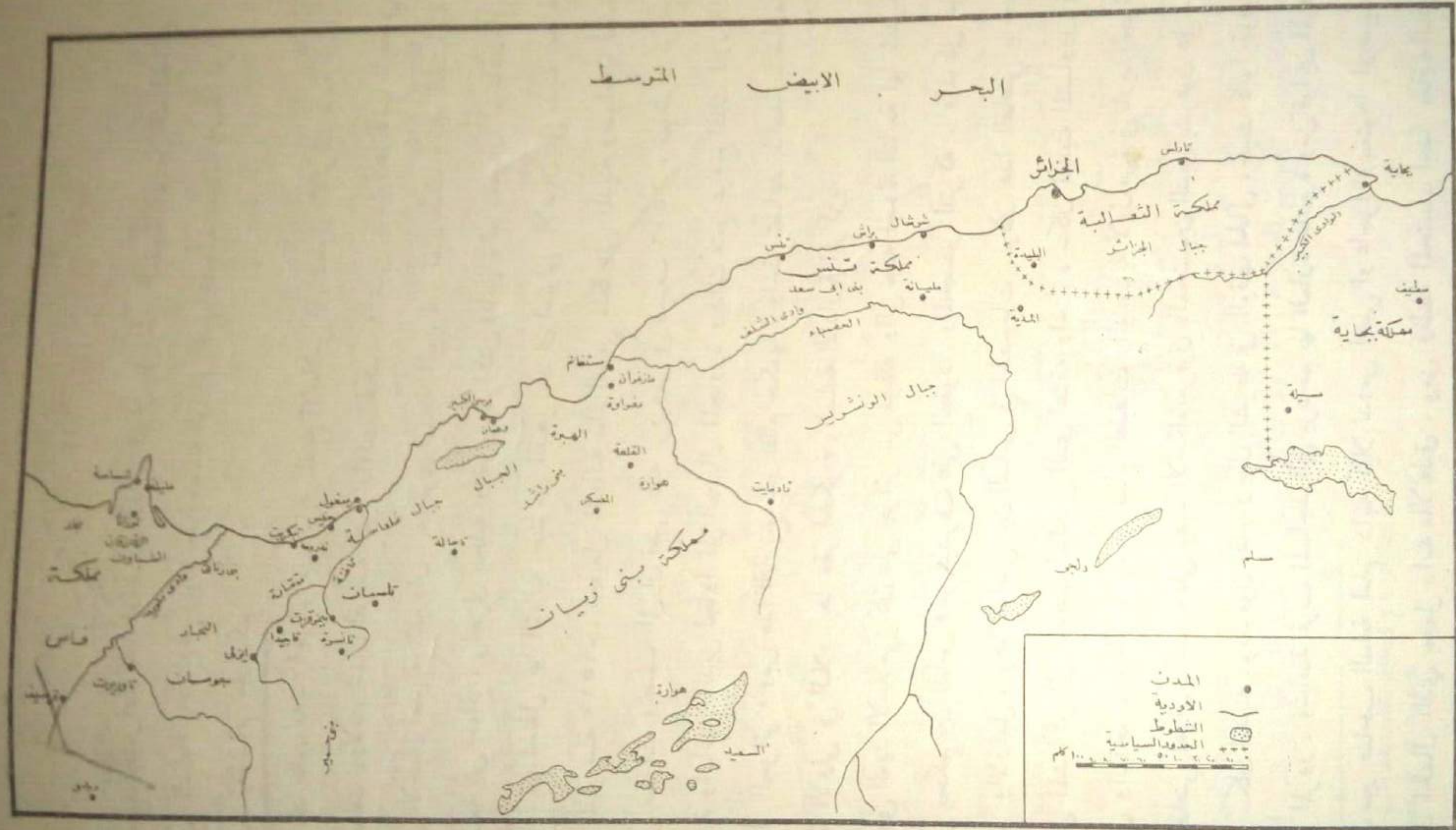
(1) J. L. l'Africain. idem. T I. P. 34
(2) idem. T. II P. 333.

من حيث الجنس او الاعمار او الحرف، لكن يؤكد ان جل فرسان المدينة كانوا من الثعالبة الذين يدعم السلطة والادارة، وبهذا تعد احصائة الوزاني اقدم احصائية سكانية لمدينة الجزائر .

ب ـ نظـام الحـكم

لقد ظلت مدينة الجزائر من بداية الفتح الاسلامي الى دخول الاتراك تابعة اداريا الى ممالك وولات شمال افريقية التي تداولت الحكم ، واعني بذلك انها كانت تابعة فى بعض الاحيان لمدينة القيروان ، واخرى لمدينة البويرة ، ثم ربطت بآشير الصنهاجية ثم بقلعة بني حماد ، واخرى ببجاية واخرى بمراكش وفاس ، ثم بتلمسان ثم عادت الى بجاية ، ثم استقل بها الثعالبة حينا من الدهر بعد ان استولى الاسبان على مدينة بجاية في ٥ يناير سنة ١٥١٠م . وجعل الثعالبة سالم التومي ملكا على المدينة وضواحيها لمدة خمس سنوات ونصف الى ان قضى عليه بربروس فى صيف ١٥١٦ م ثم شرد عروج الثعالبة واتباعهم الذين لجأوا الى الجبال المجاورة وبذلك فتح عروج الملك للاتراك بمدينة الجزائر ، ومن هذا التاريخ تغير نظام حكمها ، واخذ يتصاعد طالعها باتخاذها المدينة الاولى في البلاد، بها مقر الحكومة والسلطة الادارية المركزية.

وفى العهد الاسلامي كان على جزائر بنى مزغنة والى تعينه الدولة التابعة لها المدينة وقاض يحكم بين الناس وهو المشرف على العقود ، والمحصص للتركة ، والموكل على الايتام والارامل ، وهو القاضي بين الناس في الخصومات . وكان هذا القاضي يرجع فى حل المشاكل الى المذهب المالكي الذي اعتنقه واختاره سكان المدينة المتساوون فى الحقوق والواجبات ، فالاسلام محى نظام الطبقات والعنصرية لاول مرة في تاريخ الجزائر وكان للقاضي اعوان يساعدونه على تيفيذ الاحكام يعرفون بالمحتسبين الذين يشرفون على سير اعمال سكان المدينة ، ويقومون مقام رجال الشرطة فى الوقت الحالي ، حيث كانوا يقومون بتنظيم المرور ، وخاصة قرب المساجد التي يزدحم بها المارة عادة ، ومن قوانين المرور وجوب سير صاحب الدابة امام دابته كيلا تدوس اعمى او عاجزا او معتوها او صبيا ، ويعاقب الحمال الذي يحمل دابته مالاتطيق ، ومن وظيفة المحتسب ايضا معاقبة الذين



اهم المدن ببلاد الجزائر في مطلع القرن ١٦ (حسب ما جاء عن ليون الافريقي)

يرمون الاوساخ فى الانهج ، ويراقب الموازين و المكاييل لذلك كان ميدان المحتسب هو السوق حتى يحمى السكان من الغش والتدليس ، ولما استقل الثعالبة بمدينة الجزائر اتخذوا منها عاصمة للبلاد او المنطقة التي كانوا يشرفون عليها اي من شرشال الى دلس ، واتخذوا من النظام الاداري في تلمسان قاعدة لتنظيم ادارة مدينة الجزائر وضواحيها ، حيث عينوا السفراء ، ووكلاء في الخراج واصحاب البريد ، ورجال الجيش الخ ... وجعلوا سالم التومى ملكا على البلاد بيده مصدر كل السلطة ، وله رديف من اهله هو والى عهده ، ونواب وحاشية وبطانة وحجاب وكتاب واصحاب اشغال واعمال . وكادت الامور ان تستقر للثعالبة لولا عروج الذى قوض عرشهم وقضى على مملكتهم في المهد ، واستقل بمدينة الجزائر التى ربطت فترة من الزمان بالسلطنة العثمانية في اسطنبول .

٤ ــ الاقتصاد :

مرت جزائر بني مزغنة فى عصرها الاسلامي بثلاثة اطوار اقتصادية تتفق ومراحل العمران السابقة الذكر . ففى المرحلة الاولى كانت منطوية على نفسها ، وعلاقاتها محدودة بالبر والبحر . وفي المرحلة الثانية (من نهاية القرن الثالث الى نهاية القرن السادس للهجرة ازدهرت اقتصاديات المدينة كما يؤكده الرحالة العرب ، ونمت تجارتها حيث اصبحت جزائر بني مزغنة من اشهر المدن في تصدير العسل والشمع والمنتوجات الحيوانية بصفة عامة ، وكذلك المنتوجات الزراعية التي كانت ترد اليها من السهل المتيجي ، بل ومن العواصم الداخلية مثل آشير ، وقلعة بني حماد ، وفى المرحلة الثالثة نمت مدن اخرى بغرب الجزائر على ساحل البحر المتوسط والى الشمال من مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية فتأثرت بذلك جزائر بني مزغنة التي انحسر ظهيرها ، وقل نفوذها الاقتصادي فى الداخل ، وانحرفت عنها الطرق التجارية المهمة التى اخذت تتوجه الى مدينة تلمسان ومنها الى ميناء حنين والمرسى الكبير ثم وهران ، وظلت هذه الموانىء الثلاثة هي اهم الموانى الجزائرية الى ان ادخلها الاسبان ، فشتت عمرانها ، وخرج منها الاهالي تاركين ارزاقهم وصنائعهم ، فضعفت لذلك المدن الساحلية الغربية ببلاد الجزائر على عكس المدن الساحلية الشرقية ومنها مدينة الجزائر .

وفى اواخر القرن الخامس عشر للميلاد حاول الثعالبة بعد ان استقلوا بالجزائر ان يعيدوا لها مكانتها التجارية ، فوطدوا علاقاتهم مع الدول الاوربية الواقعة على شواطيء البحر المتوسط . وعادت السفن الاوربية من برشلونة و Collioure و Canet و Port-vendres تأتى الى مدينة الجزائر بالملبوسات و الاقمشة لتأخذ مقابل ذلك الزيوت والاصواف والشمع . وفي نفس الفترة كانت المراكب الفلورانسية Florentins تجوب موانيء سواحل شمال افريقية من تونس الى عنابة والقالة وبجاية لتمكث فى مدينة الجزائر ثلاثة ايام ثم تستأنف سيرها الى وهران فبرشلونة ثم تعود الى ايطاليا . اما سفن البندقية فكانت تخصص فصل الصيف لتقصد مدينة الجزائر حيث تمكث فيها اربعة أيام . وكانت هذه التجارة تدر على البلاد الخيرات العميمة ، واستفادت منها الطبقة الحاكمة التي اصبحت تمثل الطبقة البورجوازية ، ولم تنفق هذه الثورة فى مصلحة البلاد بل انها انفقت فى شراء المناصب واثارة الفتن الداخلية ، مما زاد فى ضعف اقتصاد المدينة ولم يشجع الحكام الثعالبة سكان مدينة الجزائر على الصناعة التي كانت بسيطة للغاية في عهدهم ولا تفى حتى حاجيات السكان الحضر . وكانت مدينة الجزائر حينذاك شأنها شأن الكثير من المدن العربية الاسلامية تنقسم الى احياء حرفية منها حي البلاغجية وحي الحرارية ، وحي النحاسين ، وحي الصياغين الخ ... وبها اسواق بسيط للغاية لتبادل البضائع بين سكان الريف وسكان المدينة ، وخلاصة الحديثة ان مدينة الجزائر فى العهد الاسلامي كانت تعتمد فى اقتصادياتها على البضائع المستورده من الخارج ، وكانت تعد من المدن الهامشية ، ولم تستغل موقعها الساحلي او موقعها وسط البلاد حتى مطلع العهد التركي .

الفصل الرابع

المرحلة التركية

الجزائر التركية

١ ــ العمران :

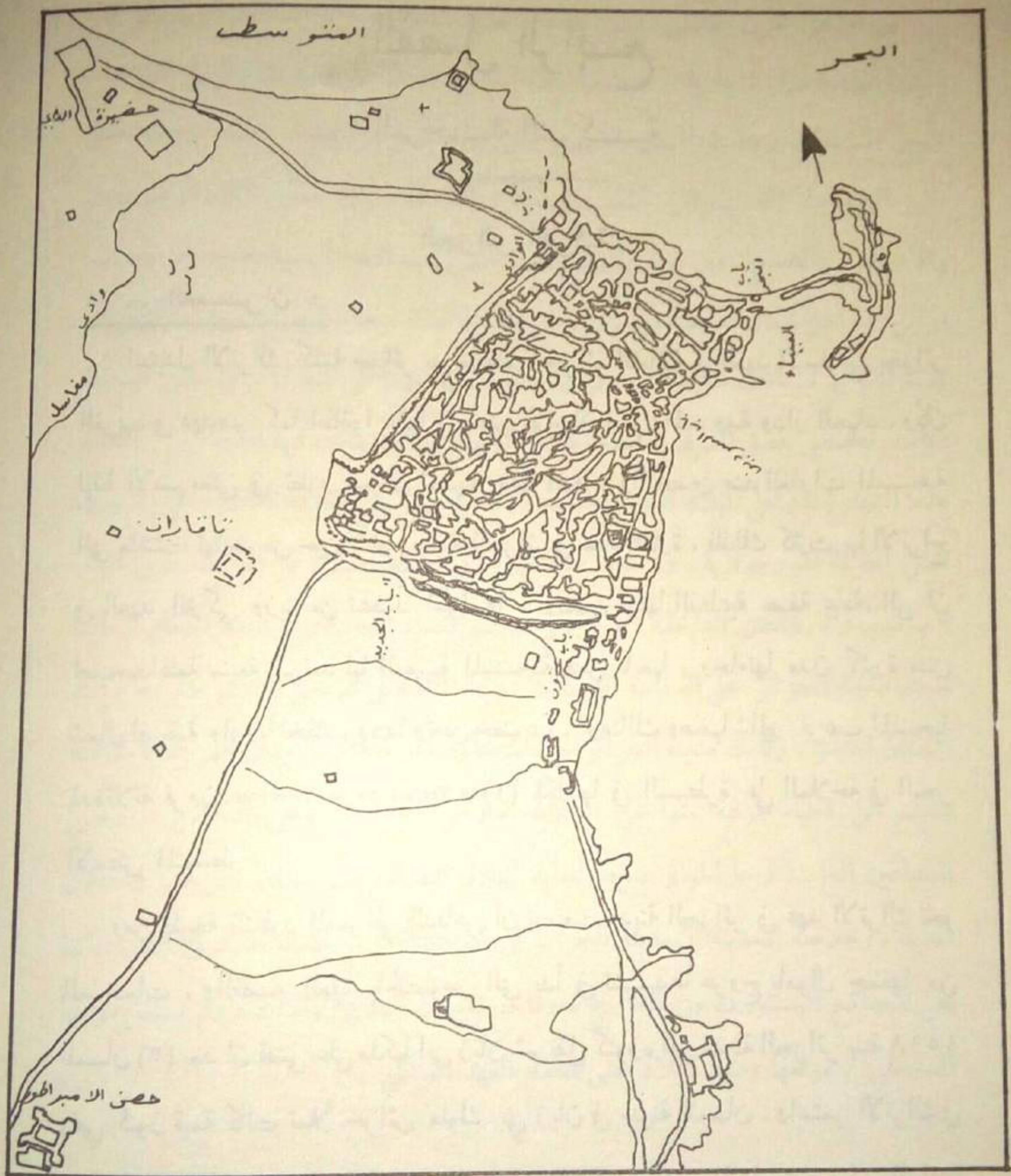
استبدل الاتراك كلمة جزائر بني مزغنة و جزائر الثعالبة فى العهد الاسلامي بجزائر الغرب فى عهدهم، كما اطلقوا عليها فى بعض الاحيان اسم : المحروسة ودار الجهاد . وكان لهذا الاسم معنى فى تطور عمران المدينة نحو الدفاع والتحصين ضد الغارات المسيحية التي مافتئت تهاجم من حين لآخر مدينة الجزائر فى هذه الفترة ، فلذلك كثرت بها الابراج فى العهد التركي وزيد من تشديد اسوارها ، وتمتين قوتها الدفاعية بصفة عامة، الى ان اصبحت قلعة منيعة ترتعد لها العصبية المسيحية ومن تابعها ، وجاءتها مدن كثيرة من شمال افريقية واروبا تخطب ودها وتعلن خضوعها . وهنالك وصفها شالير برعب المسيحية La Terreur de la Chrétienté. (١) لمدة ثلاثة قرون لمكانتها في السيطرة على الملاحة فى البحر الابيض المتوسط .

ومن طبيعة التطور العمراني الدفاعى ان توسعت مدينة الجزائر فى عهد الاتراك نحو المرتفعات ، والقصبة العليا بالخصوص التي بدأ فى تشييدها عروج باموال جمعها من تلمسان (٢) بعد ان قضى على ملكها ابى زيان ثم نقل كنوزه الى مدينة الجزائر سنة ١٥١٨ وهي كنوز قيمة كانت تملأ خزائن ملوك بني زيان فى مدينة تلمسان . واستمر الاتراك فى بناء القصبة العليا من ذلك التاريخ حتى سنة ١٥٩٠ ، واعتمدوا على محجر باب الوادي لنقل حجارة البناء ، وهو موضع غير بعيد عن القصبة ، كما سخروا العبيد المسيحيين ايضا فى نقل صخور البناء من تامنفوست ، ومواضع اخرى مجاورة للمدينة.

---

(1) w. Shaler : Esquisse de l'Etat d'Alger. Paris 1830 P. 26.

(2) Haedo : Histoire des rois d'Alger. P 30



مدينة الجزائر سنة 1830

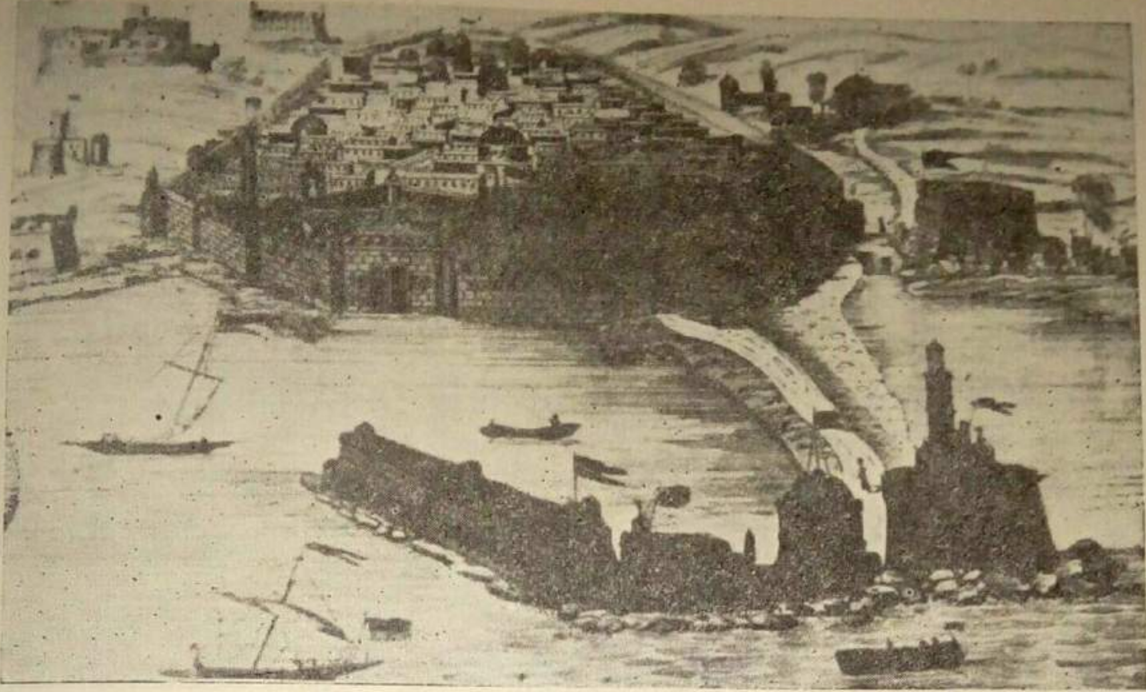


مدينة الجزائر فى سنة ١٥٧٩ قبل ان تزدحم بها المساكن . ويظهر فى اعلى الصورة سور داخلى يفصل بين القصبة العليا والقصبة السفلى .

ومن الاسباب التي دفعت بالاتراك الى تمديد مدينة الجزائر نحو المرتفعات ، نجد القرصنة الاوربية فى العصور الوسطى التي عمت البحار والمحيطات حتى اصبحت وبالا على المدن الساحلية ، ومدن سواحل البحر المتوسط بالخصوص ، فانكمشت بذلك المدن نحو الداخل او تحصنت بالطبيعة ، اوا ختارت الجبال والاودية ، فتعلقت بتلك واستترت بهذه . ولشدة خطر القرصنة المسيحية على المدن الاسلامية حصن الاتراك مدينة الجزائر من جهات البحر تحصينا قويا على عكس جهاتها البرية التي اهملت، لانها كانت فى مأمن من العدو الداخلي بل لم يكن هناك عدو داخلي تخشى منه مدينة الجزائر . ويمكن تقسيم عمرانها في عهد الاتراك الى عمران داخل اسوار المدينة وعمران خارج اسوار المدينة .

أ ــ عمران داخل اسوار المدينة :

كانت المباني المتنوعة تزدحم داخل اسوار مدينة الجزائر منها الحمامات الجميلة



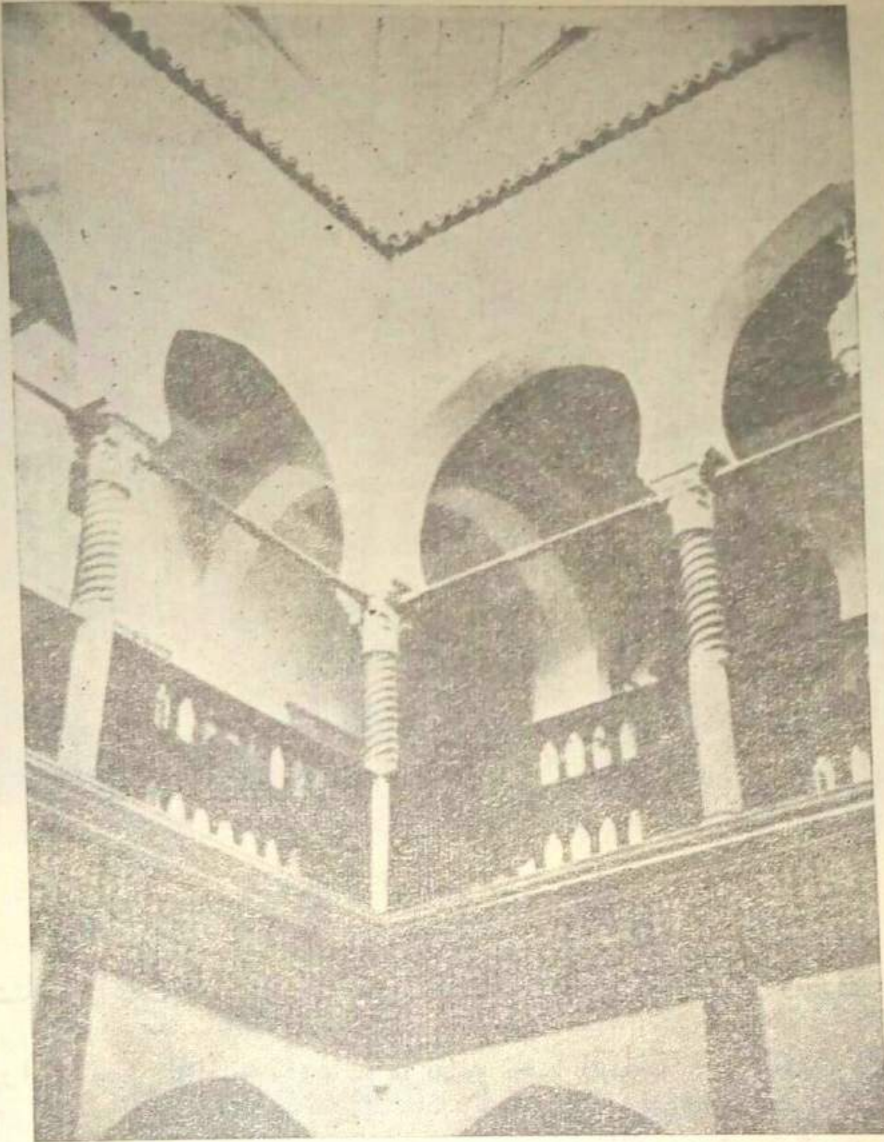
مدينة الجزائر في القرن السابع عشر وفيها تزدحم المباني

المبنية بالرخام الابيض ، والمزدانة بالفسيفساء ، ومنها الديار المكبة الشكل الهندسي ، اغلبها كانت تتألف من طابقين وسطح افقي ، والطابق الاول يسمى بالسفلى تكثر بداخله السوارى الاسطوانية الشكل، والمنحوتة من الرخام اوالحجر الجيري، ويدخل الساكن الى داره من باب متين مقوس الجزء العلوي ومستطيل الجزء السفلي ، ومثبت في رف من رخام بالجدار يعلوه افريز او طنف من القرميد ، و بالباب فتحة مسيجة بالحديد تساعد على الرؤية نحو الخارج • ومصرع الباب مرسع بالمسامر ليزيدها متانة ، وحلقة حديدية لدق الباب ، وداخل الباب اقفال ومغاليق ومصدم لتوفيق حركة الباب السريعة والطابق الاول لاستقبال الضيوف ، توجد به السقيفة ، وغرف عديدة ، تفتح كلها نحو وسط الدار اوساحة المنزل، تعلو ابوابها الاقواس، وتكثر بها الاروقة . وفى هذه الساحة المفروشة بالبلاط بئر لسقى اصحاب الدار بالمياه اللازمة للشراب والغسل ، وفوارة تنبجس منها المياه العذبة لتلطيف حرارة جو الدار فى فصل الصيف ، وتجميل الساحة



صورة لساحة المنـــزل

فى فصل الشتاء ، واغلب الديار خالية مـن الشبابيك الواسعة ، وان وجدت فهى ضيـقة للغاية ونادرا ماتعطى للانهج ، وغالبا ما تفتح نحو الساحة . و الطابق الثانى مخصص للنوم ، فيه تستتر النسوة داخل غرف جدرانها مرصعة بالفسيفساء ، وتوجد بهذه الغرف الخزائن المملوءة بالالبسة والستائر ، وغرف تعرف بالمقصورة مفروشة بالزرابي وبها الارائك : والاسرة و لوزام غرف والمبيت . ومن الطابق الثاني تتصاعد ادراج سلم من الرخام الابيض او من البلاط اومن الحجر الجيري الى سطح الدار المخصص للمسامرة في ليالي الصيف ، ومنه تتصل الجارة بالجارة لمبادلة الحديث والاستماع الى اخبار بعضهن البعض اولنشر الالبسة المغسولة. والطابق الثاني اوسع من الطابق الاسفل ويتركز جزء منه على اخشاب من السرو . ونظرا لازدحام الديار ببعضها فكانت سطوحها مماسة الى درجة انها تمثل من بعيد سطحا واحدا ويمكن التنقل عن طريق هذه السطوح من دار الى اخرى بدون مشقة بدلا من الانهج التي اصبحت بعد ازدحام المباني عبارة عن انفاق



صورة داخلية للطابق الثاني لاحدالمنازل بمدينة الجزائر

مظلمة وملتوية تحت السطوح اطلق عليها فى بعض الاحيان السباط . وجدران الديار مبنية بالآجور او الحجارة المنحوتة . وكان عدد الديار داخل اسوار المدينة نحو الخمسة آلاف دار سنة ١٧٨٩ (١) كما قدرها فانتيردى برادى . وقدرت قبل الحملة الفرنسية (١٨٢٩) بحوالي ٨٠٠٠ دار . وهي ديار متشابهة مطلية كلها بالجير الابيض او الجبس. ولقد اعتنى سكان مدينة الجزائر بتجميل منازلهم داخليا بالخصوص اما خارج المنزل فقد

(1) Venture de Paradis (E. Fagnan) Alger au 18 siècle. p. 3



صورة لغرفة مفروشة بالارائك

اكتفوا بتبييضها فى اغلب الاحيان . ولم تكن هناك علاقة بين النهج والمنزل، حيث ترك الاتراك للباني حرية البناء كيف شاء، دون ان تضبط الادارة الحد بين اتساع وارتفاع المنزل واتساع النهج ، ولذلك طغت الديار على الانهج فكانت بذلك الانهج ضيقة خالية من الارصفة والنور ، و الديار متشابعة بحيث ان الواحدة منها تعطى صورة صادقة وعينة مألوفة لغيرها من حيث الشكل والديكور . وكانت مدينة الجزائر فى العهد التركي تنقسم الى احياء سكنية ، منها حي البحرية الذي تركزت به الطبقة الارستوقراطية من الاتراك بالخصوص والمصالح التجارية البحرية ، وحي باب الوادي تركز به اليهود التجار ، وحي باب عزون للاجانب واصحاب التجارة من الاهالي ، ثم حي القصبة القديمة للعرب ، اما حي القصبة الجديدة او العليا فللانكشارية والديات واصحاب المناصب العالية فى الدولة . وتتخلل معظم هذه الاحياء اسواق متنوعة من أهمها سوق باب عزون وسوق باب الوادي ورحبة السمن بالقرب من جامع سيدي رمضان ، وسوق السردين بالقرب من

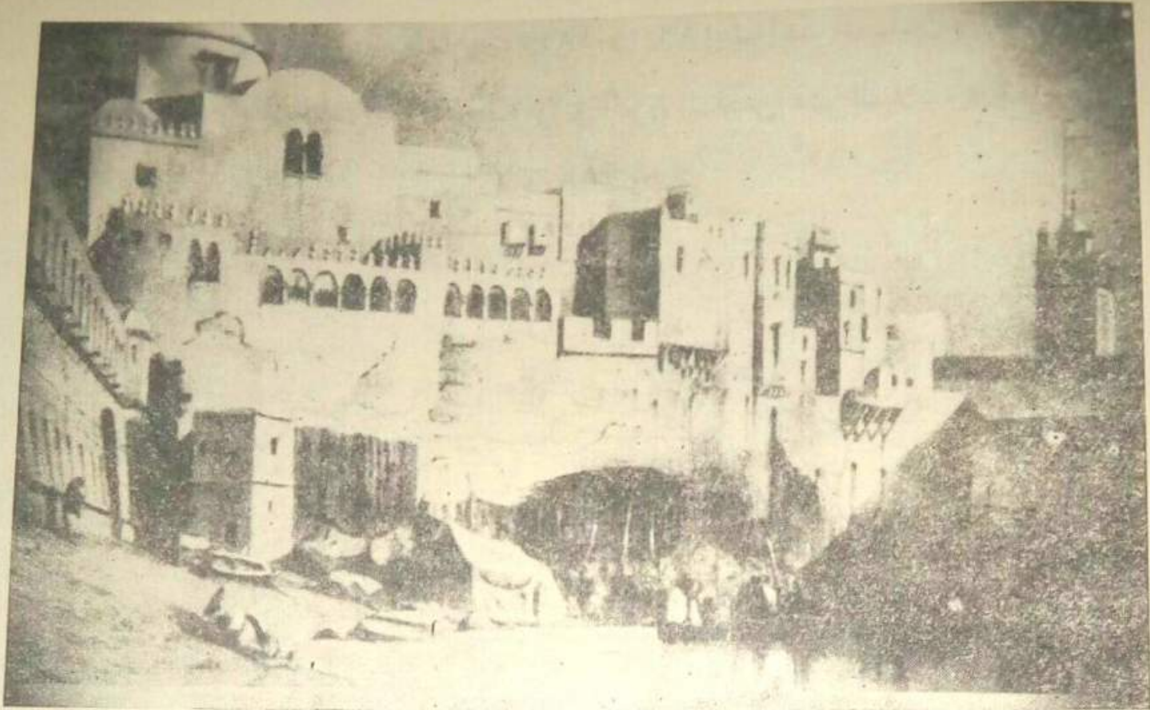
باب الديوانة ، وسوق اللوح بالقرب من باب عزون وبجانبه سوق القمح ، ثم الفنادق لايواء المسافرين منها نحو خمسة فنادق كانت توجد فى حي باب عزون . والمساجد كثيرة



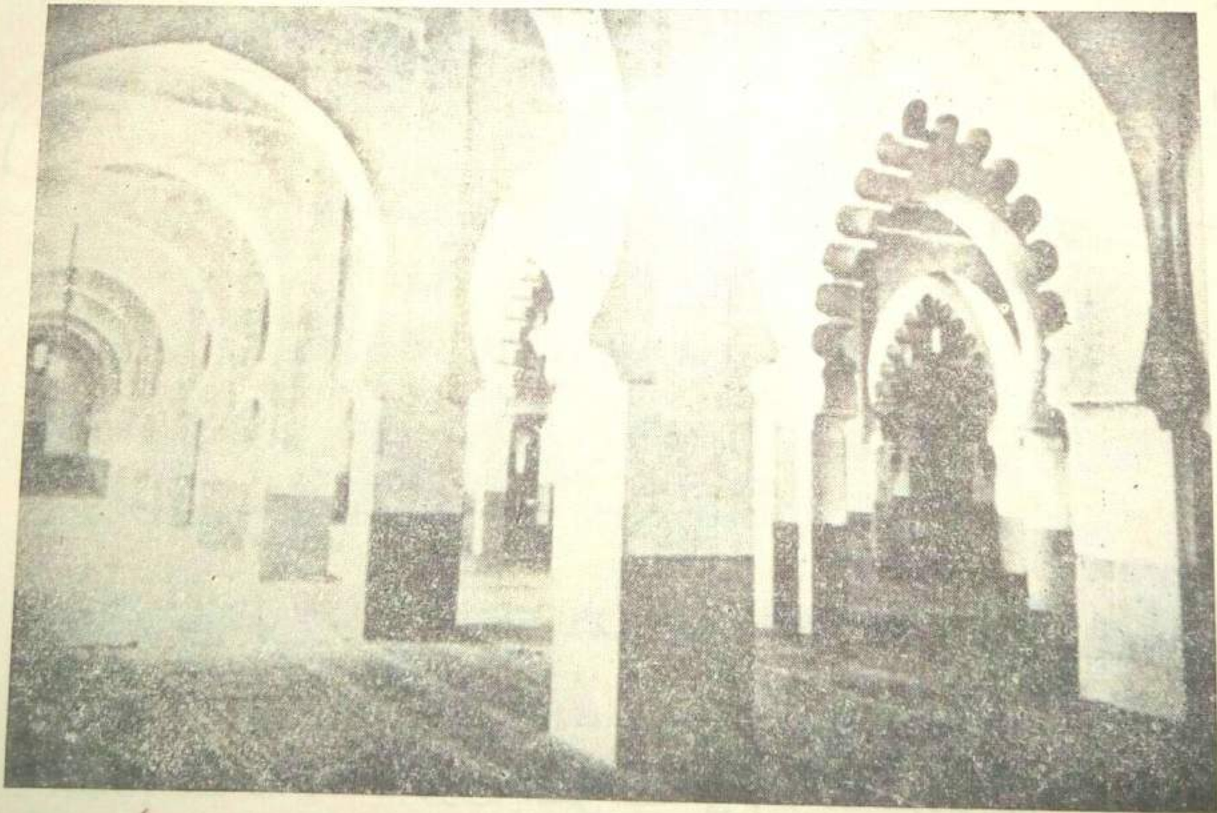
نزل فى بـاب عزون

وجميلة ، منها مسجد على بشنين الذي بني سنة ١٦٢٢ وحولته فرنسا ، بعد احتلالها لمدينة الجزائر ، الى كنيسة نوتر دام دي لافيكتوار ، والجامع الجديد الذي بناه الاتراك سنة ١٦٦٠ للمذهب الحنفى بالقرب من باب البحر ، وجامع سيدي عبد الرحمن بناه الداي الحاج احمد ، على ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي (١) سنة ١٦٩٦ وزينه بالفسيفساء الفارسية والروديسية وجامع كتشاوة الذي بناه بابا حسن سنة ١٧٩٤ ثم حولته فرنسا الى كنيسة القديس فيليبس عند احتلالها للمدينة ثم منحته اسم الكاردينال لافيجري بعد ان استبدلت مئذنته

(١) سيدي عبد الرحمن الثعالبي عالم جليل ينحدر من فرع الثعالبة المهاجرين العرب ولد سنة ١٣٨٧ وتوفي سنة ١٤٧١ وقد بنى الثعالبة على ضريحه جامعا في العهد الاسلامي ثم اعيد بناء الجامع فى عهد الاتراك .



الجامع الجديد وفى عمق الصورة مئذنة الجامع الكبير



رحاب الجامع الكبير

بالاجراس ، ثم زيد فى بنائه فيما بين ١٨٤٥ و ١٨٦٠ ثم اعيد للمسلمين فى مطلع الاستقلال . وجامع سيدي على الشريف بني فى القرن السادس عشر للميلاد ، ورفع حسين

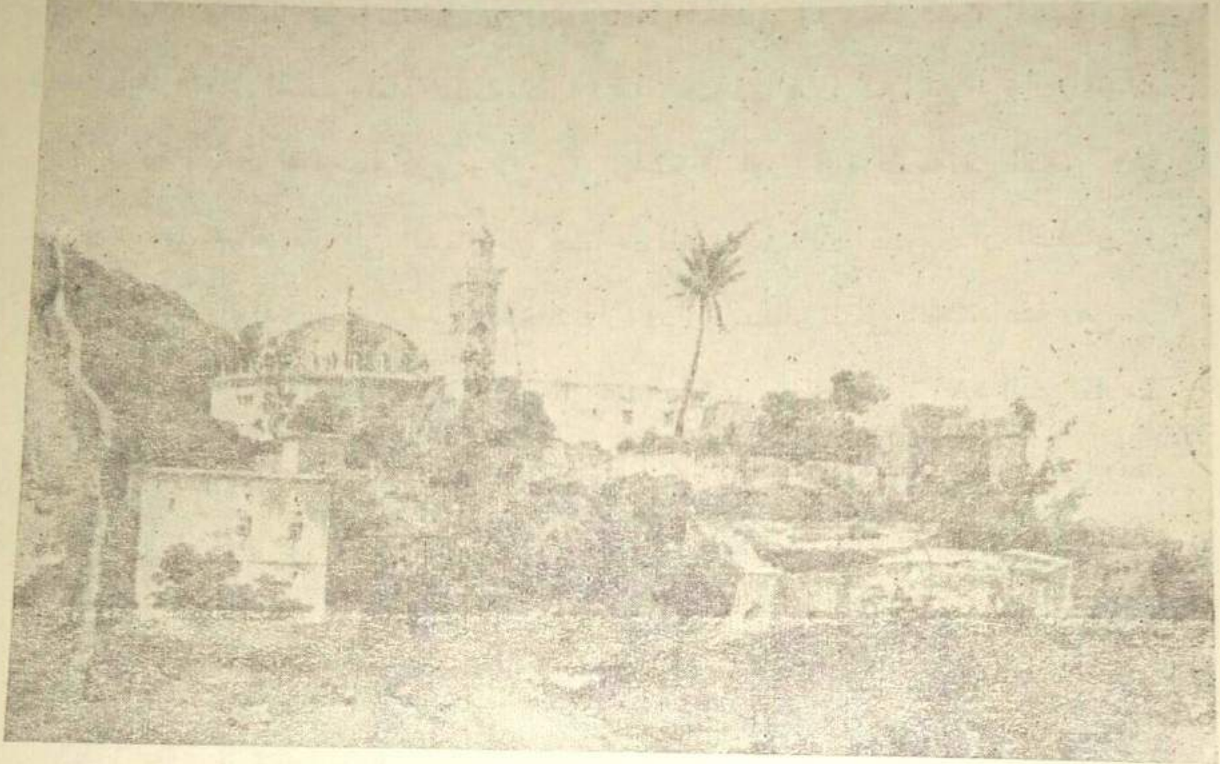
مدينة الجزائر

سنة 1572



باشا آخر داي بالجزائر جامع القصبة، واعاد نفس الداي سنة ١٨٢٧ بناء جامع السفير الذى بناه من قبله سافر ابن عبد الله ، احد الاسارى المسيحيين ، أسلم على يد خير الدين ثم بنى مسجدا بالقصبة سنة ١٥٣٤ لازال يحمل اسمه الى يومنا هذا مع قليل من التحريف ، وجامع عبدي بناه عبدي باشا فى شارع ماكارون سنة ١١٣٦هـ ، حول الى كنيسة اثناء

الاحتلال الفرنسي . ويذكر مورقان (١) سنة ١٧٥٥ ان المساجد بمدينة الجزائر كثيرة جدا ، بلغ عددها نحو العشرة مساجد كبيرة مثل جامع سيدي رمضان ، وجامع سيدي بومدين ، وجامع بارباروس ، والجامع الكبير ، وجامع سيدي عبد الرحمن ، وحوالي الخمسين مسجدا



جامع سيدي عبد الرحمان

صغيرا ، يضاف الى ذلك عشر بيعات لليهود ، جلها تتركز بحي باب الوادي ، وهي نفس الارقام التي جاءت عن الحملة الفرنسية قبل الاحتلال للمدينة بسنة واحدة فقط ، ومن اهم البيعات : البيعة السفلى بالقرب من الجامع الكبير ، وبيعة باب الوادي في حي باب الوادي .

والى جانب هذه المعابد المختلفة داخل المدينة كانت قصور الدايات واصحاب المناصب العليا في الدولة ، منها قصر مصطفى باشا الذي بنى في اواخر القرن الثامن عشر (١٧٩٨) وحولته فرنسا الى المكتبة الوطنية سنة ١٨٦٢ وكانت هذه المكتبة تحوى أربعين ألف مجلد في مختلف العلوم وشتى الفنون زيادة عن نحو الألفين كتاب من المخطوطات العربية

(1) Morgan : A Complet History of Algiers. pp. 251-259

والتركية ثم اللغة المحلية واهمها المخطوطات العربية (١) ، نقلتها فرنسا من الجزائر الى مكتبة ايكس بروفانس تهريبا بعد ان نالت الجزائر استقلالها سنة ١٩٦٢ . ومما يلاحظ على قصر الداي مصطفى باشا انه مازال قائما الى يومنا هـذا بنهج لانطاندانس الذى كانت تغطي جزءا منه قطع من مدافع شارل الخامس، وهي قطع غنمها المسلمون بعد اندحار شارل الخامس امام المدينة سنة ١٥٤١ وخسر فيها عددا كبيرا من الرجال والمعدات الحربية وكانت له هزيمة كبرى ، ظل يرثى لها شعراء اوربا مدة طويلة من الزمن . وعلى بعد نحو المائة متر الى الشمال من قصر مصطفى باشا كانت تقوم دار السلطان بين شارع باب الوادي ونهج بروس ونهج الديوان، ودار السلطان تسمى بالجنينة ايضا وهى مقر الدايات منذ انخنق عروج سليم التومى الى عهد الداي علي خوجة سنة ١٨١٦ الذي نقل مقر الحكومة الى القصبة العليا ، ثم قصر يحيى الرائس والقصر الجديد وقصر مامي وقصر علج علي ، وقصر علي الشلبي ويحيى داي ، وقصر علي الارنوطى ، وقصر الشائب على الخ ... اذا كان حوالي ١٢ قصرا داخل المدينة للضباط الساميين و الديات كما تدل عليها اسماؤها، وتتوسط هذه القصور ساحات واسعة وفوارات جميلة من الرخام الابيض . وتغطي جدرانها الفسيفساء ، وتكثر بها الاقواس والسوارى الرخامية والاروقة الجميلة .

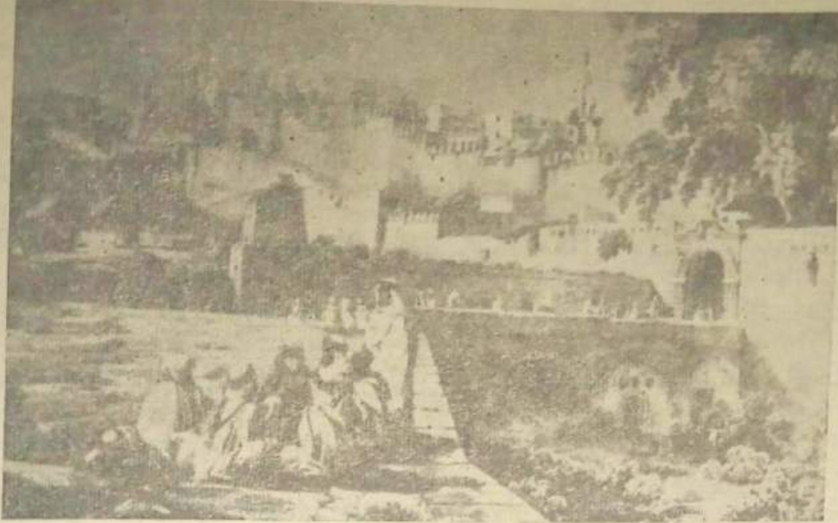
وتضاف الى المباني السابقة ، داخل المدينة ، ثكنات الانكشارية، وعددها نحو الثمانية اغلبها كانت تتركز فى القصبة،وحول سور المدينة،واللومانات للاسارى وعددها نحو الخمسة منها لومان مامي بالقرب من باب الوادى ، ولومان الباسطارد بالقرب من باب عزون ولومان الشائب علي، ولومان الباب الجديد ، والزوايا والمدارس المنتشرة فى كل الاحياء. ويذكر بويـــر (٢) ان عدد المدارس بلغ فى نهاية العهد التركي بمدينة الجزائر ، نحو الثمانون مدرسة ويظهر ان هذا الرقم مبالغ فيه لعدم اهتمام الحكومة التركية بالناحية الثقافية . وتتفرع داخل المدينة شبكة من الانهج والازقة الضيقة والمزورة ، عرضها لايزيد فى بعض الاحيان عن العشرة اقدام ، تعلوها في الغالب سقوف من الاخشاب

---

(1) Hachette ; Guide diamant. Alger et ses environs. PP. 12-18
(2) P. Boyer : L'Evolution de l'Algerie mediane. Alger 1960. P. 70

واهم الانهج تلك التي كانت تحيط بداخل سور المدينة ، والانهج التي كانت تربط بين الابواب الرئيسية للمدينة مثل نهج باب عزون ، باب الوادي الذي كان يسمى بالنهج الكبير او نهج السوق ، ثم نهج السباغين الى الشمال قليلا من جامع كتشاوى حاليا . ونهج السباغين الى الغرب قليلا من دار السلطان و نهج السرايرية بالقرب من جامع سيدى رمضان ، ونهج الباب الجديد الذي ينطبق على شارع الباب الجديد الحالي ، ونهج الزياتين بالقرب من شارع باب عزون الحالي الخ . وكما يلاحظ على اسماء هذه الانهج انها كانت مشتقة من الحرف السائدة فى النهج، اذ الدكان يمثل الورشة والمعرض والمسكن فى نفس الوقت . اما اسوار المدينة فقد اعيد بناء الكثير من جوانبها فى فترات مختلفة ، ففى سنة ١٥٦٧ امر محمد باشا باي لارباي على الجزائر اعادة بناء الاسوار ، وكلف مصطفى الصقلي بتحصين المدينة ، وكانت لمصطفى هذا دراية بالتحصين اذ هو الذي حصن مدينة حلق الوادي بتونس . وفى سنة ١٥٧٣ امر عرب احمد باشا (١٥٧٢ ـ ١٥٧٤) بتجديد بناء باب عزون وتحصين المدينة تحصينا جيدا خشية حملة المسيحيين بعد مناوشات بحرية ، فهدم لذلك باب عزون القديم والاجزاء البالية من الاسوار ، واعيد بناؤها بناء محكما وبنى سورا جديدا داخل المدينة يفصل بين القصبة السفلى والقصبة العليا ، كما امر احمد باشا بتوسيع خندق المدينة ، واحاطة الجزر الاربعة بسور متين ، واستمر الدايات الاترك على هذه الطريقة من تحصين مدينة الجزائر شيئا فشيا وبالخصوص اثر الحملات المسيحية على المدينة إلى ان اصبح ارتفاع اسوارها يتراوح بين ١١ و ١٣ م مبنية بالآجر والحجارة ، محيطة بكامل المدينة احاطة السوار بالمعصم، طولها نحو الكيلومتران والنصف، تتلوها ابراج وفتحات للرمي، وتتخللها ثكنات للجيش . وبالجانب الخارجي من السور خندق عميق خالي من المياه يتراوح عرضه بين ١٤،٥٠ و ١١،٥٠ مترا وعمقه يتراوح بين ٦ و ٨ امتار ، شرع فى بنائه حسن آغا سنة ٩٤١هـ . وهو خندق يصعب عبوره محكم البناء تتخلله جسور متحركة يمكن رفعها وقت الحاجة .

وكان الناس يدخلون الى المدينة من خمس ابواب رئيسية هى :

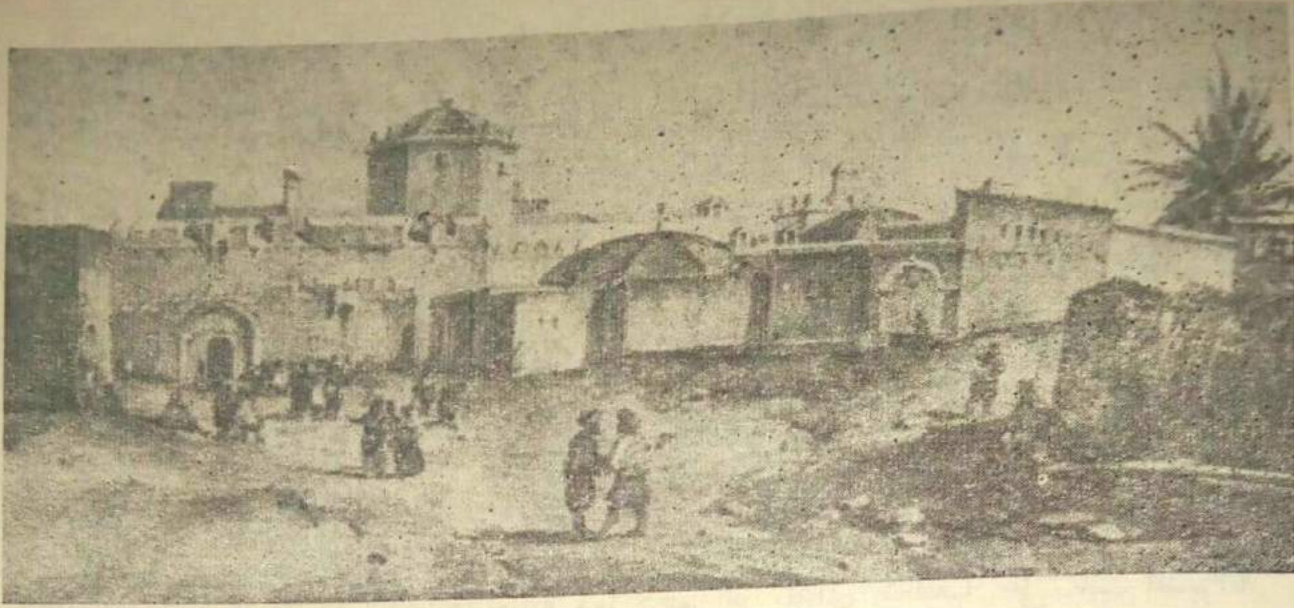


باب عـــزون

١ — باب عزون ، نسبة الى احد الثوار من الاهالي اسمه عزون ، ثار ضد الحكم التركي ، وحاصر المدينة ، ولكن بدون جدوى حيث قضى عليه فى مطلع الحكم التركي لمدينة الجزائر . وباب عزون اهم ابواب المدينة ، منها كان يدخل القادمون من الجنوب والشرق ، ومن السهل المتيجي عن طريق الحراش ، وهي أهم طريق تربط المدينة بشرق البلاد ، وكان لباب عزون جسر يرفع اثناء الخطر .

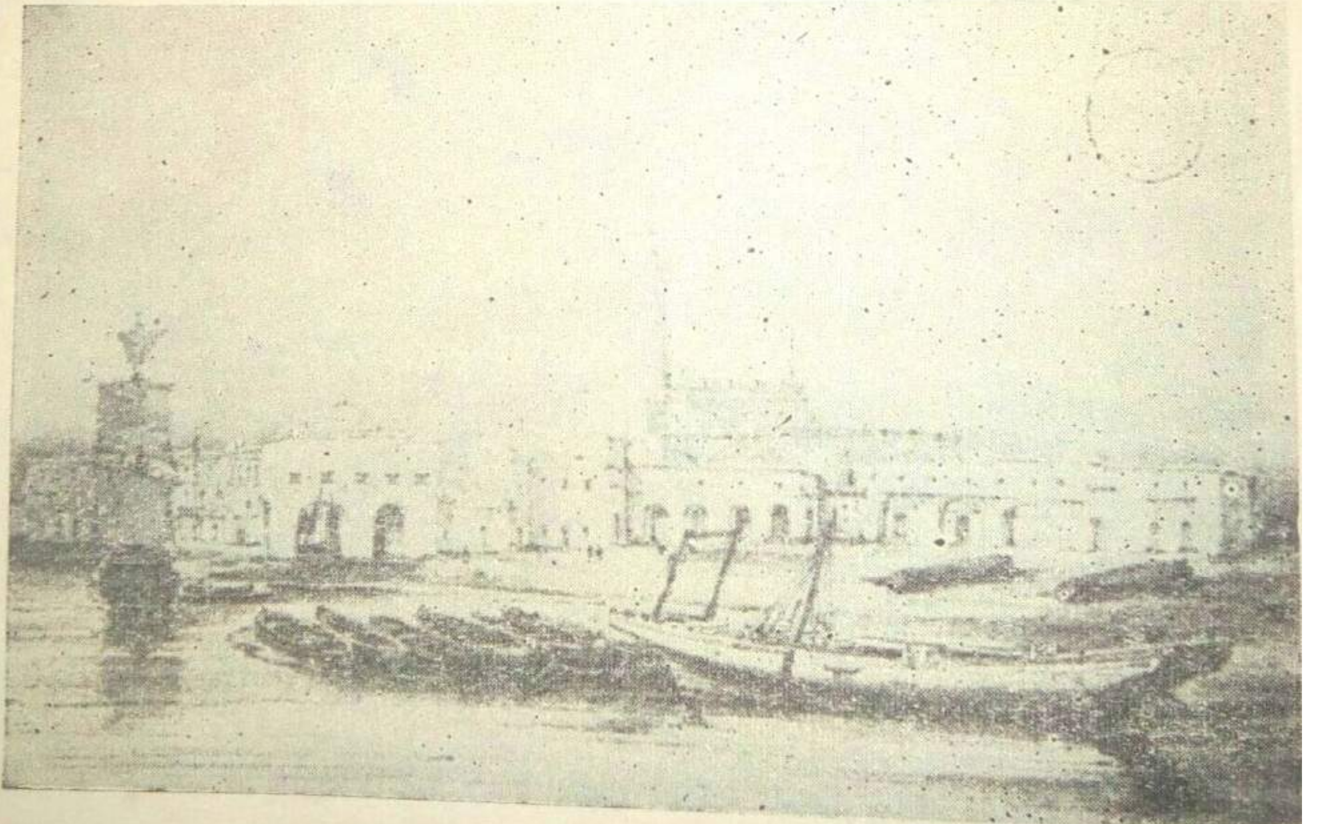
٢ — الباب الجديد في الجهة الجنوبية الغربية من السور ، يدخل منها القادمون من الغرب ومن البليدة ، ويربطها طريق رئيسي بغرب البلاد منذ العهد الروماني وهو سبيل وعر حيث يسلك الروابي والمرتفعات الا انه احسن من طرق السهل المتيجي التي كانت تتخللها المستنقعات والاحراش فى بعض اجزائها.

٣ — باب الوادي ، نسبة الى الوادي الذي يمر بجانبها ، وتفتح نحو الشمال او نحو الطريق التي تمر بجبل بوزريعة وهي اقل الابواب اهمية تنتهي الى جسر بالامكان رفعه وقت الخطر ، مثل باب عزن .



باب الــــوادي

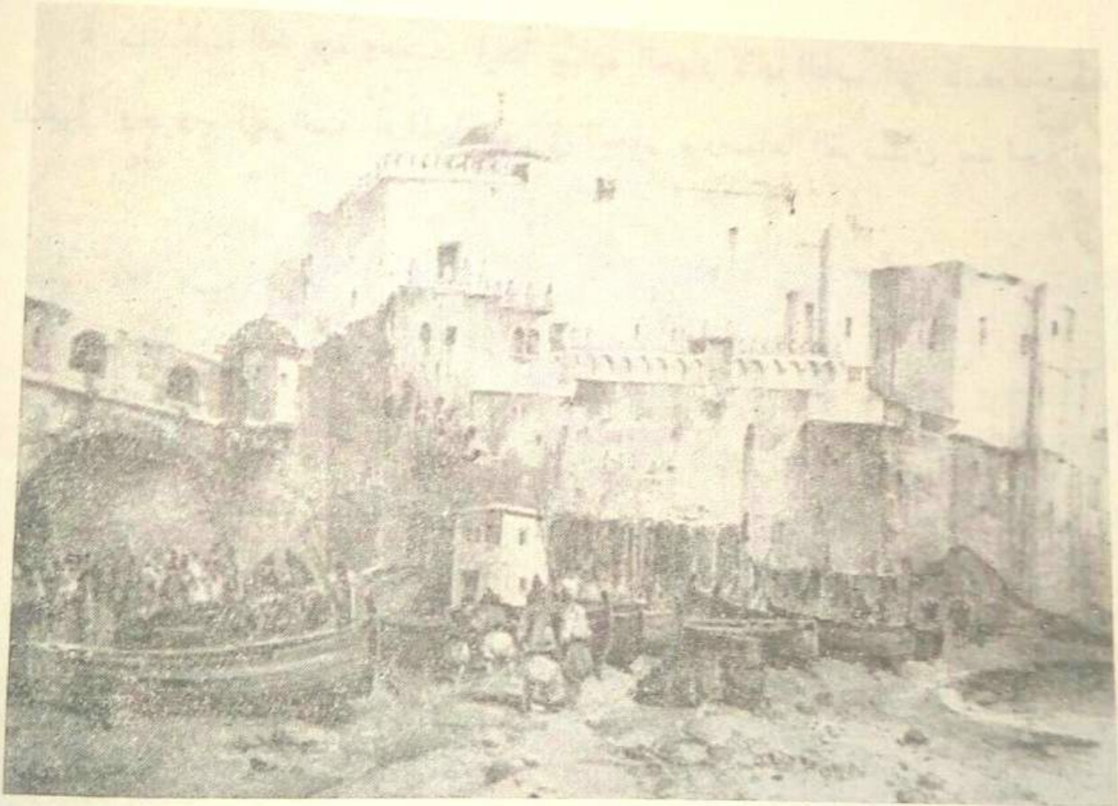
٤ ـــ باب الجزيرة وسميت ايضا بباب الجهاد لانها الباب التي كانت مخصصة لدخول وخروج القراصنة او المجاهدين في البحار . وسماها الفرنسيون بعد احتلالهم



بـاب الجـهـاد

للمدينة باب فرنسا اولا ، ثم باب البحر ، وظل الاهالي يطلقون عليها الى يومنا هذا باب الجزيرة لانها كانت تعطي للجزر القديمة الاربعة . وهي اشد الابواب متانة ومناعة بجانبها كانت عدة ثكنات للانكشارية البحرية .

٥ ــ باب السردين او باب الديوانة ، وكانت مخصصة للتجارة البحرية وكان يدخل منها الصيد البحري لذلك سميت بباب السردين . وقد علقت بهذه الباب خمسة أجراس قيل انه جيء بها من مدينة وهران سنة ١٧٠٨ ثم باعها الداي الى تاجر يهودي سنة ١٧١٧ ثم أخبر الداي ان هذه الاجراس تحوى فضة وذهبا فى جوفها فاسترجعها من اليهودي ثم استبرها واما وجدها خالية مما زعم امر الداي بتعليقها على باب الديوانة تخليدا لذكرى الانتصار على الاسبان واسترجاع مدينة وهران منهم .



باب الديوانة

وكل هذه الابواب كانت كبيرة الحجم ، متقنة الصنع ، مرصعة بالحديد ، تغلق قبل غروب الشمس بقليل ، وتفتح بعد طلوع الشمس بقليل ، يكثر بها الحراس ، وتشتد

بها المراقبة حتى لاينسل منها الى المدينة مشبوه فيه ، وتحاذيها القلاع و الثكنات ، وتعطي الى رحاب واسعة داخل المدينة ، او الى ابواب اخرى ثانوية داخل المدينة مثل البابين الداخليتين بالقصبة العليا ، والباب الداخلية فيما وراء باب الجزير .

ب — عمران خارج المدينة

اما خارج اسوار المدينة فكانت تنتشر المنازل السكنية والمؤسسات الاقتصادية والمنشآت الدفاعية الدفاعية كما تدل عليها بعض الآثار الباقية الى يومنا هذا . ومن اهم مايميز خارج المدينة عن داخلها هى الحدائق والمقابر التي كانت خارج اسوار المدينة والديار المبعثرة هنا وهناك اما داخل اسوار المدينة فلاحدائق ولاساحات عمومية بل الديار المكتظة ، والمنازل المزدحمة والانهج الضيقة كما ذكرنا سابقا . فضواحي المدينة هي نقطة الوصل بين المدينة نفسها والريف لذلك كثرت بها المقاهي وهي اماكن كان يلتقى فيها سكان الريف بسكان المدينة .

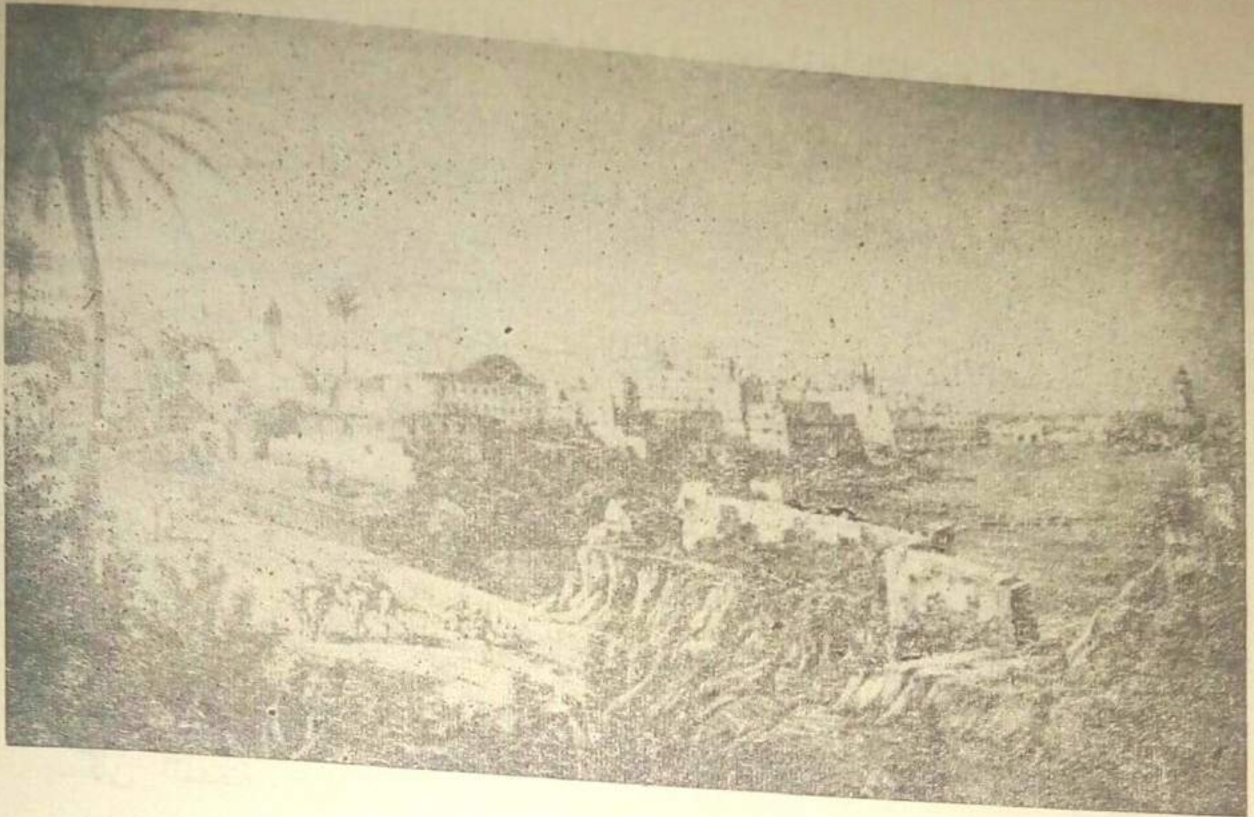
المنازل السكنية :

وهي كثيرة وتنقسم الى احياء عديدة ، وتكثر بالخصوص فوق الروابى الجنوبية

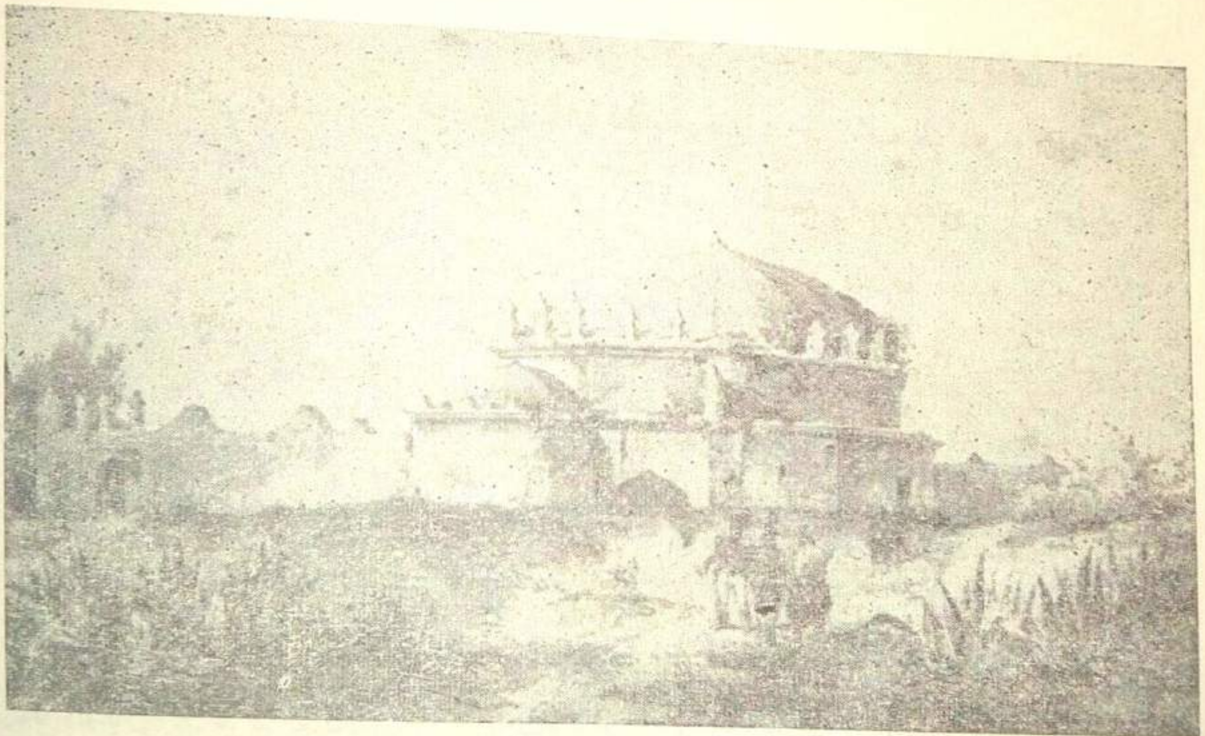
واهم الاحياء السكنية خارج اسوار المدينة هى : حى باب الوادي ، وبوزريعة ، والابيار ، وبئر مراد رائس ، وبئر الخادم ، والقبة ، والحامة ، ومصطفى باشا ، وتافورة .
وقد اختلف عدد منازل هذه الاحياء من فترة لاخرى حيث قدرها هايدو سنة ١٥٧٨ باكثر من ١٥٠٠ منزل ، ثم قدرها جراماي باكثر من الفي منزل اما رينودوت فيرفع العدد الى عشرين ألف منزل (١) وهو بلا شك رقم مبالغ فيه او يشمل كل ديار مدينة الجزائر داخل الاسوار وخارجها ، والاقرب الى الصواب هو تقدير شالير الذي يقدرها بحوالي الالف .

واغلب المنازل في ضواحي المدينة كانت ملك لاصحاب الديوان اوللرياس من القراصنة الذين اكتسبوا ثروة طائلة من البحر ثم نزلوا بها الى البر بضاحية المدينة حيث شيدوا بها الديار الفاخرة بعيدين عن ضوضاء المدينة ، واكتظاظ سكانها ، وقلق الحياة فيها

(1) Renaudot : Tableau du royaume de la ville d'Alger et ses environs Paris 1830. p. 19. et Morgan idem. p. 305 .

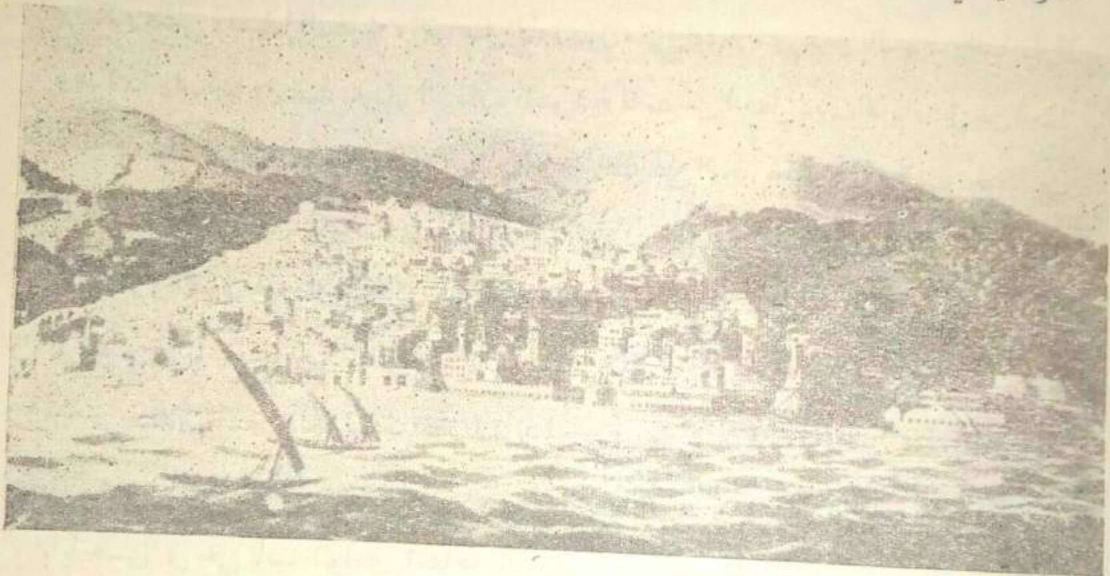


حي تافــورة



ضريح احد الاولياء فى حي تافورة

وكانت هذه الديار او الفيلات عبارة عن قصور مشيدة لما تحويه جدرانها من رخام ديلف Delft وفيفاء ايطاليا، ولما فرش في وسط غرفها من حرائر ليون وجنوة ، ولما علق بداخلها من مرايا البندقية وزجاج بوهيمية ، وساعات بريطانيا ، ولما نقش على جدرانها من صور للقنص و مظاهر طبيعية متنوعة وخلابة وأحيطت هذه الديار بالحدائق الغناء ذات الاشجار والفواكه المختلفة والورود المزهرة في كل فصول السنة . وقدر هايدو عدد الحدائق في ضاحية المدينة بحوالي العشرة آلاف حديقة ، والاب دان (١٦٣٤) قدرها بنحو ١٨٠٠٠ حديقة ، اما بيسونال (١٧٢٤) فيذكر ٢٠٠٠ حديقة ثم فانتيردي بارادي (١٧٨٩) يقدر حدائق ضواحي المدينة بنحو ١٦٠٠٠ حديقة ، و قد سجل جيش الحملة الفرنسية في مذكراته عن جمال ضواحي المدينة وذكر ان المنازل والحدائق كانت تزداد



حدائق في ضواحي المدينة

كثافة كلما اقتربنا من الاسوار بالنسبة للقادم من سيدي فرج . ويذكر بيرتيلا احد رجال الحملة الفرنسية ان ضواحي المدينة جميلة جدا بها اراضي شديدة التضرس ، كثيرة الصخور ، لكن تغطيها مزروعات متنوعة ، وتنبجس من ارضها مياه لعيون كثيرة ، وبها ديار عديدة ، تتخللها الحدائق الغناء . ويذكر فرنيل ان الاقليم المحيط بمدينة الجزائر رائع

جدا ، و ان الجزائريين يفضلون كثيرا سكني الضواحي ، التي تنتشر فيها الديار العربية الانيقة ذات الاقواس العديدة ، والعرائش الظليلة ، والسطوح الافقية التي يقضون فيها بعض الوقت للتمتع بالطبيعة الجميلة ، اما ديبري وهو من رجال الحملة ايضا فيعجبه حي الابيار كثيرا ويقول عنه : انه عبارة عن هضبة تحدها يسارا شعبة عميقة ، ويمينا سفوح شديدة تنحدر نحو البحر ، بها منازل عديدة ، مطلة بالجير ، و بها حدائق كثيرة تعطي للطبيعة مظهرا خلابا حيث تكثر الاشجار المثمرة ، واشجار البرتقال بالخصوص .

والواقع ان حي الابيار كان من اجمل الاحياء في ضواحي المدينة وهو احد مناطق الفحص، وكان يمثل الضاحية الممتازة بموقعها الجميل تشرف على البر و البحر ولهذا اختارها الاثرياء من سكان المدينة مقرا لهم في فصل الصيف ، كما عمرها المهاجرون الاندلسيون والاتراك والكوروغلي وفضلها السفراء والقناصل الاوربيون مقرا لهم ، منهم سفير السويد والدانمارك وهولندا واسبانيا وفرنسا . ودار السفارة السويدية كانت من اجمل ديار الابيار بل من اجمل ديار الدنيا ، بنيت فوق صخرة (سانت رفايل) المطلة على البحر مباشرة ، وكانت تحيط بها الينابيع والحدائق من رمان وبرتقال وجوز وتين وريحان خربت سنة ١٨٤٨ . ومن ديار الابيار فى القرن ١٨ دار شكيكن وكانت هي المقر الصيفي لقنصل اسبانيا وهي ملك لسيدي ابراهيم بن يوسف وزير البحرية التركية ، اشتهراها دفولكس سنة ١٨٣١ بثمن بخس بعد ان خرج الاتراك من الجزئر .ثم دار القائد احمد في طريق كولون فوارول . . . الخ

ومن ناحية باب الوادى تظهر حدائق اخرى ، أهم هذه الحدائق والقصور حديقة الداي باباحسن فى حي باب الوادي انشأها اثناء توليته دايا على الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر للميلاد (١٢٠٥ - ١٢١٢هـ) ، وخصصها لنزهته ، ونزهة اصحابه واتباعه ، وصرف عليها اموالا طائلة ، حولت بعد الاحتلال الفرنسي الى مستشفى مايو،ثم المستشفى العسكري حاليا بباب الوادي . و كانت بحي باب الوادي مقابر الدايات ومقابر اخرى للمسيحيين واخرى لليهود ، اما حي تافورة الواقع خارج باب عزون فكانت تكثر به المنازل السكنية ويمثل السوق الخارجي للمدينة يلتقى فيه سكان المدينة بسكان السهل المتيجي للتبادل



مقهى الصفصاف فى ضواحي المدينة

التجاري ، وهو بذلك انشط الاحياء تجارة على عكس حي الحامة الذي جففه السكان وحولوه الى مزارع للخضر والفواكه لتموين المدينة ، وبحي الحامة يوجد ضريح سيدي محمد بوقبرين ، مؤسس الطريقة الرحمانية ، وقيل انه توفى حوالى سنة ١٧٩٢ (١) فى بلاد القبائل ودفن هناك ثم نقل الاتراك رفاته الى الحامة لكي لايتخذ من قبره الثوار البربر موضعا للانطلاق ضد الحكم التركي وبنو عليه مسجدا مازال الى يومنا هذا . والسفوح المقابلة للحامة كانت تكثر بها الغابات وحيوانات القنص فيها دارت قصة الصياد الفرنسي تارتاران الذي قتل حمارا ظنا منه انه اسدا . وحى القبة يوجد فى منطقة جميلة جدا، يبلغ ارتفاعها ١٢٧م وتعطي منظرا ساحرا نحو الحامة ، ونحو المدينة فى الشمال الغربى ، ونحو سهل متيجة فى الجنوب الشرقى . واشتق اسم حي القبة من الجامع والقبة التى بناها الحاج باشا التركى سنة ١٥٤٣ حولها الاستعمار الفرنسى الى كنيسة في عهد الاحتلال ، وهي من انظم الكنائس بمدينة الجزائر في يومنا هذا لاندانيها الاكنيسة نوتردام دافريك في حى باب الوادي . وتفصل حي

(1) Gabriel Esquier : Alger et sa region. Alger 1957. pp. 118-124

القبة عن حي بئر مراد رائس شعبة كنيس التي تدور حولها قصص كثيرة منها: قصة المرأة بايه التي لجأت الى هذه الشعبة فرارا من قهرمانة حريم الداي التي عذبتـــها . وقيل ان بايه هي حسنا ءسانت لاو التي فشلت في حبها و جاءت من بلادها لاجئــة الى هذه الشعبة لنسيان غرامها ، ولكى تحيى الحياة الطبيعية وسط نباتات اللوتس وهي نباتات مشهورة بان آكلها يعتريه النسيان ، واعتكفت هذه الحسناء فى هذه الشعبة على العبادة ومساعدة المسافرين الى ان ادركتها المنية ، ثم صارت تظهر ليلا فقط ، لابسة جلد غزالة واذا رآها احد عوت عواء الذئاب ثم ذرفت دموعا تحرق المــزروعات . وهذه الاسطورة من نسج الخيال . وحي القبة كان قليل البنيان كثير الغابات والاحراج المتنوعة الأشجار .

اما حي بئر مراد رائس فقد اشتق اسمه من احد القراصنة اصله من الفلامان ، دخل الاسلام ، بعد ان اسر ، ثم اسند اليه رياسة سفن القرصنة التي كان يخوض بها عباب البحر حتى جزيرة ايسلاندا وجمع لذلك اموالا طائلة ، بنى بها قصرا بهذا الحي ، وحفر الى جانبه بئرا ، فى مطلع القرن التاسع عشر للميلاد ، هاجر اليه السكان وبنو به مقهى



مقهى حى بئر مراد رائيس

للتجمع. وحي بئر الخادم اشتق اسمه من البئر التي بناها حسن باشا لاحدى سرائره سنة ١٧٩٧، كما بنى لها قصرا كان بنفس الحي الذي تكثر به الجاليات الاندلسية التي استصلحت المنطقة واقامت بها الديار الجميلة، وحفرت بها الآبار العديدة والصهاريج الواسعة.

المؤسسات الاقتصادية :

ونقصد بها الورش الصناعـــية البسيطة، فالى جانب تـــلك الديار و البساتين والآبار بضاحية المدينة كانت توجد محاجر لقلع حجارة البناء ومصانع للجير فى حي باب الوادي واخرى لصناعة الفخار في حي تافورة ومطاحن تديرها فى الغالب القوة المائية منها مطاحن على وادي مغاسل واخرى على وادي الحراش وقدرها فانتردى بارادي بحوالى ٢٥ مطحنة خارج المدينة و داخلها. اما الواقـعة داخل المدينة فكانت تديرها البغال او الجمال وكانت جلها ملك للمزابيين اما المطاحن الواقعة خارج المدينة فكانت في معظمها ملكا للدايات مثل المطاحن التي استوردها الداي كردعبدي سنة ١٧٣٣ من مرسيليا (١).

المنشآت الدفاعية :

وهي اهم ما اعتنى بها الاتراك طيلة حكمهم للمدينة وقد دفعتهم اليها ظروف الحكم من جهة، وشدة العداء التي كانت تضمره لهم الدول المسيحية وعلى رأسها اسبانيا، وفرنسا وانجلترا، لذلك كانت ضاحية المدينة، ومنطقة الشاطىء بالخصوص، تكثر بها الحصون والابراج وتزدحم بهـا المنشآت الدفاعية التي اهتم بها الجواسيس المسيحيون فى مطلع القرن التاسع عشر ورسمو لها خرائط واطنبوا في ذكرها وبالغوا في وصفها.

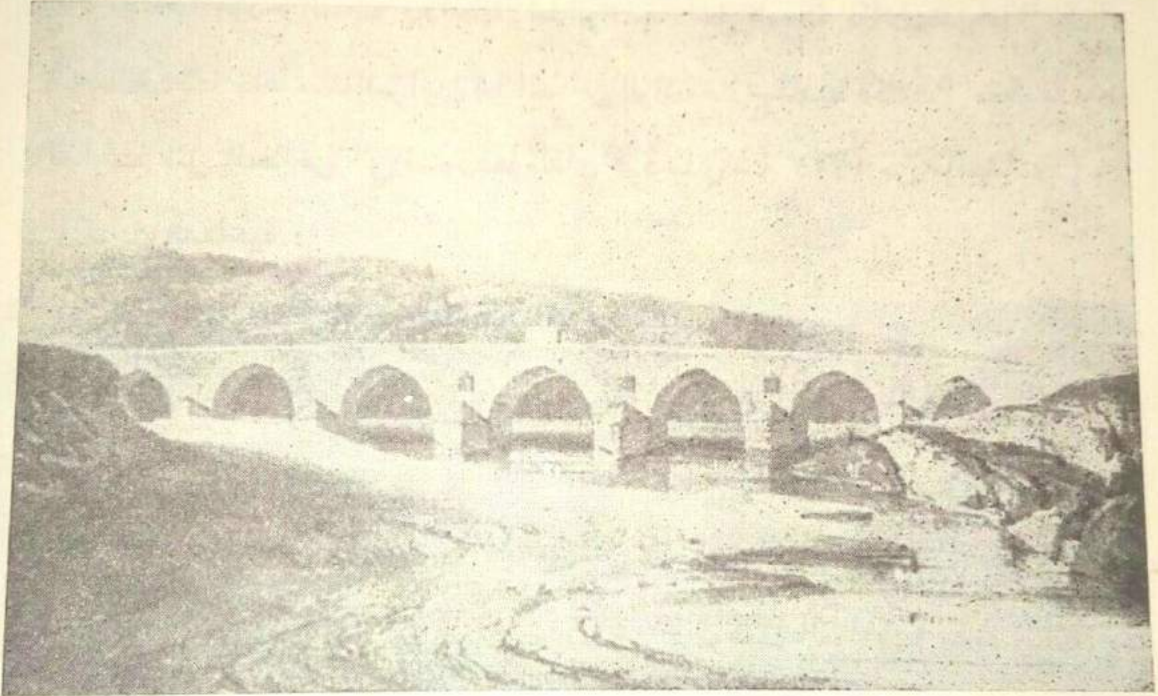
ومن أهم هذه المنشآت الدفاعية :

١ ــ برج تامنفوست بني سنة ١٦٨٥ على نحر البحر عند النهاية الشرقية للخليج في الرأس الصخري المقابل لمدينة الجزائر وذلـك لحماية المدينة من الجهات الشرقية.

٢ ــ برج وادي الخميس الواقع عند مصب وادي الخميس غير بعيد عن البرج السابق والى الغرب منه.

(1) H. D. Grammont : Correspondance des Consuls d'Alger. Alger 1830p. 206

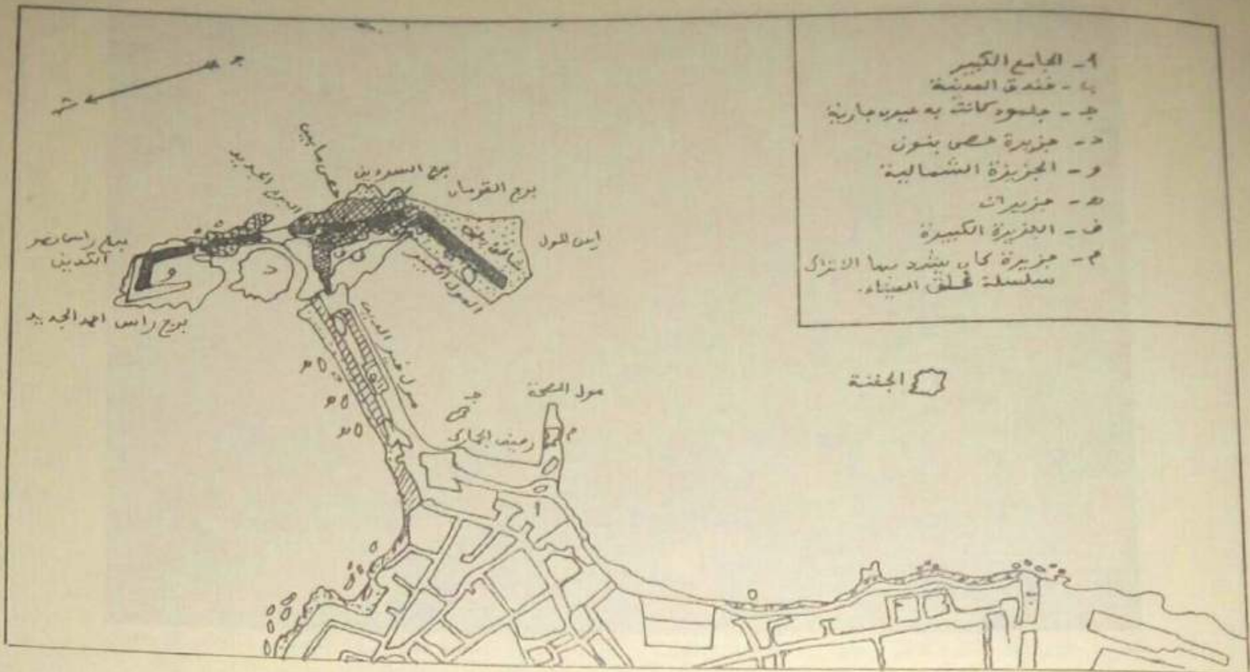
٣ ـــ ابراج منتشرة من البرج البحرى حاليا (Fort de l'Eau سابقا) الى حي تافورة ، ومن اهمها برج السفيد الذي بنى بالحامة سنة ١٦٦١ فى المنطقة التي تعودت الحملات الاسبانية النزول فيها لمهاجمة المدينة من الشرق ، وبرج القنطرة او برج الآغا الذي بني سنة ١٧٤٦ على ربوة فرق مصب وادي الحراش وعلى مقربة من قنطرة التى بناها الحاج احمد باي على وادي الحراش سنة ١٦٩٧ ثم زاد فى تشديدها ابراهيم بن رمضان سنة ١٧٣٦ ثم اعادت فرنسا بناءها سنة ١٩١١ . وبرج القنطرة كانت تنطلق منه الحملة التركية لجمع الضرائب من سكان السهل المتيجى ويشرف نفس البرج على الطرق الرئيسية القادمة من الشرق نحو مدينة الجزائر .



قنطرة الحـــراش

٤ -- برج باب عزون بناه الداي مصطفى في رأس تافـورة سنة ١٨٠٥ وسمى بالحصن الجديد ايضا وذلك لحماية اهم باب بالمدينة كما سبق في ذكر الابواب .

٥ ـــ الابراج الستة على الجزر الاربعة القديقة وعرفت هذه الابراج من الشرق الى الغرب ببرج القومان ، وبرج السردين ، وبرج مابين ؛ والبرج الجديد ، وبرج رأس



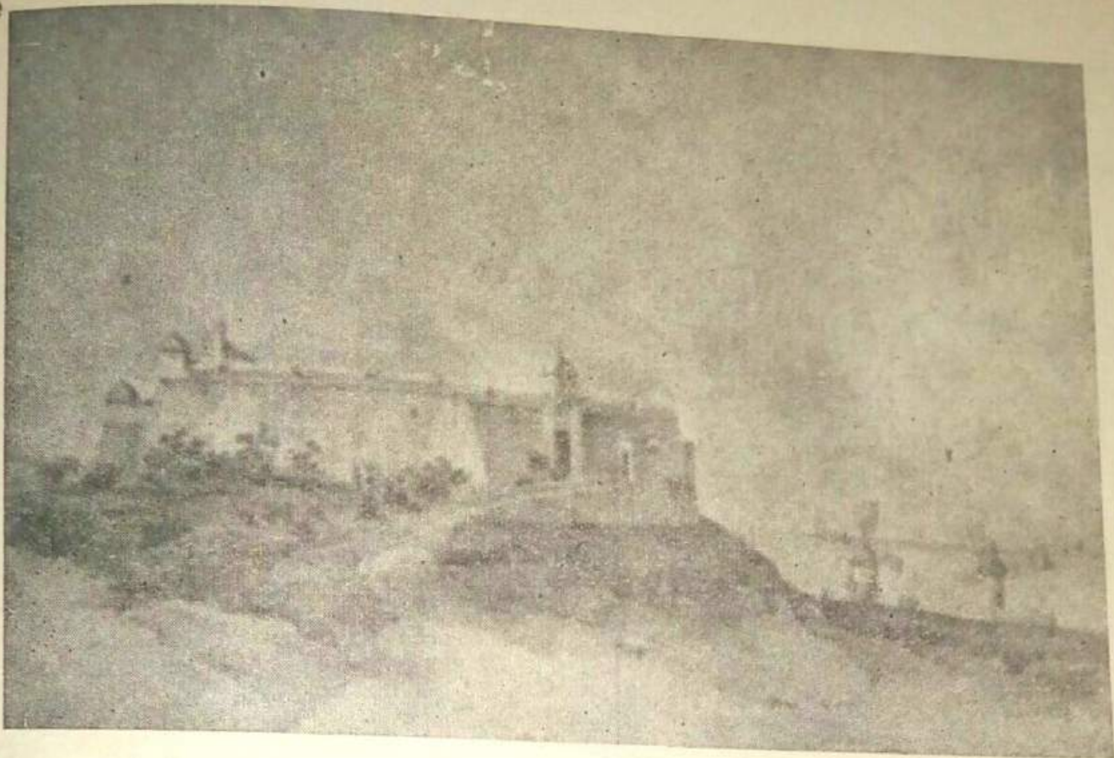
ابـراج ميـناء الجـزائر

اعمر ، وبرج رأس احمد ، وهي اقوى الابراج لما بها من اسوار متينة ، ومدافع ثقيلة وخفيفة ، وفتحات رمي عديدة ، اذ بها ١٧٣ فتحة للمدافع ذات العيارات المختلفة ، وما كان لاي عدو ـ مهما بلغت قوته ـ قدرة على اقتحام هذه الابراج او الاقتراب الى المدينة من هذه الجهات ، باتفاق جميع الكتاب و الجواسيس الآوربيين الذين وصفوا مدينة الجزائر في هذه الفترة ، وتحدثوا كثيرا عن حصانة هذه الابراج .

٦ ـــ البرج الجديد ، بنى سنة ١٨٠٢! على نحر البـحر وفى الجهات الغربية من الخندق الغربي ، بالغرب من باب الوادي ، لحماية الشواطيء الغربية للمدينة .

٧ ـــ برج ستى تاقليلت ، وسمي ببرج على ، او برج ٢٤ ساعة في بعض الاحيان ، بناه فيما بين ١٥٦٨ و ١٥٦٩ الباشا علج علي لحماية الميناء القديمة التي كانت تقع عند مصب وادي مغاسل (اي باب الوادي) .

٨ ـــ برج بيسكاد ، واطلق عليه ايضا حصن الانجليز بناه الداي علي آغا فيما بين ١٦٦٩ ـ ١٦٧٠ بالقرب من مرسى الذبان القـديمة او ما يعرف حاليا بشاطيء بلكين



حصن تاقليلت



برج بيسكاد

الى الغرب قليلا من البرج السابق .

٩ - ثم ابراج اخرى متواضعة بنيت على طول الشاطيء الغربي حتى رأس سيدي فرج وكان الاتراك يظنون ان جبل بوزيعة كافي لحماية المدينة من الجهات الغربية لذلك اكتفوا بعدم تحصين وترميم الابراج الواقعة فى اقصى الشواطىء الغربية لمدينة الجزائر مثل برج سيدي فرج الذي اهمل تماما ، وكان نقطة ضعف دخل منها الفرنسيون .

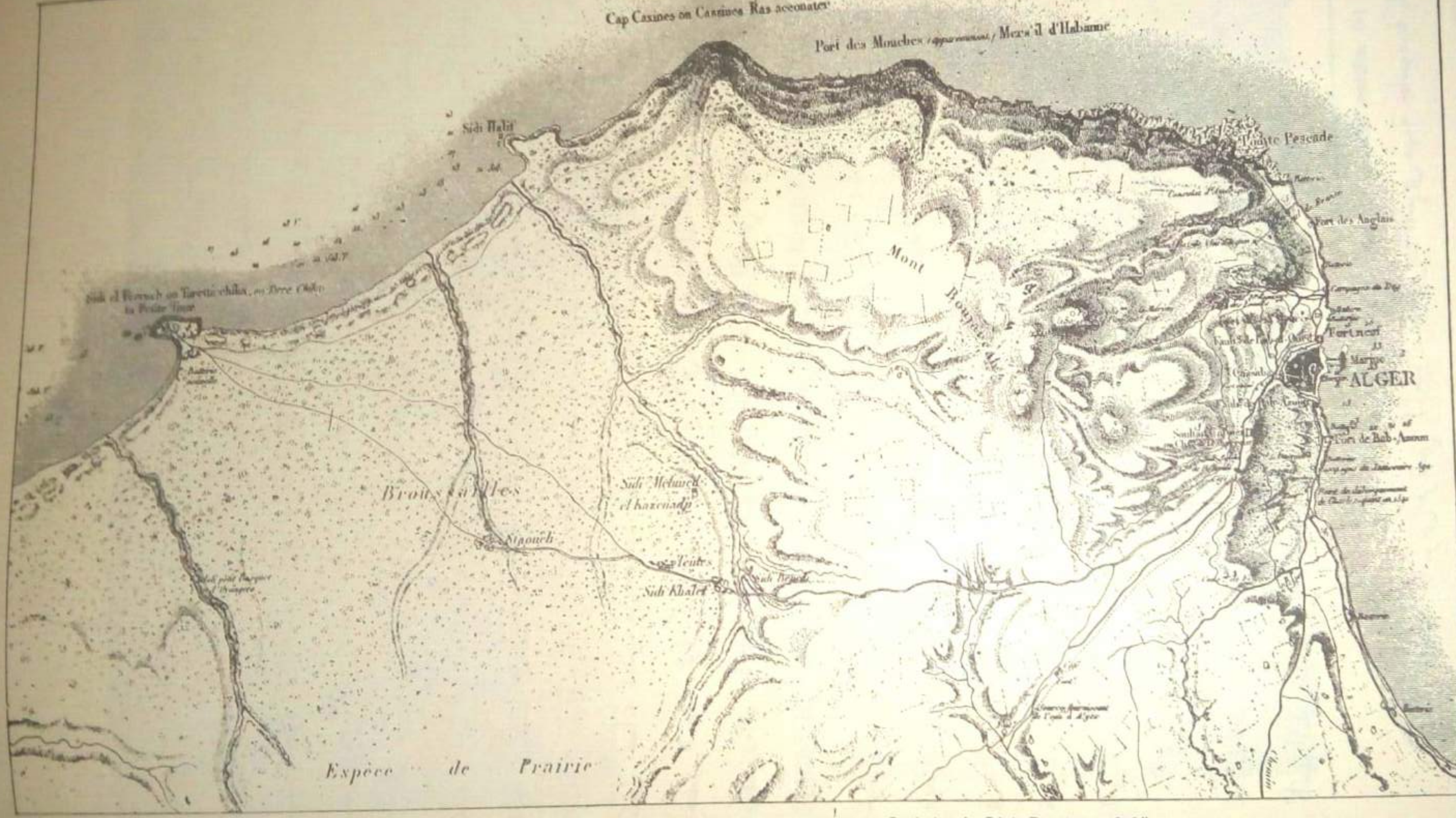
اما من جهات البر او الجهات الجنوبية فلم يكن للمدينة ابراج او منشآت دفاعية ذات شأن تحميها من الهجوم البري ماعدا برج النجمة او برج الطاقارة الذي بناه محمد باشا فى الجهات العليا من القصبة سنة ١٥٦٨ ولم يكن برج النجمة ذا شأن ، حيث افسدته يد الدهر ، ولم يقم الدايات بترميمه بل اغفلوا قيمته ، ظنا منهم ان حصن الامبراطور وحده كاف لحماية المدينة من جهات البر . وحصن الامبراطور هذا يقع الى الجنوب الشرقي من حصن النجمة ، فوق كدية (ربوة) الصابون التي خيم بها شارل الخامس فى حملته المشهورة والمشؤومة ، والحصن لايبعد كثيرا على حافة الطريق الغربي ، بحيث يشرف على كل الداخلين الى المدينة من الباب الجديد . ويسمى بحصن بوليلة عند العامة لان شارل الخامس خيم فى مكانه ليلة واحدة هي ليلة الاربعاء ٢٦ اكتوبر سنة ١٥٤١ ثم انهزم فانسحب ، ويعرف ايضا بحصن السلطان قالاصى او مولاي حسن نسبة الى بانيه حسن باشا الذي شرع فى بنائه سنة ١٥٤٥ على بعد ١٧٠٠ متر من القصبة العليا ثم زاد في تشديده وتقويته حسن فينزيانو سنة ١٥٨٠ ، وهو الحصن الوحيد لحماية المدينة من الجهات الجنوبية ، والجهات البرية بصفة عامة ، مازالت بنايته قائمة الى يومنا هذا .

وفى المراجعة الى مواقع جميع الابراج و الحصون السابقة الذكر يتجلى لنا بوضوح مدى الخطر المسيحى الذى كان يهدد مدينة الجزائر طيلة الحكم التركي . وان الجهات البحرية كانت اشد الجهات خطرا واقواها تحصينا ويؤكد لنا هذا تقرير بوتان (١) الذي ذكر ان

---

(1) william Shaler : Esquise de l'Etat d'Alger. L.L. 1830

بوتان Boutin جاسوس فرنسي لنابليون بونابرت قدم فى مهمة جاسوسية لمدينة ==



Fragment de la "Carte des environs d'Alger d'après le croquis fait sur les lieux par le Capitaine du Génie Boutin en 1808".

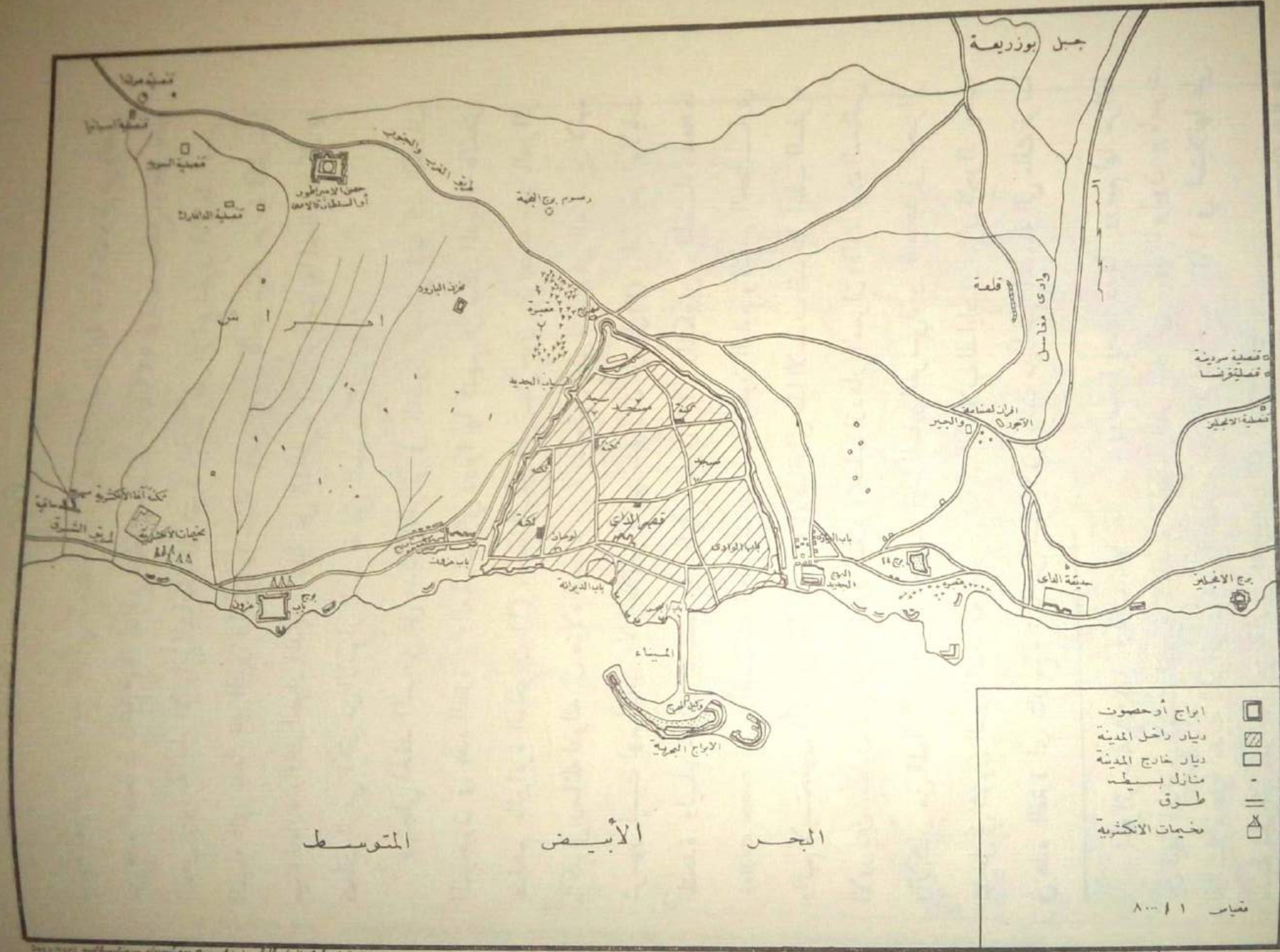
Echelle : 1/70.000e

مدينة الجزائر فى العهد التركي كانت شديدة التحصين ، تحيط بها ٩٠٧ فتحة للرمي وتطل من هذه الفتحات ٦٥٨ فوهة لمدافع مختلفة العيارات ، منها ٥٢٩ فوهات مدافع موجهة نحو البحر وموزعة على الابراج الشاطئية المذكورة وبالخصوص ابراج الجزر الاربعة ، وحتى الميناء التي بناها خير الدين و استبدنها بميناء باب الوادي كانت ميناء حربية اكثر منها ميناء تجارة ، وان اسوار المدينة المطلة على الشاطيء كانت تزدحم بها المدافع وتكثر بها فتحات الرمي اكثر من الاسوار المشرفة على الجهات الجنوبية .

و يتجلى الحقد المسيحي على مدينة الجزائر فى العصور الوسطى فيما كتبه الكتاب المسيحيون فى هذه الفترة ، والعبارات التي دونوا بها كتبهم عن سكان المدينة ؛ فالبعض يصفهم بالبرابرة الملعونين (١) ، وهذا السفير الفرنسي جون بون Jean Beaum بالجزائر يؤكد فى رسائله لدولته ان هؤلاء الجزائريين لايستحقون حتى النظرة من الفرنسيين لانهم شرسون ليست لهم آداب ولا اخلاقو لانهم مشهورون بالجهل (٢) . اما سفير الولايات المتحدة وليام شالير فيصفهم : « بقطاع الطرق (٣) ، والمتكبرين ، الحضارة Le Fleau du monde civilisé ، وآفات العالم المتحضر ، يكرهون العلوم و التقدم الحضاري وانهم لايستحقون ذكرا فى التاريخ ». وبالاضافة الى هذا الاسلوب فقد ظل أغلب السفراء الاوربيين يعملون على عرقلة تطور البلاد وتحطيم ازدهار العمران وذلك ببث الدسائس والاكثار من المماطلة ، ونكث العهود ، فهذا السفير الفرنسي لومير Lemaire فى الجزائر يتدخل في شؤون الدولة المضيفة له ويبني شبائك الانقلاب للدايات رغم ان الجزائر بعثت فى هذه الفترة اي بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٦٩٠ ، ستة من الخيل المسومة الى ملك فرنسا

== الجزائر سنة ١٨٠٨ وكتب عنها تقارير ، ووصفها وصفا دقيقا ، ورسم لها خرائط بين فيها المواقع الاستراتيجية لمساعدة الحملة الفرنسية التي بيتها نابوليون بونابرت للاستيلاء على مدينة الجزائر . وقد استعانت حملة فرنسا سنة ١٨٣٠ في استيلائها على مدينة الجزائر بما جاء عن تقارير ورسوم بوتان الى حد بعيد .

(1) H.D. Grammont : Correspondance des consults d'Alger p. 18
(2) Idem. p. 138
(3) W. Shaler : Esquisse de l'Etat d'Alger. Paris 1830 . P. 26 et 134.



مدينة الجزائر سنة ١٨٢٩ م.

كدليل على حسن العلاقات والاخلاص والصدق الذي كانت تضمره الجزائر لفرنسا ، ولم تكن هذه العلاقات آتية عن طريق ضعف المدينة بل ان مدينة الجزائر في هذه الفترة كانت على جانب عظيم من القوة ، ولكن كانت رمزا صادقا لما تسعى اليه المدينة من سلم.

وخلاصة القول ان الدول المسيحية ظلت تضمر الشر لمدينة الجزائر المجاهدة ، ومن هنا جاء التحصين الشديد للمدينة فى عهد الاتراك وهو تحصين املته الظروف التارخية ، وعلاقة المدينة بالدول المسيحية من جهة ، وهو دليل على مدى ثورة المدينة من جهة اخرى ، حيث ان التحصين ليس بدليل على ان المـــدينة دار حرب فقط ، ولكن دليل على ثووتها التى اكتسبتها عن طريق التجارة والقرصنة بالخصوص ، ثم هي عاصمة البلاد ، يجب المحافظة على قوتها ، ولهذه الاسباب خصص الدايات الاتراك نصيبا من اموال دخل المدينة لتحصينها بالابراج و الخنادق و المدافع و الاسوار المتينة التي هدمت في عهد الاحتلال الفرنسي ، لتمديد العمران ، وذلك عندما زال الخطر الذي كانت تخشاه المدينة او عندما سقطت جثةهامدة لفترة محدودة من الزمن،فى يد الاستعمار الفرنسي ، الذى دخلها بغتةمن الجهات الجنوبية الغربية اي ضربها من الخلف بعد نزوله فى سيدي فرج يوم ١٤ يونية سنة ١٨٣٠ على الساعة الثالثة صباحا ، ثم قام بتخريب البعض من عمرانها فى الداخل وفى الضواحي ، بل ان اكثر القصور الجميلة التي كانت فى الفحص استولى عليها الضباط الفرنسيون وانتزعوها بالقوة من ايدي اصحابها الشرعيين ، او اغتصبوها من الاتراك الذين فروا من البلاد بعد ان سقطت المدينة .

٢ ــ السكان

نمو السكان ، عناصرهم ، تركيبهم ، ثقافتهم ، نظامهم

١ ــ نمو السكان :

من المعروف ان دراسة النمو السكاني تعتمد في الدرجة الاولى على الاحصائيات التي تعد اساس البحث والمناقشة ، وهي قليلة في عهد الاتراك الذين لم يعتنوا بهذه الناحية ولم تكن لهم سجلات خاصة بالحالات الاجتماعية ، بل اهملوها تماما ، نظرا لعدة عوامل منها : ان المستوى الحضاري و الاجتماعي في ذلك الوقت لم يصل الى التعداد الكامل للسكان ، ومنها ان عام الاحصاء السكاني حديث اذا ما قورن بعهد حكومة الاتراك بالجزائر ، و منها سوء النظام الاداري التركي الذي اهمل او لم يهتم بهذه الناحية الاجتماعية . ولهذا نلفت خبرة المتتبع لهذا البحث الى ان الاحصاءات التي اوردناها لاترتفع عن مستوى الشك واننا قد انتقيناها وجمعناها من عدة مصادر اجنبية اي غير تركية وغير عربية ، وهي احصاءات عامة جاءتنا عن طريق الملاحظات التي دونها في اغلب الاحيان الاسارى المسيحيون بمدينة الجزائر ، او جاءتنا عن طريق المذكرات التي كان يكتبها مبعوثوا الدول الاجنبية بنفس المدينة لدولهم ، ومن الطبيعي ان هؤلاء الاجانب ما كانوا يريدون بهذه الملاحظات او المذكرات الاخدمة اوطانهم ودولهم و اطلاع اممهم على القوة البشرية لمدينة الجزائر وحالة سكانها حتى يسهل التنسيق بين قوة الحملات المسيحية والقوة الدفاعية للمدينة . ورغم ما فى هذه الاحصاءات من تخمينات لجأنا اليها وحدها لعدم وجود غيرها حتى يمكن المقارنة وتبيان الحقيقة ثم انها لاتبعد كثيرا عن الحالة السكانية للمدينة ، وذلك لتقاربها وتشابهها فى الفترة الواحدة رغم شدة تنوع مصادرها . والمتتبع لهذه الاحصاءات يلاحظ ان نمو سكان مدينة الجزائر في العهد التركي قد مر بثلاث مراحل متباينة هى : مرحلة النمو السريع ، ثم مرحلة الاستقرار ، ثم مرحلة التقهقر .

أ ــ مرحلة النمو السريع :

تبدأ مرحلة النمو السريع لسكان مدينة الجزائر من عهد دخول الاتراك ، اي ابتداء من مطلع القرن السادس عشر الى نهايـــة القرن السابع عشر للميلاد ، والى هذه الفترة تعود تقديرات ليون الافريقي وهي اول احصائية عن سكان مدينة الجزائر ، فيها قدرهم بنحو اربعة آلاف موقد اي حوالي ٢٠٠٠٠ نسمة سنة ١٥١٦ . وبعد ان تتبع عروج الثعالبة واتباعهم بالقتل والتشريد لما ابدوه من عدم المناصرة و الموالات للاتراك قل عدد سكان مدينة الجزائر الى حوالي ١٥ الف نسمة ثم اخذت هجرات الاتراك تعوض مافقدته المدينة ، وبعد اقل من عشر سنوات ، تالية لسنة ١٥١٦ ، زاد عدد سكان مدينة الجزائر عما كان عليه قبل دخول الاتراك ، و ربما وصلوا الى ٢٥ ألف نسمة فى اواخر عهد خير الدين باشا سنة ١٥٣٥ الذي نشطت فى عهده القرصنة وجمع في مدينة الجزائر عددا كبيرا من العبيد المسيحيين ، وزوده السلطان العثماني باكثر من الفين تركي .

ويذكر هايدو (١) الذي كان اسيرا بمدينة الجزائر فيما بين ١٥٧٨ و ١٥٨١ ان عدد ديار مدينة الجزائر حوالي ١٢٢٠٠ دار وبذلك كان عدد سكانها ٥٠ ألف نسمة يضاف اليهم ٢٥ ألف من العبيد او الاسارى المسيحيين . وهم ينقسمون حسب جنسياتهم كالآتي :

١٢٥٠٠ اهالى او حضر كانوا يسكنون المدينة منذ القديم اي قبل دخول الاتراك اليها .
١٠٠٠٠ اسارى مسيحيين اسلموا واصبحوا اتراكا .
١٠٠٠٠ اتراك جاء جلهم من الاناضول او من ازمير وهم جنود الانكشارية .
٢٥٠٠٠ اسارى مسيحيين ظلوا على ديانتهم وبذلك كانوا يعدون عبيدا .
٦٠٠٠ مهاجرين اندلسيين اندمجوا قليلا بسكان المدينة .
٣٥٠٠ مهاجرين من القبائل المجاورة للمدينة وبالخصوص من جبال زواوة .
٣٠٠٠ عرب ينحدرون من القبائل العربية المهاجرة .
٥٠٠٠ يهود جاؤوا عن طريق الهجرة من اوربا عندما اشتدت العصبية المسيحية .

٧٥٠٠٠ المجموع

(1) Fvay Diego de Haedo : Epitome de los reeys de Alger. walladolid 1612 (Traduit et Annotté par H. D. de Grammont Alger 1881)

ومن هذه الاحصاءات نلاحظ ان مدينة الجزائر انتقلت في عدد سكانها في اقل من نصف قرن الى اكثر من ثلاثة امثال ما كانت عليه ابان دخول الاتراك ، وهذا لا يرجع الى الزيادة الطبيعية ولكن الى الهجرة مثل هجرة الاندلسيين و الاتراك ، والى نشاط القرصنة وما كانت تجلبه من عبيد مسيحيين . وفى سنة ١٦٣٤ بلغ عدد ديار مدينة الجزائر ، حسب تقديرات الاب دان الى ١٥٠٠٠ دار ، وبذلك كان يسكنها حوالي ١٠٠٠٠٠ نسمة ثم ارتفع العدد مرة اخرى فى منتصف القرن السابع عشر الى اكثر من مائة وعشرين ألف نسمة وربما تجاوز السكان المائة و الخمسين ألف نسمة في نهاية القرن السابع عشر . ذلك ان هذه الفترة تتلاءم والفترة الذهبية التي مرت بها مدينة الجزائر التركية ، فى الميدان الاقتصادي ، و بالخصوص نشاط القرصنة وما كانت تملكه المدينة من قوات بحرية جلبت لها اعدادا كبيرة من الاسارى المسيحيين ، ففى هذة الفترة اصبح الاسطول الجزائري يسيطر تماما على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ويراقب ايضا الحركات المسيحية فى الحوض الشرقى بل وفى كل البحار المشهورة اذ ذاك . فيشرف على مضيق جبل طارق ويجوس سواحل اوربا الغربية وجزرها حيث شوهد الاسطول الجزائري سنة ١٦٣١ على السواحل الانجليزية ، وفى سنه ١٦١٦ لوحظ على السواحل الغربية لايسلاندا وربما وصل الى سواحل امريكا اللاتينية كما يؤكد هذا مورقان (١) فى منتصف القرن الثامن عشر ، اذ يذكر ان اسطول القرصنة للجزائر كان ينتقل بين نيوفاونلاند وتيكسيل ورأس روك بامريكا اللاتينة ، وجزر كناري وماديرا وآزور وقاديس ، بالمحيط الاطلسي . وقدر الاب دان (٢) غنائم ربع قرن للقرصنة الجزائريين فيما قبل ١٦٣٤ بنحو ٦٠٠ سفينة مختلفة الاحجام ، والجنسيات ونحو ٢٠ مليون جنيه غنمتها الجزائر في هذه الفترة القصيرة من القرصنة .

ولا شك ان عدد الاسارى المسيحيين كان يزداد اثر كل معركة بحرية او برية ومن اهم المعارك البرية تلك التي جمع فيها الاتراك ما شاء الله من الاسارى المسيحيين الاسبان هى

---

(1) Morgan : A Complet History of Algéria . T 11 P. 9

(2) Dan le Pere : Les illustres captifs

معركة مستغانم في ١٥٥٨/٧/٢٦ التي قتل فيها حسن باشا ابن خير الدين الكونت الكودات الاسباني حاكم وهران واسر فيها الجيش الجزائري حوالي ١٢ ألف اسباني رجع بهم الى مدينة الجزائر (١) ثم حولهم الى عبيد مسيحيين . ورغم ما فقدته مدينة الجزائر من سكان بسبب وباء الطاعون ، الذي اصاب المدينة فيما بين ١٥٧٩ و ١٥٨٠ وادى الى موت خلق كبير قدرهم هايدو باكثر من خمسة آلاف نسمة من الفقراء بالخصوص فان النمو السكاني ظل يسير في الاتجاه الموجب بل والسريع ايضا ، نتيجة لما ذكرناه سابقا ، ثم حيث ان هذه المرحلة توافق نزوح البقية الباقية من مسلمي الاندلس من شبه جزيرة ايبيريا سنة ١٦٠٩ وقيل ان عددهم بلغ حوالي النصف مليون نسمة استقر البعض منهم في مدينة الجزائر (٢) ثم هجرة اعداد كبيرة من اليهود نحو مدينة الجزائر من البلدان المسيحية بصفة عامة ومن اسبانيا بصفة خاصة ، ثم تكاثر الانكشارية الاتراك الذين جيء بهم من الاناضول بالخصوص لتثبيت النفوذ التركي في بلاد الجزائر ، ويذكر ليسبس (٣) ان عدد الانكشارية بلغ ٢٢٠٠٠ نسمة في هذه الفترة ، وان عدد سكان مدينة الجزائر كان لايقل عن مائة ألف نسمة في وسط القرن السابع عشر . ويضاف الى هذه الهجرات الخارجية من اندلسيين ويهود واتراك ، الهجرات الداخلية حيث ان ازدهار مدينة الجزائر في الميدان الاقتصادي بالخصوص والنخاسة على الاخص جلب سكان الريف نحو المدينة فهاجرت اليها طوائف من الجبال المجاورة ومن المدن والقرى الداخلية الى ان اصبح سكان مدينة الجزائر يزدحمون داخل اسوارها مما دفع بالبعض منهم ممن اكتسبوا اموالا طائلة عن طريق القرصنة او من الذين جاؤوا باموالهم من الاندلس الى بناء الديار خارج اسوار المدينة.

ب ـــ مرحلة الاستقرار :

تبدأ من نهاية القرن السابع عشر للميلاد الى منتصف القرن الثامن عشر ، فيها قدر لوجي دي تاسي Laugier de Tassy سنة ١٧٢٥ عدد سكان مدينة الجزائر بنحو ١٠٠٠٠٠ نسمة اما تولو Tollot فيرفع العدد الى ١٥٠٠٠٠ نسمة سنة ١٧٣١ على

(1) Morgan Op. Cit P. 9 T.2

(2) René Lespes : Op.C It P. 55

(3) Abbé Raynal : Histoire des Etablissements Européens dans l'Afrique Septentrionale publié Par Peuchet en 1986 . Paris 2 vol

عكس مورقان Morgan (١) الذي يرد العدد الى ١٠٠٠٠٠ نسمة سنة ١٧٥٥ .

والسبب في استقرار عدد سكان مدينة الجزائر في هذه الفترة يرجع الى عدة عوامل منها :

أ ـــ انخفاض نشاط القرصنة وما كانت تدره على البلاد من ارزاق وعبيد مسيحيين ذلك ان اغلب الدول الاوربية التي كانت لها تجارة بحرية مزدهرة قد تأثرت تأثرا بالغا بالقرصنة الجزائرية ، واصبحت السفن المسيحية مقيدة الحركة ولا تصل الى هدفها الا بعد خشية ، ومشقة ، او الاستتار من الاسطول الجزائري ، لذلك بادرت أغلب الدول الاوربية الى عقد اتفاقيات سلم مع الجزائر لضمان حرية حركات تجارتها . ومن هذه الاتفاقيات نذكر على سبيل المثال المعاهدات مع فرنسا ، والاتفاقيات مع بريطانيا والمعاهدات مع هولندا ، وهي اتفاقيات كانت تحمل في مضمونها تقييد القرصنة الجزائرية وما تدره على البلاد من عبيد وارزاق ، وغنائم .

ب ـــ توقف الهجرات الداخلية والخارجية للمدينة وهى هجرات كانت من أهم العوامل للنمو السريع في مطلع الاحتلال التركي .

جـ ـــ الاوبئة والمجاعات والزلازل التي حدثت فى هذه الفترة واودت بعدد كبير من سكان المدينة فرفعت من نسبة الوفيات التي كانت لا تعوضها القرصنة او الهجرة . بل ان عددا من السكان كانوا يخرجون من المدينة اثر كل آفة . ومن اهم سنوات الآفات التي مرت بها مدينة الجزائر في هذه الفترة هي سنة ١٧٤٠ التي ظهر فيها مرض الطاعون وادى الى وفاة اكثر من الف نسمة فى الاسبوع الاول من ظهوره بالمدينة واستمر هذا الوباء طيلة الثلاث سنوات متتالية أثارت مخاويف السكان ، وهاجر من المدينة كل من كانت له ضيعة خارج المدينة ، وحتى البايات انتقلوا الى احواشهم بالسهل المتيجي فرارا من الطاعون اما الفقراء فقد هلك منهم خلق كبير . وكانت المدينة قد اصيبت بآفات المجاعة فيما بين ١٧٣٤ و ١٧٣٧ وآفاب الجراد فى سنوات ١٧٠٢ ، ١٧١٨ ، ١٧٣٣ اضعفت السكان وهيئتهم لمرض الطاعون المذكور . اما فى سنة ١٧١٦ فكانت نوبة الزلزال الذي خرب

---

(1) Morgan : Idem. P. 263

نحو ثلث مباني المدينة (١) و بدأ هذا الزلزال يوم ٣ يناير من السنة المذكورة على الساعة الثانية صباحا ودام ليوم ٥ يناير بشدة، ثم عاود المدينة في يوم ٢٦ فبراير ثم في شهر ديسمبر، وقد زرع في قلوب السكان الخوف و الذعر مما اجبر الكثير منهم على الفرار والخروج من المدينة والسكن في السهل المتيجي تحت الخيام. وحطمت المجاري المائية وسواقي المدينة فزاد بالسكان العطش، ومات منهم خلق كثير.

ج ـ مرحلة التقهقر :

تبدأ مرحلة التقهقر السكاني من منتصف القرن ١٨ الى مطلع عهد الاحتلال الفرنسي للمدينة، وهي مرحلة حرجة، لأن عدد سكان مدينة الجزائر اخذ يسير، فيها، نحو الاضحلال او الاتجاه السالب بسرعة، فانخفض الى اكثر من النصف خلال نصف قرن ثم الى اكثر من الثلثين عند الاحتلال الفرنسي الذي شتت ثلة من الاعداد الباقية. ولم يبق بالمدينة في اواخر سنة ١٨٣٠ الا حوالي ١٦٠٠٠ نسمة. والجدول الآتي يبين عدد سكان مدينة الجزائر في مرحلة التقهقر :

السنة	اهالي	اتراك	يهود	عبيد مسيحيين	عبيد زنوج	مهاجرون من الداخل	المجموع التقريبي
١٧٨٩ (٢)	٣٢٠٠٠؟	٩٠٠٠	٧٠٠٠	٢٠٠٠؟	—	—	٥٠٠٠٠
١٨٠٨ (٣)	٤٥٠٠٠	٨٠٠٠	١٠٠٠٠	—	٣٥٠٠	٦٥٠٠	٦٣٠٠٠
١٨٢٢ (٤)	٣٩٠٠٠	٤٠٠٠	٥٠٠٠	—	٢٠٠٠	—	٥٠٠٠٠
١٨٣٠ (٥)	١٨٠٠٠	٤٠٠٠	٥٠٠٠	١٢٢	١٨٧٨	١٠٠٠	٣٠٠٠٠؟
اواخر سنة ١٨٣٠	؟	—	٥٠٠٠		؟	؟	١٦٠٠٠

(1) H.D. De Grammont : Op. Cit P. 131
(2) Venture de Pardis (E. Fagnan) Alger au 8e siecle. P. 3
(3) BOUTIN
(4) william Shaler : Equise de l'Etat d'alger. (T. de l'Anglais par M X. .
(5) R. Lespes : Alger Esquise de Geographie urbaine. Alger 1925. pp. 56-59

فالاحصائية الاولى نقلناها عن فانتير دى برادى ، فيها يعتمد على المطاحن في تعداد سكان مدينة الجزائر لسنة ١٧٨٩ وكان عدد هذه المطاحن حوالي ٢٥ مطحنة ، يملكها في الغالب المزابيون كما ذكرنا سابـــقا ، وكل مطحنة يمكنهـا ان تمون الفين نسمة يوميا ويعترف فانتر بصعوبة احصاء سكان المدينة فى هذه الفترة لاسباب كثيرة ، منها صعوبة تقدير عدد النسوة اللائي لا يخرجن من بيوتهن الا نادرا ، كما انه يعطى العدد الاجمالي وهو ٣٢ الف لكل من الحضر والمهاجرين من الداخل ، مثل المزابيين والزواوة (القبائل) والبساكرة و لايفرق بين من تأصلوا بالمدينة و بين المهاجرين من الداخل ، كما لا يفصل في عدده بين العبيد الزنوج والعبيد المسيحيين . اما الاتراك فيقسمهم الى كوروغلي او انصاف الاتراك وهم حوالي الستة آلاف نسمة ، ولايذكر جميع الاتراك الشرقيين الذين كانوا يوجدون ببلاد الجزائر وهم نحو ٨ آلاف نسـمة ، بل ذكر الذين كانوا يوجدون فى مدينة الجزائر فقط فهم الذين كان يبلغ عددهم نحو الثلاثة آلاف نسمة وذلك باحصائه للثكنات وما كان يوجد بها من جنود الانكشرية .

والاحصائية الثانية نقلناها عن تقارير بوتان الجـاسوس النابوليوني وهى احصائية مبالغ فيها لانها وقعت فى فترة ضعف فيها الاسطول الجزائري الى حد بعيد كما يؤكده بوتان نفسه ، ومن المعروف ان نمو السكان كان يسير فى اتجاه طردي مع القوة البحرية وما كانت تدره من خيرات على سكان المدينة وما كان لاثرها فى نموهم ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان قصر المدة التى قضاها بوتان في مدينة الجزائر لم تمكنه من التحري في احصائياته ، يضاف الى ذلك تتبع السلطات التركية لحركاته فى البلاد بعد ان شكت فى امره

اما الاحـــصائية الثالثة فهي للقنصل ويليام شالير ، جمعها سنة ١٨٢٢ ، وتكـــون اقرب الى الصواب نظرا للمدة الطويلة التي قضاها فى الحزائر تزيد عن العشر سنوات ثم ان مركزه ، وهو قنصل الولايات المتحدة بالجزائر ابتداء من سنة ١٨١٥ ، قد مكنه من الاطلاع على احوال المدينة وسكانها واقتصادها وسياستها اكثر من غيره ، ثم ان هذا العدد يتلاءم والظروف الاقتصادية للمدينة حيث اخذ اسطولها ينتعش بترميم قطعه القديمة

وصناعة سفن اخرى جديدة .

ويلاحظ على جدول تقهقر سكان مدينة الجزائر ان عدد السكان انخفض الى اقل من النصف خلال ما يقرب من نصف قرن للاسباب التالية :

أ ــ ركود النشاط الاقتصادي الذي ادى اليه تعاون الدول المسيحية فى متابعة وتحطيم الاسطول الجزائري ، فانخفض بذالك عدده من حوالي ٦٠٠ قطعة في اواخر القرن ١٧ الى نحو ١٦ قطعة سنة ١٧٠٣ ثم الى ٥ قطع سنة ١٧٣٦ ثم الى ٦ مراكب سنة ١٧٣٨ ثم ارتفع عدد قطعه قليلا سنة ١٧٨٩ حسب تقديرات فانتر دي بارادي وهو ارتفاع بسيط للغاية اذا ماقورن بفترة الازدهار . فضعف الاسطول ادى الى ركود القرصنة وبالتالي ضعف المدينة اقتصاديا وسكانيا ، واخذت الهجرات تخرج منها نحو الريف ، وقد انخفض ايضا عدد العبيد المسيحيين الذين كانوا يمثلون فى مرحلة النمو نسبة مرتفعة من سكان المدينة كما انخفض عدد الاتراك بسبب المجزرة التي احدثها فيهم الداي علي خوجة سنة ١٨١٧ وقتل منهم نحو ١٥٠٠ نسمة ثم عزوف الاتراك عن التجنيد . وبعد سقوط مدينة الجزائر فى يد الفرنسيين غادرها حينذاك ما يقرب من ٤٠٠٠ تركي (١) زيادة عن خروج عدد كبير من الاهالي بعد ان اممت فرنسا ارزاقهم وطاردتهم من المدينة (٢) وقد وصف احد الضباط الفرنسيين ((Barchou)) الذي كان ضمن جيش الحملة الفرنسية على الجزائر وصفا دقيقا هجرة او طرد الفرنسيين للاتراك مـــن مدينة الجزائر فى اغسطس سنة ١٨٣٠ .

ب ــ الاضطرابات الاجتماعية والادارية التي سادت في اواخر حكومة الدايات مما جعلت المدينة فى قلاقل دائمة بين المنافسين من الاتراك على كرسي الحكم . ومن القلاقل ايضا هجوم سكان زواوة على المدينة سنة ١٧٦٧م مما ادى الى حصارها ، وانقطاع المؤن عنها ، وموت خلق كثير من سكانها .

(1) P. Boyer : l'Evolution demographique des populations musulmanes du departement d'Alger. Revue Africaine T XCVIII. Alger 1954. p 320

(1) H Klein. Feillets d'El-Djezair 5 volume Alger 1913 Klein : fut directeur d'école et fondateur de la société du vieil alger (1905) qui s'est donné mission de sauvegarder cequi est encore de l'alger musulman .

جـ — اشتداد الآفات والأوبئة من مرض الطاعون الذي اصاب سكان المدينة سنة ١٧٥٢ ودام حوالي الاربع سنوات ادى الى وفاة نحو ١٧٠٠ شخص شهريا فى بعض الاحيان. وبعد ان توقف الطاعون حينا من الدهر، رجعت المجاعات للمدينة بسبب الجراد والجفاف فى سنة ١٧٧٧ ثم عاد مرض الطاعون الى سكان المدينة سنة ١٧٨٧، وكان فى هذه المرة اشد و اقوى، و يذكر الاب راينال في هذا الصدد : ان سكان مدينة الجزائر انخفض عددهم الى نحو ٥٠ ألف نسمة سنة ١٧٨٧ حيث قتل منهم الطاعون ١٦٧٢١ نسمة، منهم ١٤٣٣٤ مسلم و ١٧٧٤ يهودي و ٦١٣ مسيحي من العبيد والاحرار، دون ذكر من ماتوا في الضواحى والبلاد، ثم عادت آفات الجراد والجفاف سنة ١٨١٤ ثم تلتها امراض الطاعون فيما بين ١٨١٧ الى ١٨١٩ اودت بحياة ما معدله ٥٠٠ نسمة يوميا في صيف سنة ١٨١٧ حسب شهادة قنصل الولايات المتحدة وليام شالير. فهذه الاوبئة كانت لاتعمل على انخفاض عدد السكان بسبب ارتفاع نسبة الوفيات فقط، كما حدث في مرحلة الاستقرار، و لكن تعمل على طرد السكان وهجرتهم من المدينة نحو الريف فوقع بذلك افراغ للمدينة التي اصبحت بيئة طاردة للسكان.

٢ — عناصر السكان :

من الجداول السابقة لنمو السكان يظهر ان مدينة الجزائر فى عهد الاتراك كانت تعمرها عناصر متباينة و غير متجانسة هي : الاهالي او المواطنون الاصليون، و العبيد المسيحيون، والعبيد الزنوج، والاتراك، والكراغلة، واليهود، والمهاجرون من الاندلس والمهاجرون من الداخل او من الجبال المجاورة، والبساكرة، والميزابيون، والاغواطيون الذين ألفوا واعتادوا الهجرة الى مدينة الجزائر لقضاء فترة من الوقت لاتزيد فى الغالب عن الستة شهور ثم يعودون الى اوطانهم الاصلية بعد ان يجمعوا نصيبا من النقود.

وكان عدد كل عنصر على حدة يختلف من فترة لاخرى. ومثال اذلك ان العنصر التركي بلغ نحو الالف في الايام الاولى من دخول الاتراك الى مدينة الجزائر ثم ارتفع الى ٢٢٠٠٠ نسمة في فترة ازدهار المدينة ثم انخفض الى الاربعة آلاف فى فترة تقهقر

سكان المدينة ، والمهاجرون الاندلسيون وصلو الى ٦٠٠٠ نسمة ١٥٨٠ ، والمهاجرون من الداخل وصلوا الى اكثر من عشرة آلاف فى مطلع القرن السابع عشر ثم انخفض عددهم الى نحو ٦٥٠٠ نسمة سنة ١٨٠٨ وكانوا يتوزعون فى هذه السنة كالآتى : ٤٠٠٠ من بلاد زواوة ، ١٥٠٠ من سكان الجبال المجاورة للمدينة ، و ١٠٠٠ مزابي وبسكري ثم زاد انخفاض عددهم في العشرينات من نهاية الحكم التركي الى اقل من اربعة آلاف نسمه، بل ان المهاجرين من زواوة قل عددهم سنة ١٨٣٠ الى نحو الالف نسمة . اما عدد المهاجرين اليهود فكان يسير على عكس بقية العناصر، وقيل ان اول دفعة منهم وصلت الى الجزائر كانت سنة ١٣٩١ وذلك عندما نزلت ٤٥ ألف عائلة يهودية قادمة من اسبانيا (١) وهو لاشك عدد مبالغ فيه لكن يدل على ارتفاع نسبتهم . وانهم كانوا من الاسباب التى تعاونت في تخريب المدينة . ففى مطلع العهد التركي شجع خير الدين هجرة يهود اوربا الى مدينة الجزائر ، ولم يطلب منهم الا ان يمتازوا عن السكان المسلمين بلبس العمائم السود وهو شرط كان اهون عليهم من مضايقة المسيحيين لهم فى اوربا ، وبذلك اخذ اليهود يتوجهون الى مدينة الجزائر افواجا الى ان بلغ عددهم حوالي السبعة آلاف نسمة سنة ١٧٨٩ ثم حوالي العشرة آلاف نسمة في مطلع القرن التاسع عشر وهي الفترة التي كانت فيها بقية العناصر تسير نحو التقهقر ؛ ولا غرابة في هذا اذ علمنا ان العنصر اليهودي يتلاءم وهذه الفترة التي كانت تسود فيها الفوضى والاحتكارات التجارية، اذ الذئاب تكثر وتنمو حيث الاسود القليلة ، فالادارة الفعلية للبلاد فى اوخر العهد التركي كانت لليهود الذين بيدهم الاحتكارات التجارية وكان يرجع اليهم القناصلة الاجانب فى امور بلادهم ويتوسطون بهم لقضاء شؤونهم لدى الدايات ، ويرجع اليهم الدايات الاتراك فى توجيه السياسة الداخلية والخارجية للبلاد . وكثيرا ما كان يتبرم المسؤولون الاجانب ، و بالخصوص القناصلة الفرنسيون ، من الاحتكارات اليهودية و سوء المعاملات التجارية التي كانوا يواجهونها

---

(1) J. Lefevre - Paul — Bulletin Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord XXVII année P. 56 Alger

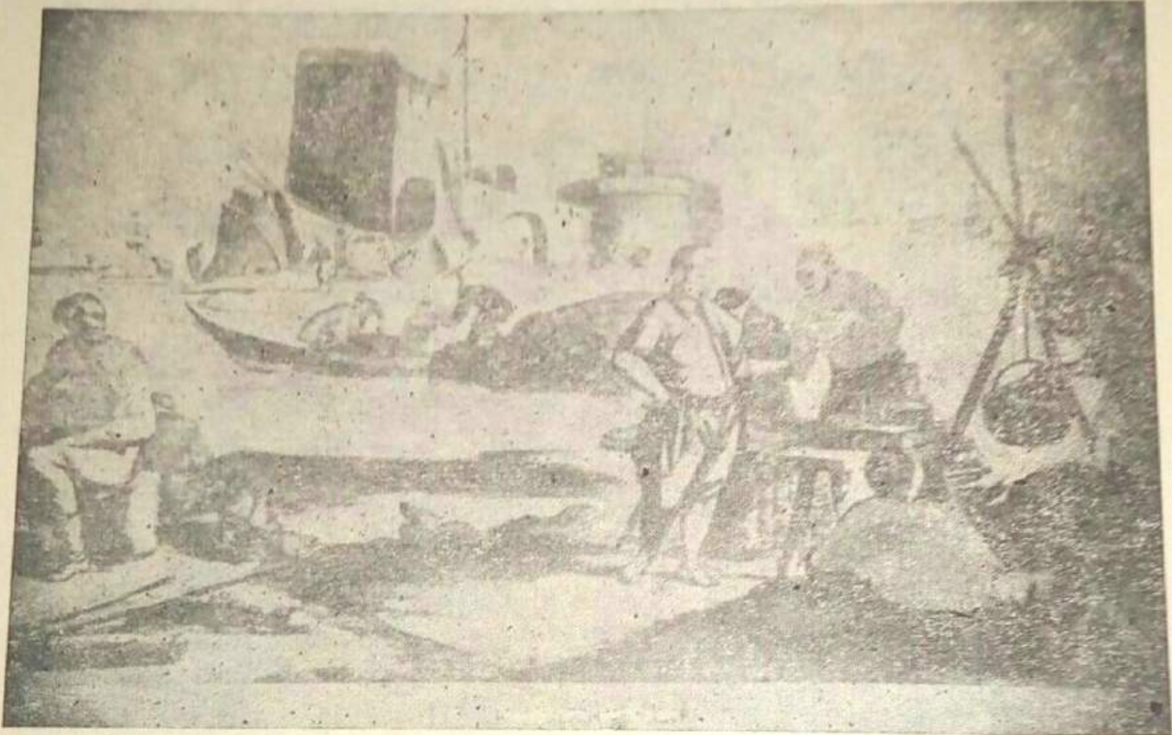
من يهود الجزائر (١)، وتزوير جوازات السفر، واستبدال الجنسيات. ومن أهم العناصر التي كانت تعمر مدينة الجزائر في العهد التركي هي عنصر الاسارى المسيحيين الذين كثيرا ماحولوا الى عبيد عندما لم تتدخل دولهم في افدائهم، وقد بلغ عدد هؤلاء العبيد المسيحيين سنة ١٥٨٠ حسب تقديرات هايدو الى نحو ٢٥٠٠٠ نسمة وبذلك اصبحوا يمثلون ثلث عدد السكان ثم ارتفع عدد العبيد المسيحيين الى ما يقرب من ٣٥ألف نسمة في مطلع القرن ١٧، ثم اخذوا يقلون فى مرحلة تقهقر سكان المدينة الى ان بلغوا نحو ٢٠٠٠ نسمة سنة ١٧٨٩ ثم ١٦٤٢ نسمة سنة ١٨١٦ ثم ١٢٢ نسمة فى عام الاحتلال الفرنسي. ويلاحظ ان تكاثر عدد العبيد المسيحيين بالجزائر كان يسير في اتجاه طردي ومراحل نشاط القرصنة فارتفع اثناء ازدهارها وقل اثناء ذبولها. والمتبع لرحلات القرصنة بالجزائر يلاحظ ايضا ان هؤلاء الاسارى المسيحيين كانوا عبارة عن لقطاء جمعوا من هنا وهناك وان اغلبهم جيء بهم من شواطيء وجزر الحوض الغربي للبحر المتوسط. ولا بأس ان نستعرض هنا رحلة (٢) بحرية وردت في كتاب هايدو، لنتبين ذلك:

«فى سنة ١٥٨٢ جاء حسن باشا البندقي الاصل الى كرسي الحكم على مدينة الجزائر وبعد ان جمع القراصنة بين لهم ركود الرحلات البحرية واهميتها وجوب تنشيطها، وجمع لذلك ٢٢ غليوطة توجه بها الى جزر سان بيار بالقرب من سردينية حيث اختفى القراصنة فى احد خلجانها وفي نيتهم اخذ سكان قرية Iglesia على غفلة، وصادف ان اكتشفهم سكان القرية المذكورة قبل وقوع الهجوم، فاتخذوا احتياطاتهم وتهيأوا للدفاع عن انفسهم لذلك غير القراصنة موقعهم وتوجهوا الى قرية Oristan بنفس المملكة ثم توغلوا بالداخل ثم نزلوا بربض Poldenia ،قادهم اليه احد الاسارى المسيحيين، وبعد الهجوم على الربض اسروا منه ٧٠٠ نسمة ثم انسحبوا سالمين، وركبوا البحر بما ومن غنموه ثم توجهوا الى جزيرة مال دي فانتر Mal-de-Ventre المقابلة لقرية اوريستان المذكورة فتوقفوا بها

---

(1) H.D. de Grammont . Op. Cit. P. 136 et sq
(2) Fray Diego de Haedo : Histoire des rois d'Alger p. 190 et suite

ثم طلبوا من سكان سردينية ٣٠٠٠٠ (١) دوقة مقابل تحرير الذين وقعوا في قبضتهم من سكان ربض بوليدونيا لكن سكان سردينية رأوا في ذلك شططا ورفضوا تلك القيمة وقبلوا بخمسة وعشرين ألف دوقة مما زاد من غضب حسن باشا الذى رفض المساومة وارجاع الاسارى او تسليمهم الى ذويهم، ثم امر اسطوله بالانتقال الى جزيرة لآزينارا La Asinara وفيها وزع الاسارى على الذين اسروهم واستراح بعض الوقت، فيه رمم البعض من مراكبه المعطوبة، ثم رفع القلاع واستأنف السير متوجها هذه المرة نحو جزيرة



احد جنود الاتراك يشرف على اعمال العبيد المسيحيين
وهم يقومون بصناعة السفن

كورسيكا، وكان بها ربض Monticello المشهور بكثرة سكانه، وقادهم احد الاسارى مقابل تحريره، فهجم القراصنة على الربض ليلا، ونهبوا ما فيه من اموال ورجال كما اسروا منه ٤٠٠ نسمة وانسحبوا سالمين؛ ثم رفعوا القلاع متوجهين الى جنوة Gênes ونزلوا على

(١) الدوقة وحدة نقدية تساوي حوالى الثلاث جنيهات.

احد ارباضها يعرف بسورى Sori فاسروا منه نحو ١٣٠ نسمة ثم انطلقوا الى Cadaque بضواحي برشلونة واسروا منه خمسة مسيحيين ثم توجهوا الى بالاموس Palamos ،ومنها الى قرية سان فيليكس St. Félix ،ثم Pénédra بالقرب من برشلونة وجمعوا من هذه القرى نحو ٥٠ نسمة وعندئذ طار الخبر الى سكان ضواحى برشلونة الذين تأكدوا بوجود قراصنة الجزائر على شواطئهم، فاستعدوا لذلك ، ورفعوا السلاح، وحينئذ انسحب عنهم القراصنة الذين توجهوا الى منطقة اليكانت Alicante وهي المنطقة التي كان بها عدد كبير من مسلمي الاندلس ، قد اضطهدهم الاسبان ، ينتظرون بفارغ صبر وصول قراصنة الجزائر لتخليصهم وتهجيرهم وكانوا قد كاتبوا فى ذلك حسن باشا يطلبون نجدته ، فارسل سفنه لنقلهم من اليكانت الى الجزائر وكان عددهم نحو ٢٠٠٠ نسمة من شيوخ واطفال ونساء ، ولما انزلهم حسن باشا على سفنه توجه بهم نحو مدينة الجزائر ، وبينما اسطول قراصنة الجزائر يخوض عباب البحر اذ بسفينة مسيحية قادمة من بولا Pulla ظهرت من بعيد ، وهي متوجهة الى Cadix محملة بكمية كبيرة من القمح، فاستولى عليها القراصنة دون مقاومة تذكر ، وقادوها معهم الى مدينة الجزائر ، ثم ارجعوها الى صاحبها بعد مفاوضات دامت ثلاثة شهور فيها دفع صاحب السفينة ٩٠٠٠ دوقة الى القراصنة مقابل استلام سفينته ، وقد دامت هذه الرحلة ٣ شهور حيث خرج اسطول قراصنة الجزائر في شهر يونيه وعاد الى الجزائر فى شهر اغسطس فيها غنم المسلمون اكثر من ألف اسير مسيحي ، واموالا وبضائع متنوعة ، ونقودا ذهبية، وساعدوا اخوانهم من مسلمي الاندلس على الهجرة الى الجزائر . »

هذه هي اهم الطرق التى كان يجمع بها الاتراك العبيد المسيحيين فى مدينة الجزائر وبذلك ظل عددهم يزداد اثر كل رحلة بحرية ، ثم قل عددهم عندما ركدت حرفة القرصنة وعندما ربطت المدينة باتفاقيات مع الدول الاوربية تقضى بتبادل الاسارى او افتدائهم (١) وكان هؤلاء العبيد احسن حالا من بعض سكان مدينة الجزائر كما شهد بذلك فانتيردى بارادي

---

(1) Les Pères François Comelin, Josef Bernard, Philemon de la Motte de l'ordre de la Sainte Trinité, dits Mathurins, publièrent à Paris en 1721 leur : Voyage pour la rédemption des captifs au royaume d'Alger et de Tunisie en 1720.

حيث ذكر ان العبيد المسيحيين كانوا لا يحملون الاغلال، ولهم حق في العوائد والغذاء الجيد مثل الانكشارية ، كما كانوا يمنحون الالبسة الجيدة ، والوظائف اللائقة بهم مثل الكتبة ومنهم كبير كتاب العبيد، الذي له مركز في الدولة يحسد عليه ، واذا اسلموا كان لهم الحق في الارتقاء الى مناصب ضباط الجيش كالكاهية مثلا والآغا او وكيل الحرج وهي وظائف محرمة على الكوروغلى والاهالي ومقصورة على الاتراك وعلى من رضوا عنهم من العبيد . ويذكر شالير عن العبيد المسيحيين بالجزائر ما يلي (١) :

Les femmes captives étaient toujours traitées avec le respect du à leur sexe ; le travail que l'on exigeait des hommes n'avait rien exessif ... il suffisait enfin qu'ils eussent de l'activité pour qu'ils trouvassent les moyens d'être heureux. Souvent c'était avec regrêt qu'ils s'éloignaient du lieu de leur esclavage; et l'on doit croire qu'en quittant le pays ils emportaient d'assez fortes sommes d'argent Ces marchés d'esclaves, dont on a fait tant de bruit dans le monde. ne sont qu'une accusation sans réalite.

اما لوجي دي تاسي فيذكر في خلاصة كتابه : تاريخ مملكة الجزائر انه (٢) يفضل العبودية لمدة عشر سنوات بالجزائر عن الاسر لمدة سنة واحدة في اسبانيا . وهي شهادة صادقة لانها مطابقة للقانون الاسلامي الذي يحث على احترام الانسان والاسرى من اي جنس كانوا . ويؤكد شالير ضعف النخاسة في مدينة الجزائر وانخفاض عدد العبيد ١٨٢٢ ، وهذا يرجع - زيادة عن الاسباب السابقة - الى هجوم الاسطول الهولندي والبريطاني بقيادة اكسموث سنة ١٨١٦ على مدينة الجزائر وتحطيم اسطولها وارغام حكومة الدايات على اطلاق سراح ما يزيد عن الالف اسير مسيحى من جنسيات مختلفة .

٣ — تركيب السكان

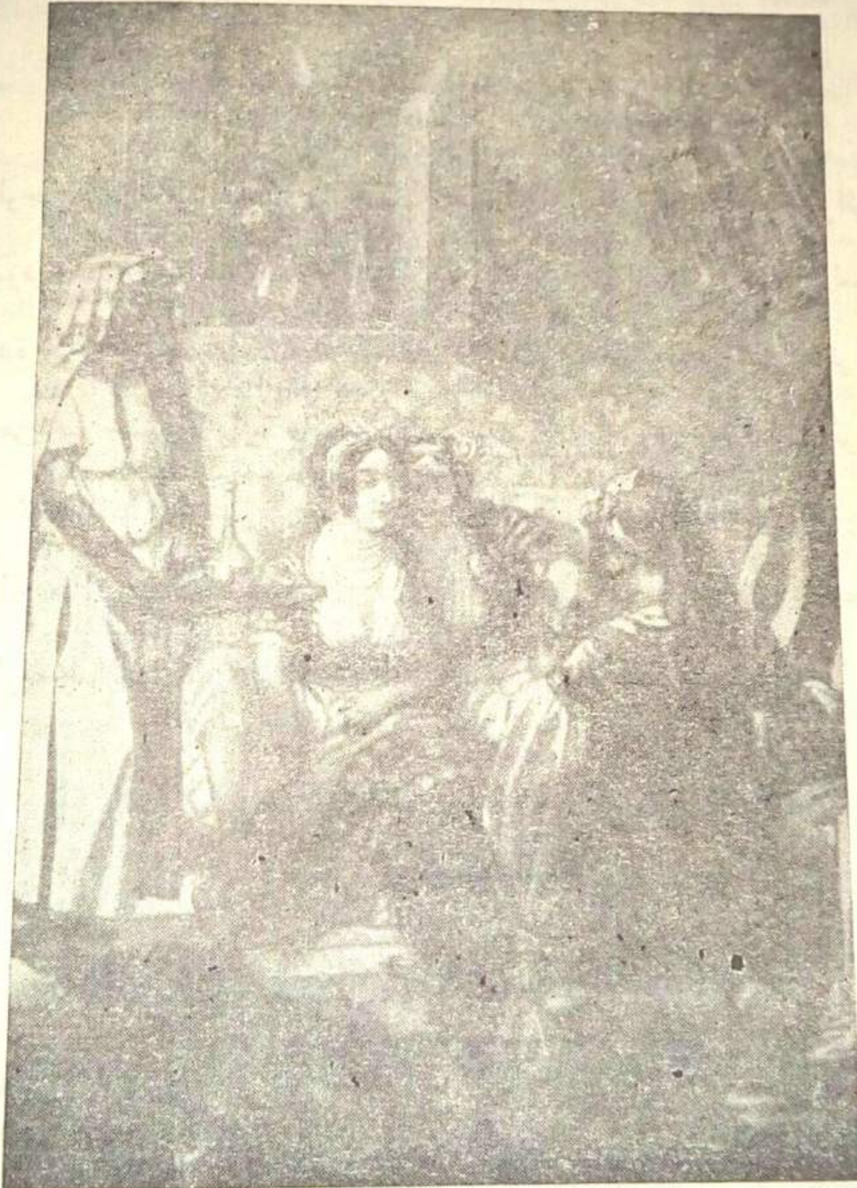
التركيب الجنسي ، والحرفي . و الاجتماعي

أ — التركيب الجنسي :

في اعتمادنا على الجنس يمكننا ان نقسم سكان مدينة الجزائر في العهد التركي الى

(1) W. Shaller. op. cit. p. 100
(2) Laugier de Tassy op. cit p. 330.

ذكور واناث ، وهم فى ذلك شأنهم شأن بقية السكان فى العالم فى كل زمان و مكان ، الا ان الذي يلفت الانظار فى مدينة الجزائر التركية هو تفوق عدد الرجال على عدد النساء ثم عدم اختلاط الرجال بالنساء ، وهذه الظاهرة الاخيرة تعد من العادات الجزائرية العربية الاصيلة ،ففى الجزائر التركية كانت المرأة لاتظهر خارج بيتها الا نادرا ، وان ظهرت اسدلت على وجهها نقابا ابيضا ناصعا ينطلق من الرأس الى الرجلين يسمى بالبرقع ويمنع قانون المدينة اختلاط الرجال بالنساء ، فالرجال يجتمعون ببعضهم خارج البيت او فى المقاهى ، والنسوة يلتقين ببعضهن فى الحمامات ، او يتزاورن فى البيوت . وقد حاول



مجلس طرب في بيت جزائرية



عروس جزائرية فوق الهودج

شالير ان يصف جمال المرأة الجزائرية لكن هيهات ، فاكتفى باطفالها لأخذ صورة منهم لها ، وهو يذكر فى ذلك ان هؤلاء الاطفال يمتازون بجمال واضح. وان البنات الجزائريات يتزوجن في سن مبكرة وربما كان ذلك في سن الاثني عشر ، ولذلك يفقدن جمالهن بسرعة اذ انهن يصرن جدات في سن ٢٩ سنة ، ثم يأخذن فى الانحدار نحو الشيخوخة . ورغم ان الديانة الاسلامية تحلل تعدد الزوجات فان الرجل بمدينة الجزائر كان يكتفى بواحدة منهن متبوعة بعدد من الخادمات الزنجيات او المسيحيات البيض .

وسبب تفوق عدد الرجال على عدد النساء يرجع الى ان العناصر المهاجرة الى مدينة الجزائر كانت فى اغلبها من جنس الذكور ، فالاسارى المسيحيون كان جلهم من الذكور ، و الاتراك الذين كانت تبعثهم الدولة العثمانية من الاناضول الى مدينة الجزائر كانوا من الذكور الذين لفظتهم في الغالب سجون تركيا (١) ، والمهاجرون من الداخل نحو مدينة

(1) W. Shaler. op. cit. p. 40

الجزائر من مزابيين وقبائل كانوا من الرجال الذين يتركون حريمهم في قراهم الاصلية ولا ينتقلون الا بانفسهم، وبذلك تفوقت نسبة الرجال بالمدينة على نسبة النساء تفوقا كبيرا ولا شك ان عدم التوازن هذا كانت له نتائج سيئة للغاية حيث سادت الرذيلة ، وفسدت الاخلاق ، وانتشر الشذوذ الجنسي (١) كما يؤكده فانتير دي برادى واغلب الكتاب الذين كتبوا عن مدينة الجزائر فى العهد التركي . ولهذه الاسباب شرع المزوار الذي كانت حرفته مراقبة النسوة ومعاقبة الخارجين عن القوانين الاخلاقية ، وانخفضت نسبة الولادات الشرعية بسبب انتشار حياة العزوبية ، وبالخصوص بين الاتراك الذين كانوا يفقدون الكثير من امتيازاتهم ان تزوجوا (٢) ، ومن هذه الامتيازات قطع الخبز المجاني من البيلك على الانكشاري ان تزوج ، وحرمانه من العوائد الخ ...

ب ــ التركيب الحرفى :

كان سكان مدينة الجزائر فى العهد التركي ينقسمون حسب حرفهم الى عدة طوائف ، وكان لكل حرفة امينها الخاص وهو رئيس الطائفة . فالمزابيون حرفتهم الاساسية ادارة المطاحن ، و بيدهم اغلب حمامات المدينة و مخابزها و كانوا يقومون بالتجارة بين تامبوكتو ومدينة الجزائر ، وكانوا يسلكون فى ذلك طريق غدامس بليبيا، او تافيلالت بالمغرب. وكانت لهم عقود ومعاهدات ابرموها مع حكومة الدايات لحماية انفسهم وتجارتهم من الحكم التركي ، اذ ان المزابيين كانوا من الجامعات المستقلة عن حكومة الاتراك بالجزائر التي اوكلت اليهم تصدير بضائع افريقيا الزنجية من تبر، وريش النعام ، وتمور ، وعبيد ، وساعدتهم على الاقامة فى مدينة الجزائر للقيام بالتجارة داخل المدينة وخارجها . وللبساكرة حرفة حمل المياه ونقلها الى البيوت ، وترويض الحيوانات و القيام بالخدمات العامة ومنهم الخبازون والقصابون، ومنهم من كانت حرفته تفريغ الاوساخ وتنقية المجاري المائية و الآبار وحفرها ، ومنهم حراس الليل ، ومراقبة ابواب المدينة وايقاف الذين لا يحملون مصباحا موقودا بالليل أولا يتمثلون لقانون المرور الذي ينص على ان من واجب المسلم

(1) Venture de Paradis. op. cit. p. 97.
(2) Venture de Paradis. op. cit. p 128.

حمل مصباح ليلاوعلى ان من واجب اليهودي حمل شمعةان ارادالتنقل ليلا.وللزنوج العبيد الخدمات المنزلية.وللاغواطين حرفة استخلاص الزيوت،وللزواوى التجارة فى الزيوت والقيام بالخدمات العامة لدى القناصل الاجانب . وللمهاجرين الاندلسيين والاهالي الصناعات المتنوعة للاقمشة و الجلود و الصباغة ، و للعبيد المسيحيين العمل فى الحقول او فى المنازل مثل الطهي وحراسة الاطفال او فى ورش صناعة السفن (١)، او فى الحانات ، وقد اشتهروا بالاعمال الخبيثة مثل الاختلاس والفساد ماعدى العبيد الانجليز الذين كانوا يترفعون عن ذلك . وللاتراك القرصنة والجيش والادارة ، اذ منهم الداى ورجال الديوان وكل اصحاب المناصب العالية. اما اليهود فلهم احتكار التجارة في الداخل والخارج ، ومنهم الصرافون والامناء، وتركزت حرفتهم الرئيسية حول كل ما كان يدور حول النقود ، وما فيه رائحة الذهب. فهم الذين أوكل اليهم الديات صك النقود وتعييرها ، وعليهم اتكل السكان فى الاعمال الرديئة ، مثل حمل الاوساخ ودفن الذين حكم عليهم بالاعدام من المجرمين ، وفى سنوات الجراد يؤمرون بطرده من حدائق البشوات . وبايجاز فان طبقة ابناء يعقوب فى الجزائر قد تعودت على الذل و تريضت على الصبر منذ الصغر لذلك كانوا لايردون الاستفزازات الشعبية الا بالمقاومة السلبية و النفاق وسلوك الطرق الملتوية لاختلاس اموال الشعب والانتقام منه بحبك شبائك الاختلاس وخلق الازمات الاقتصادية واثارة الشقاق بين افراد الحكومة ، وتلقين التجار كل انواع الربا والتدليس والخبث .

وفى الحديث عن الحرفة تعوزنا الارقام التي تدل على نسبة المشتغلين في كل حرفة ، ويظهر ان الذين كانوا يعملون فى حرفة التجارة كانوا يمثلون اكبر نسبة وربما ٧٠٪ ، اما حرفة الصناعة فكانت بسيطة للغاية لذلك كانت نسبة المشتعلين فيها منخفضة جدا ، وربما كانت تدور حول ١٠٪ لذلك كانت المدينة تجارية اكثر منها صناعية ،وتكثر بها البطالة المقنعة .

---

(1) E. D'Aranda : Relation de la captivité et liberté du Sieur Emmanuel d'Aranda. Paris 1665 p. 122 (Aranda : gentilhomme né à Bruges, pris en 1640 libéré en 1642 a décrit les mœurs des bagnes dans son livre.

ج — التركيب الاجتماعي :

ونقصد به تقسيم طبقات المجتمع الى طبقات على اساس معيار الثروة والسيادة التى اصبحت موزعة توزيعا غير عادل بين افراد المجتمع . ففى العهد التركى عاد الى مدينة الجزائر النظام الطبقي الذى عرفتة في العهد الرومانى واختفى في العهد الاسلامي ، واصبح مجتمع المدينة مقسما الى طبقة الاسياد من الاتراك ، بيدهم سلطة البلاد ، ولهم عدة امتيازات لم تكن لغيرهم ، ولهم الاولوية في كل شيء تجمعت بيدهم ثروة البلاد ، من ذلك ان زوجة الداي احمد ورثت من زوجها ملايين الدينارات ، وقدرت ثروة الداي مصطفى بنحو نصف مليون دولار ، وكانت جل الاراضى بالسهل المتيجى الخصب ملكا للديات ولأصحاب المناصب العليا من اتراك الذين تقاسموا السهل وحصصوه الى احواش ظلت تحمل اسماءهم الى مطالع عهد الاحتلال الفرنسي ، عندئذ بدأ الفرنسيون بطرد الاتراك وتأميم اموالهم والاستيلاء على احواشهم . وكانت طبقة الاسياد من الاتراك لاتعتمد في دخلها على الوظائف فقط (التي كانت تدر عليهم اموالا طائلة ، فمثلا المرتب السنوي للداي كان ٢٥٠٠٠ سلطاني ، ومرتب الخزناجي ١٥٠٠٠ سلطاني) ، بل كان جل دخلهم يأتي من احواشهم بالسهل المتيجي وهو سهل كان يملك فيه البايلك او الحكومة ما يزيد عن ٣٠ ألف هكتار ثم المساحة الباقية من السهل تتقاسمها طبقة الاثرياء من الاتراك بالدرجة الاولى الذين تزيد مساحة حوش الواحد منهم عن الالف هكتار في بعض الاحيان ، ثم طبقة المهاجرين الاندلسيين ، ثم عائلات الاشراف مثل عائلة سيدي علي امبارك واولاد سيدي زيد . اما الاهالي فكانت ملكياتهم بالسهل المتيجي لاتزيد عن العشر هكترات للفرد الواحد الا نادرا بل هذه المساحة هي في بعض الاحيان حصة العائلة الواحدة او القبيلة الواحدة . وكانت طبقة الاثرياء تسكن المدينة فى القصور وتعطي اراضيها لمن يشغلها من الاهالي سكان الريف مقابل النصف ان كانت الاراضي مروية، او مقابل الخمس ان كانت الاراضى بعلية (١) . وتلي طبقة اليهود في الثراء طبقة الاتراك ، بل ان من اليهود من كانت ثروته تفوق ثروة الدايات، وتميزت

---

(1) H. ISNARD. Etat économique et sociale de la mitidja en 1830 IV Congrès de la F.S.S.A.N. Rabat du 18 au 20 avril 1938 T. II p. 716 Alger 1939.

طبقة اليهود بأنها كانت من طبقة منـــحطة فى الاخلاق والمعاملات، فرغم ثرائها، حرم عليها ركوب الخيل وحمل السلاح ، وكان يتولى شؤونها امين منها، يعينه الداي ، ويدفعون له جزية سنوية عن كل رأس منهم ، وضعف الضريبة على بضائعهم ولهم حرية الديانة والتنقل . ثم نجد بالمدينة طبقة البراني ذات الدخل المتوسط وهم المهاجرون من الداخل مثل سكان زواوة والمزابيين الـذين لهم مساجدهم الخاصة ولا يصلون مع بقية السكان المسلمين وبالخصوص الاتراك لانهم يعدونهم مبدعين، ويعدون مساجدهم نجسة لما يمر تحت ارضيتها من قنوات الاوساخ . ثم تأتي طبقة العبيد الفقيرة من زنوج افارقة وبيض اوربيين وكان الاتراك يعاملون هؤلاء العبيد - وبالخصوص البيض منهم - معاملة حسنة وقد امر الداي جعفر باشا (١٥٨١ ـ ١٥٨٢) بازالة الحديد عنهم ، ومنع ضربهم او تعذيبهم ومنحهم اللباس الجيد والغذاء الجيد ، وسماح لهم باقامة شعائرهم الدينية ، وتناول الخمور، اذكانت الخمور المأخوذة اتاوة من السفن المسيحية تخصص لهم ، وكانت لهم كنائس ورهبان ومستشفيات خاصة بهم ، حتى كان البعض منهم يتمنى ان يبقى عبدا بالجزائر بدلا من كونه حرا فى بلاده ، على عكس الاسارى الجزائريين الذين كانوا فى قبضة المسيحيين ، فقد اجبروا على التخلي عـن دينهم ، وكبلوا بقيود الحديد وكويـوا بالنـار واستخدموا فى الاعمال الشاقة ، وبايجاز كانوا فى حالة يرثى لها ، اوفي الدرك الاسفل من طبقات المجتمع المسيحي فى اوربا ، يعاملونهم معاملة السوائم بل هذه احسن منهم حالا

وكانت طبقات المجـتمع تتميز عن بعضـــهافى سكناها بالمـــدينة المقسمة الى احياء متباينة منها حي اليهود في باب عزون الذي يكثر فيه النشاط التجاري، وحي المثـــقفين في نهج القيصرية حيث جامع القيصرية بالقرب من جامع كتشاوة ، وحي طبقة الحكم والادارةمن الاتراك بالقرب من قصر الشتاء حاليا وهو قصر الداي، وحي العرب فى جهـات ضريح سيدي عبد الرحمـان ، وحي القناصلة ورياس البحر فى الركن الشمالي الغربي من المدينة او بالقرب من البحر .



لباس الثرى بمدينة الجزائر فى العهد التركي

٤ ــ الثقافة والرعاية الصحية

لم تهتم حكومة الدايات في مدينة الجزائر بميدان التعليم بل تركته للعامة ، ولم تشجع على الثقافة ولم تهتم ببناء دور التعليم وبالتالي انخفض مستوى التعليم و الثقافة فى مدينة الجزائر ، رغم انها كانت عاصمة البلاد ، بل اهمل الاتراك التعليم فى كامل القطر الجزائري فانحدرت مزونة وبجاية وتلمسان وتيهرت وكانت هذه من امهات المدن الجزائرية التي اشتهرت بالعلم والعلماء فى العهد الاسلامي حيث كانت تزدحم بها المؤسسات الثاقفية ودور العلم والمدارس ، وقصدها المتعطشون الى العلم واكتساب المعارف فى شتى الفنون وبالخصوص فى علم التوحيد والتاريخ واللغة والفلك . ولم تكن فى عهد الاتراك بمدينة الجزائر مطابع او جرائد مثل ما كانت في اوربا في ذلك الوقت ، بل الاخبار كانت تنقل عن طريق صاحب البريد الذي

بركب الدواب لاداء مهمته ، او تنقل عن طريق الروايات والمداحين فى الاسواق وكثيرا ما كانت تصل الى صاحبها مشوهة او مبتورة وبعد مدة طويلة من الزمن . وقد أدى عدم اهتمام الاتراك بميدان التعليم الى انحدار المجتمع في هوة الخرافات والطرقية بالخصوص، اذ سادت في هذه الفترة القادرية والدرقوية والتيجانية و الرحمانية نسبة الى مؤسيسها وكان لكل طريقة اتباعها ومريدوها يقومون لها بالدعاية وجلب الناس حولها . ولولا الروح الاسلامية التي غرست في السكان حب البر والاحسان وايقاف الارزاق على المؤسسات الدينية لاندثر التراث القديم الى الابد .

وقد اعتقد الاتراك ان في حفظ القرآن وترتيله كفاية لمن يتولى منهم الوظائف السامية (١) لذلك كان من الصعب ان تجد بالمدينة فى هذه الفترة من يتقن العلوم وربما اقتصروا فى المعرفة على تحديد النقطة فى الاحداثيات الجغرافية ومعرفة القليل من العلوم الملاحية بصفة خاصة ، وكثيرا ما كانوا يستعينون في رحلاتهم البحرية بالاسارى المسيحيين الذين كانت لهم خبرة في معرفة الاحداثيات الجغرافية . وكان بالامكان ان تحي الجزائر العلوم العربية التي ازدهرت في بلاد الاندلس بعد ان هاجر اليها الاندلسيون وحملوا اليها ما وصلوا اليه من علوم دينية ودنيوية عقلية ونقلية ومن كتب قيمـــة ، بل ان التراث العربي اوالكتب الاندلسية ظلت مدفونة فى بلاد الجزائر اوبمدينة الجزائر الى ان ضاع جلها ثم نقل الفرنسيون الى فرنسا الباقي منها اثناء الاحتلال .

وكان التعليم بمدينة الجزائر في العهد التركي يقوم فى المساجد او الزوايا او المدارس التي يمونها الخاصة او الحبوس (٢) . ففي المسجد كان المؤدب أو الطالب يقوم بتحفيظ القرآن لابناء الاهالي ويشرح لهم في بعض الاحيان الشعائر الدينية ، ويتقاضى مقابل ذلك كيلا معينا من الحبوب ، مثال لذلـك ان طالب مسجد الآغا بجوف القصبة كان يتقاضى ٥٠ كيلامن الشعير سنويامن الاهالي. اما في الريف فكان الطالب ملازما للقبيلة فهو محتسبها وكاتبها وقاضيها ومعلم ابنائها. وفى الزوايا كان شيوخ الطريقة يعلمون المريدين وابناءهم

(1) P. Boyer : l'évolution de l'Algérie Médiane. p. 70 Alger 1960
(2) M. Emerit : l'Algérie à l'époque d'Abdelkader. Larose. Paris 1951.

القرآن وشعائر الطرقية مقابل اجرة معينة ، وأهم زوايامدينة الجزائر بالعهد التركي هي : زاوية القاضي بباب عزون . وزاوية الكشاش بباب الجزيرة ، وزاوية الجامع الكبير وزاوية الشرفة بنهج بروس وزاوية الاندلس بنهج السمن ، ووزاوية كتشاوة وتشختون بنهج العقاب ، وزاوية سوق الجمعة بنهج سوق الجمعة . ومن المؤسسات الثقافية كانت المدارس مثل مدرسة سيدي رمضان التي نت كا تدرس فيها الفرائض ، وعلم الفلك والهندسة . وهذه المدارس على نوعين منها الابتدائية وتسمى بالكتاتيب ، والعالية وتسمى بالمدارس ، وقد احصاها الفرنسيون اثناء دخولهم للمدينة بحوالي ٨٠ مدرسة ابتدائية و ١٢ عليا . وكان الطفل يدخل الى الكتاتيب وهو فى سن الخامسة او السادسة من عمره ، يتعلم الكتابة والقراءة اولا ، ثم القرآن ثانيا ، وكانت طريقة التعليم فى الالواح الخشبية ، اذ لكل تلميذ لوحته الخاصة به يكتب فيها القرآن، ويمحي منها الحروف بسهولة . والقراءة بصوت مرتفع ، وبعد ان يحفظ التلميذ ما في لوحته يعرضه او يرتله على شيخه الجالس امامه على حصير، وبيد الشيخ عصى طويلة ترهب الاولاد ان تحركت ، وتطمئن لها النفوس ان تكسرت او اتلفت .

وللبنات مدارسهن الخاصة بهن يتعلمن فيها السنن والقواعد الاسلامية والقرآن من شيختهن اما المدارس العليا فهي لابناء الطبقة المحظوظة فيها كانوا يتعلمون الآداب والفقه المالكي والحنفى ثم التوحيد كي يتخرجوا مدرسين او لكي ينخرطوا بعد حصولهم على الايجازات العليا فى سلك العلماء والقضاة او رجال الدين . وتعتمد المدارس فى أداء وظائفها على الاملاك المحبسة ، فمن مدخولها يتقاضى رجال الدين والمدرسون رواتبهم ومن الحبوس ايضا ينفق على الطلبة الذين يتلقون تعليمهم مجانا ولهم غرف خاصة للمبيت وما اكثر الاملاك المحبسة بمدينة الجزائر فى العهد التركي الذي قل فيه الانجاب وساد فيه زواج المتعة ، وارتفعت فيه نسبة العزوبة .

ومن اهم المدارس العليا بمدينة الجزائر فى القرن الثامن عشر نجد الجامع الكبير الذي كان يدرس فيه ١٨ استاذا و٨ قراء وعدد آخر من العلماء يشغلون وظائف متنوعة . ويذكر

المفتي حسن بن رجب (١) ان سيدي عمار كان من اشهر علماء مدرسة الجامع الكبير، درس فيها فيما بين ١٧٢١ و١٧٣٣ وكان بارعا في الحديث والنحو والبلاغة والحساب، وكذلك محمد بن طالب الذي اتيحت له فرصة الحج ليجمع علومه الجليلة من علماء المشرق العربي وتردد على المدارس في فاس وتونس والقاهرة، ثم العالم الجليل محمد بن يحيى البليدي، والشيخ عبد اللطيف الذي اشتهر بالاحاديث النبوية وبالخصوص الاحاديث التي تدور حول التطبيقات الطبية في عهد الرسول عليه السلام. وكان لهذه المدارس العليا مكتبات خاصة وعامة واخرى محبسة، واغلبها تزدحم بها الكتب المخطوطة، و منها المكتبة النظيمة للجامع الكبير، ويدل على كثرة كتبها ماروى عنها: انه عندما قنبلت السفن المسيحية مدينة الجزائر في القرن ١٨ خربت جزءا من اسوار المدينة واصابت الجامع الكبير فأمر مفتي الجامع الكبير بنقل الكتب الى برج مولاي حسن، وقد خصص لذلك جملين ظلا ينقلان الكتب لمدة ثلاثة ايام، والى جانب هذه المكتبات العامة كانت هناك مكتبات خاصة مثل مكتبة سيدي حمودة بقسنطينة التي كانت تحوي اكثر من ٤٠٠٠ مجلد استولى عليها الفرنسيون ونهوها كما نهبوا بقية المكتبات في مدينة الجزائر (٢).

وكما اهملت حكومة الاتراك ميدان التعليم العلمي بالخصوص فقد اهملت ايضا الرعاية الصحية، فلم يعتنوا الدايات بصحة سكان المدينة، و لم يهتموا ببناء المستشفيات ولا بالمراكز الصحية، ولم يشجعوا على تعليم الطب والمداوات، بل تركوا هذا الميدان للسكان انفسهم الذين كثيرا ماكانوا يلجأون الى المداواة بالطرق التقليدية او يعتمدون على الشعوذة او السحر او الزيارات او حمل التمائم او استعمال الرقية او حجب الطالب او المدجلين في الاسواق. ولم نكن بالمدينة مستشفيات ما عدا مستشفيات المنظمات الدينية المسيحية التي اهتمت بمرضاها من الاسارى المسيحيين. Laugier de Tassy في هذا الصدد ما يلي:

On ne voit pas un seul médecin à Alger ni dans le reste du Royaume.

كما يذكر مورقان ايضا ان بلاد الجزائر ليس بها طبيب بالمرة. ويمكن حمل هذا

---

(1) Devoulx op. cit.
(2) Slune op cit.

الحكم على عدم التخصص الذي كان سائدا في الميدان الثقافي ، وان علم الطب كان علما سريا يرثه الابن عن ابيه ، اذ ان الذي جاء به لوجي السابق الذكر يختلف تماما عما جاء عن هلتون سامبسون (١) الذي قضى اربع سنوات في بلاد الجزائر وعاشر فيها سكان الريف والجبال، وبالخصوص سكان جبال اوراس ، وصاحب الاطباء الجزائريين في البلاد وذكر عنهم الكثير في ميدان الطب وقال عنهم : ان حرفة الطب بالجزائر يرثها الابن عن ابيه ولهم كتب قيمة في هذا الميدان ، ترجع في اصولها الى علم الطب والجراحة لاطباء عرب من العصور الوسطى ، وهي حرفة سرية ، اصحابها ماهرون في علم ثقب العظام ، او استبدال عظام الانسان بعظام الحيوان ، وكثيرا ما استبدلوا عظام الساق المكسورة للانسان بعظام الكباش او حيوانات اخرى ، ولهم دراية ايضا بطب العيون ويستعملون الادوات التقليدية التي تشبه الى حد بعيد ادوات الطبيب اليوناني هيبوقراط في عملياتهم الجراحية . ونسبة نجاحهم في هذا الميدان مرتفعة رغم بساط هذه الادوات الجراحية ، ولهم دراية فائقة بعلم النباتات يجمع الطبيب بنفسه الاعشاب من الغابة ثم يجففها او يقطرها ويزنها ويمزجها ويحضرها للمرضى .

وقد ادت هذه الحالة من عدم العناية بالحالة الصحية الى ظهور امراض الطاعون من حين لآخر التي كانت تحصد السكان حصدا ، وقد احصيناها منذ دخول الاتراك الى مدينة الجزائر حتى خروجهم منها ، فكانت ١٨ مرة اصيب فيها سكان مدينة الجزائر بمرض الطاعون ، يضاف الى ذلك مرض الجدري والسل والجرب وامراض المستنقعات التي زادت من نسبة الوفيات وادت الى انخفاض متوسط الزيادة الطبيعية وانخفاض متوسط العمر .

٥ ــ التنظيم الاداري

ان التظيم الاداري باسطنبول كان اساسا ومثالا مطابقا للتنظيم الاداري في بقية عواصم وولايات الامبراطورية العثمانية ، من حيث الحكم المطلق ، وان حياة السكان وما يملكون

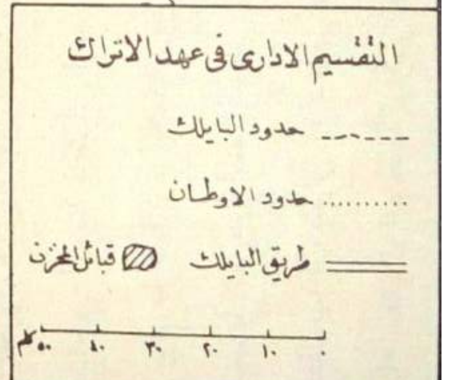
(1) M. W Hilton - Sompson : A Study of the Healing art in Algeria. London Oxford University Press 1922.

بين ايدى الحاكم الاول الذي تتركز بيده السلطة العليا وكل امور الدولة ، ينيب عنه جمهرة من الموظفين من شيخ القرية الى القائد الى الخزناجي الى الشاوش .

واختار الاتراك ، لاول مرة ، من مدينة الجزائر عاصمة للقطر الجزائري ، وقد اخذ نفوذ المدينة يمتد الى اطراف البلاد بامتداد النفوذ التركي الى ان اصبحت سيدة المدن الجزائرية من الحدود المغربية الى الحدود التونسية . وكانت مدينة الجزائر مقر الباشا ثم الداي أو سلطان البلاد ، وبها الحكومة المركزية ورجال الديوان وكنوز الدولة ، ويتركز بها أغلب جنود الانكشارية ، وقد عرفت بدار السلطان والمحروسة كما ذكرنا سابقا ، منها كانت تحكم ثلة من الموظفين الاتراك الشعب الجزائري بمساعدة عدد من الاهالي في المناصب الثانوية

وفي اواخر العهد التركي قسم اقليم المدينة اداريا الى اوطان او نواحي اما المدينة نفسها فقسمت الى مشيخات او بلديات . واوطان السهل المتيجي هي : وطن الخشنة ووطن بني موسى او بني خليل ووطن السبت ووطن بني جعد ووطن يسر وعلى كل وطن قائد . اما مشيخات المدينة فهي : بوزريعة، وبني مسوس ، وزواوة وعين الزبوجة ، وبئر خادم ، والقبة ، والحامة ، والقصبة ، ويشرف على الحضر او سكان المدينة اداريا الحاكم الذي ترجع اليه امور الضرائب وما يتعلق بها . وبعد الحاكم يأتي شيخ البلدية الذي يترأس البلدية و يساعده الأمناء والمشرفون ، اذ كان لكل حرفة امينها الخاص بها كما ذكرنا سابقا وان لكل حي مشرف خاص به .

ويدير الامن العام في المدينة واقسامها الكاهية وهو رئيس الشرطة . ويشرف على العيون والمياه امين العيون ، وعلى الاخلاق المزوار، وعلى الاسواق المحتسبون ، ويتولى القضاء في المدينة قاضيان احدهما تركي حنفي، والثاني مواطن مالكي، يعقدان جلساتهما كل يوم ما عدا يوم الجمعة ، ويرجعان فى احكامهما الى كتاب الله وسنة رسوله ثم الاجتهاد والقضايا تعرض امام القاضي دون الحاجة الى محامي ودون نفقات باهضة ، اذ لكل طالب او مطلوب ان يتولى الادعاء او الدفاع بنفسه ، والحكم يصدر في اقرب الآجال . ويتولى الافتاء مفتيان احدهما تركي حنفى والآخر مواطن مالكي يفتيان مرتين فى الاسبوع، وهما



التقسيم الادارى لأقليم الجزائر سنة ١٨٣٠

شبح ليس له وزن في الحكومة ، وليس له رأي في ادارة البلاد ، وقد يكون العكس .

وديوان الدولة الذي هو بمثابة مجلس الوزراء يتكون من :

أ ـــ الخزناجي اووزير المالية ، بين يديه كنوز وخزائن الدولة .

ب ـــ الباشا آغا او آغا المحلة او وزير القوات الحربية البرية .

ج ـــ وكيل الحرج او وزير البحرية والشؤون الخارجية .

د ـــ خوجة الخليل المكلف بمدخول الدولة من اراضي البايلك والضرائب وملتزمات البايات والقضاة ... الخ ، وهو بمثابة وزير المالية .

ه ـــ وكيل بيت المال الذي يتولى ادارة الاملاك المحبسة وهو الذي يرث من لاوارث له ، ويسمى بقاضي بيت المال ايضا . وهو بمثابة وكيل الخزانة العامة.

فمن هؤلا الوزراء الخمسة يتكون الديوان الخاص للدولة او المجلس الخاص للداي الذي له ديوان آخر يعرف بالديوان العام ويتكون بالاضافة الى من سبق ، من حاشية الداي مثل الكتاب الاربعة، وهم الكاتب الاول الذي يتولى سجلات مدخول الدولة ومخروجها ، و الكاتب الثاني الذى يعرف بباش دفترجى ، يتولى سجلات مصاريف ومرتبات الانكشارية ، والكاتب الثالث يتولى سجلات دخل الخزينة من الضرائب ، والرابع يتولى حسابات الديوانة والضرائب الجمركية . ويعرف كل واحد من هؤلاء الكتبة بالخوجة الذي لايكون الا من الاتراك ، اوممن تتركوا من العبيد المسيحيين الذين دخلوا الأسلام كما ذكرنا سابقا في التركيب الاجتماعي . و يتألف الديوان العام ايضا من كبار ضباط الانكشارية مثل كاهية الانكشارية وآغا السبايحية ، والباش شاويش وفى بعض الاحيان من رؤساء القراصنة . والداي هو الرئيس الاعلى للانكشارية وله حاشية اخرى لها دور فى الحكم والادارة ، ومن افراد هذه الحاشية جمهرة من الكتبة منهم كاتبان خاصان لمراسلة الولاة والقضاة وقواد الجيش داخل البلاد ، وكاتبان لمراسلة الملوك والامراء خارج البلاد ، ونبطجى خوجة او كاتب ملازم للداي ، وهو امين السر ، واثنا عشر شاوشا ـ حراس الباب - على رأسهم باش شاوش من الاتراك لتنفيذ

اوامر الداي ونقلها الى الخاصة ، يختارون من الاتراك الذين لهم اجساد غليظة لاعطاء الفلقة للمخالفين للاوامر من المواطنين والعرب والمسيحيين ، وايقاف ثم احضار المخالفين للقوانين من الانكشارية ، و٣٢ نبطجيا من الاتراك لحراسة القصر ومنع الدخول اليه من غير اذن الداي ، ومشير باشى او رئيس الفرقة الموسيقية ، وعشيان باشى او طاهيان احدهما رئيس الطباخين والثاني نائبه ، يشرفان على كل ما يقدم من مأكولات للداي وحاشيته ، اما الذين يقومون بالطهي فهم من العبيد المسيحيين ، وما اكثر هؤلاء العبيد المسيحيين فى دار الداي اذ كان عددهم يفوق الثمانين عبدا ، ومن خدمات الداي قد يرتقى الواحد منهم - ان ابدا ولاءه واسلامه للحكومة - الى المناصب العليا مثل الآغا وفى بعض الاحيان الى منصب الداي .

وبايجاز فان الادارة التركية بالجزائر كانت عبارة عن ادارة عسكرية ينقصها التنظيم والتدبير ومبنية على الضرائب واختلاس اموال الشعب ، تشرف عليها الامبراطورية العثمانية اسما لا فعلا حيث ان الباب العالي ترك منتهى الحرية للداي وللاوجاق في المنافسة على كرسي الحكم وادارة البلاد .

وقد اختلف هذا التنظيم الاداري من فترة لاخرى حسب اختلاف قوة وضعف الدايات الذين لم تكن لهم قوانين ادارية معينة مضبوطة ومدونة تحدد ما لقيصر لقيصر ، وما للرعية للرعية ، لهذا ساد الظلم وارتفع شعار الباطل ، وقلت ثقة الشعب في الحكام والمسؤولين وسئمت الادارة ، واعتبر السكان مراسيم الدولة حبائل يجب التهرب منها . وبالفعل فان هذا التنظيم الاداري التركي كان لايراعى فيه الدايات مصالح الشعب الجزائري ولا خدمة المواطن ، ولكن مصالحهم الخاصة ، لذلك تخلفت البلاد في كل ميادين الحياة ، واشكال التنظيمات الادارية والسياسية بصفة عامة .



٣ ـ الاقتـــصاد

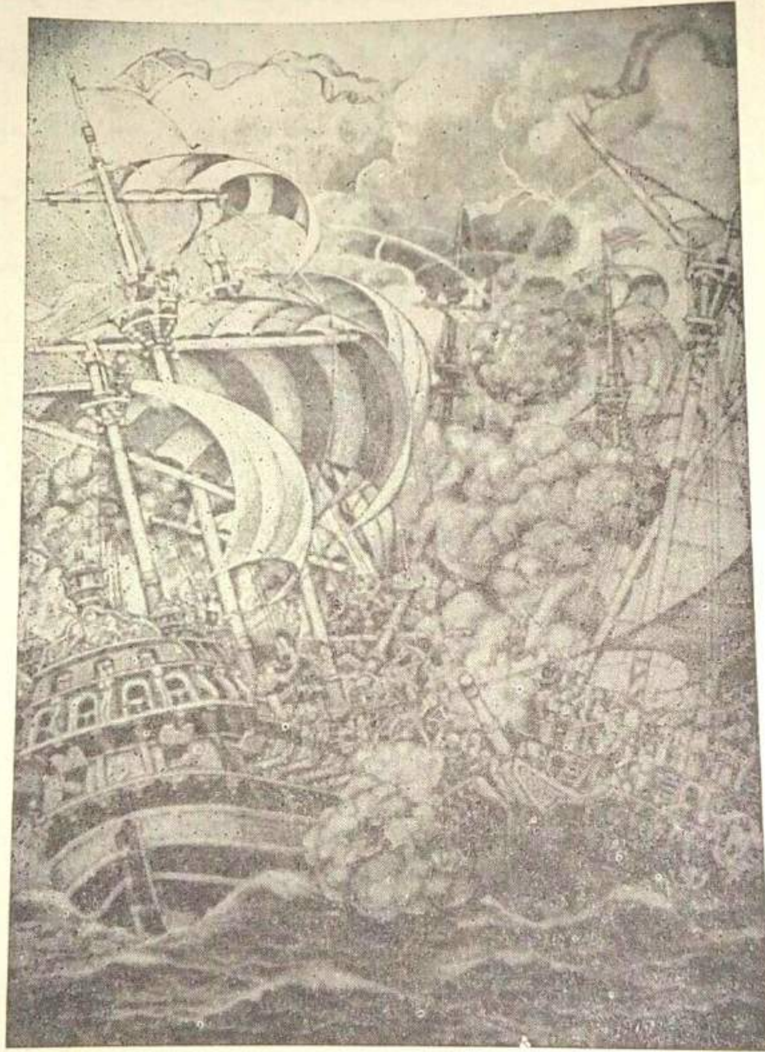
لم يكن لمدينة الجزائر في عهد الاتراك اقتصاد مبني على اساس سليم ، يمكن تنميته والتحكم فيه بطرق مقننة مثل انشاء المشاريع والمخططات ، وتسطير البرامج لما سيحدث فى المستقبل ومجابهة نمو السكان . فلم يقم الاتراك باي مشروع صناعي للمدينة مثل ماكان يحدث لنمو الانتاج في مدن اوربا ، ولم يشجعوا على الانتاج الزراعي ولا على المنتوجات المحلية بصفة عامة ولم ينفقوا رؤوس الاموال التي جمعوها من القرصنة فى مستقبل البلاد ، ورفع مستواها الاقتصادي مثل ما فعل المغامرون الاروبيون الذين جمعوا الذهب من العالم الجديد ثم استثمروه فى تطوير الاقتصاد الاوربي . ولم تكن لمدينة الجزائر تجارة ثابتة ، ولا نظام نقدي ثابة . ولعل السبب فى ذلك يرجع الى ان الاتراك كانوا يحسون دائما انهم غرباء عن هذا الوطن، لذلك ماكان يهمهم تقدم المدينة وترقيتها مثل ما كان يهمهم جمع الاموال فى خزائنهم، والمحافظة على مناصبهم ومراكزهم . ووجهوا اقتصاد المدينة نحو المغامرات او نحو البحر الى ان اصبحت الميناء هي المورد الرئيسي ، تعطي للمدينة اكثر مما تأخذ منها وعاشت الجزائر على حساب الميناء طيلة الحكم التركي ، اذ لم تكن هناك صناعة محلية ذات شهرة عالمية او محلية ، ولا فائض كبير من الانتـاج الزراعي يخصص للتصدير عن طريق الميناء ، بل ان هذه الاخيرة هي التي كانت تغذي المدينة لما تدره عليها من خيرات مثل جلب البضائع من الخارج، وبالخصوص غنائم القرصنة التي ظلت مدة طويلة تمثل المورد الرئيسى فى اقتصاد البلاد ، واهم وظيفة لسكان المدينة .

ولهذا سنتعرض فى هذا الموضوع الى دور الاسطول فى اقتصاد المدينة ، ثم القرصنة كمورد اساسي ، ثم النخاسة بين الجزائر واوربا ثم الزراعة فالصناعة فالتجارة فدخل المدينة ثم نختم الفصل بالقروض والنقود .

١ ـ دور الاسطول في اقتصاد المدينة :

اعتمد الاتـراك طيلة حكمهم لمدينة الجزائر على اسطول كانت له منافع عدة من

أهمها القرصنة وجلب الارزاق وحماية البلاد ثم القيام بالتجارة . وبذلك ارتبطت حياة المدينة اشد الارتباط بهذا الاسطول وتذبذب مركزها الاقتصادي والسياسي بتذبذب عدد قطع هذا الاسطول من فترة لاخرى . فكان مركز مدينة الجزائر يتقوى داخل البلاد وخارجها - بل كانت تملى شروطها كما تريد على التجارة والسياسة الاوربية - فى فترة تكاثر اسطولها ، والعكس فى فترات اضمحلاله ولذا يجدربنا ان نتعرض الى تطوره .



اسطول الجزائر فى معركة بحرية

بدأ اسطول مدينة الجزائر ينمو منذ ان دخلها بابا عروج الذي صاحب معه لاول

مرة مراكبه من جيجل الى مدينة الجزائر تلبية لنداء سكانها . وفى عهد خير الدين استولت الجزائر على اكثر من ٣٦ غلـوطة Goellette اسبانية ضمتها الى القطع السابقة (١) ثم نشطت القرصنة وبلغ عدد قطع الاسطول الجزائري سنه ١٥٥٨ حوالي ٣٥ لومانة galères و٢٥ بارجة fregates وعددا كبيرا من الزوارق والمراكب الصغيرة.ثم في سنة ١٥٨٨ ارتفع عدد قطع الاسطول الى اكثر من ١٠٠ قطعة متنوعة الاحجام وكان البعض منها ملك للدولة ، والبعض الآخر ملك الخاصة وعلى سبيل المثال نذكر ان مليكة هذا الاسطول كانت تتوزع كالآتى : الباشا اسحق الماجري له باخرة كبيرة، ومامي ارنوط وهو رئيس البحرية يملك باخرة واحدة ، والرئيس ميميشاله واحدة ، وارنيزة له واحدة، ودالي مامي له باخرة، ومراد الكبير الالباني له قطعة مثل ما لمراد الرائس الفرنسي ، ولكل من فرار الجنوى ومراد البيترايلو الاسباني ومراد الصغير اليونانى ، والكرد مامي اليهودي ، ومامي البندقى ومامي الكورسى واسحق الصقلي ومامي الكـــلابري لكل واحد من هؤلاء قطعة خاصة به وملك له ، ومن هنا نلاحظ ان جل الاسطول كان ملكا للخاصة ، وان جل هؤلاء الخاصة كانوا من الاسارى المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام لحاجة فى نفس يعقوب ، وهم الذين كانوا يتعاطـــون القرصنة فعلا باسم الجزائر كما لقونها سكان مدينة الجزائر الى ان اشتهروا بها .

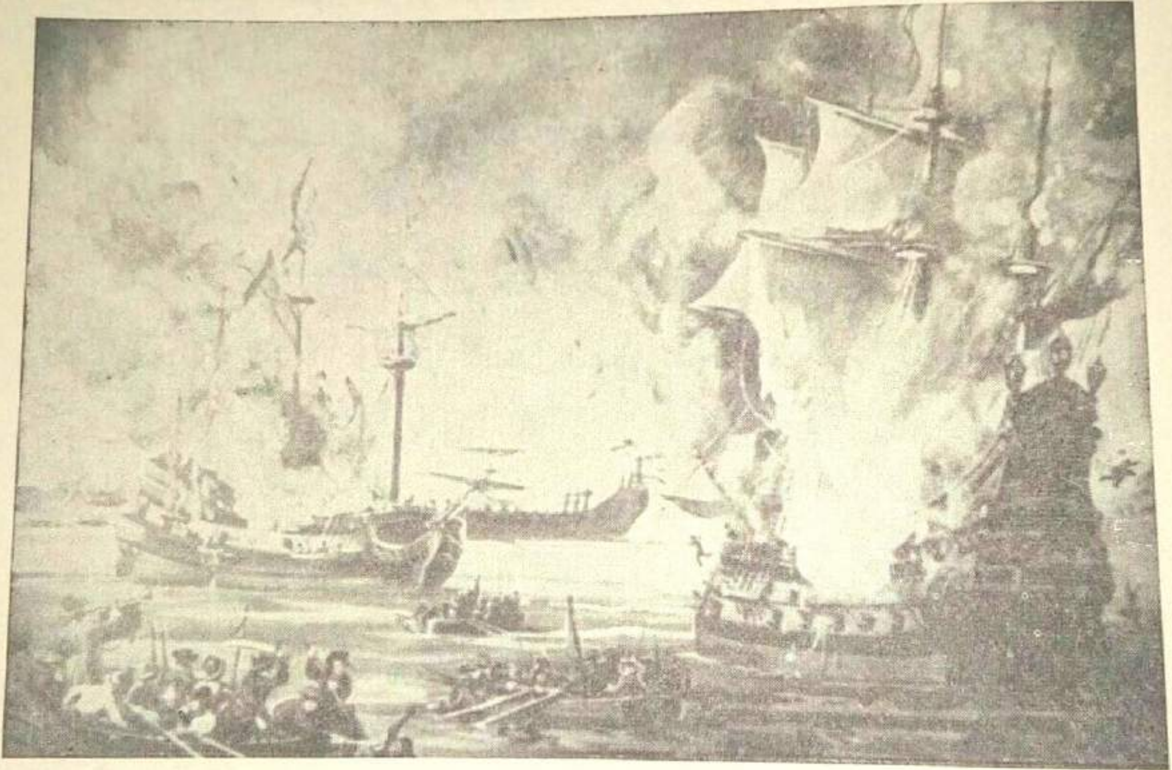
وظل سكان مدينة الجزائر وعلى رأسهم حكامها يسلكون مسلك غيرهـم او مسلك من سبقوهم من أمثال باباعروج وخير الدين فى اصطياد السفن المسيحية اينما وجدت بمياه البحار فتكاثر لذلك اسطول مدينة الجزائر الى ان أصبح يربو عن ٦٠٠ (٢) قطعة سنة ١٦٣٤ وهذا رغم مشاركة الاسطول الجزائري الى جانب الاسطول العثماني فى معركة ليبانت (٥ أكتوبر ١٥٧١) التي فقد فيها العثمانيون والجزائريون جـل اسطولهم (١١٦ سفينة للمسلمين حطمت فى هذه المعركة من بين ٢٠٨ سفينة شاركت فى المعركة) وهي معركة كانت قاسية

---

(1) A. Berbrugger : op. cit. p. 14

(2) Le Pére dan : Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes et des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli (1649). (supérieurs de l'ordre de la Sainte trinité et redemption des captifs, fut chargé d'une mission de rachat en juillet 1634.

على الاتراك فيها قال الوزير التركي لسفير البندقية : لقد قطعتم لحيتنا هذه المرة لكنها ستنت بشدة(١) وبالفعل فقد استعاد الاسطول الجزائري والتركي مكانته في البحر المتوسط بعد مدة وجيزة من المعركة حتى صار اشد ما كان عليه قبل المعركة.وفي هذه الفترة عادت الجزائر سيدة البحر المتوسط ،لايداني اسطولها اي اسطول في اي دولة اوربية ، ترتعد لرؤيته فرائص الملاحين الاوربيين ، فانتشر الرعب بينهم ، وساد الخطر الشديد في طريق التجارة البحرية المسيحية ، وبلغ دخل الجزائر من اسطولها سنة ١٦١٦ ما قدر بحوالي الثلاثة ملايين جنيه استرليني او ما نسبته اكثر من ٨٥٪ من مجموع الدخل السنوي للمدينة .



اسطول الجزائر يستعد لمعركة بحرية

وكانت فرنسا اول دولة اوربية حاولت درء هذا الخطر عن تجارتها البحرية ، فتقربت من الامبراطورية العثمانية للضغط على الجزائر واكتساب امتيازات عن بقية

(1) Henri Cambon : Don Juan d'Autriche Le vainqueur de Lepante. Hachette 1952. p. 56

الشعوب المسيحية ، واستطاعت فى الاخير ان تحصل على نتائج ايجابية وهي ضمان حريه تنقل اسطولها بمقتضى المعاهدات التي ابرمتها مع الجزائر فى سنوات ١٦١٦ ، ١٦٢٨ ، ١٦٦٦ ، ١٦٨٣ ، ١٦٩٢ ، ١٧١٩ . ثم جاءت هولندا تخطب ود المدينة سنة ١٦٨٠ ثم سنة ١٧٣٦ ، وكانت لهولندا تجارة نشيطة في هذه الفترة لذلك اشترت أمنها بغرامة سنوية قدرها حوالي ١٦٠ الف دينار وبضائع تدفعها سنويا لمدينة الجزائر ، ثم خضعت بريطانيا ، فطأطأت رأسها سنة ١٦٨٢ ، ثم تلتها دول اوربية أخرى امثال الدنمارك سنة ١٧٤٦ ، وتوسكانيةسنة ١٧٦٤ ، ثم البرتغال سنة ١٧٩٣ ، ثم الولايات المتحدةسنة ١٧٩٦ وكانت هذه المعاهدات عبارة عن قيود وحبال نسجتها ايدي السياسة الاوربية ومن حذا حذوها ، لتحطيم اسطول الجزائر ، وتقييد حركاته ، واسكات رعبه، وبالتالي تحطيم اقتصاد المدينة ، وهذا ماوقع بالفعل ، حيث ان وحدات قطع الاسطول الجزائرى بدأت تقل شيئا فشيئا منذ تلك المعاهدات ، ففى سنة ١٧٢٤ انخفضت قطع الاسطول الى ٢٤ قطعة ثم قدرها لوجي دي تاسي سنة ١٧٢٥ بحو الي ٣١ قطعة ثم قدرها شو سنة ١٧٣٨ بما يقرب من ستة قطع . وقد تنبه الاتراك الى هذا الخطر فى الاخير حيث اصبح دخل المدينة من الاسطول فيما بين ١٧٦٥ و١٧٩٢ لايتعدى النصف مليون دينار سنويا فى المتوسط، بل هناك سنوات انخفض فيها دخل الاسطول الى أقل من عشرة آلاف دينار ، لذلك حاول الاتراك اعادة بناء اسطول الجزائر ، ففتحوا ورشا جديدة لصناعة السفن الحربية والتجارية معا ، اذ كانت لاتختلف السفن الحربية عن السفن التجارية فى هذا الوقت ، وعقدوا عدة صفقات لشراء الاخشاب وشراء السفن التجارية من انجلترا وهولندا وايطاليا (١) ودول اوربا الشمالية ، ويذكر السفير الفرنسي Durant (٢) سنة ١٧٢٩ ان صناعة السفن بمدينة الجزائر بدأت تتقدم وان الجزائر ابرمت معاهدة مع هولندا لمدها بكل المعدات لبناء سفينة كبيرة طولها ١٢٦ قدما ولها كفاءة على حمل سبعين مدفعا . لكن هذه المحاولات كانت دائما مرهونة ومقيدة بالمعاهدات الاوربية لذلك لم يسترجع الاسطول الجزائري

---

(1) Morgan. op. cit. T II; p. 9

قوته التي كان عليها في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ويذكر فانتير دي بارادي (١) ان القوة البحرية للجزائر مؤلفة (سنة ١٧٨٨) من ثمانية اشباك Chebec (مراكب شراعية متوسطة الحجم) كل واحدة مجهزة بحوالي الثلايين مدفعا متنوعة العيارات ، ومن لومانين deux galerès ، ونحو الثلاث سفن ، وغليوطتين (اي مراكب ذات صاربين متوسطة الحجم) ، البعض منها ملك للبايلك والبعض الآخر ملك لكبراء الدولة او ملك للخاصة ويذكر فانتير «ان الداي محمد قرر رفع عدد قطع الاسطول الى نحو مائة قطعة ، وهيأ لذلك ورشا ومخازن وانابر» . و رغم هذه المحاولة من طرف الدايات الاتراك فى اواخر القرن الثامن عشر فان الاسطول ظل ضعيفا حيث ان بوتان يقومه فى مطلع القرن التاسع عشر بلا شيء . اما شالير (قنصل الولايات المتحدة) فيذكر ان البحرية الجزائرية كانت مؤلفة فى سنة ١٨١٥ من اربع بوارج حربية كل واحدة منها مجهزة بحوالى اربعين مدفعا ، ومن اربع نقائر corvettes ، ولومانة واحدة ، و ثلاثين زورقا ، وان مجموع هذه القطع لايمكنها ان تواجه اي اسطول بسيط لاي دولة اوربية ، ولا تدانيه فى شيء . ويعزى شالير سبب ضعف الاسطول الجزائري الى الهجومات المسيحية المتكررة على المدينة ، ومن اهمها هجوم الاسطول الانجليزي و الهولندي بقيادة الاميرال اللورد ايكسموث Lord Exmouth على المدينة في ٢٧ اغسطس سنة ١٨١٦ ، حيث تعاونت فى هذه المرة ٣٩ بارجة حربية جلها من بريطانيا وقليلها من هولندا ، فخربت جزءا من اسوار مدينة الجزائر وميناءها وحطمت من الاسطول الجزائري الراسى بالميناء اربع بوارج حربية وخمس سفن ذات حجم متوسط ، و٢٣ زورقا ، وعددا كبيرا من المراكب التجارية المتنوعة الحجم ، وبعد المعركة حاول الداي عمر اعادة القوة البحرية فاشترى اربع سفن كبيرة الحجم ، وفتح ورشا جديدة لصناعة السفن ، واهدت له المغرب وطرابلس وتركيا بعض السفن لتعويض ما فقدته المدينة ، وكاد الاسطول الجزائري ان يأخذ سبيله الى ما كان عليه من قوة لولا ان الدول الاوربية عرقلت نموه مرة اخرى ، وقد بلغ عدد قطعه سنة ١٨٢٥ حوالي

(1) Venture de Paradis. op. cit. p. 7

١٦ قطعة تتألف من اربع بوارج حربية ونقيرتين وبريكين(او مركبين صغيرين شراعيين) وخمس غليوطات Gœlette وزورق Polacre وشبكة Chebec يضاف الى مجموع هذا العدد من القطع حوالي ثلاثون قطعة على وشك الانتهاء من بنائها فى ميناء الجزائر (١) ولما جاءت سنة ١٨٢٧ اصاب الاسطول الجزائري ما اصاب الاسطول التركي من نكبة فى معركة نافاران التي تعاونت فيها القوات المسيحية بما فيها روسيا في تحطيم الاسطول التركي وحلفائه من الجزائر وغيرها ، ولذلك لم تجد الحملة الفرنسية مقاومة بحرية تذكر عند احتلالها لمدينة الجزائر ، ولم تجد بمينائها الا ثلاث بوارج احداهن لم يتم بناؤها بعد ، وزورقين وعشر مراكب متوسطة الاحجام وعددا قليلا جدا من القوارب الصغيرة. ويذكر البعض ان الحملة الفرنسية عندما احتلت مدينة الجزائر سنة ١٨٣٠ وجدت بمينائها حوالي ٢٠ شبكة و ١١ سفينة وهي سفن ما وكانت تخرج من الميناء نتيجة للحصار الذي ضربه الاسطول الفرنسي حولها ، وكانت في حالة سيئـــة لركود نشاطها لذلك سمح للجيش الفرنسي بتكسير البعض منها واستعمال اخشابها وقودا للـــتدفئة وقد حطم الجيش الفرنسي لهذا الغرض مركبين (٢) . وحسب ما تقدم يظهر ان الاسطول الجزائري اخذ يضعف منذ نهاية القرن السابع عشر للميلاد واشتد ضعفه في مطلع القرن التاسع عشر ، و بالتالى ضعف مركز مدينة الجزائر فى الميدان الاقتصادي والسياسي ، وحتى الدول الاوربية التى كانت تدفع غرامات سنوية كفت عن دفع هذه الغرامات عندما بدا لها ضعف اسطول المدينة ، او عندما قل عدد قطعه وانخفض مستوى تجهيزه . وكانت الولايات المتحدة على رأس الدول الملتزمة التي توقفت فى سنة ١٨١٢ عن دفع ما التزمت به وهو ٢٤ ألف دولارا سنويا ثم حذت حذوها بقية الدول الاوربية .

٢ ـــ القرصنة مورد اقتصادي :

ان القرصنة بدأت أول مابدأت لدى الدول الاوربية المجاورة للبحر ثم انتشرت فى

(1) w. Shaler op. cit pp. 51_60

(2) Elie de la Primaudale, le commerce et la navigation de lAlgerie avant la conquête française. 1861

العالم الى اصبحت كارثة قاسية على الانسانية ابتلى بها الاوربيون والعرب في شمال افريقية او سكان حوض البحر المترسط بصفة عامة (١) .

وفي المرحلة الاولى من العهد التركى او فيما بين القرن السادس عشر والسابع عشر كانت علاقات الجزائر مع الدول الاجنبية واريد بها المسيحية بالخصوص سيئة للغاية تقوم على العداء الديني ، وقلة الاتفاقيات او الالتزامات التي تيسر التجارة من صادرات وواردات لذلك كانت اقتصاديات مدينة الجزائر تقوم على القرصنة بالدرجة الاولى وما يدفع اليه هذا النمط الاقتصادي من تجارة العبيد المسيحيين وملء اسواق المدينة ببضائع الغنائم ، وكانت الرحلات البحرية تصنف الى رحلات بعيدة المدى واخرى قريبة المدى فيها يطوف القراصنة الجزائريون دون رهبة وبشجاعة نادرة ، بسفنهم الخفيفة والسريعة بسواحل البحر المتوسط وشواطيء المملكة الاسبانية بالدرجة الاولى ، وبسواحل البحار الخارجية بالدرجة الثانية ، مثل سواحل ايسلندا التي طافها مراد رائس عدة مرات سنة ١٦١٧ وجزر كناري التي غزاها الاسطول الجزائري بقيادة مراد رائس سنة ١٥٨٥ وجمع منها اكثر من ٣٠٠ اسير منهم زوجة حاكم الجزر ، ونيو اسكتلندا سنة ١٦٣١ وقناة سان جورج بالعالم الجديد (٢). وتعود قراصنة الجزائر ان يخرجوا مرتين او ثلاثة مرات في السنة : في فصل الربيع ، ثم الصيف ، ثم الخريف في بعض الاحيان . اما الفصل الرابع فيخصصونه للجباية وجمع الاموال او الضرائب من الشعب داخل البلاد . وكانت الرحلة البحرية تستغرق الشهر والشهرين يستعد لها قبل الخروج احسن استعداد ، اذ تنظم كالآتي:

يعين وكيل الحرج (اى وزير البحرية) بامر من الداى قائدا للقرصنة يعرف بالرائس الذي تجهز له خمسة او ستة سفن ، وتكون له امتيازات كثيرة طوال الرحلة منها انه صاحب الامر الاعلى ، ومرتبه جاريا مادام فى رحلته ، زيادة عن حقوقه فى العوائد بالبر (وهي ما تعود السفراء الاجانب من دفعها الى الداي و اعوانه) ، ثم ان للرائس سهم

---

(1) De Mas-Latrie. Relation et commerce de l'Afrique septentrionale avec les nations chretiennes au moyen âge Paris 1866

(2) F Braudel : Refue Africaine. 1922. p. 360

الاسد فيما استولى عليه اثناء القرصنة ، وله ايضا سهم في السفن التجارية التي ترسوا بالميناء . ويبدأ الرائس في الاستعداد الى رحلته بانتقاء معاونيه من الضباط الاتراك ، وعددمن جنود الانكشارية الذين تكون مهمتهم القفز على سفن العدو بالسلاح الابيض ، كما يختار كاتبه الخاص المعروف بالاوسطة ، وينتقي جماعة من العرب والكراغلة والاهالي الذين لهم تجربة في ركوب البحار ، ويدفع لكل من وقع عليه الاختيار قطعة نقد ذهبية قدرها ١١ د. كدليل على الاختيار وليس لمن وقعت في يده القطعة الذهبية الاختيار ، ولا يسمح له بالاعتذار او الرفض باى حال من الاحوال ، وان هو ركب رأسه او لاذ بالفرار كانت عاقبته شديدة لاتقل عن الزجر او القتل في بعض الاحيان . ويغلق الميناء ايام تجهيز الرحلة وتعبئة اسطول القرصنة الذى يتكون من مراكب مختلفة الملكيات منها ما هي ملك للبايلك اي للدولة ومنها ما هي ملك للداي واخرى للخواص وربما كان منها لليهود ، تجهز باسلحة كثيرة ومتنوعة من مدافع وبنادق ومسدسات واسلحة بيضاء ، ويرافق الرحلة احد الاطباء تودع عنده اكياس الادوية . وتزود السفن بالمؤن من بسكويت وزيتون وخل وتين مجفف وارز ، وفواكه يجمعونها مجانا من بساتين ضواحي المدينة ، وهي مؤن تكفى لمدة الرحلة اي حوالي الخمسين يوما . وقبل الخروج بيوم واحد تكون الرحلة على أتم استعداد . ولما كان القراصنة لايضمنون رجوعهم الى البر مرة اخرى فيغتنمون فرصة اليوم الاخير لوجودهم بالمدينة فيحدثون الفوضى والقلاقل ويأخذون كل ما كان في متناولهم بالقوة من اليهود والخضر ، ولذلك تعودت المدينة على قفل دكاكينها عشية هذا اليوم المشؤوم ، ثم يعلن بداية الانطلاق في البحر بطلقة مدفعية ثم يتحرك اسطول القرصنة مارا بالقرب من قصر الداي اولا ومحييا اياه بطلقة مدفعية اخرى ، ثم يحيون سيدى ابراهيم، وسيدي عبدالرحمن بطلقة مدفعية ثالثة وهي الطلقة الاخيرة يغوصون بعدها فى عباب البحر باحثين عن قنائصهم الى ان يعثروا على مراكب او سفينة من سفن الدول المسيحية غير المسالمة اقتربوا منها ثم حملوا عليها ان رفضت الاستسلام وسلطوا عليها نيران مدافعهم وهم يقتربون منها شيئا فشيئا الى ان يلتحموا بها وعندئذ يأتي دور الخلداش الذين يقفزون عليها وفى ايديهم

السلاح الابيض فيرغمون ربانها على الاستسلام،وعندئذ يعين الرائس احد الاتراك قائدا عليها ثم يعودون بها غنيمة طيبة الى ميناء الجزائر التي لايدخلونها الى بعد طلقات مدفعية لاعلام السكان على الفريسة. وبعد طلقات المدافع تحسب قيمة الفريسة ،او الغنيمة وترد تحية الطلقات البحرية من اسطول القرصنة العائد الى المدينة بطلقات برية من حصون المدينة ترحيبا بالغنيمة ، ثم ترسو السفينة المغلوبة وعليها احد الملاحين من القراصنة الاتراك الذي ظن فيه الرائس كل الكفاءة فاختاره لذلك (وسيكون اهذا الاختيار الترقية الى رتبة رائس في الرحلات القادمة). وبعد الرسو يتقدم وكيل الحرج واعوانه لاحصاء الغنيمة التي توزع كالآتى : للدولة رئيس السفينة المغلوبة وقائدها وكاتبها وذخيرتها وسلاحها ومهندسوها ، وللداي ١٢ ٪ من قيمة السلع والعبيد ، ثم الباقى يقسم مناصفة بين رب او ارباب السفينة الغالبة وملاحيها ، والملاحون يتقاسمون نصفهم كالآتي : ٤٠٪ لرائس القراصنة الذي قام بالحملة وجاء بالغنيمة ،٣٠٪ للاوسطة ثم النسبة الباقية توزع بين الجنود الملاحين واصحاب المخاطرة حسب رتبهم واعمالهم، ثم تعطى شقوف السفينة المغلوبة الى الممونين للقرصنة ان كانوا من اليهود او الاهالي . هذا بالنسبة لبضائع السفينة المغلوبة اما ركابها فمصيرهم العبودية حيث ينقلون بعد تسجيلهم فى دفتر الواردات الى سوق السنخاسة المعروف بالباتسدان (ساحة بالقرب من جامع كتشاوة تعرف حاليا بساحة Mahon او ماعون بالعامية) ثم يباعون علانية بالمزايدة لمن كانت له رغبة فى ذلك من يهود وعرب واتراك ، وقيمة العبد تختلف حسب مهنته وقوته وما الى ذلك من اعتبارات لاتخفى على أحد . وبالخصوص النخاسين ، وربما بيع الأسير المسيحي في سوق الباتسدان بالفي دينار ان كانت احواله متوسطة من ناحية الاصل ، والبنية ، و المهنة . وكان دخل الجزائر من هؤلاء العبيد لايستهان به ، فهم رهائن اوطانهم ، خصصت لهم حكومة الديات بالجزائر عددا من اللوا من (مراكز جمع العبيد) ، ولا يعودون الى اوطانهم الا بعد ان تدفع عنهم دولهم او المؤسسات الدينية المسيحية قيمة الفدية ، ففرنسا مثلا اشترت عبيدها من الجزائر فى اواخر القرن الثامن عشر بما قيمته ٥١ مايون فرنك قديم اي حوالى ٥١٠ألف

دينار جزائري حالي . واسبانيا افتدت عبيدها او اسراها فى نفس الفترة بنحو مليون قرش (١) للرقبة الواحدة اي حوالى ٣٣٠ الف فرنك قديم او ثلاثة آلاف دينار حالي . والبرتغال افتدت عبيدها سنة ١٨١٢ وهم حوالى ٦١٥ اسيرا بما قيمته ٦٩٨ ٣٣٧ دولار والدانمارك افتدت عبيدها سنة ١٧٧٢! بدفع ٣٠٠٠٠ سلطاني الخ ...

وقد اكتسب سكان الجزائر ، الخاصة منهم والعامة ، ثروة طائلة وفوائدة جمة من استغلال هؤلاء العبيد او افتدائهم . و هو افتداء كان يجرى تحت اشراف المنظمات الدينية المسيحية ، او بواسطة التجار اليهود بالخصوص الذين استهوتهم هذه الحرفة .

وكانت الجزائر تنتقى من غنائم القرصنة كل ما قلت صناعته لديها من اسلحة واقمشة وحرائر ، وكانت فى حاجة اليه من خشاب ، وتوابل وعقاقير ، ويباع الباقي من خمور وزيتون ولحوم الى التجار اليهود الذين تعودوا على الاحتكارات وبيع هذه المحرمات فى الديانة الاسلامية ، بفوائد خيالية قد تصل الى ٤٠٠ مثل الى الاوربين المقيمين بالجزائر ، او الى التجار المسيحيين المتنقلين بين اسواق الجزائر واوربا ، او يصدرونها الى مدينة ليوفورن Livourne بايطاليا او الى مرسيليا وهى أهم المدن التجارية باوربا التي كانت تزدحم بها مخازن اليهود .

٣ ـ النخاسة بين الجزائر واوربا

حرفة النخاسة معروفة منذ اقدم العصور ، ولقد وجدت باختلاف افراد بني الانسان فى قوة البنية والذكاء ، وسلكت طرقا مختلفة عبر التاريخ ، وشرعت لها المجتمعات البشرية عدة قوانين . وكان الاسلام اول من نادى بعدم استغلال الانسان للانسان ، و وعد خيرا لمن حرر رقبة، على عكس ما نادت به المسيحية المزيفة والمتعصبة فى جواز استرقاق المسلمين ولهذا الغرض نصب شارل الخامس فى جزيرة مالطة جماعة اوربية جلهم من الفرنسيين المتعصبين للديانة المسيحية وهم فرسان سان جاك الذين عرفوا فيما بعد بفرسان مالطة

(١) انظر في آخر الكتاب جدول الموازين والمكاييل و النقود في الجزائر التركية .

اذ كانوا بجزيرة رودس قبل ان يحتلها الاتراك سنة ١٥٢٢ فنقلهم شارل المذكور الى جزيرة مالطة وامرهم بتتبع المسلمين اينما وجدوا في البر والبحر ، وبيعهم الى الاوربيين. وكان للاكتشافات الاوربية فى العصور الوسطى ولاختراع السفن الكبيرة التي تتطلب جهدا كبيرا وشاقا لدفعها ، كان لهذا وذاك دورا كبيرا في تطوير النخاسة وتنشيط تجارة العبيد ، فبدأت البرتغال سنة ١٥١٣ بشراء العبيد واقتناص الزنوج من افريقية ونقلهم الى المستعمرات الاوربية في العالم الجديد ، وبالخصوص الى المستعمرات الاسبانية . وقد حاول بارتيليمي Barthelmy - Las-Casas ان يحصل على رخصة ، تحال له تجارة العبيد ، من الكاردينال الاسباني Ximenes بحجة تعمير جزر الانتى التي اباد سكانها الاصليين الاستعمار الاسباني وباءت هذه المحاولة بالفشل ، ولكن رغم ان الكنيسة كانت تعارض اقتناص الاحرار ثم بيعهم عبيدا فان المغامرين الاوربيين ظلوا قائمين بالنخاسة الخسيسة . وفى سنة ١٥١٧ منح شارل الخامس رخصة احتكار تجار العبيد لبريزا الذي نقل خلال فترة وجيزة اكثر من ٤٠٠٠ عبد افريقي الى العالم الجديد ، ودرت له هذه التجارة ربحا خياليا سمع به عدد من التجار الاوربيين الذين طلبوا من حكوماتهم رخصا مماثلة لمباشرة هذه الحرفة الخسيسة ، فوافقت الحكومة البريطانية في عهد ايليزابيت الاولى (١٥٣٣-١٦٠٣) واذنت فرنسا في عهد لويس الثالث عشر (١٦٤٣ - ١٦١٠) ، ثم تلتهما بقية الدول الاوربية ، فنشطت لذلك تجارة العبيد التي اصبحت شائعة وجائزة لدي الدول الاوربية بمراسيم حكومية ، وقوانين معروفة (١) تجرعت منها الانسانية الذل والهوان .

ونظرا لما كانت القرصنة تدره من ارباح فقد حول التجار الاوربيون كل من وقع في قبضتهم من سكان افريقية الزنجية او افريقية البيضاء الى عبيد ، وأدت هذه الحرفة الى نقل ما يقرب من ثلاثين مليون افريقي الى العالم الجديد وتسخيرهم في الاعمال الشاقة اذ على اكتاف الافارقة قام التطور الاقتصادي لامريكا الشمالية وعمرت امريكا الوسطى والجنوبية. وبالاسارى المسلمين كانت تشق بعض السفن المسيحية عباب البحر ، ويعترف الآب دان (٢)

(1) william Shaler ; op. cit p. 340
(2) P. Dan. op. cit. p. 45

فى مفاوضاته مع الباشا بان عددا كبيرا من الاسارى الجزائريين مسجونين فى فرانسا منهم ٦٨ تركيا في مرسيليا وحدهـا. ولم يكن المسلمون فى شمال افريقيا بمعزل عما كانت تدره النخاسة على التجار الاوربيين ، لذلك وجهوا اقتصاد مدينة الجزائر نحو تجارة العبيد ، والعبيد المسيحيين بالخصوص ، الا ان الجزائر لم تكن لها مستعمرات تصرف فيها هؤلاء العبيد ، فاحتفظت بهم رهائن فى البلاد حتى تبادلهم بالنقود مع حكوماتهم ، او حتى تبادلهم مع الاسارى الجزائريين الذين هم فى قبضة المسيحيين كما حدث بين الجزائر وفرنسا سنة ١٦٩٢ (١) حيث حررت الجزائر ثلاثين عبدا فرنسيا مقابل تحرير فرنسا ثمانية اتراك ، وكما حدث بين الجزائر واسبانيا سنة ١٧٧٠ وبين دول اوربية اخرى.

وفى اواخر القرن الثامن عشر اخذت تنتشر فى اوربا فكرة تحرير العبيد و تحريم النخاسة لاسباب منها انسانية ، ومنها ان الزراعة والصناعة فى اوربا ومستعمراتها قد بلغت مرحلة من التقدم لاتحتاج فيها الى العبيد (٢) ومنها ان تكاثر العبيد الافارقة في العالم الجديد سيؤدي حتما في يوم من الايام الى تغلب الجنس الافريقى على الجنسي الاوربي وبالتالي استيلاء الافارقة على العالم الجديد وطرد الاوربيين منه وضياع المستعمرات وهي المناطق الغنية التي وجدت فيها الدول الاوربية بيئة ملائمة لتفريغ شحناتها من الاكتظاظ البشري ، وجمع الاموال الطائلة لبناء اقتصادها .

ومنذ سنة ١٧٨٠ بدأ الصراع بين انصار مبدأ جواز استغلال الانسان للانسان وعلى رأسهم تجار العبيد والاقطاع ، وبين اصحاب فكرة حرية الانسان . ومن هذا الصراع تغذت الثروة الفرنسية التي نادت بحقوق الانسان. ثم اصدرت ابريطانيا فى سنة ١٧٨٤ قانون حماية العبيد

la loi de la consol·dation des esclaves,

الذي حددت فيه مستقبل العبيد فى العالم ، فاشتـــد بذلك تخوف الشركات البريطانية ومن أهمها شركة ليفيربول Liverpol وبريستول Bristol اللتان كانتا تجنيان ارباحا خيالية من النخاسة اذ كان دخلهما لايقل سنويا عن ١٤٠٠٠٠٠ جنيه استرليني ، كما

---

(1) C.C. des consuls d'Alger op. cit. p. 25

(2) W. Shaler op. cit. p. 349

ان الخزينة البريطانية كان دخلها السنوي من الرسوم على النخاسة يقرب من ٢٥٦٠٠٠ جنيه استرليني ، وهكذا اخذت مصلحة الشركات والخزينة تتصارع مع الفكرة التي دعى اليها ويلبيرفوس wilberforce النائب البرلماني الانجليزي الذي وضع مشروعا لتحريم تجارة العبيد سنة ١٧٩٢ فوافق عليه مجلس العموم بأغلبية ١٩ صوتا ورفضه مجلس اللوردات في اول الامر ثم صادق عليه بعد تعديله سنة ١٧٩٤ ، ويقضى هذا المشروع بتحريم بيع العبيد من طرف البريطانيين واتباعهم للاجانب ، ثم استمرت المحاولات للوصول الى تحريم عام ، الى ان جاءت سنة ١٨٠٨ فقرر البرلمان البريطاني فى اول يناير من السنة المذكورة بداية فترة التحريم النهائي والشامل للنخاسة ، وشرعت قوانين العقوبات لمن يتعاطى هذة الحرفة ابتداء من سنة ١٨١١ كما طلب البرلمان الانجليزي من ملك بريطانيا اذ ذاك ان يفتح مفاوضات مع الدول العظمى لتعميم تحريم بيع العبيد. وفى شهر مايو من سنة ١٨١٤ بدأت المشاورات والاتصالات بين بريطانيا والدول العظمى حول تعميم تحريم تجارة العبيد واحترام حقوق الانسان المقدسة ، وقمع القرصنة وفرض عقوبات على الدول التى تتعاطاها ، ومن بينها الجزائر . وفى ١٦ يناير من سنة ١٨١٥ عقدت ثمانية دول عظمى هى بريطانيا،وفرنسا ، والبرتغال،واسبانيا. والنمساء ، والسويد ، وبروسيا ، والدانمارك ، مؤتمرا بباريس للنظر فى هذه المشكلة ، وتولدت عن المؤتمر لجنة خاصة للعمل على ايقاف النخاسة اما عاجلا او آجلا وفرض عقوبات اقتصادية على الدول التى لاتحترم حقوق الانسان وبذلك بادرت كل من هولندا واسبانيا والبرتغال الى تحريم تجارة العبيد سنة ١٨١٥ ثم حرمت فرنسا النخاسة سنة ١٨١٩ . اما الدانمارك فكانت سباقة الى ذلك حيث قررت سنة ١٧٩٤ تحريم تجارة العبيد ، وامهلت سكانها من المزارعين فى المستعمرات عشر سنوات لتهيئة انفسهم الى تطبيق القانون الذي بدىء العمل به في اول يناير سنة ١٨٠٤ ثم تلتها السويد سنة ١٨١٣ . وبعد مؤتمر تحريم النخاسة بعثت اوربا قائدا من فرنسا وآخر من بريطانيا لاطلاع داي الجزائر على رغبة اوربا فى ان تتوقف الجزائر عن حرفة القرصنة وان توافق على قوانين تحرير العبيد وتحريم النخاسة،واستقبل داي الجزائر وديوانه هذين المبعوثين

بحرية ، لان القرصنة كانت المورد الرئيسي للاقتصاد الجزائري كما سبق ، ثم ان الجزائر لم تدع الى المشاركة في تلك المؤتمرات ، وكانت مصالحها تتناقض تماما والمصالح الاوربية لذلك رفضت المعاهدة الاوربية وظلت تباشر حرفة القرصنة الى ان سقطت المدينة فى يد فرنسا .

٤ — الــزراعة :

ذكرنا سابقا ان التربة الخصبة والامطار المتوفرة والحرارة المعتدلة في اقليم مدينة الجزائر تلائم تماما الزراعة، ومزروعات مناخ حوض البحر المتوسط . لكن المساحة التي كانت مستغلة ومخصصة للزراعة في العهد التركي كانت ضيقة للغاية ، ولم يتوجه الفلاحون نحو الزراعة التجارية ولكن نحو الزراعة الاستهلاكية فى الغالب ، وكثيرا ما كان الانتاج لايكفى حاجيات السكان ، وهذا يرجع الى اسباب عدة منها ان أغلب المزروعات وبالخصوص القمح والشعير ، كانت من المزروعات الشتوية اي التي تقوم على ما جادت به عليها السماء وكانت سنوات الجفاف تعد سنوات مجاعة فيها لايجمع الفلاح فى بعض الاحيان حتى كيل ما زرعه ، ولم تقم حكومة الدايات ببناء السدود واجراء السواقى وتوفير مياه الرى في البوادي بل كانت مياه الامطار تترك على حالها لتضيع فى البحر او في المستنــــقعات دون ان يستفيد منها الفلاحون وسكان البلاد فى الاستغلال الزراعي . وكانت جل الاراضي الزراعية تترك بورا في فصل الصيف ، اللهم الا بعض النقط المحدودة التي تظهر بها الينابيع الطبيعية او الآبار فانها تزرع خضرا للاستهلاك المحلي . ولم تشتهر الجزائر بتصدير الخضر الى الخارج في العهد التركي ولا بتصدير الحبوب الا في بعض السنوات الممطرة او السنوات التي كانت تختفى فيها آفات الجراد ، لكنها اشتهرت بتصديرها للمنتوجات الحيوانية لان السكان توجهوا بالدرجة الاولى الى تربية الحيوانات وأهملوا الزراعة التي عادت تمثل قطاعا ثانويا فى الاقتصاد الوطني . واهم الغلات الزراعية التي كانت تزرع فى اقليم مدينة الجزائر هي الحبوب من قمح وشعير وذرة ، وكانت تزرع فى السهل والجبل وبالخصوص في

بلاد حجوط والخشنة التي كانت من أهم مناطق الاقليم لتموين مدينة الجزائر بالحبوب ، وكانت بحجوط والخشنة مطامر او حفر بالارض لخزن الحبوب فى سنوات الوفرة لسنوات المجاعة . اما الارز فكان يوزع في المروج الى الشمال من سوق علي (بالقرب من بوفريك) وهي مروج تظهر بها المستنقعات وتتوفر بها مياه العيون المنبجسة هنا وهناك طوال السنة وكان يعتمد عليها دايات مدينة الجزائر لتموين جنودهم من الانكشارية بالارز ، وهو منتوج قليل لايكفى فى بعض الاحيان حتى حاجيات الجنود وحينئذ فيضطر الدايات الى الاستيراد من مصر او من بلدان الشرق بصفة عامة . و الي جانب الحبوب كان ينتج اقليم مدينة الجزائر اصنافا من الفواكه مثل الجوز والوز والرمان والبرتقال والمشمش والليمون والتوت والتين ، وبالخصوص العنب الذي كانت تنتج منه ضواحي الجزائر سبعة انصاف(١) يستهلك جله مباشرة وقليله يحول الى زيبا ، او الى خل الذي يدخل بكمية كبيرة فى تموين عساكر

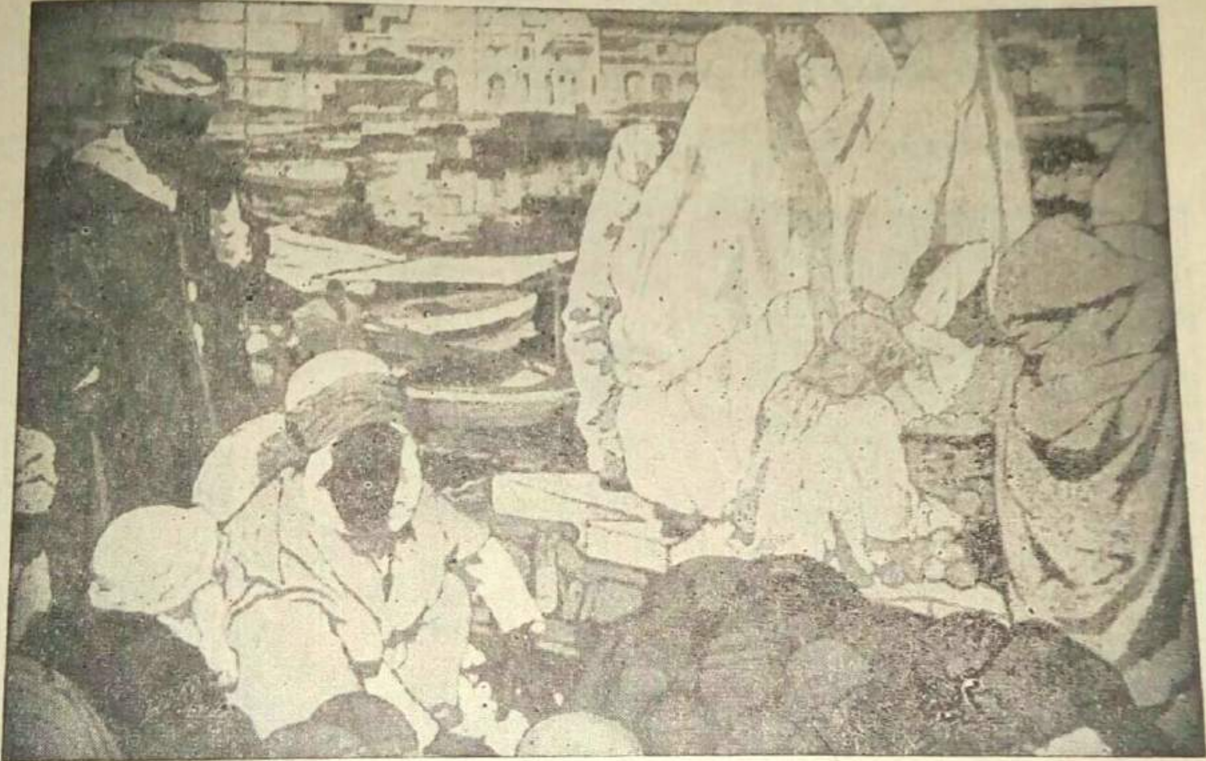


اراضي مهملة فى السهل المتيجي

البايلك ، او يحول الى خمر لتموين الاسارى المسيحيين الذين كانوا يديرون الحانات

(1) A.M. Perrot Alger : Esquise Topographique et historique Paris. 1830. P.9

بالمدينة . ولم تشتهر مدينة الجزائر في العهد التركي بتصدير الخمور ، ولا بتصدير العنب بل كانت تتجه لتغطية حاجيات السكان فقط ، وهذا رغم ان زراعة الكروم توسعت قليلا عما كانت عليه في العهد الاسلامي الاول وذلك بعد هجرة الاندلسيين بالخصوص الى مدينة الجزائر وهم الذين شجعوا هذا النوع من الزراعة . وكان لتقدمهم الحضاري اثر على حث سكان الاقليم على زراعة الكروم في منطقة تلائم تماما بتربتها الجيدة وسفوحها المشمسة انتاج اجود انواع الكروم التي كانت تتركز بالخصوص في التلال الشرقية للمدينة حتى وادي الحراش .

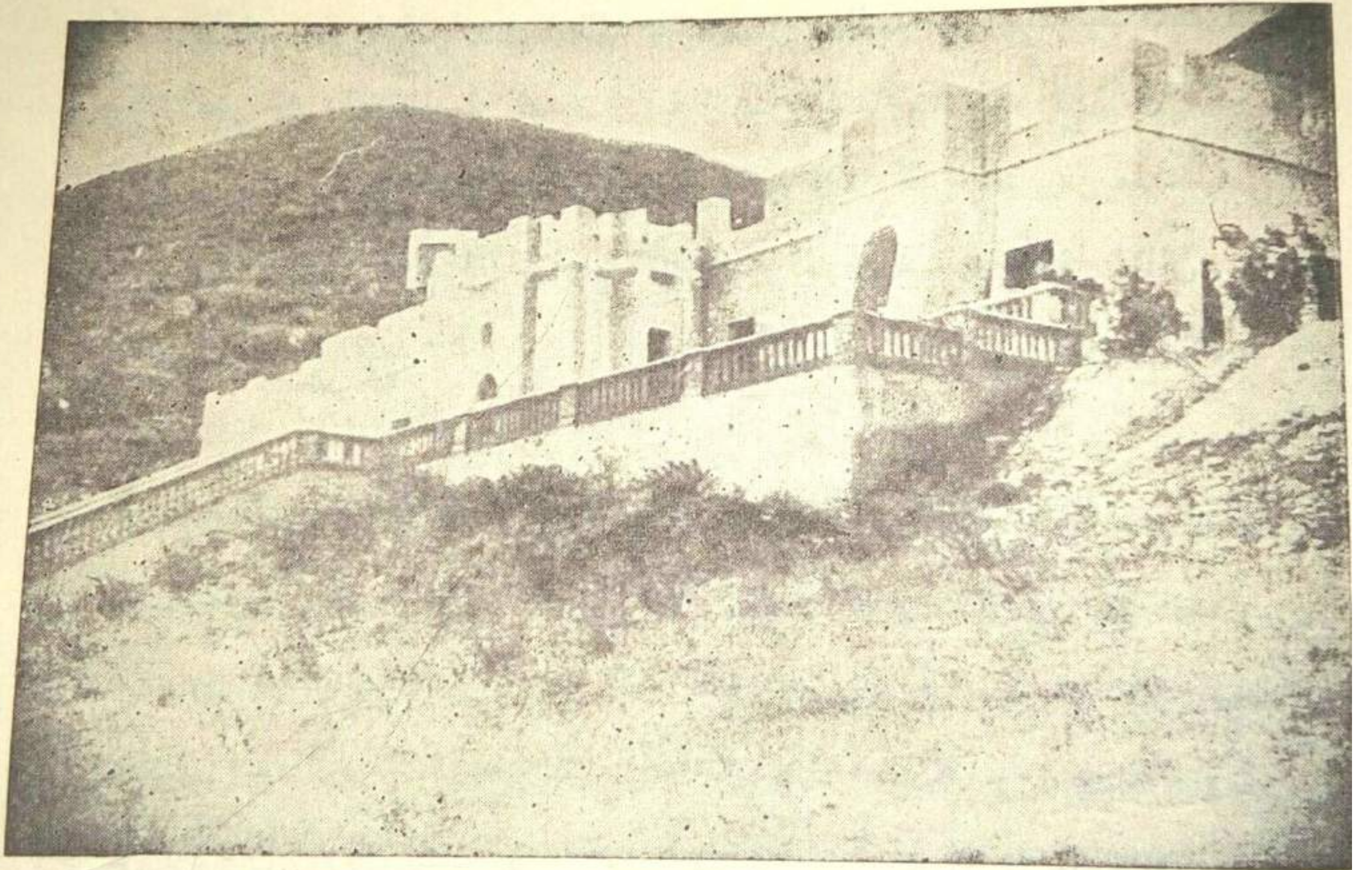


سوق لبيع الخضر والفواكه

اما الخضر التي كانت ترد الى المدينة يوميا فكانت تأتى من الضواحى ومن البساتين المنتشرة في حي الابيار (١) وبئر مراد رائس وبئر خادم والحامة بالخصوص ، وهي احياء

(1) Bertillat : Relation de la Campagne d'Afrique en 1830 J. Le fevre P. Bulletin de la Societé Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord. XXVII Année Alger 1921

تتوفر بها مياه الري من العيون الطبيعية والآبار العديدة ، وقليلا ما كان المتجول في هذه الجهات يشاهد دارا من غير حديقة بل ان كل منازل الضواحي كانت تحيط بها سياجات من النباتات الشوكية او التين الشوكي و داخل هذه السياجات عيون او آبار لري حقول الخضر من بطيخ وفصولية وباذنجان وفليفلة وطماطم وبصل الخ ... وكانت هذه الخضر ترد على ظهور الدواب وتباع يوميا فى اسواق باب عزون والباب الجديد باثمان زهيدة لتوفرها ولانها لاتدخل فى قائمة الصادرات الى الخارج اما الخضر الجافة مثل الحمص والفول والعدس فكانت تزرع زراعة شتوية ولهذا كانت تزرع خارج نطاق العيون والآبار في التلال والجبال والسهول ذات التربة الخشنة والجافة . اما التبغ فكان يزرع في السهل المتيجي وبالخصوص فى منطقة الشبلي حتى اشتهرت به ، والتبغ اهم الغلات الزراعية التجارية التي كانت تصدر منها الجزائر الى الخارج ، والى بلدان المغرب العربي بالخصوص .



اراضى في ضواحي المدينة متروكة للرعى

واكثر المساحات من اقليم مدينة الجزائر كانت مخصصة او متروكة للرعى و تربية

الحيوانات التي كانت تحتل جانبا عظيما من الاقتصاد الوطني ذلك ان اغلب السكان توجهوا بالدرجة الاولى الى تربية الحيوانات لانها حرفه تلائم عدم الاستقرار وتمكن اهل الريف من التهرب من الضرائب الفادحة التي كان يفرضها الاتراك على المزارعين وهي ضرائب لاتؤخذ نقودا وانما تؤخذ عينا. وانواع الحيوانات التي كانت تربى في مراعى اقليم مدينة الجزائر الواسعة هي الضأن او الاغنام ثم الماعز ثم الابقار ثم دواب الحمل بصفة عامة مثل الخيل والبغال والحمير التي كانت تعد من أهم وسائل النقل في بيئة تقل فيها عربات النقل ، وكل افراد القطيع كانت من النوع التقليدي الذي لم يحاول الفلاحون والرعاة انتقاء وتجديد سلالته . فالابقار كانت من النوع الذى لايعطي الكثير من الالبان واللحوم ، لكن كثرة عدد افراد القطيع جعلت المنتوجات الحيوانية تفيض عن استهلاك السكان وتصدر كميات منها الى الخارج وبالخصوص الجلود والاصواف التي كانت لها شهرة فى بلدان اوربا وايطاليا بالخصوص . والى جانب هذه الحيوانات كان سكان الضواحي وظهير المدينة يقومون بتربية النحل وانتاج كميات كبيرة من العسل تفيض عن استهلاك السكان ويصدر منه الى الخارج . وكان البعض من هذا العسل يجمع من الغابات المجاورة وهو اجود الانواع له شهرة عظيمة وفيه شفاء للناس .

٥ ــــ الصناعة

فى مطلع العهد التركى ازدهرت مدينة الجزائر فترة من الزمن لاتزيد عن القرن والنصف فى ميدان الصناعة ، فتعددت فيها الحرف ، وكثرت فيها الورش ، وازدحم فيها الصناع . ويذكر دى جرماي ان مدينة الجزائر سنة ١٦٢٣ كان بهاحوالى ٣٠٠٠ نساج ،و١٢٠٠ خياط و٦٠٠ مربى لدود الحرير ، و٢٠٠ نساج الحرير ، و١٨٠ سكاكا ، و٨٠ حدادا ، وعدد آخر من الحرفيين . وكان السبب في ازدهار الصناعة بمدينة الجزائر فى هذه الفترة يعود الى هجرة الاندلسيين الذين نقلوا مهنهم الى مدينه الجزائر ونشروا بها ما وصلوا اليه من حرف وصناعات طوروها فى شبه جزيرة ايبيريا . وتخصص اليهود فى الخياطة وصك

النقود والنقش على الحلي وترصيعها بالاحجار الكريمة ، وتخصص المسلمون الاندلسيون في صناعة الاسلحة والبارود ، والصناعات الحديدية . ومال الاهالي الى المنسوجات الصوفية بالخصوص ، وبدأت هذه الصناعات تتقهقر وتميل نحو الذبول فى القرن الثامن عشر الى ان اصبحت بسيطة للغاية تكاد تقتصر فى اغلبها على المنسوجات ولا تسد في بعض الاحيان حتى الاستهلاك المحلي، وسبب ذلك ناتج عن مضايقة الحكومة التركية للصناعة المحلية بالضرائب المتنوعة ، وقلة الاستهلاك المحلي لانخفاض القوة الشرائية بانخفاض دخل سكان المدينة ، ومنافسات المصنوعات الاوربية للمصنوعات الجزائرية التي ظلت مرتبطة بالقدم فيها يرث الابن الحرفة عن أبيه دون محاولة التطور او تحسين الانتاج او الابتكار ، وادخال الاذواق الجديد عليها ، ويذكر فانتير دى بارادي (١) فى سنة ١٧٨٩ ان أهم الصناعات بالجزائر هي « صناعة الاقمشة التي تكاد تكفى حاجيات السكان ، وصناعة تفصيل الملابس للنساء والرجال ، واهمها البرانس والحزم ، و العمائم ، والصدريات ، والجبب ، و القلنسوات والقفاطن ، والغليلات ، والحياك ، يضاف اليها صناعة الاحذية و الاكياس الجلدية» . والتنظيم الصناعي بمدينة الجزائر قبل ١٨٣٠ كان بسيطا للغاية ، اذ انه كان مقسما الى حرف ولكل حرفة طائفة ولكل طائفة امينها الخاص ، وهو المسؤول عن دفع الضرائب وصرف المنتوج ، وتحديد اثمان سلعة الحرفة ، وبايجازفهو الوكيل عن حرفته والتصرف فيها

وقد دعت حرفة القرصنة ، وركوب البحار ، بالاتراك الى الاعتناء بصناعة السفن والمراكب المختلفة الاحجام ، اذ لم يعتمدوا فى تنمية اسطولهم على ما غنموه فقط من سفن مسيحية بل خصصوا احواضا لصناعة السفن بميناء خير الدين و استوردوا لذلك الاخشاب ومواد التجهيز من اوربا الشمالية وهولندا بالخصوص ، واستخدموا ، فى ورش صناعة السفن ، الاسارى المسيحيين الذين كانت لهم دراية في ذلك . وما عدا هذه الصناعات فكانت مدينة الجزائر تعتمد على الاستراد بالدرجة الاولى في تغطية حاجيات سكانها كما يلاحظ من جدول البضائع المستوردة فيما يلي فى التجارة الخارجية . ورغم

(1) V. D. Paradis op. cit. p. 15

ان الاتراك كانوا على دراية من وجود مناجم للرصاص والحديد والنحاس في بلاد الجزائر فانهم لم يستغلوها . بل كانوا يستوردون المعادن من الخارج .

٦ ــ التجارة

١ ــ التجارة الخارجية :

لم تكن التجارة الخارجية لمدينة الجزائر بالمستوى الذي يمكن ان نطلق عليها مدينة تجارية فى العهد التركي ذلك للاحتكارات الحكومية من جهة ولقلة الانتاج المحلي من جهة اخرى يضاف الى ذلك الدعاية الخارجية التي نشرها ، ظلما وعدوانا ، التجار الاوريون في بلدانهم من ان تجار الجزائر ليست لهم مواثيق وعهود ، وليس لحكومتهم ضمانات تجارية وان السفن المسيحية يصعب عليها الوصول الى ميناء الجزائر من خطر القراصنة ، ثم ان هى دخلت الميناء اجبرت علي دفع ضريبتين مرتفعتين احداهما مقابل الرسو وهي ٤٠ قرشا والثانيةمقابل السماح لها بالدخول الى الميناء وتفريغ البضائع وهي ١٢٪ من قيمة البضائع

و نتيجة لذلك انخفض المستوى التجاري لمدينة الجزائر فى العهد التركي الى ان اصبحت المدينة تحتل مركزا هامشيا بالنسبة للمدن التجارية في المشرق العربي او في اوربا ، بل وحتى داخل البلاد ، حيث احتلت موانيء شرق الجزائر مثل عنابة ، والقالة الدرجة الاولى وميناء وهران الدرجة الثانية فى تجارة بلاد الجزائر . والسبب في ذلك يرجع الى عدة اسباب نذكر منها :

أ ــ ان حرفة القرصنة وغنائم الحروب ظلت مدة طويلة تغطى حاجيات سكان المدينة ، فعزفوا عن التجارة الخارجية ، كما ان الاجانب لم يطمئنوا على تصدير بضائعهم الى دار حرب فيها لايضمنون دفع الديون .

ب ــ لم تعمل حكومة الدايات على تنشيط التجارة الخارجية بل وضعت لها عدة حواجز منها الاحتكارات من طرف الحكومة ، وهي احتكارات قاسية ، فالحبوب كان لايسمح بيعها الا للحكومة ، وكذلك المنتوجات الحيوانية

من جلود وشمع واصواف ، والحكومة الدايات وحدها حق بيع هذه المنتوجات للشركات الاجنبية بفوائد تتراوح بين ٥٠ و ٦٠٪ بل تصل فى بعض الاحيان الى ١٠٠٪ او اكثر من ذلك فالبايلك كان يشتري الشمع بستين بدقة ويبيعه ١٦٣ بدقة للقنطار(١) ، ويشترى القمح بثمانية قروش ليبيعه باثنين و عشرين قرشا للقفيز الواحد (القفيز = ٣٢ ثمن والثمن = ٦ أمداد بمد النبي عليه السلام . ومد النبي = ٠،٧٥ل . انظر جدول المكائيل في آخر الكتاب) . واشتدت الاحتكارات الحكومية للتجارة الخارجية ابتداء من القرن السابع عشر ، عندما انخفض الدخل من نشاط القرصنة وذلك بعد ابرام اتفاقيات الامن والسلام والتجارة مع فرنسا وهولندا وبريطانيا والولايات المتحدة ودويلات ايطاليا كما سبق وكان الهدف من زيادة الاحتكار هو تعويض الميزانية لما فقدته من القرصنة على حساب التجارة فانخفضت لذلك الكفاءة الانتاجية للمدينة وقلت الواردات اليها من البضائع المحلية

ج — الاحتكارات اليهودية (٢) ، والشركات الاجنبية (٣) ويتفق كل الاجانب الذين كتبوا عن مدينة الجزائر فى العهد التركي على ان التجارة الخارجية بالجزائر ظل يحتكرها التجار اليهود الذين كان يدور عددهم في بعض الاحيان حول العشرة آلاف نسمة وان هؤلاء اليهود يعدون انفسهم فى حماية الداي ، ولهم الحق فى التجارة مباشرة مع الشركات الاجنبية ومع الخواص من الاجانب وقد سلكوا عدة طرق للتهرب من الضرائب ، منها التنكر لاصلهم،واستعارة اسماء تجار فرنسيين بمارسيليا للتخلص من الرسوم الجمركية فى فرنسا وفى الجزائر معا وكانت الاحتكارات اليهودية تشتد كلما زاد عدد اليهود بالمدينة الذين وجدوا من هذا النظام الفاسد السبيل الملائم لجمع الاموال وبالخصوص الذهب من الجزائر ، وبطول المدة اصبحوا المسيريين الحقيقيين لاقتصاد المدينة ثم للحكومة نفسها وتدخلوا في سياسة الدولة وما كانت تبرمه من اتفاقيات اقتصاديةاو تجارية مع الدول الاجنبية والمعروف ان سبب الاحتلال الفرنسى لمدينة الجزائر هم التجار اليهود من عائلتي بوشناق

---

1) P. ERNEST: La monaie et le credit en Algérie depuis 1830 Alger 1930. page 42 suite
2) Haddey : Le livre d'or des israelites Alger 1892
3) Paul Masson : A la veille d'une conquête. Conssion et compagne d'Afrique 1800_1830 Comité des travaux historiques Bulletin de geographie historique et descriptive. 1909

والبكري، ويؤكد قنصل الولايات المتحدة بالجزائر سنة ١٨١٥ ان سبب سوء العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة هم التجار اليهود الذين كانت لهم ديون كبيرة على الداي وعندما لم يستطع هذا الاخير سدها اقترحوا عليه اعلان الحرب على الولايات المتحدة (١) سنة ١٨١٢ الى ان تواوق الولايات المتحدة على تجديد معاهدتها مع الجزائر وكانت الولايات المتحدة قبل هذا التاريخ قد ابرمت اتفاقلة سلمية سنة١٧٩٦مع الجزائر والتزمت فيها بدفع اربعة وعشرين ألف دولار لشراء أمن تجارتها، وبين اليهود للداي ان الولايات المتحدة ستقبل كل الشروط، منها الزيادة فى الغرامة، مادامت تجني فوائد جمة من تجارتها مع اوربا. والتجار اليهود الذين كانوا يحتكرون التجارة الجزائرية هم الليفورنيون. ذلك ان مدينة ليفورن بايطاليا تجمع فيها عدد كبير من اليهود والعرب الذين طردوا من اسبانيا والبرتغال وتحولت مدينة ليفورن بعد مدة وجيزة ونتيجة لهذه الهجرة اليهودية بالخصوص الى اهم مركز تجاري تصدر اليه الجزائر جل بضائعها وبالخصوص تلك البضائع التي جمعتها من القرصنة. وفى نهاية القرن١٧ زادت علاقات يهود اوربا بمدينة الجزائر فهاجر اليها عدد آخر منهم وبالخصوص، اولائك الذين كانوا يقطنون مدينة ليفورن، وهجرتهم الى مدينة الجزائر كانت تحت عنوان تنشيط العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينة ليفورن، ووضعوا انفسهم تارة تحت حماية الداي وتارة تحت حماية القنصل الفرنسي، وبسرعة اكتسب هؤلاء اليهود المكانة الممتازة والثقة الخالصة لدى تجار المدينتين واستغلوا مهارتهم التجارية وفرصة انعدام البنوك في تنشيط التجارة وخلق القروض والضمانات بفوائد خيالية الى ان اصبحوا من كبار الاثرياء، ثم بتقديمهم خدمات جليلة للدايات وكبراء الدولة احرزوا على ثقة رجال الدولة ومنحوا حق الاحتكارات التجارية، واوكل اليهم تنظيم المدفوعات الخارجية وتقويمها، واصبحوا باستثماراتهم التجارية بمثابة البنوك يقومون بالتحويلات النقدية والقرضية والحسابية بين مدينة الجزائر ومدن اوربا. وقد ساعد التجار اليهود على تنظيم المدفوعات التجارية من

(1) w. Shaler op. cit. p. 153

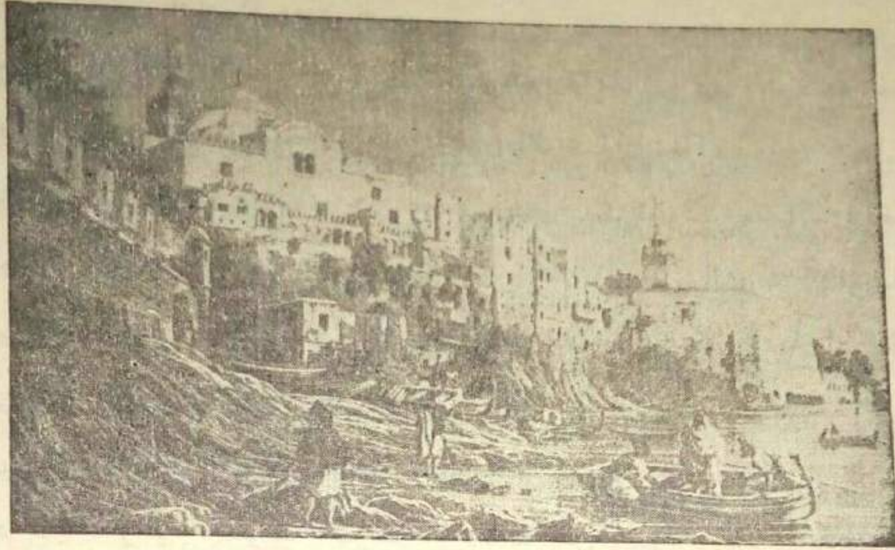
قروض وسندات ونقود ما كان لهم من وكلاء وديار تجارية فى مختلف المدن التجارية باوربا وافريقية وآسيا ، وفي مدن حوض البحر الابيض بالخصوص والمثال على ذلك ان عائلتي البكري و بوشناقي كان لهما وكلاء في مدن قرطاجنـة ، مرسيليا ، جنوة ، ليفورن نابولى ، ازمير ، الاسكندرية ، تونس ، وبفصل هذا التنظيم الاداري التجاري اليهودي كان على التاجر سواء اكان جزائريا ام اوربيا ان يحيد بسهولة دينه على هذه الوكالات اليهودية عن طريق المراسلة دون نقل السبائك الذهبية في فترة اشتدت فيها السطوة و القرصنة وهانت فيها النفوس ازاء كل معدن نفيس .

اما اهم الشركات الاجنبية التي كانت تحتكر تجارة الجزائر فهي الشركات الفرنسية والبريطانية منها la Compagnie des Indes (1719 - 1730) الفرنسية التي تحولت فيما بين 1730، 1794) الى الشركة الملكية لافريقية Compagnie Royale d'Afrique ثم تحولت بعد الثورة الفرنسية الى الوكالة الوطنية لافريقية Agence Nationale d'Afrique ثم الى الشركة الافريقية التي كان مركزها مرسيليا . ويذكر شو : انه ، فى اواسط القرن ١٨ كان التجار البريطانيون يستوردون سنويا حوالي ٨٠٠٠ طن من الحبوب من ميناء ارزيو لتموين مستعمراتهم بجبل طارق وان الشركات البريطانية كانت تحتكر التجارة مع مدينة الجزائر .

د ـــ الرسوم الجمركية المرتفعة ، وكانت من أهم الحواجز لايقاف النشاط التجاري . وعلى سبيل المثال نذكر ان الرسوم الجمركية على بضائع التجار الجزائريين وصلت الى ٢٢٪ بالنسبة للصدرات و ١٢،٥٪ بالنسبة للواردات . اما التجار الاجانب فكانوا يدفعون رسوما عدة منها رسوم الرسو وقد وصلت الى ٨٠ قرشا عن كل سفينة مسالمة ترسو بميناء الجزائر ، و١٦٠ قرشا على كل سفينة تملكها دولة غير مسالمة اولا تربطها اتفاقية تجارية مع الجزائر . ومنها الرسوم عن تفريغ البضائع او شحنها ، ورسوم على العبور ، ورسوم على كل البضائع المحلية التي تدخل الى مدينة الجزائر .

هـ ـــ البقشيش ، وهو احقر الاختلاسات ، واخبث الرشوات ، وكان التاجر ، سواء اكان أجنبيا او مواطنا ، يلاقى صعوبات جمة فى التصدير والاستيراد لايستطيع

اجتيازها الابد الرشوة في شكل نقود اوسلع تدفع للمشرفين على التجارة ، و للموظفين في الحكومة ، ابتداء من الحمال البسيط الى الموظف الكبير ، ومن وكيل الحرج الى الداي في بعض الاحيان وهو رئيس الدولة ، وبالطبع كانت المصالح تقضي ، والامور تسهل للتاجر بقدر ما يجزله من رشوة ، وللتجار اليهود فى ذلك باع طويل وتمرين شيطاني اذ يعطون من هنا قرشا ويأخذون من هناك قروشا ، ولا تعيف انفسهم امتصاص دماء المستهلكين ولو كانوا من ابناء جلدتهم ، اذ المهم ملء الجيوب بالسلطاني الذهبي او البوجو الفضي .



استراد الاخشاب لبناء المراكب
(صورة لباب الديوانة)

ب ـ الصادرات والواردات

من المعروف ان الصادرات و الواردات فى التجارة الخارجية لاي بلد ترتبط بما لهذا البلد من كفاءة انتاجية محلية تلعب الدور الاول في التبادل الخارجي . ومدينة الجزائر كانت فقيرة فى هذه الناحية ، فقدرتها الانتاجية ضعفت لاسباب منها تضييق الحكومة على المنتجين وسوء التنظيم الاقتصادي كما سبق . وضيق الاسواق ، اى ان المنتج كان لاينتج في الغالب الا للاستهلاك المحلى . وفى بعض الاحيان ينتج للاستهلاك العائلي فقط .

واهم واردات الجزائر هي البضائع التي كانت تدخل في صناعة السفن مثل الحبال والحديد والاخشاب ، والمعدات الحربية من قدائف ، وبارود . وفولاذ ومدافع واسلحة متنوعة ، وفي بعض الاحيان تستورد السفن . وكل هذه البضائع والمستوردات كانت تستوردها مدينة الجزائر من بلدان اوربا الشمالية مثل بريطانيا والسويد وهولندا ثم الولايات المتحدة مقابل أمنها او مقابل قليل من المنتوجات المحلية مثل الحبوب في سنوات الوفرة والزيوت والاصواف و الشمع والجلود . وقد اورد مورقان (١) قائمة للبضائع المصدرة والمستوردة من والي الجزائر من اوربا سنة ١٧٥٥ وهي كالآتي :

الصادرات :	الواردات :
الاصواف	المنسوجات المطرزة والكمخة
الجلود	التوابل
الشمع	صفائح الحديد والنحاس والرصاص والقصدير
ريش النعام	الفضة والكبريت و الافيون و الشب
النحاس	دود الحرير
الزرابي	الارز والسكر والفواكه المجففة والجوز
المناديل المطرزة	العطور والامشاط
الحزم الحريرية	الورق والصابون والصمغ
التمور	الزنجفير
العبيد المسيحيون	الينسون والقطن

وهي كما يلاحظ عليها قليلة بالنسبة للصادرات ، وكثيرة ومتنوعة بالنسبة للواردات ثم ان هناك مواد مثل التوابل والقطن و العطور كان بامكان مدينة الجزائر ان تتحصل عليها دون المرور بالاسواق الاوربية و الاحتكارات اليهودية ، من اسواقها الاصلية او من اسواقها بمدن المشرق العربي . واهم الواردات - بعد المعدات الحربية - كانت المنسوجات والاصباغ والمواد المصنعة ، والتوابل ، اما اهم الصادرات فهي الاصواف

(1) Morgan . Op.Cit. pp. 47-56

اتي تنتج منها كميات كبيرة منطقة التجود اوبايلك تيطري ، ووصفها شالير بانها كانت من اجود الانواع فى العالم تباع باثمان مرتفعة دون تنظيف في اسواق فرنسا وايطاليا اذ بلغ قيمة القنطار منها ضعف قيمة القنطار لبقية الاصواف العالمية . وقد بلغ وزن ما صدرته بلاد الجزائر سنة ١٧٨٩ الى اوربا حوالي العشرين الف قنطار منها حوالي ٨ آلاف قنطار خرجت من ميناء الجزائر الى مرسيليا وليفورن بايطاليا و ١٢٠٠٠ قنطار خرجت من ميناء عنابة الى مرسيليا فقط ، اذ ان ميناء عنابة كانت تحتكر تجارتها شركة باستيون الفرنسية واختلف وزن تصدير الجزائر للاصواف من سنة لاخرى ، فقد بلغ ٣٠ الف قنطار فى بعض السنوات ، وكانت الاصواف تمثل اهم الصادرات وزنا وقيمة ، تليها الجلود التي يحتكر تجارتها وكيل الحرج مقابل ١٠ آلاف قرش يدفعها للداي شهريا ويشتري الجلود من اصحابها بما قيمته ثمانية موزونات (١) للجلد الواحد من الابقار ليبيعها بحوالي الثلاثين موزونة للجلد الواحد الى دار الشركة الفرنسية بالجزائر التى كانت تصدر سنويا الي مرسيليا حوالي ٢٥ ألف قطعة من جلود الابقار والاغنام والابل و الماعز ، او ما قيمته حوالي مائة الف جنيه استرليني . وبعد الجلود يأتي الشمع وقد اشتهرت بانتاجه ضواحي المدينة منذ العهد الاسلامي حيث جلب انتباه اكثر الرحالة العرب امثال ابن حوقل والادريسي وكان يدخل بكميات كبيرة فى الاستهلاك المحلي اذ توقد به القناديل وتصنع منه الشموع وكانت تصدر منه الجزائر ما فاض عن استهلاكها و هو حوالي ٤٠٠ قنطار سنويا تصدر من ميناء الجزائر وحوالي ٣٠٠ قنطار تخرج من ميناء عنابة وكل هذه الكمية تحتكر شراءها شركة الدار الفرنسية . ويضاف الى المنتوجات الحيوانية السابقة منتوجات اخرى زراعية و لكن قليلة جدا حتى لاتكاد تذكر . ولا يذكر مورقان في قائمة الصادرات الحبوب ، اذ ان اغلب القمح الجزائري ، الذي كان لايفيض عن الاستهلاك المحلى الا فى بعض السنوات ، يصدر من مواني وهران او ارزيوا او الدلس او عنابة وهي مواني،

---

(١) الموزونة هي وحدة نقدية حسابية فقط تساوي ٠،٢ دينار تقريبا .

قريبة من مناطق انتاجه وبعيدة عن المراقبة واحتكارات الحكومة . والتبغ اهم الصادرات الزراعية ، اشتهرت بانتاجه متيجة وسهول عنابة ، واجود انواعه هو الشبلي الذي كان يزرع بسهل متيجة،وقيل ان كلمة اشبلي هو اسم لاحد الاتراك اشتهر بزراعة التبغ بالقرب من بوفاريك ، يضاف الى ذلك ان ميناء الجزائر كانت تصدر في بعض السنوات قليلا من التمور والتين والزيتون والعنب الجاف وريش النعام والملح وقليلا من المنسوجات اهمها الزرابي والمنادل المطرزة وكذلك العبيد المسيحيين . اما اهم الدول التي كانت تتعامل مع الجزائر فهي فرنسا ، وقد ظلت شركاتها تحتكر مدة طويلة تجارة الجزائر ومثال لذلك شركة لانش في القرن السادس عشر (١٥٦٠) ثم شركة الباستيون التي اسسها سانسون نوبلون بمقتضى اتفاقية ٢٩ سبتمبر١٦٢٨ ومنح لها الدايات حق الامتياز فى صيد المرجان وانشاء مراكز فى شرق الجزائر مقابل التزامها بدفع ١٦٠٠٠ جنيه استرليني سنويا الى مدينة الجزائر ، ثم شركة مرسيليا التي عرفت بالدار الفرنسية ثم بالشركة الملكية بعد ان عادت تشرف عليها الحكومة ابتداء من سنة ١٧٤١ ، وقد أثرت الدار الفرنسية ثراء عظيما من احتكارها لتجارة الجزائر ، وبالخصوص حوالي١٧٧٦ حتى ضربت ميدالية عليها صورة لافريقية بيدها قرن الوفرة . وقد أوكلت فرنسا في بعض الاحيان احتكار وارداتها من الجزائر الى عائلة قيمون G/mon اليهودية ، وقد بلغت قيمة الصادرات من مدينة الجزائر الى فرنسا سنة ١٧٧٥ حوالي النصف مليون جنيه وهذه القيمة تمثل نصف قيمة مجموع الصادرات من مدينة الجزائر الى الدول الاوربية ويذكر هايدو ان الجزائر كانت تستورد من مارسيليا وفرنسا المنسوجات،والبن،والسكر والحديد ، و الفولاذ ، والحواشي ، والصمغ ، والملح ، والخمور . ثم يذكر فانتير ان قيمة الواردات الجزائرية لسنة ١٧٨٩ بلغت حوالى ٨آلاف جنيه منها حوالي النصف كانت تقع مع الشركات الفرنسية . وتأتى بعد فرنسا في التجارة مع الجزائر الشركات البريطانية فى بعض الاحيان واهمها شركة السفن العشرين Les vingts vaisseaux التي كانت تزود المدينة بالمعدات الحربية والقطن والاقمشة المطرزة بالذهب والفضة والتوابل والحديد

والرصاص والعقاقير مقابل المتوجات الزراعية و القمح بالخصوص فى سنوات الوفرة . وكانت اسبانيا تصدر الخمور الى الجزائر ، وبعض البضائع المصنعة التى كانت تشتريها من دول اخرى ثم تعيد بيعها للجزائر . وكانت جينوة تصدر الى المدينة الاقمشة الممتازة والحرير الجيد . والبندقية تصدر الى الجزائر المرايا ، والزجاج ، والخزف الجيد . وهولندا تصدر الاخشاب والخزف. و كل هذه البضـــائع المتنوعة من هولند واسبانيا وايطاليا تبادلها الجزائر بالمنتوجات الحيوانية فى الدرجة الاولى والمنتوجات الزراعية فى الدرجة الثانية . وتأتى بعد الدول الاوربية فى التجارة مع الجزائر مدن اخرى من الشرق الادنى مثل القسطنطينية وازمير اللتين كانتا تصدران الى الجزائر الغزل والقطن ، ومدينة بروسيا تصدر الحرير والاواني النحاسية والغلايين،والاسكندرية وطرابلس تصدران الزرابي والاواني الخزفية والقطن والاقمشة والارز والبن. وقد بلغ مجموع عدد السفن التجارية التى دخلت ميناء الجزائر سنة ١٧٨٩ حوالي ٨٠ سفينة منها ٣٠ سفينة فرنسية و٤ سفن لدول شمال اوربا و٣٠ سفينة لاسبانيا و٣ سفن من ليفورن و ٣ سفن من تركيا و٨ سفن من صقلية و٣ سفن من والاسكندرية وحسب هذه الاحصائية فان تجارة الجزائر مع الشرق الاوسط كانت ضعيفة جدا كما يؤكدها ايضا الجدول الآتي لقيمة الواردات في اواخر القرن الثامن عشر ، نقلناه عن فانتير دى بارادي (١) :

قيمة الواردات الى الجـــزائر سنة ١٧٨٩	
منطـــقة الاســتيراد	قيـمة الاستيراد
مارسيـــليا	٨٠٠٠٠٠ جنيه استرليني
ليوفـــورن	١٠٠٠٠٠٠ جنيه استرليني
الشرق الاوسط	٣٠٠٠٠٠ جنيه استرليني
المجـــموع	٢١٠٠٠٠٠ جنيه استرليني

ويلاحظ على الجدول ان ايطاليا كانت تحتل الصدارة فى قيمة الواردات ، تليها مارسيليا

1) Venture de Paradis : Alger au 18ème siècle . P. 31

ثم الشرق الاوسط . ولم تنشط تجارة الجزائر مع الشرق الاوسط الا بعد ان تأزمت العلاقات السياسية بين اوربا والجزائر فى مطلع القرن التاسع عشر وحينئذ أخذت الجزائر تستورد جل بضائعها من مدن تركيا ومصر وبلاد الشام . ولم يذكر فانتير في جدوله قيمة تجارة الجزائر مع المغرب وتونس ذلك لضعفها وقلتها ، ويظهر ان هذا الضعف يرجع لاسباب منها : عدم تصفية الجو السياسي بين الجزائر وبقية دول المغرب العربي طيلة العهد التركي ، اذ كانت الهجومات متكررة و العلاقات سيئة في بعض الاحيان بينها وبين الجزائر ثم ان كلا من المغرب وتونس كانت كفاءتهما الانتاجية ضعيفة ، وتمران بنفس المرحلة من الضعف الاقتصادي الذي كانت تمر بها مدينة الجزائر . ولعل اهم صادرات الجزائر الى تونس هي الحزم الحريرية والمنسوجات المحلية والاصباغ والزنجفير والتبغ مقابل القلنسوات التي اشتهرت بصناعتها تونس ومنتوجات محلية اخرى ، وكانت الجزائر تستورد من المغرب الحياك والمصنوعات النحاسية وتصدر لها الحرير ودود الحرير .

ولبيان قيمة الصادرات والواردات من والي مدينة الجزائر فى اواخر العهد التركي نستعرض قائمة للتجارة الخارجية وردت فى كتاب وليام شالير (١) الذي نقلها بدوره من سجلات التجارة بمدينة الجزائر لسنة ١٨٢٢ :

الواردات وقيمتها الى مدينة الجزائر سنة ١٨٢٢

منطقة الاستيراد	البضائع	القيمة بالدولار (٢) الاسباني
بريطانيا	مواد مصنعة انجليزية وهندية	٥٠٠٠٠٠
اسبانيا	حرير توابل مصنوعات المانية و انجليزية	٣٠٠٠٠٠
فرنسا	توابل سكر فولاذ اقمشة اشياء اخرى متنوعة	٢٠٠٠٠٠
الشرق الاوسط	حرير خام ، مواد مصنوعة	١٠٠٠٠٠
ايطاليا	حلى جواهر الخ ..	١٠٠٠٠٠
المجموع		١٢٠٠٠٠٠

(1) w. Shaler : op. cit. p. 104

(٢) الدولار الاسباني يساوي فى ذلك الوقت ٦٠ موزونة او ما قيمته حاليا ٥،٤٣ د ج.

البضائع المصدرة	الصادرات وقيمتها من مدينة الجزائر الى موانيء مارسيليا وليفورن وجنوة	
	الوزن بالقناطير	القيمة بالدولار الاسباني
الاصواف	٢٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠
الجلود	١٠٠٠٠	٨٠٠٠٠
الشمع	٦٠٠	١٨٠٠٠
بضائع اخرى		١٥٠٠٠
المجموع		٢٧٣٠٠٠

ويلاحظ على جدول شالير للواردات والصادرات ما يلي :

أ — ان ابريطانيا كانت تحتل الصدارة للواردات في فترة اخذت فيها العلاقات التجارية والسياسية تتوتر بين الجزائر وفرنسا ، وفيها كانت تتهيأ فرنسا لاحتلال المدينة ويظهر ان مدينة الجزائر قللت المعاملات مع فرنسا فى اواخر العهد التركي لاسباب المماطلة ، اذ ان الحكومة الفرنسية كان عليها ديون ثقيلة للجزائر فى مطلع القرن التاسع عشر ظلت تتهرب من دفعها وكانت سببا من اسباب الاحتلال لمدينة الجزائر .

ب — ان مجموع قيمة الواردات بلغت حوالي ١٢٠٠٠٠٠ دولار اسباني سنة ١٨٢٢ وان مجموع قيمة الصادرات بلغت فى نفس السنة ٢٧٣٠٠٠ دولار اسبانى ومعنى ذلك ان الميزان التجاري لمدينة الجزائر سجل عجزا قدره ٩٢٧٠٠٠ دولار ، وهو عجز ضخم ظلت تعانيه التجارة الخارجية منذ ان قللت المدينة من نشاط القرصنة وارتبطت باتفاقيات مع الدول الاوربية التي كانت كفاءتها الأنتاجية احسن بكثير فى الكم والكيف من الكفاءة الانتاجية للجزائر . وكثيرا ما ادى العجز الجزائـــري في الميزان التجادى للمدفوعات بحكومة الاتراك الى رفع الضرائب على الشعب وزيادة الاحتكارات ، بغية الوصول الى حل مشاكلها الاقتصادية .

ج — انخفاض القدرة الشرائية لدى المستهلكين الجزائريين ، اذ ان قيمة مجموع

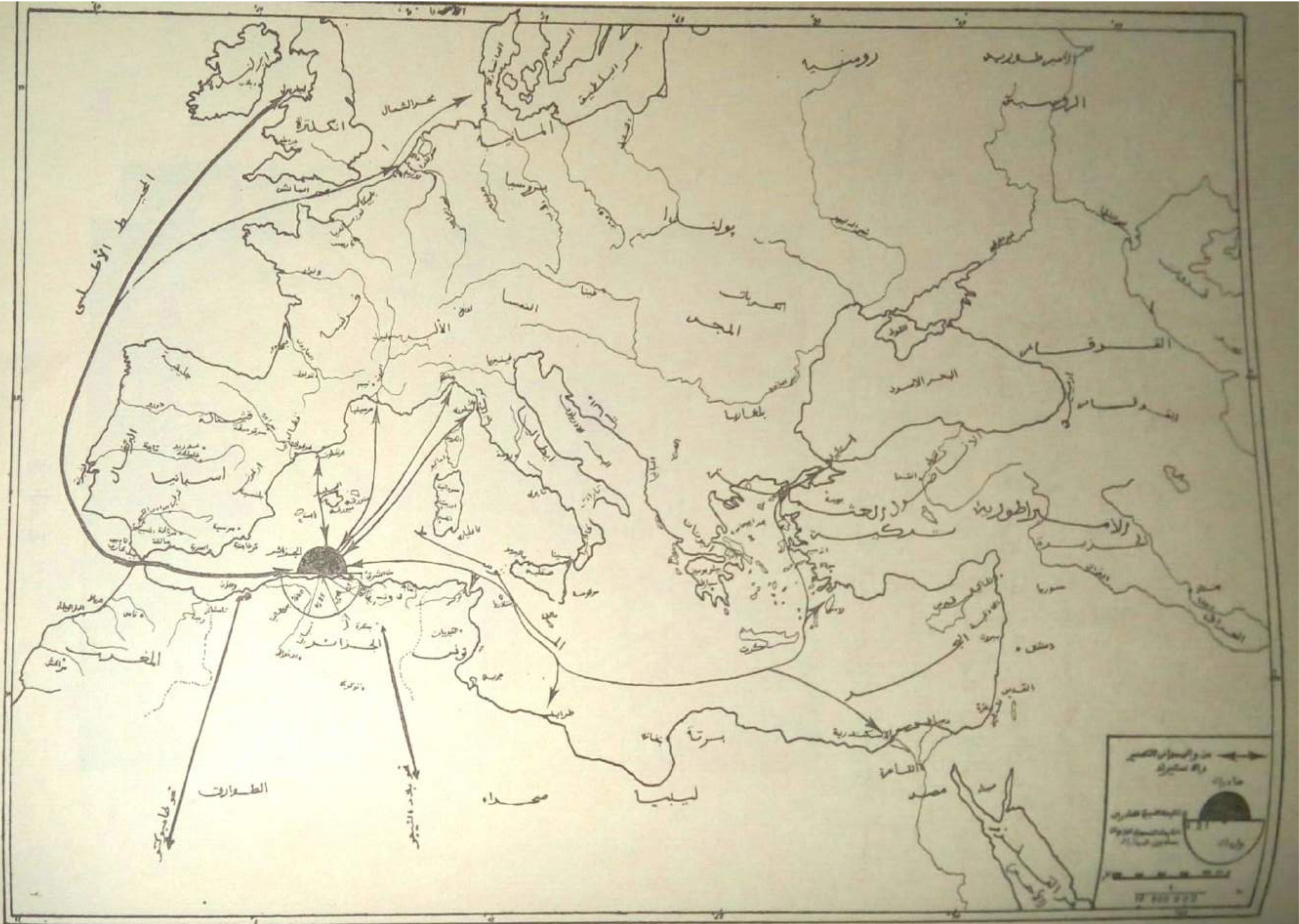
الصادرات والواردات كانت ضعيفة اداما قورنت بمدينة مرسيليا مثلا التي كانت قيمة تجارتها تفوق قيمة التجارة الخارجية للجزائر بكثير ، وقد ظلت هذه الحالة حتى سنة ١٨٣٠ حيث لم تتعد التجارة الخارجية لمدينة الجزائر ما قيمته ٥٠ الف دينار جزائري وهو رقم بسيط للغاية . وقد حاولت الجزائر ان تغطي هذا الضعف بالتوجه الى التجارة مع افريقية الزنجية حيث كانت القوافل التجارية تنطلق من الجزائر نحو الجنوب الغربى للبلاد ثم تمر بتافيلالت لتصل الى تامبوكتو على وادى النجير او تسلك طريق بسكرة فغدامس فمرزق فمدن افريقة الزنجية لاستبدال البضائع الجزائرية بصفائح الذهب وريش النعام والعبيد ، لكن هذا الاتجاه كانت تجابهه صعوبات شتى منها قلة المواصلات .

د ــ انخفاض الكفاءة الانتاجية الى ان اصبحت البلاد تستورد اكثر مما تصدر ومنتوجاتها سواء اكانت زراعية او صناعية لاتسد الا قليلا من الحاجيات المحلية ففى سنة ١٨١٩ اضطرت مدينة الجزائر الى استيراد حوالي الخمسين الف كيل من الحبوب لتموين سكانها ، وهي حبوب كان في الامكان ان تنتجها ارض الجزائر الطيبة .

هـ ــ لم يورد شالير في قائمة البضائع المصدرة العبيد المسيحيين الذين ادرجهم من قبلة مورقان ، والسبب في ذلك واضح وهو ان عدد العبيد بمدينة الجزائر اصبح قليلا فى عهد شالير ، ثم ان الدول الاوربية قد اتفقت على منع هذا النوع مس التجارة ومعاقبة من يتعاطاها بمقتضى معاهدة ١٨١٥ .

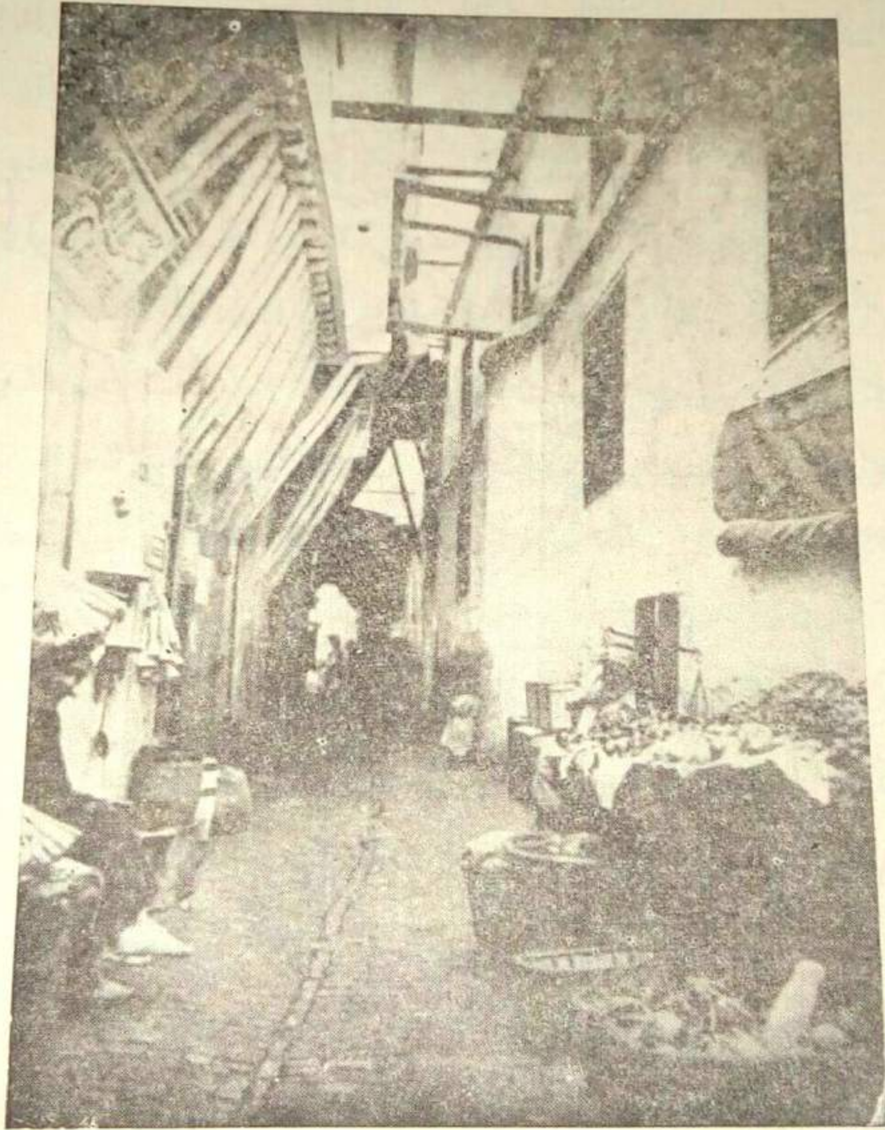
٢ ــ التجارة الداخلية :

من عناصر التجارة الداخلية الانتاج و المواصلات و الاسواق الداخلية والتنظيم . ولم تكن التجارة الداخلية لمدينة الجزائر فى العهد التركي بأحسن حال من التجارة الخارجية نظرا لقلة المواصلات ولسوء التنظيم الاداري ولضعف الانتاج ولقلة الاسواق الاستهلاكية فأهم الطرق المعروفة في العهد التركي هي طرق السلطان او البايلك ، الأقرب الى الدروب منها الى الطرق المعبدة ، ولا تصلح الا للنقل الحيواني مثل الخيل والبغال والحمير والجمال وهي اهم وسائل النقل اذ ذاك ، اما النقل بالعربات فلم يدخل للمدينة الا متأخرا .



التجارة الخارجية لمدينة الجزائر سنة ١٨٢٢

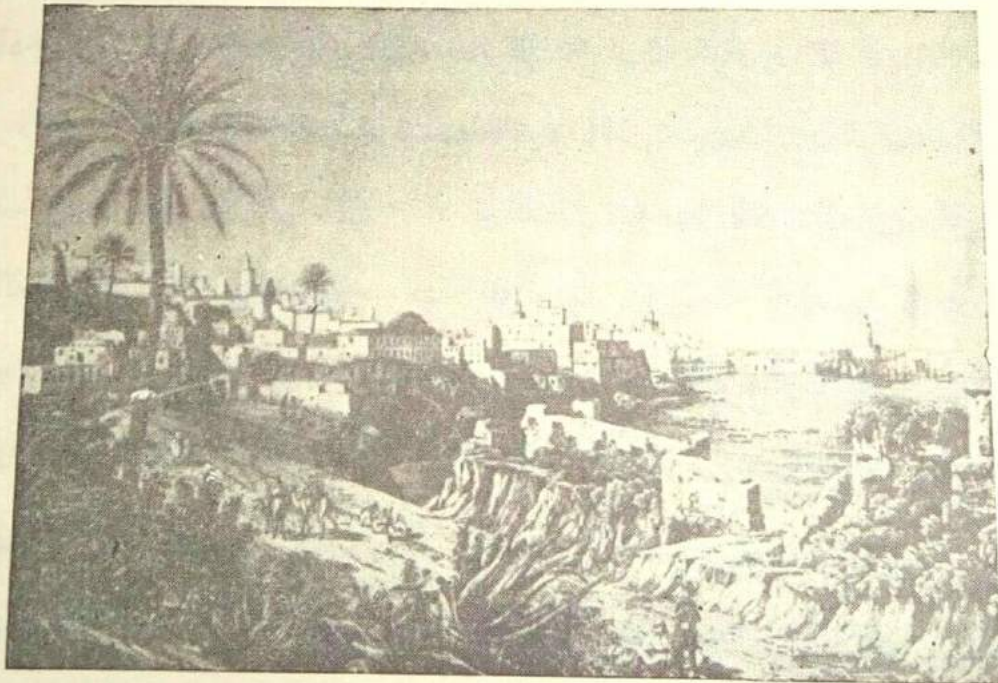
واهم المواصلات التي كانت تربط مدينة الجزائر بالداخل هو الطريق الشرقي الذي كان يخرج من باب عزون ثم يمر بقنطرة الحراش ثم ينحني الى الجنوب ليمر بالخشنة فقرية الاربعطاش فقدارة ، ثم زاوية يسر ، ثم البويرة ، ثم سهل مجانة ومنه يتصل بمدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق . اما الطريق الثاني وهو الطريق الغربي فيخرج من الباب الجديد ثم يعبر روابي الابيار ودايلى ابراهيم والقليعة ثم يشق سهل متيجة ليصل الى العفرون ثم يتبع منخفض وادي جر ليخرج في مليانة فسهل الشلف فوهران عاصمة بايلك الغرب، ومن العفرون يتفرع طريق آخر يتوجه نحو الجنوب ليربط عاصمة بايلك تيطري او المدينة بدار السلطان



سوق القصبة



خريطة للأنهج والاسواق القديمة فى الجزائر



الطريق الشرقى لمدينة الجزائر
فيها الجمال متجهة نحو باب عزون

وكل هذه الطرق كانت تنقل الى مدينة الجزائر اكثر مما تأخذه منها . وكانت الخضر والحبوب والفواكة او المواد الغذائية بصفة عامة تأتى لمدينة الجزائر من الضواحي او السهل المتيجي ومن بساتين المدية ومن مزارع الحبوب بوهران ، كما كانت ترد الى الجزائر اكياس الزيتون والتين من بلاد القبائل ، ويرد السمن والعسل من سهل متيجة . وكان للمدينة اسواق منها سوق كبير يمتد من باب عزون الى باب الوادي ، تزدحم به الدكاكين وتتكدس به البضائع المستوردة من الخارج بالخصوص ، وسوق آخر في تافورة خارج باب عزون يجتمع فيه سكان الريف بسكان المدينة للتبادل التجاري وسوق تافورة يشبه اسواق الارياف فى الوقت الحالى اذ تختلط فيه دواب الحمل بالبضائع المحلية ، ويعقد نهارا فقط ، فى البادية دون سقوف ، او تنظيم ، فيه تبادل السلع المحلية بالنقود ، واهم السلع المتبادلة هي المنتوجات الحيوانية ، من اصواف ولحوم وجلود وحليب وسمن وعسل الخ... اذان تربية الحيوانات ظلت تمثل اهم ثروة اقتصادية في البلاد وهي كما ذكرنا السائدة في التبادل التجاري الداخلي تليها المنتوجات الزراعية ثم المصنوعات المحلية ، وكثيرا ما كان سكان الريف يعزفون عن نقل بضائعهم وبيعها فى اسواق مدينة الجزائر للتهرب من الضرائب الفادحة التي كان يفرضها الموظفون الاتراك على السلع الواردة الى اسواق الجزائر .

والسلع تباع باثمان منخفضة كما يؤكدها فانتير(1) اذ يذكر ان الضأن الواحد يساوي ما بين الخمسة والستة دنانير والارز يساوي ١٠ دنانير للقنطار الواحد ، والعنب الجاف يساوي حوالى الثلاثة دنانير للقنطار الواحد في سنوات القلة ، وديnارين للقنطار الواحد في سنوات الوفرة والدجاجة تساوي ثمن البوجو او خمس الدينار ، والعشرة ارغفة من الخبز الجيد المعروف بخبز البزة تساوي ٢٠/١ من الدينار (وزن الرغيف حوالي ٣٠٠غ) والقنطار من لحم البقر يساوي حوالي ١٢ دينار ، والبرنوس الجيد يساوي اربعة دنانير الخ . . وسبب عدم غلاء المعيشة لا يعود الى توفر الانتاج اوزيادة العرض لكن يعود الى قلة الطلب بسبب انخفاض الدخل الفردى ، ثم يعود لعامل آخر وهو ان كساد السوق

(1) Venture de paradis : op. cit. p. 26

الخارجي وقلة التصدير زادت توفيرا للاسواق الداخلية . اما اتجاهات التجارة الداخلية على المدى البعيد فكانت نشيطة بين الشمال والجنوب على عكس الاتجاه بين الشرق والغرب او بين المدن الشرقية والمدن الغربية ، ذلك لاختلاف المنتوجات بين مدن الشمال ومدن الجنوب ، وتشابهها بين مدن الشرق الجزائري ومدن الغرب الجزائري اي ان المنتوجات كانت متشابهة بين مختلف المدن الساحلية ومتباينة بين المدن الداخلية والمدن الساحلية ولهذا كانت العلاقات التجارية الداخلية بين مدينة الجزائر مثلا ومدينة وهران ضعيفة اذا ما قورنت بالتبادل التجاري بين مدينة الجزائر ومدينة غرداية .

٧ ـ مصادر الدخل للخزينة

يتضح مما سبق ان مدينة الجزائر اعتمد دخلها في العهد التركي على ثلاث مصادر رئيسية هي القرصنة بالدرجة الاولى ، تليها الضرائب والرسوم ، ثم املاك الدولة والاحباس . اما التجارة والصناعة فقد مرتا بمراحل مختلفة في الازدهار وفى مدى مساهمتهما في دخل المدينة وكان هذان الموردان فى اغلب مراحل اقتصاد المدينة لايغطيان حاجيات السكان ولا يدران على الخزينة الا ارباحا ضئيلة جدا ، وان قيمة الصادرات ظلت مدة طويلة اقل من قيمة الواردات على عكس القرصنة التي ظلت تمثل موردا رئيسيا رغم ضعفها فى القرن الثامن عشر وفى مطلع القرن التاسع عشر ، وكانت تعوض الخسارة والعجز فى ميزان المدفوعات للمدينة فى اغلب السنوات، كما جنى منها اليهود، الذين احتكروا بيع العبيد المسيحيين فى الاسواق الاوربية ، ارباحا خيالية . وبعد القرصنه كانت تأتي الضرائب التي تعد مصدرا مهما لارتفاع نسبة دخلها ، وهي متنوعة ، منها الضرائب على السكان التي اختلفت حسب اصول الاشخاص ، فالتركي مثلا معفى من الضرائب و كذلك الجيجلي او سكان مدينة جيجل الذين ساعدوا الاتراك على احتلال البلاد اذ كما سبق ، فان عروج استعان بهم في اسكات عائلة سليم التومي والاستلاء على عرش مدينة الجزائر ، كما ان سكان جيجل كانوا أول سكان البلاد استقبلوا الاتراك و رحبوا بهم ، ولذلك منحهم الدايات نفس الحقوق التي كانت للاتراك . واليهود يدفعون ضرائب عديدة منها

الضريبة على الاقامة ، والضريبة على الحماية ، والضريبة على التجارة . والموظفون يدفعون ضرائب عن وظائفهم بعد ان يشتروها ، فمثلا خوجة الجلود ، كان يشتري وظيفته بثلاثمائة سلطاني (١) شهريا يدفعها لخزينة الدولة زيادة عن الرسوم ، وكذلك الباى او الوالي فكان يشترى وظيفته ثم يجزل العطاء كلما جاء الى مدينة الجزائر ، والحرفيون يدفعون ضرائب عن حرفهم ، والتجار عن تجارتهم الخ ... ويضاف الى هذه الضرائب ما كانت تجنيه المدينة من السفراء الاجانب ، من جزية ، وغرامات ، والتزامات ، ثم الهدايا التي كان يقدمها التجار الاجانب الى ارباب الدولة من الداي الى الشاويش (البواب) .

اما املاك الدولة فكانت متنوعة منها الاراضى ويديرها خوجة الخيل مقابل دفع حوالي ٤٨٠٠٠ دينار سنويا الى الخزينة ، ومنها المباني ويديرها شيخ البلد الذي يدفع سنويا ما يقرب من ٤٤٨٠٠ قرش الى الخزينة ، تضاف اليها الاملاك المحبسة التي تشرف عليها بيت المال ويديرها قاضى بيت المال او خوجة يسمى بخوجة بيت المال ، يدفع سنويا كمية كبيرة من النقود عن وظيفته وعن دخل الاملاك المحبسة الى الخزينة . والخزينة هي مكان ايداع اموال الدولة توجد بالقرب من دار السلطان ويشرف عليها الخزناجى وهو أهم منصب فى الدولة يأتى بعد الداى مباشرة .

ولبيان مصادر دخل خزينة مدينة الجزائر فى العهد التركي اوردنا جدولا لمورقان (٢) ويلاحظ عليه ما يلي :

أ ــ ان الدخل العارض او المتغير من سنة لاخرى فاق بكثير سنة ١٧٥٥ الدخل المنتظم حيث ان الاول بلغ ثلاثة امثال الثاني . والدخل العارض فى حد ذاته يدل على شدة اختلاف مـدخول ميزانية المدينة من سنة لاخرى لعدم ثبات مصدره ايجابا وسلبا ، فمدخول الغرامات والعقوبات مثلا كان يختلف من سنة لاخرى .

ب ــ دخل الخزينة من بيت المال يفوق بكثير بقية موارد الدخل وهذا يرجع

---

(١) السلطاني وحدة نقدية ذهبية تساوي حوالي التسعة دنانير حاليا .

Morgan : A Complet history of Algiers . T II PP 58-59

الى كثرة الاحباس التى كانت تدر على الدولة اموالا طائلة ، اذ ان أغلب هذه الاملاك كانت لاثريا، حبسوها على مشاريع خيرية او كانت لاثرياء ماتوا دون وارث ، فورثتهم بيت المال كما هي القاعدة فى الشريعة الاسلامية .

ج — هناك مدخول لابأس به من بيع الوظائف ، الامر الذي كان يؤدي بالموطفين

جدول مورقان عن دخل خزينة الجزائر سنة ١٧٥٥

دخل منتظم	
المصدر	القيمة بالقروش
ضرائب بايلك الشرق	120.000
ضرائب بايلك الغرب	100.000
« بايلك الجنوب	50.000
« المناطق السبعة عشر المستقلة	50.000
« اليهود	12.000
« الدكاكين	10.000
« الاملاك العقارية	12.000
رسوم على البضائع الاجنبية (ورسو السفن)	12.000
« على البضائع المحلية (جلود ، شمع)	12.000
« على البضائع المستوردة	30.000
« على البضائع المصدرة	15.000
« على الملح	6.000
« دفعتها الشركات الاحتكارية الاوربية	6.000
ضرائب دفعها المزوار عن وظيفته	2.000
ضرائب دفعها مدير الميناء مقابل وظيفته	1.000
كراء دفعته شركة باستيون الفرنسية	1.400
مدخول من بيع وظائف اخرى متنوعة	2.000
المجموع	441.000

تابع لجدول مورقان

دخـل عـارض	
المـصـدر	القيمة بالقروش
ضرائب وكيل بيت المال	600.000
غنائم من القرصنة	100.000
مدخول فدية العبيد المسيحيين	500.000
غرامات وعقوبات	10.000
المـجـموع	1.210.000
مجموع المجموع	1.651.000

الى استغلال وظائفهم ، دون رادع او قانون ، حتى استرجاع ما فقدوه من الشعب ، وسلكوا في ذلك ما في وسعهم من حيل حتى اصبحت مهمتهم منحصرة في جمع الاموال بأى وسيلة ، سواء اكانت شرعية ام غير شرعية .

د ــ هناك مناطق في الجزائر لم تخضع الا صوريا لمدينة الجزائر ، ولم تربطها بها الاعلاقة الضرائب ، وهي مناطق كانت مستقلة عن الادارة التركية فالتزم اصحابها ، مقابل استقلالهم ، دفع غرامات سنوية الى حكومة الدايات وأهم هذه المناطق ما كانت توجد فى بلاد القبائل مثل فليسة ، وزواوة ، ومناطق اخرى كانت توجد في الصحراء مثل بلاد مزاب وعلى رأسها غرداية ، وأخرى كانت توجد فى النجود مثل مناطق قبائل الرعاة المتنقلين ، الذين صعبت ادارتهم ، ولذلك اكتفى منهم الاتراك باخذ الضرائب .

هـ ــ كانت الجماعة اليهودية تدفع غرامة سنوية مرتفعة جدا تساوى قيمة مجموع ضرائب الاملاك العقارية ، وكان عددهم في هذا الوقت حوالي الخمسة آلاف يهودي وبذلك كان معدل الضريبة عن كل فرد منهم حوالي ٢٠٤ قرش ، ورغم هذه

الضرائب المرتفعة عليهم فان الحكومة لم تتحصل منهم الا على النزر اليسير مما كانوا يختلسونه ، واضرب لذلك مثلا بالرسوم على التجارة ، فكان من عادة وكيل الحرج او خوجة الديوانة ، ان يأخذ عن كل بضاعة ربع قيمة ما اشتريت بها في بلادها الاصلية وكان التاجر اليهودي فى الجمرك يصرح دائما بان البضاعة اشتراها من الخارج باربعة دنانير ان كان قد قد اشراها بعشرين دينار وذلك حتى يدفع دينارا واحدا للجمارك بدلا من اربعة دنانير .

ن — الرسوم على تجارة الملح مرتفعة رغم ان ما كانت تنتجه الجزائر من الملح وهي كمية قليلة احتكر البايلك تجارتها) مباشرة ، وكان يبيعها باثمان مرتفعة تساوي اكثر من الضعف من قيمتها الشرائية لدى المنتجين الى الشركات الفرنسية بالخصوص .

هذا اهم مايلاحظ على جدول دخل خزينة المدينة لمنتصف القرن الثامن عشر . اما لبيان دخل خزينة المدينة فى اواخر القرن الثامن عشر فقد اوردنا احصائيات فانتير لسنة ١٧٨٩ .

وقد استعرضنا فى جدول فانتير دي بارادي اهم مصادر الدخل ، واهملنا المصادر الثانوية لطول ذكرها ، كماحسبنا القيمة بالقرش مرة ، وبالجنيه او السلطاني مرة اخرى كما وردت فى الاصل ، وذلك حرصا منا على امانة النقل . ثم ان العملة المتداولة فى المدينة كانت متنوعة ، وتحسب على اساس القرش الاسباني الذي يساوي حوالي النصف دينار جزائري حالي ، والسلطاني يساوي ما يقرب من التسعة دنانير كما يبينه جدول آخر الكتاب الذي نقلناه عن توشي وهو الذين قدر قيمة نقود الجزائر عند الاحتلال الفرنسي .

واهم ما يلاحظ على جدول دي بارادي عن دخل خزينة المدينة في أواخر القرن التاسع عشر ما يلي :

أ — ان دخل المدينة من المصادر الواقعة داخل البلاد ، اي من الولايات والضرائب على الشعب ، اقل بكثير من دخل المدينة من ملتزمات الدول الاجنبية ، وهي ملتزمات كانت غير ثابتة ، اذ ان البعض من الدول الاوربية قد التزمت فيما قبل ١٧٨٧ بدفع ما قيمته ٢٠ الف جنيه استيرليني سنويا كجزية لتأمين تجارتها ، ثم ارغمتها الجزائر فى

سنوات اخرى على رفع هذه الجزية الى ٣٠ ألف جنيه . ومثال ايضا ان وشركة الباستيون دفعت ١٠٤٠٠ قرش سنة ١٧٨٩ وهو اقل مما كانت ملتزمة بدفعه من قبل وهو ١٦٢٠٠ جنيه سنويا

جدول فانتتر باردي لدخل مدينة الجزائر سنة ١٧٨٩

المقبوضات من مصادر داخل البلاد		
مصدر المقبوض	نوع المقبوض	قيمة المقبوض بالقروش
بايلك قسنطينة	نقود	120.000
	6000 قفيز من القمح	18.000
	نقود	140.000
بايلك وهران	10000 كيل من القمح	60.000
	100 قنطار من الشمع	53.000
بايلك تيطري	نقود	50.000
القائدات الستة لدار السلطان اي : مليانة بليدة بوفاريك بني جعد الخشنة سباو	نقود ومنتوجات محلية	50.000
الجماعة اليهودية	نقود	8.000
شيخ البلد	نقود	11.200
المكترين لارض البايلك	منتوجات ونقود	12.000
خوجة الجلود	نقود وسلع	12.000
رسوم جمركية على الصادرات والواردات	نقود	50.000
رسوم على الملح	نقود	4.000
ايجار لشركة الباستيون	نقود	10.400
المزوار	نقود	500
وظائف متنوعة بيعت بالمزاد	نقود	3.000
قاضي بيت المال		9.000

تابع لجدول فانتير

المقبوضات من الدول الاجنبية والملتزامات				
مصدر القبض	المدة	نوع المقبوض	قيمة المقبوض	
هولند	فى كل سنة	سلع لتجهيز الاسطول بالخصوص	10.000	سلطاني
	« كل سنتين	هدايا قنصلية ومجوهرات	30.000	جنيه
الدانمارك	« كل سنة	سلع مطلوبة	10.000	سلطاني
	« كل سنتين	هدايا قنصلية متنوعة	30.000	جنيه
البندقية	« كل سنة	عملة نقدية	10.000	سلطاني
	« كل سنتين	هدايا قنصلية	30.000	جنيه
السويد	« كل سنتين	عملة نقدية	28.000	فرنك
بريطانيا	« كل ٥ سنوات	هدايا قنصلية	28.000	جنيه
فرنسا	« كل المناسبات	هدايا متنوعة	40.000	جنيه
الشركات الفرنسية	« كل سنة	هدايا متنوعة	7.000	جنيه
تونس	« كل سنة	٢٠٠ قلة زيت و٥٠ جرة صابون وسلع اخرى متنوعة	150.000	جنيه
اسبانيا ونابولي وفرنسا	سنة ١٧٨٨ فقط	فدية عبيد مسيحيين من اسبانيا وايطاليا وفرنسا	400.000	سلطاني

ومثال ايضا ان البندقية دفعت الى الجزائر سنة ١٧٨٨ - زيادة عن الجزية السنوية والهدايا - ٢٥٠٠٠٠ جنيه استرليني، مقابل حماية اسطولها من القراصنة التونسيين الذين استولوا على سفينة بندقية كانت بشواطيء بلاد الجزائر ، ثم ردوها لاربابها بعد ان تدخلت الجزائر مقابل تلك القيمة ، وتمثل تلك القيمة ايضا ما دفعته البندقية حق مخالفات سفنها في بعض المرات لشروط الملاحة المبرمة بينها وبين الجزائر .

ب ــ ان دخل المدينة من الولايات الثلاثة اي بايلك وهران وتيطري وقسنطينة كان متنوعا ويشمل النقود والسلع ، ومثال لذلك ان بايلك قسنطينة كان يدفع كمية من النقود مرتين في السنة اي في شهري مايو وسبتمبر . يرسلها مع خليفته للجزائر زياده عن كميات أخرى من النقود يدفعها فى كل شهر ، ويدفع ايضا عن كل سنة ٦٠٠ قفيز من القمح وعددا آخر من الابقار والاغنام والجمال والبغال والعبيد والاصواف . ثم فى كل ثلاث سنوات كان الداي يجبر الباي (الوالى) على القدوم الى مدينة الجزائرفى شهر مايو لتجديد ولائه للمدينة ودفع حوالي ٦٠٠٠٠ دينارضريبة الى الخزينة . وتكلفه هذه الزيارة في بعض السنوات ما يقرب من ١٠٠ ألف سلطانى او مليون دينار ، يوزعها ذات اليمين وذات الشمال على الكبراء وارباب الديوان من سكان مدينة الجزائر . وبقدر ما ينفقه فى هذه الزيارة تزداد قيمته ، ومكانته في بقائه واليا على المنطقة . ولهذا كان الباي يستعمل كل الوسائل ويسلك كل الطرق الشرعية وغير الشرعية لجمع الاموال من الشعب وانفاقها فى زيارته لمدينة الجزائر وترضية الداي.

ج ــ يظهر من جدول فانتير ان الرسوم على التجارة الخارجية منخفضة اذا ما قورنت بنفس الرسوم لسنة ١٧٥٥ . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على انخفاض محسوس فى كمية ونوع الصادرات والواردات ، وعلى ان التجارة تسير نحو الذبول ، وان النشاطقل بالمدينةلمااصابسكانها من آفات الطاعونفيهذه السنوات وادى الى انزال الرعب فيهم اذ مات منهم خلق كثير قدره البعض بنحو ١٦ ألف نسمة .

د ــ فرنسا لاتظهر فى قائمة الدول الاوربية الملتزمة بجزية سنوية ، وهذا يرجع الى ان ما كان يدفعه المبعوثون الفرنسيون بالجزائر فى كل المناسبات يغطى اكثر ما لو كانت تدفع فرنسا جزية ، ومثال لذلك ان القنصل الفرنسي كان لايستقر بمدينة الجزائر الا بعد ان يقدم الهدايا المتنوعة والعوائد فى كل المناسبات الى رجال الدولة من داي وخزناجي ، وخوجة الخيل ، ووكيل الحرج ، وأغا المحلة ، والطاهي الكبير ، وافراد عائلة

الداي وبقية حاشيته . واليك قائمة لبعض الهدايا التي تعود القناصلة الفرنسيون بدفعها الى داي الجزائر عند دخولهم للمدينة او في المناسبات كالاعياد مثلا :

١ ــ ساعة ذهبية

٢ ــ بندقية من النوع الممتاز مع اربع مسدسات

٣ ــ ٤٥ قطعة قماش من الجوخ القرمزي والوردي

٥ ــ ٢٦ قطعة قماش من الجوخ الابيض الفاخر

٥ ــ ١٠ قطع من الديباج القرمزي المطرز بالذهب الخالص

ولكل واحد من بقية كبراء الدولة يدفع الممثل الفرنسي قطعتين من الجوخ الفاخر احداهما حمراء والاخرى بيضاء ، ثم هدايا اخرى متنوعة من علب المرطبات والفواكه المجففة و المربى الى افراد عائلة الداي وحاشيته ، لجلب رضاء القصر ، وشراء ضمير الديوان ، زيادة عما كانت تقدمه الشركات الفرنسية من هدايا فاخرة في كل المناسبات .

فالسخاء الفرنسي والرشوات التي كانت تقدم للكبراء ، ثم حسن العلاقات بين الباب العالي وملوك فرنسا ، جعلت مكانة الدولة الفرنسية في الجزائر احسن من مكانة بقية الدول الاوربية . ففي سنة ١٥٢٥م - ٩٤١هـ عقدت اتفاقيات سلم عرفت باتفاقيات الاستسلام les capitulations لدى المؤرخين الفرنسيين بين فرنسو الأول والسلطان العثماني سليماني القانوني وقد نصت هذه الاتفاقية على حق الامتياز للتجار الفرنسيين في المشرق العربي والبلدان الواقعة تحت النفوذ التركي ، كما نصت الاتفاقيات على ضمان حرية الديانة للفرنسيين المقيمين في اراضي السلطنة العثمانية ، وان الذي يتولى القضاء وحل مشاكل الرعايا الفرنسيين هو القنصل الفرنسي وحده ، كما ان للرعايا الفرنسيين حق الملكية والارث في اراضي الدولة العثمانية ، وان هذه الضمانات التركية لفرنسا تنطبق ايضا على الدول المسيحية التي ترغب في التجارة والمعاملات مع تركيا والتي تقبل الخضوع الى ملك فرنسا ، وان السلطان التركي يسمح لملك فرنسا بتأديب او معاقبة قراصنة الجزائر وتونس الذين اعتدوا على السفن الفرنسية . ونظرا لاهمية هذه الاتفاقية

التي ساعدت على ازدهار فرنسا ومدينة مرسيليا بالخصوص فان ملوك فرنسا كانوا يعملون لتجديدها كلما قدمت . وقد جددت سنة ١٦٧٣ فيها اعترف الباب العالي لفرنسا بالحماية للديانة المسيحية اينما وجدت ، كما ان الباب العالى خفض الرسوم على البضائع الفرنسية من ٥٪ الى ٣٪ . ففرنسا كانت محظوظة لدى الجزائر ، تقبل وساطتها ، وتفضل فى معاملاتها . ومن مراسلة قناصلها بالجزائر يظهر ان بريطانيا كانت تحسد فرنسا على هذه الحظوة ، ولذلك كان التنافس بين الدولتين على اشده طيلة العهد التركي ، وان قنصلي فرنسا وبريطانيا كانا يتسابقان في السخاء لكسب ود مدينة الجزائر .

هـ — دولة السويد لاتدفع الهدايا القنصلية وانما نقودا ذهبية فقط ، لانها فضلت دفع النقود عن دفع السلع او الهدايا التي كثيرا ما كانت لاتحوز رضى كبراء الدولة . والهدايا القنصلية هي سلع، ومرطبات ، واقمشة ، ومجوهرات، وساعات ذهبية . كان يدفعها القناصل الاوربيون عند قدومهم لاول مرة الى الجزائر ليوافق الداي على تعيينهم . وقبل ان تطأ اقدام القنصل ارض ميناء خير الدين تحسب الهدايا التى جاء بها ، فان كانت موافقة للعادة ، سمح له بالنزول ، والا رد على اعقابه الى بلاده . وكثير ما كانت الهدايا القنصلية الاوربية لاتحوز رضى الداي الذي يطالب القنصل باجزال العطاء . ونظرا لما كان هذا الدخل يمثل موردا مهما فى دخل المدينة فان حكومة الدايات كانت تطالب الدول الاوربية بتجديد قناصلها فى كل سنة ، او سنتين ، ماعدا بريطانيا وفرنسا فالاولى تجدد قنصلها فى كل خمس سنوات والثانية فى كل ست او سبع سنوات .

ولا يذهب الا النزر اليسير من الهدايا القنصلية الى الخزينة ، اما الكثير منها فيوزع على نحو مائتي شخص من كبراء الدولة وحاشية القصر ، وتعرف الهدايا فى بعض الاحيان بالعوائد لما تعود الاجانب على دفعها الى رجال الدولة فى كل المناسبات . اما الملتزمات فهي الجزية التي تعهدت الدول الاجنبية بدفعها فى كل سنة الى مدينة الجزائر على شكل سلع او نقود لشراء سلامة تجارتها من القرصنة الجزائرية .

ن — دخل المدينة من العبيد او من فدية العبيد بلغ ٤٠٠ الف سلطاني وهو

دخل اكبر من سنة ١٧٥٥ ، وهذا لا يرجع الى كثرة العبيد بالمدينة فى هذه الفترة اذ كان عددهم لايتجاوز الالفين نسمة وبذلك كان عددهم اقل بكثير من عددهم سنة ١٧٥٥ ولكن يرجع الى الظروف الصحية التي كانت تمر بها المدينة من مرض الطاعون الذي أثار مخاوف الدول الاوربية وخشيت هذه ان يأتي الوباء على عبيدها ، وبالفعل فقد مات منهم نحو ٨٠٠ عبد من مختلف الجنسيات لذلك بادرت فرنسا الى شراء ٣١٥ نفرا من عبيدها بحوالى ٤٧٢٥٠ سلطاني او بمعدل ١٥٠ سلطاني للنفر الواحد ، اما اسبانيا ونابولى فاشترتا ٧٠٠ نفر من عبيدها مقابل ٣٥٠٠٠٠ سلطاني ، او بمعدل ٥٠٠ سلطاني للنفر الواحد . وكانت هذه الدول تشتري اسراها او عبيدها فيما قبل سنوات الطاعون بنحو المائتين سلطانى للنفر الواحد .

و — الدخل من جماعة اليهود انخفض سنة ١٧٨٩ عما كان عليه سنة ١٧٥٥ اذ كانت تعوضه في عهد فانتير الهدايا فى كل المناسبات ، فزاد مركزهم في الدولة وقلت عنهم الضرايب الرسمية .

ز — انخفاض دخل خزينة المدينة من قاضى بيت المال ومن الاملاك المحبسة وربما هذا يرجع الى آفة الطاعون التي اصابت سكان المدينة فتخلى الكثير منهم عن استغلال الاملاك المحبسة واملاك البايلك فانخفض بذلك الدخل من بيت المال .

ولبيان تطور دخل مدينة الجزائر في نهاية الحكم التركي اوردنا احصائية اخرى لقنصل الولايات المتحدة شالير ، وهي احصائية تبين مقبوضات و مصروفات المدينة ، ويدعى صاحبها انه نقلها عن مصادر موثوق بها . ويلاحظ عليها عجزا واضحا فى الميزانية اذ ان قيمة المدفوعات أو المصروفات كانت تفوق قيمة المقبوضات بحوالي النصف وهذا يرجع الى عدة أسباب منها :

أ — اختفاء دخل القرصنة من قائمة المقبوضات ، و اختفاء دخل المدينة من تجارة العبيد المسيحيين وفديتهم ، ذلك لانخفاض عددهم الى حوالى المائتين نسمة فى العشرينات من القرن التاسع عشر ، وهي حرفة كانت تدر على المدينة اموالا ضخمة

جدول شامل عن ميزانية الجزائر لسنة ١٨٢٢

المقبوضات

مصدار القبض	القيمة بالدولار الاسباني
ضرائب بايلك وهران	60.000
رسوم الصادرات لبايلك وهران	15.000
ضرائب بايلك قسنطينة	60.000
ضرائب المناطق السبعة المستقلة	16.000
ضرائب بيت المال (او الحبوس)	40.000
ضرائب شيخ البلد	3.000
ضرائب بايلك تيطري	4.000
رسوم خوجة الجلود عن وظيفته	4.000
مقبوض عن خوجة الجمارك عن ظيفته	800
ضرائب على الجماعة اليهودية	6.000
رسوم عن الواردات	20.000
مدخول من الاملاك العامة لبلدية الجزائر	40.000
مدخول من الحكومة الفرنسية مقابل احتكار صيد الاصداف في خليج عنابة .	30.000
جزية سنوية دفعها ملك نابولي	24.000
جزية سنوية دفعها ملك السويد	24.000
جزية سنوية دفعها ملك الدانمارك	24.000
جزية سنوية دفعها ملك البرتغال	24.000
المجموع	434.800

المصروفات

المصروف عليه	القيمة بالدولار الاسباني
عمال وفنيون يعملون فى الورش	24.000
شراء الاخشاب والحبال الخ . . للحكومة	60.000
ماضيف لتعديل مرتبات ضباط البحر و الملاحين	75.000
ماضيف لتعديل مرتبات الجنود على مختلف رتبهم	700.000
المجموع	859.000

الفرق بين المقبوضات والمصروفات : 424.200 دولار اسباني

حسب ما لاحظناه سابقا . وقدر دخل مدينة الجزائر من القرصنة وتجارة العبيد فيما بين ١٨٠٥ و ١٨١٥ بحوالى الثمانية ملايين دينار ، وبعدان تعاون الاسطول الانجليزي والهولندى على تحطيم اسطول الجزائر سنة ١٨١٦ انخفض عدد العبيد بالجزائر الى اقل من مائتين نسمة ، اذ ان ايكسموث قائد اسطول الحملة البريطانية حرر منهم عددا كبيرا. ويدعى انه حرر ١٦٤٢ عبدا مسيحيا من مختلف الجنسيات. وانه لم يبق واحدا منهم فى المدينة او في ضواحيها . ويذكر شالير ان تجارة العبيد بمدينة الجزائر اصبحت نادرة ، اذ قلما تسمع ببيع عبد مسيحي فى اسواق الجزائر .

وهكذا انخفض دخل المدينة من هذا المورد الرئيسي في أواخر العهد التركي ، واصبح الدخل من حرفة النخاسة شيئا لايذكر .

ب ــ انخفاض دخل الخزينة من الضرائب نتيجة لانخفاض الانتاج الزراعى والصناعي ، ونتيجة لفقر السكان وركود نشاطهم التجاري والاقتصادي بصفة عامة فى كل القطر الجزائرى ، والمعيار لذلك ان التجار اليهود اصبحوا يدفعون من الضرائب حوالي النصف مماكانوا يدفعونه سابقاوهذا رغم ارتفاع عددهم . وكذلك الولاة اصبحوا لايدفعون للخزينة الا حوالي النصف مما تعودوا بدفعه سابقا .

جـ ــ انخفاض دخل الخزينة من الرسوم الجمركية للتجارة الداخلية والخارجية نتيجة لاحتكار الحكومة لبيع وشراء اغلب المنتوجات المحلية من اصواف وشمع وجلود وملح وقمح . ثم انخفاض الدخل من الرسوم الجمركية على البضائع المستوردة نتيجة لارتفاع هذه الرسوم الى اكثر من ١٠٪ من القيمة الشرائية للبضائع المستوردة ، وادى ارتفاع نسبة الرسوم الى قلة البضائع الاجنبية الواردة الى المدينة .

د ــ ارتفاع في مصروفات الانكشارية ، بسبب عدم اقبال المغامرين من الاتراك على التجنيد كما كانوا فى السابق ، فاجزل لهم الداي حسين العطاء لتعويضهم ما فقدوه من القرصنة ، ولاغرائهم على الانخراط .

هـ ــ اختفاء كثير من الدول الاجنبية والاوربية من قائمة مدفوعات الجزية والملتزمات

والهدايا القنصلية ، مثل الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وبريطانيا ، واسبانيا ، والنمسا ، وهولندا . وفي سنة ١٨٠٧ كانت الولايات المتحدة تدفع جزية لمدينة الجزائر قدرت بحوالي المائة ألف دينار سنويا . واسبانيا كانت تدفع ٤٨٠٠٠ دينار ، وبريطانيا ماقيمته ٤٠٠٠٠ دينار ، وهولندا ١٦٠٠٠٠ دينار ، والنمسا ٢٠٠٠٠٠ دينار ثم اخذت هذه الدول تنكث عهودها ، وتكف عن دفع ملتزماتها او جزيتها الى ان جاءت سنة ١٨٢٢ ، فلم تبق الا بعض الممالك الضعيفة وهي نابولي والسويد والدانمارك والبرتغال تدفع جزية سنوية بسيطة. ثم توقفت جميع الدول عندما سكن رعب اسطول الجزائر.

وموجز القول ان اقتصاد مدينة الجزائر فى العهد التركي كان اقتصادا طفيليا ، يقوم على الرغبة والرهبة فى الداخل والخارج ، ودخلها وهمي ، يشبه الى حد بعيد دخل المغامرين وهو بذلك كان مبنيا على اسس ضعيفة واهية .

هذه هي مدينة الجزائر التركية التي ظلت مدة ثلاثة قرون ذات شهرة عظيمة يتغنى بها الشعراء ، وترتعد لسماع ذكرها العصبية المسيحية ، ويخيف بها عجائز اوربا اطفالهن ، ويخضع لها الملوك والعظماء في اوربا والعالم الجديد .

٨ ــ القروض

يتوقف النظام القرضي والجهاز النقدي للمجتمع على ما لهذا المجتمع من ثروات اقتصادية ونشاط تجاري وتقدم اجتماعي .فاذا استغلت الثروة الاقتصادية استغلالا منظما زاد الانتاج الذي يدفع الى التبادل التجاري ، فتكثر المعاملات ، ويطمأن التجار وتزداد ثقة الدائن فى المدين ، وبالتالى تكثر المعاملات القرضية . والمتتبع لثروات بلاد الجزائر فى العهد التركي يجدها كثيرة ، الا انها كانت مستغلة استغلالا فوضويا ، او مهملة في اكثر الاحيان مما ادى الى ضعف الانتاج ثم ضعف التجارة سواء منها الداخلية او الخارجية . فجل السكان كانت حرفتهم الرئيسية الزراعة التي يغلب عليها الطابع المعاشي او تربية الماشية المتروكة ليد الطبيعة . وجل السكان كانوا يسكنون الريف ومبعثرين

هنا وهناك تحت الخيام او الاكواخ او الديار البسيطة ، اما سكان المدن فكان عددهم قليلا للغاية ، وأهم وظائف المدن فى هذه الفترة هي الوظيفة التجارية ، و كذلك القرى الريفية التي كان يتجمع فيها السكان فى يوم موعود من الاسبوع لتبادل المنتوجات المحلية : أو المستوجات الزراعية والحيوانية بالخصوص ، وهي قرى ومراكز عمرانية كانت تتلاءم وحرفة عدم الاستقرار اذ الجماعة التي كانت تقوم بالتجارة وتتجمع فى هذه الاسواق اغلبهم من الرعاة المتنقلين بين الشمال والجنوب او بين المدن والضواحي ، او بين التل والصحراء ، وقد حاول النظام التركي ان يشل هذه الحركة بفرض ضرائب معينة تعرف بالحصة على الرعاة ان تنقلوا من اقليم الى آخر . ولقد كان لاختلاف الانتاج بين الرعاة والزراع ضرورة التبادل، وكان الراعى يفضل في معاملته مع المزارع المقايضة اي استبدال سلعة بسلعة ، يدا بيد ، مثل استبدال الصوف بالقمح . وقليلا ما كانت تدخل النقود فى المبادلات التجارية ، ولم تكن هناك بنوك للقروض ولا صناديق للادخار ، فالنظام المصرفي حديث في الجزائر.

وكانت مدينة الجزائر من اهم المراكز التجارية الا انها اقل حيوية ونشاطا تجاريا من مدينة قسنطينة مثلا ، او تلمسان ، او المدية ، او عنابة ، او وهران ، ذلك ان التجارة الداخلية كانت تتهرب قدر الامكان من المكوس وكذلك التجارة الخارجية كانت تقصد بالخصوص المراكز التجارية التي لاتشتد بها المراقبة الادارية والضرائب الحكومية .

وقدذكرناسابقاان مدينة الجزائرظلت مدةطويلة من الحكم التركي تعتمد فى تجارتها على ما يرد اليها من القرصنة ولهذا ضعفت تجارتها فى اواخر العهد التركي عندما ضعفت القرصنة ، وقل عدد الاسطول الى حوالي ٣١ قطعة سنة ١٨٣٠ منها ١١ قطعة كبيرة و٢٠ مركبا صغيرا حسب ما احصتها الحملة الفرنسية وتذكر نفس الحملة ان الاسطول الجزائري المشلول منذاربع سنوات قد اصاب بعض وحداته عطب شديد يصعب استصلاحه وان الصناعة بمدينة الجزائر ضعيفة للغاية اذ تقتصر على نسج الكتان والصوف والحرير ، والصباغة والدباغة بالكروش ، والتطريز ، وصناعة الزرابي ، وحصر السمار ، وصناعة

الجلود والاحذية ، والقلائد ، والحزم والنقش عليها، وصناعة الاقفال والاسرة من الحديد واذابة البرونز والرصاص في ورش صغيرة ، والنجارة ، وصناعة الغلايين والاواني الفخارية بالقرب من باب عزون ، وصناعة الآجر والجير بالقرب من باب الوادي ، وان بمدينة الجزائر مطاحن للحبوب تديرها البغال داخل المدينة ، واخري بحي الطاقارا كانت تديرها الرياح قبل الاحتلال الفرنسي ، وكل هذه الصناعات كانت لاتسد الا حاجيات السكان الاستهلاكية المحلية ، ولا تصدر منها مدينة الجزائر الى الداخل او الى الخارج الاالنزر اليسير ، ولاشك ان هذه الحالة الاقتصادية لمدينة الجزائر في اواخر العهد التركي كانت نتيجة لركود الاسطول ، وان ثروة المدينة في ايام ازدهار القرصنة او في سنوات القرن ١٧ كانت تختلف كثيرا عن سنوات مطلع القرن ١٩ ، اذ كانت مخازن الدولة في الفترة الذهبية للقرصنة تزدحم ببضائع الغنيمة من زيوت وتوابل ، وسكر ، واخشاب ، وحبال ، وحديد ، واقمشة الى جانب بضائع اخرى جمعتها الدولة من الداخل عن طريق الضرائب والاحتكارات ، مثل الاصواف ، والشمع ، والحبوب والجلود ، وقد وجدت الحملة الفرنسية في مخازن الدولة بالميناء قليلا من الحبوب والملح والاقمشة وحوالي ٦٩١٨ قنطارا من الصوف معدة للتصدير في دار الداي بالقصبة .

وقد ذكرنا سابقا في التجارة الداخلية و في المقارنة التجارية الاقليمية ان التجارة الداخلية كانت نشطة بين مدن الشمال و الجنوب اكثرمنها بين مدن الشرق والغرب في بلاد الجزائر ، وعللنا السبب في اختلاف المنتوج بين الشمال والجنوب ، وتشابهه بين الشرق والغرب ، ولهذا كانت العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينة قسنطينة مثلا اضعف من العلاقات التجارية بين الجزائر وغرداية ، كما قارنا العلاقات التجارية الداخلية لمدينة الجزائر خاصة ببقية الاقاليم الجزائرية ولاحظنا انها كانت ضعيفة للغاية .

وقد نتج عن هذا الضعف التجاري والانتاجي ركود اقتصادي بصفة عامة وانخفاض الضمانات التجارية والاحتياطات المالية والقوة الادخارية ، وقلت القروض

وعدم التهرب من الوفاء بالعهد . ولتاكيد ما نص عليه القرآن (واذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه) فان عقود الرهن كانت تدون لدى القاضي الذي كانت تزدحم ادراج خزائنه بعقود الرهن العقاري (١) .

والى جانب هذا النوع من القروض دفعت الحياة الاقتصادية العملية ايضا السكان الى نظام الشركات و المساهمة ، فيه كان يقرض صاحب المال ، نقودا ذهبية ، او فضية او بضائع ، الى تاجر يدير هذا المال مقابل نصيب او نسبة من الربح يدفعها الى صاحب رأس المال في اجل مسمى . كما ان بعض التجار من مدينة الجزائر وبالخصوص اليهود منهم كانوا يساهمون في تجهيز سفن القرصنة مقابل نسبة معينة من الربح .

٩ ـ النقود

لقد تأثرت النقود بالركود الاقتصادي بصفة عامة والتجاري بصفة خاصة لهذا كانت وسائل المبادلات ضعيفة ايضا ، اذ كانت تجري في بعض الاحيان على شكل المقايضة او مبادلة سلعة بسلعة اخرى كما سبق ذلك لقلة ثقة المجتمع في فعالية الاوراق المالية اوالنقود المعدنية وفي بعض الاحيان كانت تسددالديون التجارية بواسطة النقود المعدنية فقط وهي اهم طرق المعاملات، و اكثرها انتشارا بين افرادا لمجتمع، وبالخصوص المجتمع المدني وقد استعمل تجار سكان مدينة الجزائر الاوراق المالية من سفاتج وكمبيالات وحوالات لتسديد الديون منذ القرن العاشر للميلاد اى قبل ان يستعملها الاوربيون بمدة طويلة(٢) الا ان عدم الضمانات الكافية للتسديدات جعلت السكان يفقدون ثقتهم في العهد التركي في هذه الاوراق المالية . ونتج عن ذلك ندرتها ، والامثلة على ذلك كثيرة نجدها في مراسلات الشركة الفرنسية (٣) Compagnie Royale d'Afrique التي كانت لاتتعامل مع المواطنين الا بعد ان تجمع ما يكفيها من النقود المعدنية . وكثيرا ما كان مدير الشركة المذكورة يلجأ

(1) Charles Benoist : Enquête algérienne . Paris , Lecène . 1892 .
(2) André E. Sayous : Le commerce Européen en Tunisie au moyen âge et au début de l'ère moderne. Paris 1929.
(3) Arch. Hist. de chambre de commerce de Marseille. Compagnié Royalé d'Afriqué. Livré des délibérations. 1972.

الى الداي اولرؤساء القبائل او لرجال الادارة لاجبار التجار على قبول السندات والاوراق المالية . اذ التجار الجزائريون كانو ايفضلون النقود المعدنية وبالخصوص الفضية او الذهبية عن الاوراق المالية، بل كثيراما رفضوا الاوراق المالية الاجنبية التي فقدوا فيها ثقتهم بسبب عجز حامل هذه الاوراق عن استيفاء دينه او الحصول على نقوده المعدنية في اغلب الاحيان وبالتالي ظلت التسديدات الدينية عن طريق الاوراق المالية فى التجارة الداخلية ، والخارجية بالخصوص، محدودة للغاية .واليك احدى السندات المالية لسنة ١٨٢٠ (١) فيه احالت شركة الباستيون الفرنسية ما عليها من ديون لباي قسنطينة على احد تجار مدينة الجزائر يعرف بابن المرابط الذي تعهد بخطه ، على ورقة ، ان يسد ما على الشركة للباى ، مقابل ان تسدد الشركة ما عليه من دين فى مرسيليا ناتج عن استيراده لسلع فرنسية وهذانص الورقة المالية بتصرف :«الحمد لله ، اشهد على نفسي باستلام ثلاث كمبيالات مجموع قيمتها ٤٠٠٠٠ فرنك من كنشليارية (ديوان) فرنسا محسوبة على مرسيليا بفائدة ١٣ صوردي ونصف للريال الدرهم الواحد مما يحمل الي مجموع ٥٩٣٦٠ ريال درهم فى ٢٧ جوماد الثاني سنة ١٢٣٧ . على انني سأدفع هذه القيمة المذكورة الى باي الشرق في شهر رمضان . كتبه عبد ربه، الامضاء، انتهى». هذا نوع من الاوراق المالية التي كان استعمالها قليلا فى تسديد ديون التجار بالجزائر ، اما الانظمة السائدة فكانت للنقود المعدنية . وقدحازت النقود المعدنية ثقة سكان مدينة الجزائر منذ القديم كما تؤكده الآثار الفنيقية ، وفى العهد الاسلامي كانت النقود المعدنية لمدينة الجزائر تتبع الدولة الحاكمة وعواصم اقطار المغرب العربي التى تداولت الحكم لهذه المدينة التي لم تكن لها سكة خاصة بها الا بعد ان استقلت ادارتها عن ادارة المغرب الاقصى والادنى ، اذ بعد ان دخل الاتراك الى الجزائر واستقلوا بالبلاد ، جعلوا من مدينة الجزائر عاصمة الدولة وضربوا فيها السكة التي كانت تحمل في احد وجهيها كلمة : ضرب فى الجزائر وتاريخ العرب . وفى الوجه الثاني اسم السلطان العثماني مثل عبارة : سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان محمود خان

(1) P. Ernest -Picard : La monnaie et le crédit en Algérie depuis 1830. p.41 Alger, 1930.

عز نصره . وأوكل الاتراك مراقبة النقود الى موظف سامي عرف بأمين السكة الذي كان يشرف على اليهود الذين يقومون بصك النقود فى دار اسمها دار النقود بالقرب من قصر السلطان اي بالقرب من جامع كتشاوة حاليا . وكان الدايات يصكون النقود من الذهب والفضة او المعادن النفيسة التي يجمعونها من السكان او البايات او من السبائك والمجوهرات التي تحصلوا عليها عن طريق القرصنة او جاءتهم من الدول الاورية في شكل هدايا او اتاوات او جزية او غرامات . كما كان الدايات يصكون النقود ايضا من معدن البرونز والنحاس .

والى جانب النقود المعدنية الجزائرية اى النقود التي صكت بمدينة الجزائر فكان السكان الجزائريون يتعاملون بنقود اخرى اجنبية اي ضربت فى بلدان اوربا او فى بلدان عربية ، ومن بينها نقود ذهبية مصرية واخرى فضية مصرية واخرى تونسية تكثر فى الاقليم الشرقى القريب من تونس ، واخرى مغربية تكثر في بايلك الغرب القريب من الحدود المغربية ، اما فى الجهات الجنوبية فكان التبر المجلوب من بلاد السودان يحل محل النقود فى اغلب الاحيان ، به تقوم السلع ، وتسدد الديون المختلفة .

واهم النقود المعدنية الاجنبية التي كانت سائدة في البلاد هي النقود الفضية الاسبانية اما اهم الطرق التى كانت تدخل بها هذه النقود الاجنبية الى الجزائر هى طرق الشركات التجارية الاوربية وعلى رأسها الشركة الملكية الفرنسية التى ادخلت الى البلاد انواعا من النقود الاجنبية ، وبالخصوص القرش المكسيكى والمألوف لدى الجزائريين والمعروف بقرش بومدفع ، ظل يمثل القرش المفضل الى ان غيرت اسبانيا صك قروشها في مطلع القرن ١٨ حينئذ واجهت الصعوبات قرش بومدفع في قبوله لدى سكان مدينة الجزائر ، ولقد حاولت الشركات الاوربية استرجاع ثقة السكان فى قبول تلك العملة الاسبانية الجديدة مدة من الزمن ، وهي فترة زاد فيها شك الناس في قيمة النقود الاجنبية وكثرت فيها النقود المزيفة فى القيمة والوزن حتى قيل ان جل النقود المتداولة فى الجزائر كانت مزيفة ، وان ٣٠٪ من البتقات المتداولة كانت مزيفة ، وان ٤٪ من

من الريالات الجزائرية كانت مزيفة ، وان النقود المغشوشة طردت النقود الجيدة . والذين كانوا يقومون بتزوير هذه النقود يوجدون في الداخل والخارج ، منهم فى اسبانيا وايطاليا وفرنسا . اما فى الجزائر فاهم منطقة اشتهرت بتزوير النقود فى العهد التركي هي منطقة جبال جرجرة . وكانت بها قبيلتان اشتهرتا بصناعة النقود المزيفة هي قبيلة آيت الاربعاء وقبيلة على خروبة . وسكان القبيلتين كانوا على دراية كبيرة ومهارة فنية باتقافى الصناعات الحديدية ، فهم لم يشتهروا بصناعة النقود فقط بل اشتهروا فى صناعة الاسلحة النارية ايضا . وقد ساعدهم على ذلك توفر المادة الاولة من حديد ورصاص وفضة في مناجم عديدة مجاورة لهم ، منها منجم جبل مسيبا الذي كان يزخر بالخامات الغنية فى معادنها وحتى لايكتشف امرهم في تزوير النقود فان الصناع من قبيلتي آيت الابعاء وعلى خروبة كانوا يوكلون صرف منتوجاتهم النقدية فى الاسواق الداخلية الى تجار قبائل مجاورة لهم مثل قبائل بني بني ، وبني مغيلة ، وبني بودرار ، وبنى وصيف (١) ، ولم يكف هؤلاء من التزوير الا بعد دخول الفرنسيين الى الجزائر واقتفاء آثارهم ومعاقبتهم معاقبة شديدة .

واهم أنواع النقود المعدنية التي كانت متداولة بين سكان الجزائر هي النقود الفضية اما النقود الذهبية فهي نادرة ولايملكها الا الاثرياء ، وخصصت فى اقل الاحيان للتعامل مع الخارج فى نطاق ضيق للغاية . اذ ان الديات بالجزائر اعتبروا تسديد الديون مع الخارج بالنقود او السبائك الذهبية معناه افقار للبلاد وتخريب لخزينتها . ولهذا اتخذت جميع الاحتياطات والمراقبات لمنع تسرب الذهب الى الخارج . وقد ادت هذه السياسة النقدية الى اكتظاظ الخزينة الجزائرية بالنقود الذهبية والسبائك النفيسة من ذهب وفضة قدرها البعض (Guery فى مذكراته سنة ١٧٩١) بحوالي ١٠٠ مليون تورنوه وكانت الخزينة شيئا مقدسا لدى الجزائريين فلا يجوز فتحها للاخذ منها باي حال من الاحوال وهي ومحروسة حراسة شديدة ، ولاتفتح الا بحضور الخوجة ولجنة خاصة، وحراس اشداء.

---

(1) Nôte parue au journal Moniteur Universel du 6 Juin 1845. No 157

وكانت كنوز الجزائر او الخزينة في مبنى صغير بالقرب من قصر الجنينة عند مدخل نهج الديوان وقد كتب على باب المبني هذه العبارة: نصر من الله وفتح قريب يافاتح الابواب افتح لنا احسنها باب الجنة . وفى اواخر العهد التركى نقلت كنوز الجزائر من الجنينة الى القصبة العليا ، وقيل ان الذى امر بنقلها هو الداي علي الذي اشرف بنفسه ١٨١٧ على عملية النقل ليلا وذلك بعد ان امر سكان المدينة بقفل ابوابهم ، ومنع تحرك الانكشارية ، وشدد الحراسة ثم احضر عددا من البغال لنقل الذهب والفضة ، واستلزم هذا النقل ٧٦ حملا من الذهب و ١٤٠٠ حمل من الفضة ، وعلى اساس ان حمل البغل يساوي ثلاث قناطر فى المتوسط فيمكن تقدير كنوز الجزائر فى عهد الداي علي بنحو ٢٢٨ قنطار من الذهب و ٤٢٠٠ قنطار من الفضة . اما سفير الولايات المتحدة شالير فيقدر كنوز القصبة سنة ١٨٢٢ بحوالي ٢٥٠ مليون دولار ، والسفير الفرنسي ديفال قدر كنوز القصبة بحوالي ١٥٠ مليون فرنك وذهب القنصل البريطاني الى ٥٠٠ مليون فرنك .

ورغم تشدد الدايات في منع خروج الذهب من البلاد فان خزينة الجزائر ظل يختلف رصيدها المالي من فترة لأخرى . ففي السنوات التي نشطت فيها القرصنة زاد احجام اكداس الذهب والفضة ، وفي السنوات التي ركدت فيها القرصنة رجع الدايات وهم مضطرون الى سحب النقود النفيسة من الخزينة لدفع مصاريف الدولة ودفع مرتبات الانكشارية وبذلك انخفض حجم ما بالخزينة من ذهب وفضة . وتذكر لجنة الحملة الفرنسية (١) التي كلفت بعد وبتقدير كنوز القصبة سنة ١٨٣٠ انها وجدت بالخزينة الجزائرية ٧٢ قنطارا و ١٢ كيلوغراما من الذهب و ١٠٨٧ قنطارا و ٤ كيلوغرامات من الفضة الخالصة . وقومت هذه المعادن النفيسة بحوالي ٠٠٠ ٦٨٣ ٤٨ فرنك فرنسي منها نقود مختلفة الاصل ومنها السبائك . ويلاحظ على هذا التقويم انه يختلف تماما تماما عن القويم السابق والذي ذكره شالر و ديفال وربما هذا يرجع الى النهب من طرف جيش الحملة فى الايام الاولى للاحتلال ، و بالخصوص الضباط منهم الذين كانــوا

---

(1) P. Ernest, Picard: La Monaie et le credit en Algerie depuis 1830. p. 54

ينظرون بفارغ الصبر وصولهم الى كنوز القصبة، وهي كنوز كانت تدور حولها القصص والاساطير لدى الاوربيين تفوق في شهرتها قصص ألف ليلة وليلة . ولاشك انها كانت تحوي قناطير مقنطرة من الذهب و الفضة . وكانت الوحدة النقدية الحسابية الجارية للعملة الجزائرية هي البدقة شيك او الريال الدرهم الصغير الذي كان ينقسم الى ثمانية اجزاء كل جزء يعرف بالموزونة ، (الموزونة وحدة نقدية حسابية فقط) والبدقة شيك تساوي ٠،٦٢ دينارحاليا . والوحدة النقدية للفضة هي ريال بوجوالذي يساوي ثلاث بدقات شيك او ٢٤ موزونة او ٣×٠،٦٦=١،٨٦ دينار . والوحدة النقدية الفعلية الذهبية هي السكين الذي يساوي ١٣،٥ بدقة شيك اي حوالي ٨،٣٧ دينار . والوحدة النقدية الفعلية للنحاس هي الخروبة التي تساوي ١٦/١ من البدقة شيك او ٠،٠٣٨٧ دينار و الفلس يساوي ١٣٢/١ من البدقة شيك ، او ٠،٠٠٢٦ دينار . اما الموزونة وهي وحدة نقدية حسابية كماذكرنا، اذ لاتوجد فى السوق، فتساوي ٠٠٠٧٧٥ دينار . ويلاحظ على هذه التقويمات للعملة الجزائرية في العهد التركى انها تقويمات تقريبية ذلك ان النقود الجزائرية في العهد التركي ظلت متغيرة ومضطربة فى الوزن والقيمة ، وان الوحدات النقدية كانت ضعيفة القيمة نسبيا . ومثال لذلك ان السكين الذهبي الجديد كان يزن ٦٠ حبة او ٣،١٨٧غ من الذهب الخالص بينما السكين الذهبي القديم فكان يزن٦٤حبةاو٣،٤٠٠ غ من الذهب الخالص، والبوجو الفضي كان يزن ١٠ غرامات في بعض الاحيان. ويقل عن هذا الوزن احيانا اخرى . وكان صك النقود الذهبية حرا ، اما صك النقود النحاسية والفضية فقد احتكرتها الحكومة التي اوكلت خواتمها ، اي قوالب الضرب ، الى امين تركي بيده مفاتيح دار السكة . ولما كان الداي هو سيد الصك وضرب النقود الغير الذهبية فكان بامكانه ان يغير وزن هذه النقود كلما دعت الحاجة الى ذلك ، وهذا ما كان يقع بالفعل وبالتالي زادت هذه العملية من الغش ومن تقلبل قيمة النقود الجزائرية في العهد التركي.واليك جدولا لمختلف الوحدات القياسية النقدية للجزائر فى العهد التركي، مع الملاحظة انها

جدول المكائيل والموازن والاطوال والعملة بالجزائر سنة ١٨٣٠ — مقارنة بالمقاييس الحالة

الاوزان: انواعها	الاوزان: ما يعادلها: مغ	الاوزان: ما يعادلها: غ	الاوزان: ما يعادلها: كلغ	الاوزان: اقسامها	المكائيل: انواعها	المكائيل: مايعادلها: سل	المكائيل: مايعادلها: د	المكائيل: اقسامها	الاطوال: انواعها	الاطوال: مايعادلها: مم	الاطوال: مايعادلها: سم	الاطوال: مايعادلها: م	الاطوال: اقسامها
القيراط		20	0	4 حبات خروب	المد	75	0		الذراع القياسي	3	63	0	1/2 1/4 1/8
الدرهم البغدادي	143	3	0		القلة	66	16	1/2 1/4 1/8	الذراع العادي		64	0	1/2 1/4 1/8
الدرهم الفضي	97	12	0		الصاع		48	1/2 1/4 1/8	الذراع العربي		48	0	1/2 1/4 1/8
المثقال الذهبي	25	4	0		الفنيقية		72	1/2 1/4 1/8					
المثقال الخضاري	8	31	0	1/8	القفيز		144	1/2 1/4 1/8					
الرطل الفضي	435	497	0	16 مثقال									
» العطاري	80	546	0	» »									
» الخضاري	340	614	0	18 »									
» الكبير	510	921	0	72 »									
القنطار العطاري		608	54	001 »									
» الخضاري		434	61	» »									
» الكبير		151	92	» »									

العملة الذهبية

انواعها	اوزانها		قيمتها بالدينار الجزائري		
	مغ	غ	م	س	د
سلطاني قديم	400	3	82	59	9
« جديد	187	3	80	89	8
نصف سلطاني	593	1	90	44	4
ربع سلطاني	796	0	45	22	2

العملة الفضية

انواعها	اوزانها		قيمتها		
	مغ	غ	م	س	د
البوجو	782	19	37	72	3
الريال	77	10	36	88	1
الربع	530	2	11	47	0
الثمن	263	1	65	22	0
البدقة	182	3	81	57	0

العملة النحاسية

انواعها	اوزانها	قيمتها		
		م	س	د
الموزونة		74	02	0
الخروبة		87	03	0
الغرامسي		34	01	0
الزندى		26	00	0
الصوردي		00	20	0

مغ = ملليغرام
غ = غرام
د = دينـار
س = سنتيم
م = ملليم

تقويمات تقريبية .

ولقد ظلت النقود الجزائرية التركية هي المتداولة بين السكان في مطلع السنوات الاولى للاحتلال الفرنسي حتى ١١ اغسطس سنة ١٨٥١ عندما اصدرت السلطات الاستعمارية قرار الغاء التعامل بالنقود الجزائرية التركية وانشاء بنك فرنسي لصك النقود الجزائرية الجديدة على اساس الفرنك الفرنسي وبذلك ربطت عملة الجزائر بعملة فرنسا الى عهد الاستقلال . وحينئذ رجعت العملة الجزائرية الى اصلها ، واطمأن الجزائريون وعادت المياه الى مجاريها ، وحل الدينار الجزائري محل الفرنك الفرنسي ، واخذت الحكومة الوطنية تعمل على تطوير وتنمية اقتصاد البلاد وترميم ماافسده الاستعمار واسترجاع شخصية الشعب وثقته بنفسه ، جاعلة من الماضي عبرة للحاضر ، ولبنة لبناء المستقبل السعيد . وما الانظمة الا تجارب اكتسابية ونسبية ، وما الحوادث الا عبرة جلت افادتها وطابت استفادتها .

الخلاصـــة

مدينة الجزائر جبلية بحرية . بنيت على روابي شاطئية للسفوح الشمالية الشرقية لجبل بوزريعة المطل على البحر ، في موضع محصن طبيعيا . فوق تكوينات بليوسينية منفذة ومركزة على تكوينات ساحلية صماء . لها ظهير حصب للغاية ، هو سهل متيجة الذي يربطها بالداخل عن طريق معابر طبيعية تسلكها السكك الحديدية والطرق البرية وبالسهل ، مطار الدار البيضاء وهو أول مطار ببلاد الجزائر . وللمدينة ميناء اصطناعي يربطها بالخارج زادت اهميته التجارية بعد حفر قناة السويس .

واعتمادا على تحليل المعطيات الميترولوجية والموقع فان مدينة الجزائر تتمتع بمناخ البحر المتوسط ، وتمثله احسن تمثيل ، حيث تتميز بالاعتدال المناخي بصفة عامة . فهي اقرب الى الدفء منها الى البرودة في فصل الشتاء الذي لاتنزل فيه درجة الحرارة الى ما دون الصفر ، وفصل الصيف تغلب عليه الحرارة التي لايزيد متوسطها الشهري لأحر الشهور عن ٢٥ درجة ، وهي حرارة يمكن تحملها بارتياح نظرا للرطوبة الجوية النسبية المنخفضة ، وهبوب نسيم البحر الذي يلطف الطقس . والضغط الجوي للاقليم يدور حول ٧٦٢،٥ مم ، ولايزيد الفارق السنوي عن ٠،٢ مم والانحدار البارومتري ضعيف للغاية لذلك لايعد اقليم المدينة اقليم الانطلاق او الهبوب للرياح القوية . والامطار متوفرة يبلغ متوسطها السنوى ٧١٨مم ، ومعدل عدد ايامها الممطرة تدور حول ٩٠ يوما وسماء المدينة صافية في اغلب ايام السنة حيث ان المتوسط السنوي لدرجة السحب يقل عن ٥/١٠ وسطوع الشمس يقرب من ثلاثة آلاف ساعة سنويا ، والفصول تتوالى ببطء حتى لايشعر بتناوبها الانسان، لكن الطبيعة لاتغفل عن ذلك باخضرار الاعشاب البرية في فصل الشتاء وازهارها في فصل الربيع وذبولها في فصل الصيف والخريف . وبايجاز فان مناخ مدينة الجزائر صحي للغاية ومظهرها جميل جدا وما وجدت في المدينة من احياء موبوءة فهي ترجع الى حوادث محلية ، كان فيها ليد الانسان الدور الاول وللطبيعة الدور الثاني .

وكان شراب سكان المدينة ليس من المسيلات اوالاودية المنحدرة من جبال الاطلس المتيجي او المنحدرة من كتلة بوزريعة ، ولكن من مياه الآبار والعيون في القديم، ثم من الخزانات الباطنية لسهل متيجة في عهد الاحتلال الفرنسي وحتى الوقت الحالي .

وقد بنى الفينيقيون مدينة الجزائر فى القرن السادس قبل الميلاد في موضع يسهل الاتصال منه بالداخل والخارج ، تتوفر به المياه العذبة ، وتحمي مرساه جزيرات عدة اوصلها الاتراك اثناء استصلاحهم للميناء ، واطلق الفينيقيون عليها ايكوسيم اى جزيرة الطيور ، وكانت من اهم المركز لتجارتهم ، وعمر المدينة في اول نشأتها عدد قليل من التجار الفينيقيين والاهالى ، ثم هاجرت الى ايكوسيم اجناس اخرى مثل الرومان فى القرن الاول للميلاد و الونـدال فى القرن الخامس للميلاد و العرب في القرن السابع للميلاد ثم الاندلسيون بعد سقوط دويلات ملوك الطوائف فى شبه جزيرة ايبيريا فى القرن الخامس عشر للميلاد ثم اليهود من انحاء اوربا عند اشتداد العصبية المسيحية فى العصور الوسطى ، ثم الاتراك بعد سنة ١٥١٦ ، يضاف اليهم الاسارى المسيحيين الذين جمعهم الاتراك من هنا وهناك عن طريق القرصنة .

وقد أثرت هذة الهجرات على الكثير من المظاهر الاجتماعية لسكان مدينة الجزائر مثل اللغة والمعتقدات التى كانت تخضع دائما للعنصر القوي . ومثل اسم المدينة الذي غير من ايكوسيم فى العهد الفينيقي الى ايكوسيوم فى العهد الرومانى الى جزائر بني مزغنة فى العهد الاول للفتح الاسلامي ثم جزائر الثعالبة ثم جزائر الغـــرب ثم الجزائر فى الوقت الحالي .

ومرت مدينة الجزائر بمراحل تاريخية أثرت على سياسة عمرانها ، ففي عهد نشأتها الاولى كانت خاضعة للفينيقيين الذين ربطوها بمدينة قرطاجنة ، وفى القرن الثاني لما قبل الميلاد استقل بها الاهالي ، ثم صارت تابعة لشرشال ثم احتلها الرومان في النصف الاول من القرن الاول للميلاد ، ثم انتزعها منهم الوندال سنة ٤٢٩م ثم عاد اليها البيزنطيون الذين اخرجهم العرب من شمال افريقية فى القرن السابع للميلاد وطبعوا المدينة بالطابع

العربي ، اما الاتراك فلم يدخلوا مدينة الجزائر الا في مطالع القرن السادس عشر للميلاد وفي عهدهم تعددت الحملات المسيحية الاوربية على مدينة الجزائر ، التى ظلت طوال عهودها التاريخية تنزع دائما نحو الافريقية وتنبذ الاوربية فكرا وسياسة ، فتقبلت الاسلام والعروبة ولفظت المسيحية والاوربية .

وقد سلكت مدينة الجزائر مراحل مختلفة فى تطورها العمراني والديمغرافى والاقتصادى فالفينيقيون رسموا لها التخطيط الاول في حي باب الجزيرة للادلة الاثرية الفينيقية فى هذا الحي دون سواه ، فكانت بذلك ابعادها محدودة للغاية ، وسكانها لم يتجاوزوا الالفين نسمة حتى في اوج ازدهادها الفينيقي ، حرفتها الاساسية التجارة اذ كانت من اهم الاسواق الفينيقية تتبادل فيها البضائع المتنوعة من مواد مصنعة جلبها التجار الفينيقون من الشرق عن طريق البحر ، ومواد غير مصنعة مثل المنتوجات الحيوانية والزراعية جلبها الاهالي من داخل البلاد عن طريق البر نحو المدينة .

وفى العهد الرومانى اتسع عمران المدينة نحو الشرق بالخصوص ، واحيطت بالاسوار لصد هجمات الثوار ، وبنيت بها كنيسة عظيمة . ونتج عن هجرة الرومان زيارة عدد سكان المدينة الذين بلغوا حوالي الخمسة آلاف نسمة ، جلهم من الاهالى الذين اجبروا على اعتناق المسيحية ، وتقبل نظام الطباقية . واشتد ظلم الطبقة الحاكمة من الرومان الذين وجهوا اقتصاد البلاد نحو خدمة الاقتصاد الروماني وارغموا الاهالى على التوسع في الزراعة ، والتقليل من التجارة والصناعة ، وتشططوا فى فرض الضرائب واستغلال الاهالي .

وفى العهد الاسلامي مرت مدينة الجزائر فى تطورها بثلاث مراحل متباينة حسبما ورد عن الرحالة العرب ، هى مرحلة الركود التي صاحبت مطلع الفتح ، لم تكن فيها المدينة شيئا مذكورا ، ثم مرحلة الازدهار ، جدد فيها بلكين بناء جزائر بني مزغنة فزاد عمرانها وزينت مساجدها ، وكثرت ارزاقها ، وراجت تجارتها ، واتسعت اسواقها الى ان صارت بضائعها تصل حتى القيروان شرقا ومراكش غربا . وتوجهت نحوها

الهجرات العربية من قبيلة الثعالبة بالخصوص التى عمرت سهلها وجبلها الى ان بلغ سكان المدينة حوالى الثلاثين ألف نسمة . ثم جاء دور المرحلة الثالثة فى اواخر عهد الدولة الموحدية ، فيها اخذت مدينة الجزائر تنحدر نحو التقهقر بسبب الثورات واختلاف سكان الاقليم في من يؤدون له الضريبة ، وتنازعت دول المغرب العربي ف ادارة المدينة فاضطربت احوالها وكسدت اسواقها ، وافل نجمها وانحدر عدد سكانها الى نحو ٢٢ ألف نسمة سنة ١٥١٦ ! وزاد ضعفها امام اشتداد العصبية المسيحية الى ان اصبحت لقمة سائغة تنتظر من يبتلعها ، وثمرة ناضجة حان قطفها .

وشاءت الاقدار ان تكون هذه اللقمة من نصيب الاخوين بارباروس : عروج وخير الدين ، فدخل عروج المدينة ملبيا نداء أهلها ، واتخذها عاصمة للبلاد ، وبدأ بازالة النفوذ الغريب عنها وبناء قصبتها الجديدة ، ثم خطا خطوته الاتراك الذين جاءوا من بعده فبنوا القصور والمساجد واجروا السواقي واصلحوا المرسى .

ونظرا لتفاقم خطر المسيحية على المدينة واشتداد طمع الاوربيين فى النيل منها ، فقد توجه الاتراك الى تحصينها من جهات البحر بالخصوص ، فاكثروا من بناء الابراج التي بلغ عددها نحو العشرين برجا على طول الشاطيء من تامنفوست الى سيدي فرج وزادوا فى تمتين الاسوار وتعليتها ، واحاطوا المدينة بخندق عميق وأكثروا من نصب المدافع التي بلغ عددها اكثر من ستمائة موجهة نحو البحر . ومر نمو سكان مدينة الجزائر في العهد التركي بثلاث مراحل متباينة هى :

أ ــ مرحلة النمو السريع بسبب ازدهار القرصنة ونمو الاسطول وما كان يجلبه من خيرات وعبيد مسيحيين للمدينة ، وبسبب هجرة الاندلسيين والاتراك وسكان الريف الى المدينة ، فانتقل عدد سكانها من ٧٥ ألف نسمة ١٥٧٨ الى نحو ١٥٠ ألف نسمة فى نهاية القرن السابع عشر .

ب ــ مرحلة الاستقرار وتبدأ من نهاية القرن السابع عشر الى منتصف القرن الثامن عشر ، فيها قيدت المدينة باتفاقيات مع الدول الاوربية ادت الى الاقلال من

نشاط القرصنة وبالتالي اخذ عدد السكان يدور حول المائة ألف نسمة حسب تقديرات مورقان لسنة ١٧٥٥ . ثم زاد من توقف نمو سكان مدينة الجزائر في هذه الفترة توقف الهجرة اليها من الداخل او من الخارج ، وما اجتاحتها من أوبئة ومجاعات وزلازل وبالاخص آفات ١٧٤٠ التي اودى فيها الطاعون بحياة اكثر من ألف نسمة في اسبوع واحد

د — مرحلة التقهقر وفيها انخفض عدد السكان من حوالي الخمسين ألف نسمة سنة ١٧٨٩ الى ما يقرب من ١٦ ألف نسمة سنة ١٨٣٠ بسبب المجاعات والاوبئة وبالخصوص مرض الطاعون الذي اشتد في سنوات ١٧٨٧ الى ١٧٩١ واودى بحياة ما لا يقل عن ١٦ ألف نسمة ، يضاف الى ذلك انخفاض الرعاية الصحية ، واشتداد الاضطرابات الاجتماعية التي كثيرا ما كانت تدفع بسكان المدينة الى مغادرتها الى الريف ، ثم ركود النشاط الاقتصادي للمدينة الذي كان من اسبابه تعاون الدول الاوربية في تحطيم اسطول الجزائر وهو عصب الحياة الاقتصادية للمدينة طيلة العهد التركي بها .

واهم ما يلاحظ على مجتمع سكان المدينة في العهد التركي انه كان مجتمعا غير متجانس لاختلاف اصوله ، وكان يتألف من المواطنين الاصليين ، والعبيد المسيحيين ، والعبيد الزنوج ، والاتراك ، والكراغلة ، واليهود ، والمهاجرين الاندلسيين ، والمهاجرين من الداخل امثال المزابيين والبساكرة والاغواطيين والقبائل . وكان عدد كل جنس يختلف من فترة لاخرى فالاتراك بلغ عددهم حتى ٢٢ ألف نسمة في فترة ازدهار المدينة ، والاندلسيون وصلوا الى ٦٠٠٠ نسمة سنة ١٥٨٠ . والعبيد المسيحيون بلغوا ٢٥٠٠٠ نسمة في نفس السنة واليهود بلغوا العشرة آلاف نسمة في فترة تقهقر سكان المدينة .

ومن الملاحظ على تركيب سكان مدينة الجزائر في العهد التركي ان عدد الذكور كان يفوق عدد النساء لاسباب منها ان أغلب المهاجرين والاسارى المسيحيين كانوا من الذكور . ومجموع السكان كانوا ينقسمون الى طبقات حسب جنسياتهم وحرفهم ، فالاتراك يؤلفون طبقة الاسياد بيدهم الحكم وثروة البلاد ، ولليهود الاحتكارات التجارية ، وللاهالي الوظائف الهامشية والصناعة التقليدية او التجارة الكاسدة ، وللاسارى

المسيحيين والعبيد الزنوج الخدمات العامة في الحقل والمنزل او فى الحانات تحت اشراف اسيادهم . وكان العبيد المسيحيون احسن حاليا من الاسارى المسلمين الجزائريين الذين هم في قبضة الاوربيين ، حيث يذكر عنهم شالير : ان الكثيرمن الاسارى المسيحيين عبوديتهم بالجزائر على حريتهم فى اوربا .

ولم تهتم حكومة الدايات بتطوير التعليم بل تركته للخاصة مما كان السبب فى ركوده فقلت التخصصات والخبرات، وساد الجهل ، وانخفض المستوى الصحي وانتشرت الخرفات وتعددت الطرق الدينية وزواياها . وضعفت الادارة التي كان على رأسها ثلة من الامية الاتراك يساعدهم عدد من الاهالي فى المناصب الثانوية .

اما البنية الاقتصادية فكانت ضعيفة تقوم على القرصنة بالدرجة الاولى ، وما تجلبه هذه القرصنة من غنائم مادية و بشرية و ما ادت اليه من جزيات وهدايا متنوعة كانت تدفعها بعض الدول الاوربية وهي صاغرة الى مدينة الجزائر لشراء امن وسلامة اسطولها التجاري فترة من الزمن .

وأهمل الاتراك الصناعة والتجارة بسنهم لنظام الاحتكارات وبيع الوظائف ، وبفرضهم للضرائب المتنوعة على الشعب ، فانصرف الفلاحون عن الزراعة واهملوا استغلال الارض ، حتى صار اغلبهم لاينتج الا للاستهلاك المحلي او لاينتج الا للاستهلاك العائلي في بعض الاحيان .

وفي أواخر العهد التركي زاد اضطراب اقتصاد المدينة و اخذ دخل الخزينة يقل سنة بعد اخرى الى ان صارت النفقات اكثر من المقبوضات بسبب تقييد الدول الاوربية لنشاط القرصنة بالاتفاقيات وتوقف البعض منها عن دفع الجزية بعد ان حطم اسطول مدينة الجزائر . ولقد نتــج عن هذه الاضطرابات الاقتصادية ضعف في المعاملات والقروض ، وانخفضت ثقة السكان في النقود .

فهرس الموضوعات

الباب الاول

الظروف الطبيعية والبشرية لمدينة الجزائر

الباب الثاني

مراحل تطور مدينة الجزائر من النشأة حتى القرن التاسع عشر

٢ ـ الاشـــكال

٣ ـ الصـــور

المطبـعـة العربـيـة
لدار الفكـر الاسلامـي
٥، نهج ٨ ماي - الجزائر
سبتمبر ١٩٧٢ - ٤ـ٥ ـ ١٩٧٢
رقـــم ٢٢